

جونريد

شقة ايام الحياة

0126466



Bibliotheca Alexandrina

دار الفكر الجديد

جونا ريد

عشرة
الأيام
هزمت
العالم



جون ريد

جون ريد

عشرة أيام هزت العالم

دار الفكر الجديد

١٩٨٥

جميع الحقوق محفوظة

دار الفارابي - بيروت

ص.ب ٣١٨١

تلفون ٣١٧٢٠٥

مقدمة للطبعة الروسية

«عشرة ايام هزت العالم» - هذا هو العنوان الذى اتخذه جون ريد لكتابه الرائع . ان فيه تصويرا فائق الجلاء والقوة للايام الاولى من ثورة اكتوبر . وما هو بمجرد سرد للوقائع ، ولا مجموعة من الوثائق ، انما هو جملة من المشاهد الحية بالغة من النموذجية درجة لا بد معها لكل من المشتركين بالثورة ان يتذكر المشاهد المماثلة التى كان شاهدا لها . وهذه اللوحات جميعا ، المأخوذة من الحياة ، تصور احسن ما يمكن التصوير ، الحالة النفسية لدى الجماهير ، والتى على اساسها يصبح مفهوما بصورة خاصة كل عمل من اعمال الثورة العظمى .

وللهذه الاولى يبدو من المستغرب كيف استطاع ان يكتب هذا الكتاب اجنبى ، اميركى غير عارف بلغة الشعب وبنمط حياته ... وقد يخيل انه لا بد واقع فى كل خطوة باخطاء مضحكة ، ولا بد غافل عن كثير مما هو جوهرى .

فما هكذا يكتب الاجانب عن روسيا السوفييتية . فهم اما غير فاهمين اطلاقا للاحداث التى جرت واما متناولون وقائع منعزلة ، ليست دائما بنموذجية ، ومعممون لها .

وفى الحق ، لقد كان شهود العيان للثورة قليلين جدا . وما كان جون ريد مراقبا عديم المبالاة ، انما كان ثوريا متحمسا ، شيوعيا ، مدركا معنى الاحداث ، معنى النضال العظيم .

وهذا الادراك قد اعطاه تلك النظرة شاقبة التي ما كان يمكن بدونها تأليف مثل هذا الكتاب .

والروس ايضا يكتبون على غير هذا النحو عن ثورة اكتوبر : فهم اما يقدرونها تقديرا او يصفون الاحداث التي كانوا مشتركين فيها . وكتاب ريد يعطى لوحة شاملة عن الثورة الجماهيرية الشعبية الحققة ، ولهذا فستكون له اهمية كبيرة خاصة للشعبية ، وللاجيال القادمة ، لأولئك الذين ستكون ثورة اكتوبر بالنسبة لهم قد اصبحت من التاريخ . ان كتاب ريد هر من قبيل الملحمة . لقد ارتبط جون ريد كليا بالثورة الروسية . واصبحت روسيا السوفيتية عزيزة عليه وقريبة اليه . وقد توفي فيها بالتيفيس ودفن عند سور الكرملين . وان من صور ماتم ضحايا الثورة تصوير جون ريد لجدير بهذا الشرف .

ن . كروبسكايا

مقدمتان ليتين وكرويسكاي

مقدمة للطبعة الاميركية

بعد ان قرأت كتاب جون ريد « عشرة ايام هزت العالم » باهتمام بالغ وانتباه لا يعتريه الكلل ، اوصى من صميم القلب بهذا المؤلف لعمال جميع البلدان . واود ان ارى هذا الكتاب منشورا بملايين النسخ ومترجما الى جميع اللغات ، ذلك لأنه يقدم عرضا صادقا وحيا الى درجة خارقة عن احداث هي ذات اهمية قصوى لفهم كنه الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا . ان هذين الموضوعين يناقشان في الوقت الحاضر على نطاق واسع ، ولكن على المرء قبل الاخذ بهذه الافكار او رفضها ، ان يعى المغزى الكامل لقراره . وما من شك في ان كتاب جون ريد يساعد على توضيح هذه المسألة التي هي القضية الاساسية لحركة العمال العالمية .

١٩١٩

ن . ليتين

المقدمة

هذا الكتاب نبذة مكشفة من التاريخ ، التاريخ كما شاهدته . وهو لا يدعى بأكثر من ان يكون تقريراً مسهباً عن ثورة نوفمبر* ، حين قام البلاشفة على رأس العمال والجنود بالاستيلاء على سلطة الدولة في روسيا ووضعوها في يد السوفييتات .

وطبيعي ان القسم الاكبر من الكتاب مكرس لـ « بتروغراد الحمراء » ، عاصمة الثورة وقلبها . ولكن ليذكر القارى ان كل ما جرى في بتروغراد قد تكرر بحذافيره تقريبا في اوقات مختلفة في جميع انحاء روسيا بنسبة اقل او اكثر حدة .

وانى لاجد نفسى مضطرا في هذا الكتاب ، الاول من مجموعة كتب اقوم بتأليفها ، الى الاقتصار على تسجيل الاحداث التي شهدتها وعاشتها شخصا او التي اكدها شهود موثوق بهم ؛ والفصلان الاولان منه يصوران باقتضاب الظرف الذى جرت فيه ثورة نوفمبر واسبابها . وانى لادرك ان قراءة هذين الفصلين ليست سهلة ، ولكنهما جوهريان لفهم ما يلي ذلك .

وطبيعي ان ستتبادر للقارى اسئلة كثيرة . ما هى البلشفية ؟ وای نوع من النظام السياسى اقام البلاشفة ؟ وما دام البلاشفة

* النواريح كلها لدى جون ريد حسب التقويم الجديد . وفي هذه الطبعة يشتر بن هلاين الى التواريخ حسب التقويم القديم . **البحرور** .

قد ناضلوا قبل ثورة نوفمبر في سبيل الجمعية التأسيسية ، فلماذا فضوها فيما بعد بقوة السلاح ؟ وما دامت البرجوازية ، بعد ان بان الخطر البلشفي جليا ، قد وقفت ضد الجمعية التأسيسية ، فلماذا اصبحت فيما بعد حاملة لوائها .

لا يمكن اعطاء الجواب هنا على هذه الاسئلة وكثير غيرها . فانا اتبع سير الثورة ، حتى عقد الصلح مع المانيا ، في الكتاب الآخر « من كورنيلوف حتى بريست - ليتوفسك » * . ففيه ابين منشا وطابع نشاط المنظمات الثورية ، وتطور وتبدل الامزجة الشعبية ، وحل الجمعية التأسيسية ، وبيان الدولة السوفييتية ، وسير مفاوضات بريست ولتائجها .

لا بد ، عند بحث شعبية البلاشفة المتعظمة ، من ادراك ان اختلال الحياة الاقتصادية الروسية والجيش الروسى قد حدث لا في ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر) ١٩١٧ ، بل قبل ذلك بكثير من الاشهر ، بوصفه نتيجة حتمية منطقية لسير تطور بدأ منذ عام ١٩١٥ . فقد كان الرجعيون الفسقة المتحكمون بالبلات القيصرى يسرون بالامور قصدا نحو هزيمة روسيا ، بغية تمهيد التربة لصلح منفرد مع المانيا . وانا لنعلم الآن ان نقص السلاح في الجبهة الذى ادى الى الانسحاب الكارثى الكبير في صيف ١٩١٥ ، ونقص المون في الجيش وفي المدن الكبرى ، والخراب في الصناعة وفي النقلات سنة ١٩١٦ ، - نعلم الآن ان هذا كله انما كان جزءا من حملة تخريبية هائلة اوقفتها ثورة آذار * في اللحظة الحاسمة .

* "From Kornilov to Brest-Litovsk" - جون ريد .

لم يصدر هذا الكتاب . فان جون ريد لم يتمكن من اكماله . المحرر .

* * ثورة شباط (بالتقويم القديم) . المحرر .

وفي بضعة الاشهر الاولى من النظام الجديد طرأ تحسن
مؤكد سواء أعلى الوضع الداخلى في البلد ام على قدرة جيشه
القتالية ، برغم الاضطراب الذى لا مفر منه لدى حدوث ثورة
عظمى اعطت فجأة الحرية لشعب من مئة وستين مليوناً كان
اكثر الشعوب في العالم موضعاً للاضطهاد .

ولكن «شهر العسل» لم يدم طويلاً . فقد كانت الطبقات
المالكة تريد ثورة محض سياسية تنزع السلطة من القيصر وتضعها
بين ايديها . كانت تريد اقامة جمهورية دستورية في روسيا على
عرار ما هو موجود في فرنسا والولايات المتحدة ، او ملكية
دستورية مثل انكلترا . اما الجماهير الشعبية فقد كانت راغبة
في ديموقراطية حقبة عمالية وفلاحية .

ان وليام انكليش وولنغ* يعطى في كتابه «رسالة روسيا» ،
الذى يؤلف دراسته لثورة ١٩٠٥ ، وصفا رائعا للحالة النفسية
لدى العمال الروس الذين وقفوا فيما بعد وقفة تكاد تكون اجماعية
الى جانب البلاشفة :

«لقد كانوا (اى العمال) يرون انه من الممكن ، حتى في
ظل اكثر الحكومات حرية ، ان يبقوا في حالة المجاعة التى يعانون
منها اذا ما سيطرت على الحكم طبقات اخرى غير طبقتهم ...
ان العامل الروسى ثورى ، ولكنه ليس عنيفاً ، ولا عقائدياً
جامداً ، ولا يخلو من الذكاء . انه مستعد لمعارك المتاريس ،
على انه قد درسها وهو الوحيد بين عمال العالم الذى لم باستخدامها

* وليام انكليش وولنغ (١٨٧٧-١٩٣٦) عالم اميركى للاقتصاد
والاجتماع ، واضع عدة مؤلفات عن الحركة العمالية وعن الاشتراكية .
والكتاب الذى يشير اليه جون ريد ، صدر في الولايات المتحدة سنة
١٩٠٨ . المبحر .

وتعلم عنها من خلال تجربته الخاصة . انه مستعد ويتحرق رغبة في النضال حتى النهاية ضد الطبقة الرأسمالية التي نضطهده . ولكنه لا ينسى وجود الطبقات الاخرى . وهو لا يطلب منها الا ان تقف اما الى هذا الجانب او ذاك ، في النزاع الضارى المفبل .

انهم (العمال) يقرون جميعا بان مؤسساتنا السياسية (الاميركية) افضل من مؤسساتهم ، الا انهم لا يتعطشون اطلاقا لاحتلال طاغية بآخر (اى بطبة الرأسماليين) .

ان عمال روسيا استشهدوا بالمئات رميا بالرصاص واعداما في موسكو وريغا واوديسا ، وتعرض الالوف منهم للاعتقال في سجون روسيا وللنفي الى الصحارى والمناطق القطبية ، ليس في سبيل الحصول على امتيازات عمال غولدفيلدس وكريبل كريك الوهمية ... » .

ذلك هو السبب في ان الثورة السياسية في روسيا قد تحولت في اوج الحرب الخارجية الى نوره اجتماعية بكلت بانتصار البلشفية .

ان ا . ج . ساك ، مدير مكتب الانباء الروسى المعادى للحكومة السوفييتية في الولايات المتحدة ، يقول ما يلى في كتابه « ولادة الديموقراطية الروسية » :

« لقد الف البلاشفة وزارة لهم برئاسة لينين ، يتولى فيها ليون تروتسكى وزارة الخارجية . وقد تجلت حتمية استلامهم السلطة عقب نورة آذار (مارس) مباشرة تقريبا . ان تاريخ البلاشفة بعد الثورة هو تاريخ تناميهم المستمر » .

غالبا ما يشير الاجانب ، وبخاصة الاميركيون ، الى « جهالة » العمال الروس . لا شك انهم يفتقرون الى التجربة السياسية التي اكتسبتها الشعوب الغربية الا انهم مقابل ذلك قد اجتازوا مدرسة رائعة في منظماتهم الطوعية . ففي ١٩١٧ كان عدد اعضاء جمعيات

الاستهلاك (التعاونيات) الروسية يزيد على ١٢ مليون عضو ،
وما السوفييتات نفسها الا دليل رائع على العبقورية التنظيمية
لدى الجماهير الكادحة الروسية . فضلا عن ذلك ، فلا يكاد يوجد
في العالم كله شعب بلغ ذلك المستوى من الثقافة الاشتراكية النظرية
والم بتطبيقها العمل كالذى بلغه الشعب الروسى .

واليكم كيف يصنف وليام انكليش وولنغ هؤلاء الناس :
« ان العمال الروس ، باكثريتهم ، يحسنون القراءة والكتابة .
ومنذ سنوات كثيرة والبلاد في وضع بالغ من القلق حدا كانوا معه
يتمتعون ليس فقط بقيادة الناس المتطورين من اوساطهم الخاصة ،
بل وكذلك بقيادة عناصر ثورية عديدة من فئات المجتمع المثقفة
التي توجهت الى الطبقة العاملة حاملة معها مثلها العليا لبعث
روسيا سياسيا واجتماعيا ... »

ان كثيرا من المؤلفين يعللون عداوتهم للنظام السوفييتي
بان المرحلة الاخيرة من الثورة الروسية كانت مجرد ضراع نخوضه
عناصر المجتمع « الشريفة » ضد فسادة البلاشفة . اما الواقع
فهو ان الطبقات المالكة بالذات ، اذ رأت قدرة المنظمات الشعبية
الثورية تتعاظم ، قد قررت تدميرها وايقاف الثورة . وفي سبيل
بلوغ هذا الهدف لجأت البرجوازية في آخر المطاف الى تدابير
يائسة . وبغية الاطاحة بحكومة كيرنسكى وبالسوفييتات عرقلت
حركة النقليات واثرت الاضطرابات الداخلية ؛ وبغية القضاء
على لجان المعامل والمصانع ، اغلقوا المؤسسات واخفوا الوقود
والمواد الاولى ؛ وبقصد سحق لجان الجيش اعدوا عقوبة الاعدام
ومهدوا للزائم في الجبهة .

وكان كل هذا غذاء رائعا للنار البلشفية . فقد اجاب
البلاشفة بالدعوة الى الكفاح الطبقي وعلان سيادة السوفييتات .
وبين هذين الاتجاهين المتطرفين كانت توجد مجموعات مؤيدة

لهما كليا او جزئيا ، وفي عدادهما من يسمون بالاشتراكيين «المعتدلين» ، اى المناشفة ، والاشتراكيون-الثوريون وكذلك بضعة احزاب صغيرة . وكانت هذه الجماعات هى ايضا موضع الهجمات من جانب الطبقات المالكة ، ولكن قوة مقاومتها قد قوضتها نظرياتها نفسها .

وبصورة عامة ، كان المناشفة والاشتراكيون-الثوريون يعتقدون ان روسيا لم تكن ناضجة اقتصاديا للقيام بالثورة الاجتماعية وان الثورة السياسية وحدها هى التى يمكن تحقيقها . وكانوا يرون ان الجماهير الروسية لم تكن على قدر كاف من الثقافة الضرورية لاستلام الحكم ، وان كل محاولة من هذا النوع ستحتم قيام رجعية تتيح لمغامر صفيق اعادة النظام القديم . وهذا ما يفسر خوف الاشتراكيين «المعتدلين» من ممارسة السلطة بعد ان اجبروا على استلامها .

فقد كانوا يعتقدون ان على روسيا ان تمر خلال تطورها السياسى والاقتصادى بنفس المراحل التى اجتازتها اوروبا الغربية ، وبعد هذا فقط تصل مع سائر العالم الى الاشتراكية المتطورة كامل التطور . وطبعى انهم لهذا السبب كانوا متفقين مع الطبقات المالكة فى ان على روسيا قبل كل شئ ان تصبح دولة برلمانية ، وان يكن ذلك مع بعض التعديلات بالنسبة للديمقراطيات الغربية . ونتيجة لذلك كانوا يصرون على اشتراك الطبقات المالكة فى الحكومة .

ومن هنا لم تكن تفصلهم عن مساندتها غير خطوة واحدة . فقد كان الاشتراكيون «المعتدلون» فى حاجة للبرجوازية ، ولكن البرجوازية لم تكن فى حاجة للاشتراكيين «المعتدلين» . وهكذا فقد حدث ان اضطر الوزراء-الاشتراكيون شيئا فشيئا للتنازل عن مجمل برنامجهم ، كلما ازداد اكثر فاكثر ضغط الطبقات المالكة .

عن ادق التفاصيل عن كومونة باريس ، فهم كذلك سيودون معرفة كل ما جرى في بتروغراد في نوفمبر ١٩١٧ ، وما هي الروح التي غمرت الشعب في ذلك الحين ، وكيف كان ينظر القادة ويقولون ويعملون . هذا بالضبط ما كنت افكر به عند تأليفى هذا الكتاب .

لم تكن عواطفى على الحياد اثناء الصراع ، ولكنى حاولت ، وانا اصف تاريخ تلك الايام العظام ، ان انظر الى الاحداث بعين الراوية الامين المهم بتسجيل الحقيقة .

ج . د . د .

نيويورك

١ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩

وفي آخر الامر ، حين اُحال البلاشفة الى هباء جميع الحلول الوسط الفارغة ، وقف المناشفة والاشتراكيون-الثوريون يشاركون في الصراع الى جانب الطبقات المالكة ... وفي الوقت الحاضر ، يمكن رؤية الظاهرة نفسها في اى بلد من بلدان العالم على وجه التقريب .

ليس البلاشفة ، على ما يبدو لى ، قوة هدامة ، بل هم الحزب الوحيد في روسيا الذى لديه برنامج بناء ولديه السلطة الكافية لوضعه موضع التنفيذ . ولو لم يوفقوا في هذه الآونة الى الاحتفاظ بالسلطة ، لما كان هناك ، في رأى ، ادنى شك في ان قوات المانيا الامبراطورية كان من شأنها ان تكون في بتروغراد وموسكو في كانون الاول (ديسمبر) ولكانت روسيا قد وقعت من جديد تحت حكم قيصر ما ..

ما تزال دارجة ، بعد عام كامل من وجود السلطة السوفييتية ، تسمية ثورة البلاشفة بـ«المغامرة» . اجل ، لقد كانت تلك مغامرة ، وانها بالاضافة الى هذا لاحدى اروع المغامرات التى سبق للانسانية ان اقدمت عليها ، مغامرة اقتحمت التاريخ اعصارا على رأس الجماهير الكادحة وراهنّت بكل شيء في سبيل تحقيق رغباتها الواسعة والبسيطة . فقد كان معداً جهاز توزيع اراضي كبار الملاكين بين الفلاحين . وكانت قد الفت لجان المعامل والمصانع والاتحادات النقابية لتحقيق رقابة العمال على الانتاج . وفي كل قرية ، وكل مدينة ، وكل ناحية ، وكل مقاطعة ، كانت تقوم سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، على اهبة لتولى الادارة المحلية .

ومهما يكن رأى بعض الناس بالبلشفية فلا جدال في ان الثورة الروسية هى من اعظم الاحداث في تاريخ البشرية ، واما قيام البلاشفة فظاهرة ذات اهمية عالمية . وكما ان المؤرخين يبحثون

ملاحظات افتتاحية وتوضيحات *

ان تعدد المنظمات الروسية من جماعات سياسية ، ولجان
ولجان مركزية ، ومجالس الدوما والاتحادات سيولد كثيرا من
الالتباس لدى القارىء العادى ولذا فاقى مقدم هنا بضعة تعريفات
وتوضيحات موجزة .

الاحزاب السياسية

كان في انتخابات الجمعية التأسيسية في بتروغراد تسع عشرة
قائمة من قوائم المرشحين ، واما في بعض مدن المقاطعات فقد
بلغ هذا الرقم الاربعين ؛ ولكن هذا العرض المقتضب لاهداف
وتركيب الاحزاب السياسية ، الوارد ادناه ، لا يتضمن غير الجماعات
والتكتلات المذكورة في هذا الكتاب . وليس يمكن هنا غير الاشارة

* ان «الملاحظات الافتتاحية والتوضيحات» الموضوعة من قبل
ج . ريد لها اهمية كبيرة ، برغم بعض ما فيها من عدم الدقة . وهي
تبين كيف درس بعناية العلاقات السياسية التي تكونت في روسيا في العهد
الذى سبق ثورة اكتوبر ، والامر الرئيسى هو انها تمكن من الحكم على
استلطافات المؤلف واستنكاراته السياسية ، وعلى تقديراته الخاصة للاحزاب
والمجموعات المتصارعة فيما بينها . **البحرور .**

الى اهم ما في برامجها والى السمة العامة للفئات الاجتماعية التي كانت تمثلها .

١- **المليكون** على اختلاف نزعاتهم ، **والاكتوبريون** ، وهلم جرا . هذه التكتلات التي كانت فيما مضى قوية لم يعد لها وجود علني ؛ فهي اما مارست العمل في الخفاء ، واما ان اعضاءها قد انتسبوا الى حزب الكاديت اذ تبني الكاديت شيئا فشيئا برنامجهم السياسي . ومن بين ممثلي هذه الجماعات يشار في الكتاب الى رودزيانكو وشولغين .

٢- **الكاديت** . يطلق عليهم هذا الاسم حسب الاحرف الاولى للحزب «الدستوري الديموقراطي» . والاسم الرسمي للحزب (بعد الثورة) هو «حزب حرية الشعب» . وفي ظل الحكم القيصري كان هذا الحزب المؤلف من الليبراليين ، ممثلي الطبقات المالكة ، اضعف الاحزاب التي تنادي بالاصلاحات السياسية ، وهو بسماته العامة مماثل للحزب التقدمي في اميركا . وحين اندلعت الثورة في آذار (مارس) ١٩١٧ ، شكل الكاديت الحكومة الموقته الاولى . وفي نيسان (ابريل) اطيح بحكومة الكاديت ، لانها ايدت جهازا اهداف دول الحلفاء الامبريالية ، بما في ذلك الاهداف الامبريالية للحكومة القيصرية . وبمقدار ما كانت الثورة تتخذ طابعا اجتماعيا متزايد الجلاء كان الكاديت يصبحون اكثر فاكثر محافظين . ومن بين ممثليهم يشار في هذا الكتاب الى ميلوكوف وفييناير وشاتزكي .

٢-١- **«جماعة المتنفذين في المجتمع»** . بعد ان خسر الكاديت شعبيتهم من جراء ارتباطهم بحركة كورنييلوف المعادية للثورة ، تشكلت في موسكو «جماعة المتنفذين في المجتمع» . وشغل ممثلو هذه الجماعة مناصب وزارية في حكومة كيرنسكي الاخيرة . واعلنت الجماعة انها غير حزبية ، رغم ان زعماءها الروحانيين كانوا اساسا من شاكله رودزيانكو وشولغين . وقد انتسب اليها «احدث»

رجال البنوك والتجار والصناعيين الذين كانوا على جانب كاف من الذكاء ، يجعلهم يدركون ضرورة محاربة السوفييتات بسلحاه الخاص اى بالتنظيم الاقتصادى . والممثلان النموذجيان لهذه الجماعة هما ليانوزوف وكونوفالوف .

٣ - الاشتراكيون الشعبيون او التزودوفيك . - حزب غير كبير عدديا ، مؤلف من مثقفين حذرين ، ورؤساء جمعيات تعاونية وفلاحين ذوى نزعة محافظة . وقد كان التزودوفيك يسمون انفسهم اشتراكيين ، وفى الواقع يدافعون عن مصالح البرجوازية الصغيرة - من موظفين وصغار تجار وهلم جرا . وقد كانوا ورثة مباشرين لـ «جماعة الشغيلة» فى دوما الدولة الرابع ، المؤلفة فى اكثريتها من ممثلى الفلاحين ، ومتابعين لتقاليد هذه الجماعة القائمة على المصالحة . وكان كيرنسكى زعيما للتزودوفيك فى دوما الدولة ، حين انفجرت الثورة فى آذار (مارس) ١٩١٧ . وحزب الاشتراكيين الشعبيين هو حزب قومى . ويمثله فى الكتاب بيشيخولوف ونشايكوفسكى .

٤ - حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى . كان منذ تشكيله حزب الاشتراكيين الماركسيين . وائناء المؤتمر المنعقد سنة ١٩٠٣ انقسم الحزب ، بسبب الخلاف على المسائل التكتيكية ، الى جناحين - الاكثرية والاقلية . وهكذا نشأت التسمية «البلاشفة» (انصار الاكثرية) و«المناشفة» (انصار الاقلية) . وتحول الجناحان الى حزبين متميزين . وكان كل منهما يسمى نفسه حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى ، ويعلن تمسكه بالماركسية . وبعد ثورة ١٩٠٥ ، كان البلاشفة فعليا اقلية ، واصبحوا اكثرية من جديد فى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ . ١ - المناشفة . يضم هذا الحزب اشتراكيين من جميع الالوان ، يعتقدون ان المجتمع يجب ان يسير الى الاشتراكية عن طريق

التطور الطبيعي وان الطبقة العاملة يجب في اول الامر ان تتوصل الى السلطة السياسية . وهو ايضا حزب قومي . وقد كان هذا حزب المثقفين الاشتراكيين ، ولما كانت جميع وسائل التعليم في يد الطبقات المالكة ، فقد كان طبيعيا ان المثقفين كانوا ينجذبون نحو نمط تفكيرها ويغدون الى جانب هذه الطبقات . ومن بين زعمائهم يشار في هذا الكتاب الى دان وليبر وتسيريتيل .

ب - المناشفة الاميون . جناح راديكالي من المناشفة ، اميون ، معارضون لكل تحالف مع الطبقات المالكة ؛ وفي الوقت نفسه لم يكونوا راغبين في قطع الصلة مع المناشفة المحافظين ، وكانوا يناهضون ديكتاتورية الطبقة العاملة ، التي كان البلاشفة ينادون بها . وقد كان تروتسكى وقتا طويلا عضوا في هذه الفئة . ومن زعمائها مارتوف ومارتينوف .

ج - البلاشفة . ويطلقون على انفسهم الآن اسم **الحزب الشيوعي** ، تاييدا لتخليهم التام عن تقاليد الاشتراكية «المعتدلة» او «البرلمانية» السائدة بين المناشفة ومن يسمون بـ «اشتراكيى الاكثرية» في جميع البلدان . وكان البلاشفة ينادون بالانتفاضة البروليتارية الفورية وبلاستيلاء على سلطة الدولة للتعجيل بتحقيق الاشتراكية عن طريق التحويل القسرى لملكية الصناعة والارض والثروات الطبيعية والمؤسسات المالية الى ملكية جماعية . وهذا الحزب يعبر عن مطامح عمال الصناعة ، بصورة رئيسية ، وكذلك عن مطامح جزء كبير من الفلاحين الفقراء . وكلمة «**بلشفي**» لا ينبغي ترجمتها كـ «**ماكسيالى**» . فالماكسيماليون جماعة خاصة (انظر الفقرة ٥ - ب) .

د - **الاشتراكيون-الديموقراطيون الاميون المتحدون** او جماعة «الحياة الجديدة» ، على اسم الجريدة ذات النفوذ الواسع التي كانت لسان حالهم . وهم جماعة صغيرة من المثقفين كان لهم

عدد صغير جدا من الانصار بين العمال ، فيما عدا الاتباع الشخصيين لمكسيم غوركى ، زعيم الجماعة . وهؤلاء مثقفون لهم برنامج يكاد يكون مطابقا لبرنامج المناشفة الامميين ، بفرق وحيد هو ان جماعة «الحياة الجديدة» كانت ترفض الارتباط بأية من الجناحين الاساسيين . وكان اعضاء الجماعة غير موافقين على تكتيك البلاشفة ، الا انهم لم ينسحبوا من الاجهزة السوفييتية . وممثلا الجماعة الآخران اللذان يشار اليهما في هذا الكتاب هما افيلوف وكراماروف . هـ - «الوحدة» . جماعة لا اهمية لها متضائلة باطراد كانت مؤلفة بصورة حصرية تقريبا من اتباع بليخانوف الشخصيين ، احد رواد الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في العقد التاسع من القرن التاسع عشر وكبير نظرييها . وقد كان بليخانوف ، اذ بات شيخا في ذلك الحين ، اشتراكيا وطنيا متطرفا ومفرطا في المحافظة اكثر من المناشفة انفسهم . وبعد الانقلاب البلشفي لم يعد لجماعة «الوحدة» وجود .

هـ - **الحزب الاشتراكي-الثوري** . يسمون بـ «ايسير» حسب الاحرف الاولى من اسم حزبهم . وقد كانوا في بادى الامر حزبا فلاحيا ثوريا ، حزب «المنظمات الكفاحية» - الارهابيين . وبعد ثورة آذار (مارس) ضمت اليه عناصر كثيرة بعيدة عن الاشتراكية . وكان الاشتراكيون-الثوريون في ذلك الوقت ينادون بإلغاء الملكية الخاصة للأرض فقط ، على ان ينال اصحابها تعويضا معيناً . وفي آخر الامر ، حين كانت النزعة الثورية لدى الفلاحين قد تعاطمت ، اضطر الاشتراكيون-الثوريون للتخلي عن شرط «التعويض» في برنامجهم . وفيما بعد انشق المثقفون الاكثر شبابا وحماسا عن المجموعة الاساسية في الحزب في خريف ١٩١٧ ، وانفوا حزبا جديدا ، هو حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين . واما الاشتراكيون-الثوريون الذين كانت الجماعات الراديكالية

فيما بعد تسميهم دائما بـ «الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين» فقد تبنا موقف المناشفة السياسي وراحوا يعملون بالاشتراك معهم . وفي نتيجة ظهوروا بوصفهم ممثلين عن الفلاحين الاغنياء والمثقفين والفئات المتخلفة سياسيا من سكان المناطق الريفية النائية . ومع ذلك فقد كان بينهم جماعات ذات وجهات نظر متباينة في المسائل السياسية والاقتصادية اكثر الى حد بعيد مما بين المناشفة . ومن بين زعمائهم المشار اليهم في الكتاب افكسينتييف ، وغوتر ، وكيرنسكي ، وتشرنوف ، و«الجدة» بريشكوفسكايا .

أ- الاشتراكيون-الثوريون اليساريون . رغم تبنيهم نظريا لبرنامج البلاشفة حول ديكتاتورية الطبقة العاملة ، فقد كانوا في اول الامر يتبعون بغير طيبة خاطر تكتيك البلاشفة الحازم . بيد ان الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ظلوا في الحكومة السوفييتية ، شاغلين مناصب وزارية ، وبخاصة منصب وزير الزراعة . وقد انسحبوا من الحكومة عدة مرات ، ولكنهم كانوا على الدوام يعودون اليها . وبمقدار ما كان الفلاحون يتركون صفوف الاشتراكيين-الثوريين (اليمينيين) باعداد متزايدة ، كانوا ينضمون الى حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الذي تحول الى حزب فلاحى كبير مؤيد للسلطة السوفييتية . وكان هذا الحزب ينادى بمصادرة الممتلكات العقارية الكبيرة بدون تعويض ووضعها تحت تصرف الفلاحين انفسهم . ومن زعمائهم سبيريدونوفا ، وكاريلين ، وكامكوف ، وكوليغايف .

ب- الماكسيماليون . انفصلوا عن حزب الاشتراكيين-الثوريين اثناء ثورة ١٩٠٥ ، حين كانوا يمثلون حركة فلاحية جبارة ، مطالبة بان يطبق على الفور البرنامج الاشتراكي الاقصى . وهم الآن جماعة ليست ذات بال من الفلاحين الفوضويين .

الاصول البرلمانية

الاجتماعات والمؤتمرات منظمة في روسيا على النسق الاوروبى
اكثر مما هى منظمة على نسقنا (الاميركى) . فاول ما يقومون به
عادة هو انتخاب الرئيس وامين السر وهيئة الرئاسة .

هيئة الرئاسة هى لجنة رئاسة مؤلفة من ممثل الجماعات
والكتل السياسية ، الممثلة فى الاجتماع بنسبة قوتها العددية .
وتضع هيئة الرئاسة جدول الاعمال ، ويحق للرئيس تكليف
اعضاؤها لترؤس الاجتماع بصورة دورية .

وفى البداية يقدم تقرير عام حول كل مسألة ، ثم تجرى
المناقشة ، وبعد المناقشة تقدم مختلف الكتل مشاريع قراراتها
ويجرى التصويت على كل مشروع على حدة . وبالامكان تجاوز
جدول الاعمال وهذا ما يحدث عادة فى نصف الساعة الاول من
الاجتماع . وبهجة طارئة وهى امر يوافق عليه الحضور عادة ،
يستطيع اى كان فى القاعة ان يقول ما يشاء فى اى موضوع يطرقه .
والجمهور يسيطر على نظام الاجتماع ، والوظيفة الفعلية الوحيدة
التي يمارسها الرئيس هى قرع الجرس للمحافظة على النظام واعطاء
الكلام لطالبه . ويكاد يجرى كل عمل الجلسة الفعلى فى الاجتماعات
السرية لمختلف الجماعات والكتل السياسية التى تصوت دائما
تقريبا بشكل اجماعى وهى ممثلة من قبل زعمائها . على انه يحدث
فى النتيجة ، عند بحث كل مسألة جديدة وهامة او عند التصويت
ان يعلن وقف الجلسة لاتاحة الفرصة لمختلف الجماعات والكتل
السياسية ان تعقد اجتماعا سريا .

والنظارة صاخبون الى درجة خارقة . فهم يشجعون الخطيب
بصيحات الاستحسان او يقاطعونه بالملاحظات الانتقادية ، معدلين
خطط هيئة الرئاسة حسب اهوائهم . والصيحات المألوفة :

« نرجوكم ! » ، « مضبوط ! » ، « هذا صحيح ! » ، « يكفي ! » ،
« ليسقط ! » ، « ياللعار ! » ، « اسكت ! » .

اهم المنظمات

١ - السوفييت . كلمة روسية قديمة وهى تطابق بالانكليزية كلمة « Council » (بالعربية : مجلس *) . ففى ظل القيصرية ، مثلاً ، كان يوجد سوفيت الدولة . بيد ان كلمة « سوفيت » اصبحت منذ عهد الثورة مرتبطة بنوع معين من المجالس التمثيلية المنتخبة من قبل الشغيلة الاعضاء فى المجموعات الانتاجية ، هى سوفيئات نواب العمال او الجنود او الفلاحين . ولذلك فانى لم استخدم كلمة « سوفيت » الا فيما يتعلق بهذه الاجهزة . والى جانب السوفيئات المحلية ، التى تنتخب فى كل مدينة وقرية - وفى المدن الكبيرة تنتخب ايضا سوفيئات للاحياء - توجد ايضا السوفيئات للمناطق او المقاطعات ، واللجنة التنفيذية لسوفيئات عامة روسيا . (تسمى اختصاراً « تسيك » - انظر ادناه اللجان المركزية) ومقرها العاصمة . وفى كل مكان تقريباً لتحدد سوفيئات نواب العمال وسوفيئات نواب الجنود بكثير من السرعة ، بعد ثورة آذار (مارس) ببعض الوقت . اما فيما يتعلق بالمصالح الخاصة لكل من الفرق المذكورة فقد ظلت تجتمع على افراد اللبت فيها . ولم تتحد سوفيئات نواب الفلاحين مع سائر السوفيئات الا بعد انقلاب البلاشفة . وكانت سوفيئات نواب الفلاحين منظمة على غرار تنظيم سوفيئات العمال والجنود ، وكانت العاصمة مقر اللجنة التنفيذية لسوفيئات الفلاحين لعامة روسيا .

* ملاحظة من قلم الترجمة .

٢ - **الاتحادات المهنية** (النقابات) . رغم ان الاتحادات المهنية في روسيا كانت في معظم الحالات صناعية من حيث الشكل ، فقد كانت مع ذلك تسمى اتحادات مهنية ، ولدى قيام الثورة البلشفية كانت تعد من ثلاثة الى اربعة ملايين عضو . كما كانت هذه الاتحادات منضمة الى منظمة لعامة روسيا ، هي عبارة عن النموذج الروسى للاتحاد النقابى العام ، وكانت العاصمة مقر لجنته التنفيذية المركزية .

٣ - **لجان المعامل والمصانع** . كانت هذه اللجان قد ألفها العمال بشكل عفوى في المؤسسات بغية تحقيق الرقابة على الانتاج ، مستغلين فوضى الادارة بعد الثورة . وقد استولت هذه اللجان على المؤسسات بالطريق الثورية وشرعت تقوم بادارتها . وكذلك كانت للجان المعامل والمصانع منظمته لعامة روسيا ولجنتها المركزية في بتروغراد ، وكانت هذه اللجنة تتعاون مع النقابات .

٤ - **مجالس الدوما** . كلمة «دوما» تعنى تقريبا «الهيئة الاستشارية» . ودوما الدولة القديم ، الذى كان يقوم بشكل ديموقراطى بعد الثورة بستة شهور ، قد انتهى نهاية طبيعية في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ . والدوما البلدى ، الذى يشار اليه في هذا الكتاب ، كان قد انشى نتيجة لاعادة تنظيم المجلس البلدى ، او الادارة الذاتية كما كان يسمى غالبا . وكان الدوما البلدى قد انتخب بالاقتراع المباشر السرى ، ويعود السبب الوحيد لفشله في جذب الجماهير الى جانبه خلال الثورة البلشفية الى ضعف نفوذ كل منظمة سياسية محضة ازاء تعاضم نفوذ المنظمات القائمة على اساس الانقسام الطبقي للمجتمع .

٥ - **الزيمستقوات** . هذه الكلمة يمكن ان تترجم تقريبا الى عبارة «المجالس الريفية» . وقد كانت هذه في ظل القيصرية منظمات شبه سياسية ، وشبه اجتماعية ، ذات صلاحيات ادارية محدودة .

وقد كانت تقام وتدار بصورة رئيسية من قبل مثقفين ذوى نزعات ليبرالية ، منحدرين من طبقة الملاكين العقاريين . وكان التعليم العام ونقد الخدمات الاجتماعية لأوساط الفلاحين ، اهم جانب من نشاط الزيمستفوات . واثناء الحرب اخذت الزيمستفوات على كاهلها كل مهمة تموين الجيش الروسى بالمواد الغذائية واللباس ، كما كانت تجرى المشتريات من الخارج وتقوم بعمل تثقيفى بين الجنود ، مشابه للعمل الذى كانت تقوم به جمعية الشبان المسيحية فى الجيش الامريكى . وبعد ثورة آذار (مارس) تم صبغ الزيمستفوات بالصبغة الديموقراطية بقصد تحويلها الى اجهزة للسلطة المحلية فى المناطق الريفية . الا انها ، شأنها فى ذلك شأن مجالس الدوما البلدية ، لم تكن فى حال تستطيع معها منافسة السوفييتات .

٦ - **التعاونيات** . كانت هذه جمعيات تعاونية استهلاكية للعمال والفلاحين ، وكانت تضم قبل الثورة ملايين الاعضاء فى روسيا كلها . وكان قد اسس الحركة التعاونية الراديكاليون والاشتراكيون «المعتدلون» فلم تتمتع بتأييد الجماعات الاشتراكية الثورية ، على اعتبار ان هذه الطريق انما كانت تمثل بديلا عن انتقال وسائل الانتاج والتوزيع انتقالا كاملا الى ايدى العمال . وبعد ثورة آذار (مارس) اخذت التعاونيات تتوسع بسرعة ؛ وكان يهيمن عليها الاشتراكيون الشعبيون والمناشفة والاشتراكيون الثوريون ، وكانت هذه التعاونيات الى ما قبل الثورة البلشفية تعمل كقوة محافظة بيد ان هذه التعاونيات هى بالذات التى قدمت الغذاء لروسيا بعد انهيار البنيان القديم للتجارة والنقلات .

٧ - **لجان الجيش** . كانت لجان الجيش قد اسسها الجنود فى الجبهة لمكافحة النفوذ الرجعى لضباط النظام القديم . وكان لكل سرية وفوج ولواء وفرقة وفيلق لجانة ، تشرف عليها جميعها لجنة منتخبة للجيش (الفلاى) . وكانت لجنة الجيش المركزية (فى

بتروغراد) تتعاون مع الاركان العامة . وكان ندهور القيادة في الجيش ، نتيجة للثورة ، قد القى على كاهل لجان الجيش معظم عمل مصلحة التموين ، حتى انها تولت قيادة القوات ، في بعض الحالات .

٨ - لجان الاسطول . هي الهيئات المقابلة للجان الجيش في الاسطول الحربى .

اللجان المركزية

خلال ربيع وصيف ١٩١٧ عقدت في بتروغراد مؤتمرات على نطاق روسيا كلها لمختلف انواع المنظمات . فقد عقدت مؤتمرات سوفياتيات نواب العمال والجنود والفلاحين ، والنقابات ، ولجان المعامل والمصانع ، ولجان الجيش والاسطول (الى جانب مؤتمرات ممثلى مختلف الاسلحة في الجيش والاسطول) والتعاونيات ، والقوميات ، الخ . . . وانتخب كل مؤتمر من هذه المؤتمرات لجنته المركزية او لجنته التنفيذية المركزية لرعاية مصالحه الخاصة في المركز . وبمقدار ما كانت الحكومة الموقته تزداد ضعفا باطراد ، كانت هذه اللجان المركزية تضطر لأن تاخذ في ايديها سلطة ادارية متزايدة باطراد .

واهم اللجان المركزية المنوه بها في هذا الكتاب هي :

اتحاد الاتحادات . اثناء ثورة ١٩٠٥ قام البروفسور ميليوكوف وغيره من الليبراليين بتنظيم اتحادات للاختصاصيين ، من اطباء وحقوقيين وهلم جرا . واتحدت في منظمة مركزية واحدة هي **اتحاد الاتحادات** . وفي عام ١٩٠٥ تعاون اتحاد الاتحادات مع الديموقراطية الثورية ؛ الا ان اتحاد الاتحادات وقف في عام ١٩١٧ ضد الثورة البلشفية وجمع الموظفين الحكوميين الذين اعلنوا الاضراب وقاموا باعمال تخريب ضد اوامر السلطة السوفيتية .

تسيك . اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا لسوفييتات
نواب العمال والجنود . والكلمة مركبة من الاحرف الاولى لهذا الاسم
الكامل .

تسنزوفلوت . لجنة الاسطول المركزية .
فيكجل . اللجنة المركزية لعامة روسيا لعمال السكك
الحديدية . والكلمة مركبة من الاحرف الاولى لهذا الاسم الكامل .

المنظمات الاخرى

الحرس الاحمر . يضم عمال المعامل والمصانع المسلحين في
روسيا . وكان الحرس الاحمر قد تشكل للمرة الاولى اثناء ثورة
١٩٠٥ ، وعاد الى الظهور من جديد في ايام آذار (مارس) ١٩١٧ ،
حين اقتضى الامر وجود قوة للمحافظة على النظام في المدينة . وفي
ذلك الحين كان رجال الحرس الاحمر مسلحين ، وباءت بالفشل
جميع المحاولات التي قامت بها الحكومة الموقتة لتجريدتهم من
السلاح . وعند كل ازمة في سير الثورة كانت فصائل الحرس الاحمر
تظهر في الشوارع ، غير مدربة ولا منظمة عسكريا ، الا انها متمثلة
بالحماسة الثورية .

الحرس الابيض . متطوعون برجوازيون ظهورا في المراحل
الاخيرة من الثورة للدفاع عن الملكية الخاصة ضد محاولات البلاشفة
للقضاء عليها . وكان في فصائل الحرس الابيض عدد كبير جدا من
الطلاب .

التيكنتسيون . انهم يؤلفون ما يسمى بـ « الفرقة الوحشية » التي
تضم رجال القبائل الاسلامية في آسيا الوسطى ، الذين يدينون بالولاء
الشخصي للجنرال كورنيلوف . وقد كان التيكنتسيون يتميزون
بالطاعة العمياء وقسوتهم الوحشية في الاعمال الحربية .

« كتائب الموت » أو « كتائب الصدام » . لقد اشتهرت « كتيبة الموت » النسائية ، ولكن كانت ثمة « كتائب موت » كثيرة مؤلفة من الرجال . وكان كيرنسكى قد شكل هذه الكتائب في صيف ١٩١٧ لى تساعد بمثلها « البطولى » على تعزيز الانضباط ورفع مستوى الروح القتالية في الجيش . وكانت « كتائب الموت » مؤلفة بصورة رئيسية من الشباب ذوى النزعة القومية ، ومعظمهم من ابناء العائلات الغنية .

اتحاد الضباط . منظمة انشئت في صفوف الضباط الرجعيين لمكافحة النفوذ المتعاطف للجبان الجيش .

فرسان القديس جورجوس . كان صليب القديس جورجوس * يمنح للمبرزين في القتال . وكان الحائز على الصليب يغدو اوتوماتيكيا « فارسا للقديس جورجوس » . وكان لانصار الروح العسكرية نفوذ في منظمة فرسان القديس جورجوس .

اتحاد الفلاحين . كان اتحاد الفلاحين في عام ١٩٠٥ منظمة ثورية للفلاحين . ولكنه بات في عام ١٩١٧ يعبر عن المصالح السياسية للفلاحين الميسورين وكان يكافح ضد نفوذ سوفياتات نواب الفلاحين المتعاطف وضد اهدافها الثورية .

التواريخ والكتابة

اعتمدت في هذا الكتاب على تقويمنا « الغربى » بدلا من التقويم الروسى القديم ، المتأخر ثلاثة عشر يوما .

ولم احاول ، في كتابة الاسماء والكلمات الروسية ، ان انهج اى نهج علمى ، بل حاولت التمسك بالكتابة التى تمكن القارى بالانكليزية من ان يتمثل لفظها باكثر ما يكون من البساطة ومن الدقة .

* صليب القديس جورجوس ، وسام تأسس في عام ١٧٦٩ . كان يمنح للجنرالات والضباط لقاء المآثر القتالية . **المحور .**

المصادر

كانت ملاحظاتي الخاصة المادة الاساسية لهذا الكتاب . بيد اني ،
بالاضافة الى هذا ، اعتمدت على المئات من مختلف الصحف الروسية
التي جمعتها خصيصا والتي تنعكس فيها احداث كل يوم تقريبا من
ايام الفترة الزمنية التي اصورها ، ومجموعات من الجريدة الانكليزية
« راشن ديلي نيوز » (« الاخبار الروسية اليومية ») ومن الصحيفتين
الفرنسييتين « جورنال دو روسي » (« الجريدة الروسية »)
و « انتانت » (« الوفاق ») - (وقد كالت هذه الجرائد تصدر في
بتروغراد) . وقد افادني اكثر من اى مصدر آخر نشرة « بولتان
دو لا بريس » (« النشرة الصحافية ») التي كان يصدرها يوميا مكتب
الانباء الفرنسى في بتروغراد . فقد كانت تحتوى على انباء عن جميع
الاحداث ذات الاهمية القصوى ، وعلى الخطب وتعليقات الصحافة
الروسية . وفي حوزتي مجموعة تكاد تكون كاملة من هذه الجريدة
منذ ربيع ١٩١٧ حتى نهاية كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ .
وقد جمعت ، بالاضافة الى ذلك ، جميع النداءات والمراسيم
والبيانات تقريبا ، التي كانت تلصق في شوارع بتروغراد منذ اواسط
ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ حتى نهاية كانون الثانى (يناير)
١٩١٨ ، وكذلك المطبوعات الرسمية لجميع المراسيم والوامر
الحكومية والنشرة الحكومية الرسمية للمعاهدات السرية وغيرها من
الوثائق التي اكتشفت في وزارة الخارجية حين انتقلت الى ايدى
البلاشفة .



لينين . عام ١٩١٧

الفصل الاول الاضاع العامة

في اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ جاء الى في بنزوغراد استاذ اجنبى في علم الاجتماع كان موجودا في روسيا . وكان قد سمع في اوساط رجال الاعمال والمثقفين ان الثورة باتت في انحسار . وكتب الاستاذ مقالا عن الموضوع وراح يجوب ارجاء البلاد ، فزار المدن الصناعية والقرى حيث ادهشه ان يلاحظ بان الثورة في تقدم مطرد واضح الجلاء . وعلى الدوام كانت تسمع من العمال والفلاحين احاديث عن مطلب واحد عينه : « الارض للفلاحين ، والمعامل للعمال » . ولو ان الاستاذ كان قد زار الجبهة لسمع الجيش بأسره يتحدث عن السلام .

ولقد كان الاستاذ في حيرة من الامر مع انه لا مبرر لها : فالملاحظتان كلتاهما كانتا صحيحتين كل الصحة . ذلك ان الطبقات المالكة كانت تزداد محافظة باطراد ، واما الجماهير فكانت تزداد راديكالية باطراد . ومن وجهة نظر اوساط رجال الاعمال والمثقفين الروس ، كانت الثورة قد تعدت حدودها وطال امداء اكثر مما كان مقدرا لها . وان الوقت قد حان لعودة النظام . وكانت تشاطرهم في هذا الشعور الفئات الرئيسية من الاشتراكيين

«المعتدلين» اي المناشفة-الدفاعيون^١ * والاشتراكيون-
الوريون ؛ الدين كانوا يدعمون حكومة كيرنسكى الموقته .
وفي ٢٧ (١٤) تشرين الاول (اكتوبر) كتبت الصحيفة
الناطقة باسم الاشتراكيين «المعتدلين» * :
«... ان الثورة تتألف من فصلين : هدم النظام القديم
واقامة نظام للحياة جديد . وقد طال الفصل الاول كثيرا الى
ما فيه الكفاية . وحان وقت الشروع في الثاني ، وينبغي القيام
به باسرع ما يمكن ، فان ثوريا عظيما كان يقول : «لنعجل ،
ايها الاصدقاء ، في انتهاء الثورة : فمن يفرض باطالة الثورة لا
يقطف ثمارها ...» .

بيد ان جماهير العمال والجنود والفلاحين كانت على يقين
راسخ من ان الفصل الاول ما يزال بعيدا عن ان يكون قد انتهى .
وعلى الجبهة كانت لجان الجيش تصطدم على الدوام بالضباط
الذين لم يكن في وسعهم قط ان يالفوا معاملة الجنود ككائنات
بشرية ؛ وفي المؤخرة كانت اللجان الزراعية التي انتخبها الفلاحون
تتعرض للاعتقال بسبب محاولتها تنفيذ قرار الحكومة بشأن
الارض ؛ وفي المعامل كان على العمال^٢ ان يناضلوا ضد القوائم
السود وضد اغلاق المعامل . يضاف الى هذا ان اللاجئين السياسيين
العائدين لم يسمح لهم بدخول البلاد باعتبارهم مواطنين «غير
مرغوب فيهم» . بل لقد حدث ان اناسا عادوا من الخارج الى

* الاشارات المرقمة في نص الكتاب تحيل القارئ الى الملحق
الموضوع من قبل جون ريد . وقد وضع المؤلف لكل فصل من الكتاب
نظاما مستقلا من التقييم . **المحرر .**

* * يقصد جون ريد جريدة «اخبار التسيك» التي كانت اذ ذاك في
قبضة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين . **المحرر .**

قراهم فاقفوا وسجنوا عقابا لهم على أعمال ثورية كانوا قد قاموا بها سنة ١٩٠٥ .

وقد كان لدى الاشتراكيين «المعتدلين» جواب واحد أزاء الاستياء الشعبى المتعدد الجوانب والصور : «انتظروا الجمعية التأسيسية التى ستنعقد فى كانون الاول (ديسمبر)» . ولكن هذا لم يكن يبعث الارتياح فى نفوس الجماهير . فالجمعية التأسيسية شئ حسن ، طبعاً . ولكن كان تمة امر معين فى سبيله جرت الثورة الروسية ، وفى سبيله رقد شهداء الثورة فى قبر أخوهم المطلقة فى ساحة مارس* ، وأنه يجب ان يتحقق ، مهما يكن الامر بصرف النظر عما اذا كانت الجمعية التأسيسية ستدعى للانعقاد ام لا ، الا وهو : السلام ، والارض للفلاحين ، ورقابة العمال على الانتاج . كانت دعوة الجمعية التأسيسية قد تأجلت وتأجلت باستمرار ، ولعلها سوف تتأجل الى ان يهدأ الشعب الى حد قد يخفف معه من مطالبه ! ومهما يكن الامر فالثورة مستمرة منذ ثمانية شهور واما النتائج فليست تبدو للعيان ...

وفى تلك الاثناء كان الجنود قد اخذوا هم انفسهم يحلون مسألة السلام بالفرار من الجيش ؛ وراح الفلاحون يحرقون بيوت الاسياد ويستولون على العقارات الضخمة ؛ والعمال يشقون عصا الطاعة ويضربون عن العمل ... وطبيعى تماما ان ارباب العمل وكبار الملاكين العقاريين والضباط كانوا يبذلون كل الجهود فى سبيل الحيلولة دون اى تنازل للجماهير على اساس ديمقراطى .

* ساحة مارس هى احدى ساحات بتروغراد (لينينغراد حالياً) حيث دفن فى ٥ نيسان (ابريل) (٢٣ آذار - مارس) المناضلون الذين استشهدوا فى الكفاح ضد السلطة الاستبدادية ايام ثورة شباط (فراير) الديمقراطية البرجوازية . **المحور** .

وكانت سياسة الحكومة الموقفة تتأرجح بين الاصلاحات الصغيرة والتدابير القمعية القاسية . فبامر من وزير العمل الاشتراكي حظر على لجان العمال الاجتماع اثناء العمل . وفي الجبهة كان يجري اعتقال «المحرضين» من ممثلي الاحزاب السياسية المعارضة ، وكانت الصحف الراديكالية تغلق واصبحت عقوبة الاعدام تطبق ضد دعاة الثورة . وجرت محاولات لنزع سلاح الحرس الاحمر . وارسل القوزاق الى الارياف للمحافظة على النظام .

وقد كانت هذه التدابير تلقى المساندة والتأييد من الاشتراكيين «المعتدلين» وزعمائهم - الوزراء الذين كانوا يعتقدون بضرورة التعاون مع الطبقات المالكة . فكانت الجماهير تنفض عنهم وتنتقل الى جانب البلاشفة الذين كانوا يناضلون بصلابة في سبيل السلام وفي سبيل تسليم الارض للفلاحين واقامة رقابة العمال على الانتاج ، وفي سبيل تأليف حكومة عمال . وفي ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ احتدمت الازمة . فبرغم ارادة الاكثرية الساحقة من الاهلين ألف كيرنسكي والاشتراكيون المعتدلون حكومة ائتلافية اشترك فيها ممثلو الطبقات المالكة . ونتيجة لذلك خسر المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ثقة الشعب الى الابد .

فحوالي منتصف تشرين الاول - اكتوبر - (نهاية ايلول - سبتمبر) نشرت جريدة «رابوتشي بوت» («طريق العمال») مقالا تحت عنوان «الوزراء-الاشتراكيون» ، كان تعبيرا لاذعا عن موقف الجماهير الشعبية من الاشتراكيين «المعتدلين»^٣ .

«هاكم قائمة خدمااتهم :

تسريتيلى - جرد العمال من سلاحهم ، و «قلم اظفار» الجنود الثوريين وذلك بالتعاون مع الجنرال بولوفتسيف واقر عقوبة الاعدام للجنود .

سكوبيليف - بدأ بان وعد بانتزاع ١٠٠٪ من ارباح
الرأسماليين ، ولكنه انتهى ... بمحاولة حل لجان العمال في
المعامل .

افكسينتييف - سجن عدة مئات من الفلاحين الاعضاء في
اللجان الزراعية ، واغلق عدة جرائد للعمال والجنود .

تشيرنوف - وقع البيان القيصرى القاضى بحل الدييت الفنلندى .
سافينكوف - عمل بالتحالف المباشر مع الجنرال كورنيولوف
واذا كان لم يسلم بنروغراد لـ «منقذ» الوطن هذا ، فما ذلك الا
ظروف لا علاقة له بها .

زارودنى - اقدم بالاشتراك مع أليكسنسكى وكيرنسكى على
سجن الالوف من العمال والبحارة والجنود الشوريين ، وساعد على
تلفيق «دعوى» ضد البلاشفة مهيئة للقضاء الروسى بقدر ما
كانت دعوى بيليس * .

فيكيتين - قام بدور دركى مبتذل ضد عمال السكك
الحديدية .

كيرنسكى - ولكن من الخير عدم الكلام عنه . فان قائمة خدماته
مفرطة في الطول ...»

وقد عقد في هلسنكى مؤتمر لمندوبى اسطول البلطيق واقر
توصية وهذا مطلعها :

«... نطالب من لجان السوفييتات لعامة روسيا للنواب
العمال والجنود والفلاحين ومن اللجنة المركزية للاسطول بان

* دعوى بيليس - دعوى قضائية نظمتها الحكومة القيصرية سنة
١٩١٣ ضد اليهودى بيليس الذى اتهم زورا بقتل صبى مسيحى بقصد
دينى مزعوم . وقد ألف المشقون الروس الطليعيون برئاسة الكاتبين
كورولنكو وغوركى لجنة لمكافحة سياسة القيصرية المعادية للسامية
ونظموا الدفاع عن بيليس امام القضاء . وحكم ببراءة بيليس . **المحرر** .

يطرد على الفور من صفوف الحكومة الموقتة الاشتراكي بين هلاين وبدون هلاين ، المغامر السياسي كيرنسكى ، بوصفه شخصا يمتن كرامة الثورة العظمى ، ويخربها ومعها الشعب الثورى كله ، بما يقوم به من اعمال دجل سياسى صفيق لصالح البرجوازية ...»

وكانت النتيجة المباشرة لهذه الاحداث كلها نهوض شعبية البلاشفة ...

ومنذ ذلك الوقت الذى تدفقت فيه السيول الهادرة من العمال والجنود فى آذار (مارس) ١٩١٧ على قصر تافريتشيسكى ، وارغمت مجلس دوما الدولة المتردد على تولى زمام السلطة العليا فى روسيا ، كانت الجماهير الشعبية - عمالا وجنودا وفلاحين ، هى بالذات التى تحدد كل انعطاف فى مسرى الثورة . فقد اطاحوا بوزارة ميلوكوف ؛ وسوفييتهم هو الذى اعلن على العالم اجمع شروط الصلح الروسية - «لا الحاقات ، ولا غرامات ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها» . وفى تموز (يوليو) كانوا هم بالذات ، جماهير البروليتاريا غير المنظمة والثائرة عفويا ، الذين انقضوا من جديد على قصر تافريتشيسكى للمطالبة بانتقال السلطة فى روسيا الى السوفييتات .

وكان البلاشفة ، وهم ما يزالون اذ ذاك طائفة * سياسية صغيرة ، على رأس الحركة . وعلى اثر الاخفاق الكارثى الذى منيت به هذه الانتفاضة نقم عليهم الراى العام ، وتراجعت الجماهير

* يستخدم جون ريد هنا كلمة «طائفة» ، رغبة منه فى التنويه بان حزب البلاشفة الذى خرج لشوه من العمل السرى ، بعد ثورة آذار (مارس) ١٩١٧ الديمقراطية-البرجوازية مباشرة ، كان آنذاك قليلا العدد نسبيا . **البحرور** .

التي كانت تسير وراءهم بعد ان فقدت زعماءها مرتدة الى نحي فيبورغسكى - ضاحية سانت انطوان في بتروغراد* . واذ ذاك جرت المطاردة الوحشية للبلاشفة : فقد القى في السجون بالمئات منهم ، وفي عدادهم تروتسكى* وكولونتشاي*** وكامينيف ؛ واضطر لبنين وزينوفيف**** للاختفاء تفاديا للاعتقال ؛

* «ضاحية سانت انطوان» - اسم لاحدى ضواحي باريس التي تميز سكانها الشعبية بالروح الكفاحية الخاصة اثناء العصيان الثورى في فرنسا في اواخر القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر . وجون ريد يقارن بها حتى فيبورغسكى العمال الشهير في بتروغراد . **المحرور .**

** * تروتسكى (برونشتاين) ل . د . د . عضو حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى منذ عام ١٨٩٧ ، من المناشفة . وفي صيف ١٩١٧ انسحب الى حزب البلاشفة . الا ان بروتسكى لم ينتقل الى مواقع البلشفية وخاص بضالاحفيا وجليا ضد اللينينية ، ضد سياسة الحزب ، الامر الذى ادى الى طرده من الحزب في عام ١٩٢٧ . **المحرور .**

*** **كولونتاى ، الكسندرا ميخائيلوفنا (١٨٧٢-١٩٥٢) -** عضوة في الحزب منذ عام ١٩١٥ . وبعد ثورة اكتوبر كانت مفوضة الشعب (وزيرة) للاسعاف العام . وفي عام ١٩٢٠ كانت على رأس قسم الشؤون النسائية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) . وفي عامى ١٩٢١-١٩٢٢ كانت سكرتيرة للامانة النسائية الدولية لدى الكومنترن . ومنذ عام ١٩٢٣ كانت تقوم بعمل دبلوماسى مسؤول . **المحرور .**

**** **زينوفيف غ . ا .** (رادوميسلسكى) انحرف مرارا عن البلشفية وتحلى في آخر الامر عن الماركسية-اللينينية . وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ارتكب بالاشتراك مع كامينيف خيانة ، اذ ناهضا قرار اللجنة المركزية بشأن الثورة في جريدة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») المنشفية ، وهكذا كشفوا للعدو عن خطة الثورة . وفي رسالة الى اعضاء حزب البلاشفة

وكانت الجرائد البلشفية تلاحق وتغلق . وراح الاستفزازيون والرجعيون ينبحون نباحا مسعورا متهمين البلاشفة بافهم عملاء للامان ، ووجد في العالم اجمع اناس يصدقون هذا .

بيد ان الحكومة الموقته وجدت نفسها عاجزة عن اثبات اتهاماتها ؛ واكتشف ان الوثائق التي تثبت وجود مؤامرة موالية لالمانيا ، كانت مزورة* ؛ واطلق سراح البلاشفة من السجن الواحد بعد الآخر بدون محاكمة ، بكفالة وهمية او بدون كفالة ، باستثناء ستة منهم . وكان عاجز وتردد الحكومة الموقته ، التي كانت موضع تعديلات مستمرة ، جليين كل الجلاء في نظر الجميع . ومن جديد نادى البلاشفة بالشعار العزيز جدا على الجماهير « كل السلطة للسوفييتات ! » ، وما كانوا قط ينطلقون في هذا من مصالحهم الحزبية الضيقة ، ففي ذلك الحين كانت الاكثرية في السوفييتات للاشتراكيين «المعتدلين» ، أعدائهم الالاء .

والامر الاشد اثرا من ذلك انهم اخذوا رغبات العمال والجنود والفلاحين البسيطة وغير المصوغة وبنوا عليها برنامج اعمالهم القريبة . وهكذا ففي الوقت الذي كان فيه المناشفة-الدفاعيون والاشتراكيون-الثوريون يتخبطون بالاتفاقات مع البرجوازية ،

دمغ لينين تصرف زينوفييف وكامينيف هذا بالسبه عمل كاسرى الاضراب وطالب بطردهما من الحزب . وبعد انتصار ثورة اكتوبر كان زينوفييف يؤيد تشكيل حكومة ائتلافية مع ممثلي الإناشفة والاشتراكيين-الثوريين و«الاشتراكيين الشعبيين» . وفي آخر المطاف ، طرد من الحزب لعدم كفه عن النشاط التكتلي المعادى للحزب . **المحور .**

* قسم من «وثائق سيسون» الذائعة الصيت . ج . ويد .

سيسون هو صحافي اميركي رجعي ، اصدر في الولايات المتحدة مجموعة من الوثائق المزورة للنيل من سمعة القادة البلاشفة . **المحور .**

كان البلاشفة يسيطرون سريعا على الجماهير . وفي تموز (يوليو) كانوا موضع المطاردة والاحتقار ؛ وفي ايلول (سبتمبر) هب الى جانبهم عمال العاصمة وبحارة اسطول البلطيق والجنود بكليتهم تقريبا . وكانت للانتخابات البلدية التي جرت في ايلول * في المدن الكبيرة ٤ دلالة عميقة : فقد بلغت نسبة نجاح المناشفة والاشتراكيين- النوريين فيها ١٨ ٪ مقابل ٧٠ ٪ في انتخابات حزيران (يونيو) في ذلك الحين كان المراقب الاجبى في حبرة فهو امام طاهرة غير القابلة للتفسير : ذلك ان اللجنة التنفيذية المركزية للسوفييتات ، واللجنتين المركزيين للجيش والاسطول * ، واللجان المركزية لعدة اتحادات نقابية - وبخاصة شغيلة البريد والبرق والسكك الحديدية - كانت تقف موقفا عدائيا متطرفا من البلاشفة . وكانت جميع هذه اللجان المركزية قد انتخبت منذ اواسط الصيف بل وقبل ذلك ، حين كان للمناشفة وللاشتراكيين- النوريين عدد صخم من الانصار ، اما الآن فكانوا يعملون بكل قواهم على ارجاء ونسف اية انتخابات جديدة . فبناء على النظام الداخلى لسوفييتات نواب العمال والجنود ، كان ينبغي ان ينعقد مؤتمر عامه روسها في ايلول (سبتمبر) ولكن التسيك لم تشأ ان تدعوه على اساس انه لم يكن قد مضى لافتتاح الجمعية التأسيسية غير شهرين وانه كان على السوفييتات حتى ذلك الحين ، كما ألمحت ، ان تتنازل عموما عن صلاحياتها . وفي هذه الاثناء كان الملاشفة يستولون في البلاد كلها على السوفييتات المحلية الواحد اثر الآخر وفروع الاتحادات النقابية ويعززون نفوذهم

* آب (حسب التقويم القديم) . وقد جرت الانتخابات في
بتروغراد في ٢٠ آب (اغسطس) . المحرر .
* * انظر « الملاحظات الافتتاحية والتوضيحات » . ج . ويد .

في صفوف الجنود والبحارة . وكانت سوفياتيات الفلاحين ما تزال محافظة وذلك لأن الوعي السياسي في الريف الجاهل كان يتطور ببطء ، بينما ظل حزب الاشتراكيين-الثوريين يقوم بالتحريض بين الفلاحين طوال جيل كامل ولكن حتى في الوسط الفلاحي كانت قد بدأت تتكون نواة ثورية . وبات هذا جليا في تشرين الاول (اكتوبر) حين انفصل الجناح اليساري من الاشتراكيين-الثوريين والف جماعة سياسية جديدة ، هي حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين .

وفي الوقت نفسه اخذت تظهر في كل مكان اشارات تؤكد انتعاش القوى الرجعية^٥ . ففي مسرح ترويتسكي في بتروغراد ، مثلا ، قامت جماعة من الملكيين بوقف تمثيل هزلية « جريمة القيصر » ، مهددة بالاقتصاص من الممثلين على « اهانة الامبراطور » . واخذت بعض الجرائد تتلف على « نابليون روسي » . واصبح مألوفا في وسط المثقفين البرجوازيين تسمية سوفيات نواب العمال بـ « سوفيات نواب الكلاب » .

وفي ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) اجريت حديثا مع الرأسمال الروسي الكبير ستيفان غيورغيفيتش ليانوزوف ، « روكفلر الروسي » ، وهو من الكاديت من حيث العقيدة السياسية . وقد قال لي :

ـ « الثورة مرض . وعاجلا او آجلا سيكون على الدول الاجنبية ان تتدخل في شؤوننا ، وذلك بالضبط مثلما يتدخل الاطباء لمعالجة طفل مريض وجعله يقوم على قدميه . اكيد ان من شأن هذا ان يكون غير مناسب بعض الشيء ، ولكن على الامم كافة ان تعي درجة خطر البلشفية بالنسبة لبلدانها ، المتمثل بافكار سارية مثل « دكتاتورية البروليتاريا » و « الثورة الاجتماعية العالمية » . . . على ان مثل هذا التدخل ربما لن يكون ضروريا . فالنقلات قد

شلت ، والمعامل تغلق ، والالمان يهاجمون . ولعل المجاعة والهزيمة ستوقظان لدى الشعب الروسى التفكير السليم ...»
وباصرار كان السيد ليانوزوف يؤكد ان النجار والصناعيين لا يمكن باية حال ان يسمحوا بوجود ايجان المعامل والمصانع او يوافقوا على مساهمة للعمال فى ادارة الانتاج .
« اما البلاشفة فلا بد من القضاء عليهم باحدى طريقتين .
فى وسع الحكومة ان تجلّى عن بتروغراد معلنة اذ ذاك حالة الحصار فيقضى قائد الدائرة العسكرية على هؤلاء السادة بمعزل عن تشكيلات قانونية ... **واما ان تبدى الجمعية التأسيسية ،**
مثلا ، اية ميول طوباوية ، فيكون فى الوسع تفريقها بقوة
السلح ...»

وحل الشتاء ، شتاء روسيا الريحى . وكنت اسمع فى الاوساط التجارية والصناعية مثل هذه الاحاديث : « لقد كان الشتاء دائما خير صديق لروسيا ؛ ولعله هو الذى سيخلصنا الآن من الثورة » . وعلى الجبهة المتجلدة كانت الجيوش البائسة تجوع وتموت ، وقد فقدت كل حماسة . وكانت السكك الحديدية معطلة ، والمواد الغذائية فى تناقص مطرد ، والمعامل مغلقة . وكانت الجماهير اليائسة تصرخ عاليا بان البرجوازية تتآمر على حياة الشعب وتمهد للهزيمة على الجبهة . وكانت مدينة ريغا قد سلمت ، وذلك مباشرة بعد ان اعلن الجنرال كورنييلوف جهارا : « اليس يجدر بنا ان نضحى بريغسا من اجل اعادة البلاد الى الشعور بواجبها ؟ »

قد لا يصدق الامبركيون ان يصل الصراع الطبقي الى هذا الحد . ولكنى التقيت شخصا بضباط على الجبهة الشمالية كانوا بصراحة يفضلون الهزيمة العسكرية على التعاون مع لجان الجنود . وقد قال لى سكرتير فرع حزب الكاديت فى بتروغراد ان الخراب

الاقتصادي هو جزء من حملة جارية من اجل النيل من سمعة الثورة . واكد لي هذا الامر ، بناء على معلومات خاصة ، ديبلوماسي من الحلفاء وعده بعدم ذكر اسمه . وانا اعرف ان بضعة مناجم للفحم ، بالقرب من خاركوف ، قد احرقها اصحابها او اغرقوها بالماء ، وان المهندسين في معامل النسيج بموسكو قد عمدوا الى تعطيل الآلات قبل ان يتركوا العمل ، وان موظفي السكك الحديدية قد فاجاهم العمال في حالة الجرم المشهود ، وهم يعطلون القاطرات ...

وكان قسم كبير من الطبقات المالكة يفضل الالمان على الثورة - وحتى على الحكومة الموقته - ولم يكن يحجم عن قول هذا . وفي الاسرة الروسية ، التي كنت اسكن لديها ، كان الحديث على المائدة يدور باستمرار تقريبا حول وشك قدوم الالمان حاملين معهم «حكم القانون والنظام ...» . واتفق لي ذات مرة ان قضيت امسية في بيت تاجر موسكوفي ؛ واثناء شرب الشاي سألنا احد عشر شخصا كانوا جالسين حول المائدة من يفضلون - «غليوم ام البلاشفة» . فكان ان ابدى عشرة مقابل واحد تحبيدهم لغليوم . وكان المضاربون يستغلون الفوضى العامة ، فيكدسون ثروات طائلة وينفقونها في ضروب اسراف منقطعة النظير او في رشوة الموظفين . وكانوا يخفون المواد الغذائية والوقود او يصدرونها سرا الى السويد . ففي الاشهر الاربعة الاولى من الثورة ، مثلا ، نهبت على المكشوف تقريبا احتياطات المواد الغذائية من المستودعات البلدية في بتروغراد ، بحيث هبط احتياطي عامين من القمح الى درجة بدا معها غير كاف لتغذية المدينة خلال شهر واحد ... وبناء على التقرير الرسمي الصادر عن آخر وزير للتموين في الحكومة الموقته ، كان البن يشتري في فلاديفوستوك بسعر روبلين لليبرة بالجملة ، في حين ان المستهلك في بتروغراد

كان يدفع ١٣ روبلا ثمنا للفوننت * . وكانت تتكدس في جميع مخازن المدن الكبرى اطنان من المواد الغذائية والالبسة ، ولكن الحصول عليها لم يكن يستطيعه غير الاغنياء .

كنت اعرف في احدى مدن المقاطعات عائلة من التجار مؤلفة من المضاربين - المارودوريين * * ، كما يسميهم الروس . وكان الاولاد الثلاثة قد تخلصوا بواسطة الرشوة من الخدمة العسكرية . وكان احدهم يضارب بالمواد الغذائية . والاخر كان يبيع خلسة الذهب المسروق من مناجم حوض ليننا لمشرزين فنلنديين مجهولين . واما الثالث فقد اشترى فسمما كبيرا من اسهم احدى معامل الشوكولاتة ، وكان يبيع الشوكولاتة للتعاونيات المحلية على اساس ان تزوده مقابل ذلك بكل ما يحتاج اليه . وهكذا ، ففي الوقت الذي كانت فيه جماهير الشعب تتناول ربع فوننت من الخبز الاسود للفرد الواحد في اليوم بموجب بطاقة الخبز ، كان لديه هو فيض من الخبز الابيض والسكر والشاي والحلويات والبسكويت والزبدة ... ومع ذلك ، فحين لم بعد في وسع الجنود في الجبهة ان يحاربوا من جراء البرد والجوع وانهاك قواهم ، كان اعضاء هذه الاسرة يصيحون باستنكار : « جباء ! » ، وكانوا « يستنحون من كونهم روسا » ... واما البلاشفة ، الذين وجدوا وصادروا المؤن الضخمة من المواد الغذائية المخفية لديهم ، فكانوا بالنسبة لهم « نهايين » حقيقيين .

وتحت هذا التفسير الخارجى كانت تتحرك سرا وبكثير من النشاط قوى النظام القديم السوداء ، التى لم تتغير منذ سقوط القيصر نقولاى الثانى . وكان عملاء « الاوخرانكا » (خدمة الامن

* الفوننت - ٤١٠ غرامات . المترجم .

* * الجنود الذين ينهبون المدنيين والموتى في الجبهة . المترجم .

الداخلي) الدائعة الصيت ما يزالون يعملون مع القيصر وضده ، مع كيرنسكى وضده ، وبالاختصار مع كل من يدفع ... وفى الظلام كانت تعمل شتى انواع المنظمات السرية ، كالمئة السود ، مثلاً ، ساعية لاعادة الرجعية بهذا الشكل او ذاك .

وفى هذا الجو من الفساد الشامل وانساف الحقائق الفظيعة ، كانت تسمع كل يوم نغمة واحدة جليلة من جوقة البلاشفة المتوطدة باطراد : « كل السلطة للسوفييتات ! كل السلطة للممثلين الحقيقيين لملايين العمال والجنود والفلاحين . الخبز ، والارض ، ونهاية الحرب الخرقاء ، ونهاية الديبلوماسية السرية والمضاربة والخيانة ... الثورة فى خطر ، ومعها قضية الشعب المشتركة فى العالم بأسره ! » .

وكان الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية ، بين السوفييتات والحكومة ، الذى بدأ فى الايام الاولى من اذار (مارس) ، يقترب من ذروته . وكانت روسيا ، التى قفزت بوثبة واحدة من القرون الوسطى الى القرن العشرين ، تقدم للعالم المشدود صورة ثورتين - سياسية واجتماعية - فى اشتباك حتى الموت .

ويا لها من حيوية مدهشة اظهرتها الثورة الروسية بعد كل تلك الاشهر من الجوع وخيبة الامل ! لقد كان يجدر بالبرجوازية ان تكون اكثر معرفة بروسيتها . فاذ ذاك لم تكن تفصل روسيا غير ايام قليلة عن كامل اوج « المرض » الثورى ... واذا ما عاد المرء بنظره الى وراء ، فان روسيا ما قبل ثورة تشرين الثانى (نوفمبر) تبدو وكأنها بلد يعود الى قرن آخر ، محافظ الى درجة تكاد تكون غير معقولة . فكان على المرء ان يآلف بمثل هذا الحد من السرعة وتيرة الحياة الجديدة المتسارعة . فالعلاقات السياسية الروسية قد تحولت فوراً وكليا الى اليسار الى حد ان الكاديت اعتبروا خارج القانون بوصفهم

« اعداء الشعب » ، واصبح كيرنسكى « معاديا للثورة » ، والزعماء الاشتراكيون « المعتدلون » - تسيريتيلي ودان وليبير وغوتز وافكسينتييف بدوا مفرطين في الرجعية بالنسبة لانصارهم بالذات ، بل ان رجلين كفيكتور تشيرنوف ومكسيم غوركي قد وجدا انفسهما في الجناح اليميني ...

وحوالى منتصف كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ قام فريق من الزعماء الاشتراكيين-الثوريين ، بزيارة خاصة للسفير الانكليزى السير جورج بيوكينين ورجوه بان لا يخبر احدا عن هذه الزيارة ، لانهم معتبرون « مفرطين في اليمينية » . وقد قال السير جورج : « تصوروا ان حكومتى كانت ، لعام مضى ، توصينى بعدم استقبال ميليوكوف ، لأنه كان مشهورا بكونه يساريا خطرا ! » . ان شهرى ايلول وتشرين الاول (سبتمبر واکتوبر) هما اسوأ شهور السنة الروسية ، وبخاصة في بتروغراد . فتحت سماء كاحة رمادية ، اثناء النهار المتزايد القصر باطراد ، يتساقط بدون انقطاع مطر واخر . وفى كل مكان ، تحت الاقدام ، وحول عميقة دبكة لزجة ، عليها اثار الجزمات الثقيلة ، وكانت اكثر من العادة بسبب الانهيار التام فى الادارة البلدية . ومن خليج فنلندا تهب رياح شديدة رطبة ، والشوارع يغمرها ضباب ندى . وفى الليالى - لم تكن تضىء غير مصابيح الشوارع النادرة الضعيفة بعض الاوقات بدافع التوفير وبعضها خوفا من مناطيد زبلين ؛ وفى المنازل الخاصة لم تكن الكهرباء تقدم الا فى المساء ، من الساعة السادسة حتى الثانية عشرة ، وكانت الشموع تسوى اربعين س: ١٠* للقطعة الواحدة ، وأما الكاز فكان لا يكاد يمكن الحصول عليه . فكانت العتمة تخيم من الساعة الثالثة نهارا حتى

* كان السنت فى ذلك الحين يساوى ٣-٥ كوبيكات . المحرر .

العاشرة صباحا . وكان نملة المزيد من حوادث النهب . فكان الرجال في البيوت يتولون الحراسة في الليل بالتناوب . متسلحين ببنادق معبأة . هكذا كانت الحال في ظل الحكومة المؤقتة .

ومن اسبوع لآخر كانت المواد الغذائية تتضاءل باطراد . فالجراية اليومية من الخبز نقصت من ١,٥ فونت الى فونت واحد ، ثم الى ثلاثة ارباع ، فالى نصف ، فالى ربع . واخيرا مر اسبوع كامل لم يوزع فيه الخبز على الاطلاق . وكان يحق للشخص تناول فونتين من السكر شهريا ، ولكن كان ينبغي ايجاد هذين الفونتين ، وهذا ما كان يندر ان يتمكن منه احد . وكان لوح الشوكولاته او فونت الكراميل غير الطيبة المذاق يكلفان من ٧ الى ١٠ روبلات ، اى دولارا على الاقل . وكان نصف اطفال بتروغراد محرومين من الحليب . وفي الكثير من الفنادق والبيوت الخاصة لم ير الحليب فيها خلال شهور بكاملها . ومع ان الوقت كان موسم الفواكه ، فقد كان التفاح ، والاجاص يباعان في منعطف الشارع بروبل تقريبا للقطعة الواحدة . . .

وكان ينبغي للمرأة ، من اجل الحصول على الحليب والخبز والسكر والتبغ ان يقف في الصف ساعات تحت المطر الواخر . وكنت ذات مرة عائدا الى البيت من اجتماع حاشد استمر طول الليل ، فرايت كيف كان الصف قد اخذ يتكوّن قبل الفجر امام ابواب المخزن ، وقد كان مؤلفا بصورة رئيسية من النساء . وكانت الكثيرات منهن يحملن اطفالا رضعا على سواعدهن . . . يقول كارليل ، في كتابه « الثورة الفرنسية » ، ان الفرنسيين يتميزون عن سائر شعوب العالم بكفاءتهم على الوقوف في « الاذنان » . واما روسيا فكانت قد بدأت تكتسب هذه الكفاءة ايام حكم نقولا « المبارك » في عام ١٩١٥ ، - ومنذ ذلك الحين كانت « الاذنان »

تظهر من وقت لآخر ، الى ان اصبحت نهائيا من طبيعة الامور في صيف ١٩١٧ . وليتصور المرء هؤلاء الناس ، اللابسين كيفما اتفق ، يظلون واقفين اياما بكاملها في شوارع بتروغراد المتجلدة المبيضة بالصقيع في الشتاء الروسي الرهيب ! لقد كنت اتسمع الى الاحاديث في صفوف الانتظار للحصول على الخبز . فمن حين لآخر كانت تتسرب من خلال طيبة الجمهور الروسي المدهشة تعابير مريرة غضبة عن عدم الارتياح ...

من المؤكد ان المسارح كانت مفتوحة يوميا ، بما في ذلك ايام الاحاد . ففي مسرح ماريينسكى كان يقدم باليه جديد ترقص فيه كارسافينا، وكان هواة الباليه من كل روسيا يجيئون لمشاهدتها . وكان شاليابين يغنى وفي مسرح الكسندرينسكى ، كانت تعرض درامة «موت ايفان الرهيب» للمؤلف الكسى تولستوي ، من اخراج مير هولد* . واني لاذكر بصورة خاصة طالبا من «مدرسة العاشية الامبراطورية»** لابساً بزة الاستعراض ، كان يقف في جميع فترات الاستراحة خلال هذه المسرحية وقفة الاستعداد مديرا وجهه صوب المقصورة الامبراطورية الخالية التي كانت قد نزلت منها شعارات النسور القيصرية ... وكان مسرح «كريفوى زيركالو» يقدم اخراجا فخما لمسرحية شنيتزلر*** «خوروفود» .

كانت لوحات الارميتاج والمتاحف الاخرى جميعا قد نقلت الى موسكو ؛ الا انه كانت تفتتح في بتروغراد ، كل اسبوع ،

* مير هولد ، ف . ا . (١٨٧٤-١٩٤٠) - مخرج وممثل سوفيتي . المهرور .

** «مدرسة العاشية الامبراطورية» - مؤسسة تعليمية عسكرية متميزة في روسيا القيصرية لاولاد الجنرالات وكبار النبلاء . المهرور .

*** ادثور شنيتزلر (١٨٦٢-١٩٣١) - كاتب نساوى . المهرور .

معارض فنية . وكانت جموع النسوة من اوساط المثقفين تتردد بحماسة على المحاضرات عن الفن والادب والفلسفة المبسطة . وكان الموسم غنيا الى درجة غير مألوفة لدى الصوفيين . فان جيش الخلاص ، الذى سمح به فى روسيا للمرة الاولى فى التاريخ ، كان يغطى جميع الجدران باعلانات عن الاجتماعات الانجيلية ، التى كانت فى الوقت نفسه تدهش المستمعين الروس وتسليهم . . .

وكما يصادف دائما فى مثل هذه الحالات ، كانت الحياة اليومية الثقافية فى المدينة تجرى فى مسراها متجاهلة الثورة بقدر الامكان . فكان الشعراء ينظمون القصائد ، ولكن لا عن الثورة . والرسامون الواقعيون يرسمون لوحات عن الحياة الروسية القديمة ، عن كل ما يخطر فى البال ، اللهم الا عن الثورة . والاوانس من المقاطعات يجس ال بتروغراد لتعلم اللغة الفرنسية والغناء . وفى اروقة الفنادق وصلاتها يتمشى ضباط شبان رشقاء مرحون ، عارضين برانسهم القرمزية الموشاة بالذهب وسيوفهم القفقاسية المرصعة . وفى منتصف النهار كانت السيدات من اوساط موظفى المرتبة الثانية يذهبن بعضهن الى بيوت بعض لتناول الشاي ، حاملات معهن فى حقائبهن علبا صغيرة للسكر من النضة او الذهب وقطعة من الخبز ، وثناء تناول الشاي كن يتمنين بصوت مسموع ان يعود القيصر او ان يجيء الالمان او ان يحدث شيء آخر يمكن ان يحل مشكلة الخادما الملح . . . وذات مرة عادت بنت احد اصدقائى الى البيت فى منتصف النهار فى حالة هستيرية : ذلك ان قاطعة التذاكر فى عربة الترام دعتها «الرفيقة» !

واما من حولهم فكانت روسيا الكبرى تتمحض بعالم جديد . فالخادمة التى كانت من قبل تعامل معاملة البهيمة ، وما كان يدفع لها اى اجر تقريبا ، اصبحت تشعر بكرامتها الخاصة . رلبا كان زوج الاحذية يكلف اكثر من مئة روبل ، وكانت الاجرة الشهرية

لا تزيد وسطيا عن خمسة وثلاثين روبلا ، فقد كانت الخادمة ترفض الوقوف في صفوف الانتظار واتلاف حذاؤها . ولكن ليس هذا هو المهم . ففي روسيا الجديدة حصل كل انسان - رجلا كان ام امرأة - على حق الاقتراع . وقد ظهرت جرائد عمالية تتحدث عن اشياء جديدة مدهشة ؛ وظهرت السوفييتات ؛ وظهرت الاتحادات النقابية . حتى الحوزية كانت لهم نقابتهم وممثلهم في سوفييت بتروغراد . وتنظم مستخدمو الفنادق والمطاعم وباتوا يرفضون تناول الاكرامية . وفي جميع المطاعم علق على الجدران لافتات تقول : « هنا لا يقبل الاكرامية » او « اذا كان الانسان مضطرا للخدمة على المائدة لكسب خبزه ، فهذا ليس مبررا لاهانتة بتقديده الاكرامية له » .

وفي الجبهة كان الجنود يناضلون ضد الضباط ويتعلمون في لجانهم التسيير الذاتي . وفي المعامل كانت تلك المنظمات الروسية الفريدة من نوعها ، الا وهي لجان المعامل والمصانع * تكتسب الخبرة والقوة وتدرج رسالتها التاريخية في النضال ضد النظام القديم . وكانت روسيا كلها تتعلم القراءة ، وكانت بالفعل تقرأ الكتب في السياسة والاقتصاد والتاريخ ، وذلك لأن الناس كانوا راغبين في المعرفة . . . وفي كل مدينة ، وفي معظم المدن القريبة من الجبهة ، كان كل حزب سياسى يصدر جريدته ، واحيانا عدة جرائد . وكانت الالوف من المنظمات تنشر مئات الالوف من الكرايس السياسية ، تغرق بها الخنادق والقرى والمصانع وشوارع المدن فان التعطش الى التعلم الذى ظل مكبوتا وقتا طويلا قد اندفع مع

* راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج ريد .

من ٣٠ ايار (مايو) - (١٢ حزيران - يونيو) الى ٣ (١٦) حزيران (يونيو) انعقد مؤتمر بتروغراد للجان المعامل والمصانع وايدع البلاشفة باكثرية الساحقة (ثلاثة ارباع المندوبين) . المحرور .

الثورة بقوة عفوية . واثناء الستة الاشهر الاولى من الثورة كانت تصدر يوميا من معهد سمولنى وحده اطنان من المطبوعات وترسل الى كافة انحاء البلاد بالشاحنات والقطارات . وقد كانت روسيا تلتهم المواد المطبوعة بظما لا يروى له غليل مثلما تمتص الرمال الجافة الماء . وما كان هذا كله اساطير ، ولا تاريخا مزورا ، ولا ديناميميا ، ولا ادبا رخيصا مفسدا ، بل نظريات اجتماعية واقتصادية ، وفلسفة ، ومؤلفات لتولستوى وغوغول وغوركى ...

ثم كانت الكلمة . لقد كان يغمر روسيا سيل من الكلام الحى يبدو ، بالمقارنة معه ، « طوفان البلاغة الفرنسية » الذى يتحدث عنه كارليل ، ساقية صفيرة . محاضرات ، مناقشات ، خطب ، فى المسارح ، وملاعب السيرك ، والمدارس ، والاندية ، وقاعات السوفييتات ، ومباني النقابات ، والشكنات ... واجتماعات حاشدة فى الخنادق على الجبهة ، وفى ساحات القرى ، وفى فسحات المعامل ... وياله من مشهد مدعش يقدمه مصنع بوتيلوف ، حين يخرج من جدرانه سيل عارم مؤلف من اربعين الف عامل ، يخرجون للاستماع الى الاشتراكيين-الديموقراطيين ، والى الاشتراكيين-الثوريين ، والى الفوضويين ، الى اى كان وفى اى موضوع كان ، ومهما اطلوا فى الكلام . واثناء اشهر بكاملها كان كل ملتقى شوارع فى بتروغراد وسائر المدن الروسية منبرا عاما على الدوام . وكانت تنبثق مناقشات واجتماعات عامة عفوية فى القطارات ايضا ، وعربات الترام ، وفى كل مكان ...

اما الجمعيات العامة والمؤتمرات على نطاق روسيا ، التى كان يأتى اليها اناس من القارتين ، فكانت مؤتمرات السوفييتات ، والتعاونيات ، والمستشفيات * ، والقوميات ، ورجال الدين ،

* انظر « ملاحظات افتتاحية وتوضيحات » . ج . ريد .

والفلاحين ، والاحزاب السياسية ، والجمعية الديموقراطية ، والجمعية الوطنية الموسكوفية ، ومجلس الجمهورية الروسية ... وفي بتروغراد كانت تنعقد في آن واحد ثلاثة الى اربعة مؤتمرات . وكانت محاولات الحد من وقت كلام الخطباء تفشل بصورة حازمة في جميع الاجتماعات الحاشدة ، فكان في وسع كل واحد ان يعبر عن جميع مشاعره وافكاره اية كانت لديه ...

وقد ذهبنا الى الجبهة ، الى مواقع الجيش الثاني عشر ، الموجود وراء ريفيا ، حيث كان الرجال الحفاة المنهوكون يموتون في وحول الخنادق جوعا ومرضا . وكانوا حين يروئنا يهبون لملاقائنا . وجوههم مهزولة ؛ ومن خلال الخروق في الشيايب يبدو جسمهم العارى مزرقا . وكان السؤال الاول : « هل جئتم معكم بشيء للقراءة ؟ »

كانت المظاهر الخارجية المرئية للتغير الذي حدث كثيرة ، على انه برغم بروز راية صغيرة حمراء من بين يدي تمثال كاترين العظمى القائم مقابل مسرح الكسندرينسكى ، وبرغم ان الاعلام الحمراء كانت تخفق ايضا فوق جميع الابنية العمومية ، وهى في بعض الاحيان باهتة اللون ، واما الرموز والنسور الامبراطورية فقد كانت في كل مكان منزوعة او مغطاة ؛ وبرغم ان الشوارع باتت تحرسها ، بدلا من رجال الشرطة الرهيبيين ، الميليشيا الشعبية الطبية غير المسلحة ، فقد كان الكثير جدا من بقايا الماضى الغريبة ما يزال موجودا .

فقد بقى مثلا جدول المراتب الذى كان بطرس الاكبر قد فرضه على روسيا كلها بيده الحديدية . فالتناس جميعا تقريبا ، ابتداء من التلامذة ، كانوا يرتدون البزة النظامية وعلى ازارها وياقاتها النسور الامبراطورية . وحوالى الساعة الخامسة مساء كانت الشوارع تمتلئ* باشخاص معمرين يرتدون اللباس النظامى ،

متباطين حقائبهم . انهم عائدون الى بيوتهم من عملهم في تلك
الوزارات الضخمة الشبيهة بالشركات وفي المؤسسات الحكومية
الآخري ، ولعلمهم كانوا يحسبون مقدار السرعة التي توصلهم بها
الوفيات بين رؤسائهم الى الرتبة المنتظرة منذ وقت بعيد ، رتبة
معاون قاضى او مستشار سرى او اقتراب موعد تقاعد شرفى بكامل
الراتب ، وربما مع صليب القديسة حنة فى الرقبة * ...

وقد وقع حادث طريف لعضو مجلس الشيوخ سوكولوف
الذى ظهر فى مبنى المجلس ببدلته المدنية ، فى اوج الثورة . فلم
يسمح له بالاشتراك فى الاجتماع لانه لم يكن يلبس الثياب الرسمية
لخدم القيصر !

على هذا المهاد - مهاد امة بكاملها فى حالة من الاختمار
والتفسخ - ارتسمت اللوحة العامة لثورة الجماهير الشعبية
الروسية ...

وسام القديسة حنة . - واحد من النياشين القصرية . المحرر .

الفصل الثاني

مجيء العاصفة

في شهر ايلول (سبتمبر) * ، كان الجنرال كورنيلوف يزحف علي بتروغراد ليعلن نفسه ديكتاتورا عسكريا علي روسيا . وسرعان ما تكتشفت من ورائه قبضة البرجوازية المدرعة محاولة بوقاحة سحق الثورة . وكان لبعض الوزراء الاشتراكيين ضلع في مؤامرة كورنيلوف . وكيرنسكى نفسه كان موضع الشبهة ^١ . اما سافينكوف ، الذى كانت اللجنة المركزية لحزبه ، حزب الاشتراكيين-الثوريين ، قد طلبت منه ايضا ، فقد اجاب بالرفض وطرد من الحزب . وواقفت لجان الجنود كورنيلوف . واقيل الكثير من الجنرالات ، وجرد بعض الوزراء من مناصبهم ، وسقطت الوزارة .

وحاول كيرنسكى تشكيل حكومة جديدة باشتراك ممثلى حزب البرجوازية - الكاديت . فامرهم حزب الاشتراكيين-الثوريين ، الذى كان ينتمى اليه ، باخراج الكاديت . فلم يذعن كيرنسكى وهدد بانه سيقدم استقالته اذا كان الاشتراكيون سيصرون علي موقفهم . بيد ان الشعور الشعبى كان من العنف والجلاء بحيث لم يجسر كيرنسكى في ذلك الحين علي مجابهته . فتالت حكومة مديرين مؤقتة من

* في آب (أغسطس) - حسب التقويم القديم . المحرر .

خمسة وزراء * برئاسة كيرنسكى تولت السلطة بانتظار الحل النهائي لمسألة تركيب الحكومة .

وقد جمعت فتننة كورنيلوف جميع الفئات الاشتراكية - «المعتدلة» منها والثورية على حد سواء - في اندفاعة حماسية للدفاع عن النفس . يجب ألا يظهر بعد كورنيلوفيون . ولا بد من تأليف حكومة جديدة مسؤولة امام العناصر المؤيدة للثورة . ولذلك فقد اقترحت اللجنة التنفيذية المركزية (التسيك) على جميع المنظمات الديمقراطية ان تبعث بوفود الى المؤتمر الديموقراطى الذى سيعقد فى بتروغراد فى ايلول (سبتمبر) .

وفى الحال تكونت فى التسيك ثلاثة اتجاهات . فقد كان البلاشفة يطالبون بدعوة مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا فى الحال وانتقال السلطة بكاملها له . وكان الاشتراكيون-الثوريون الوسط ، بقيادة تشيرنوف ، مع الجناح اليسارى منهم برئاسة كامكوف وسبيريدونوفسكا ، والمناشفة-الامميون بقيادة مارتوف ، والمناشفة-الوسط * ، الذين يمثلهم بوغدانوف وسكوبيليف ، يطالبون بتشكيل حكومة اشتراكية متجانسة . وكان المناشفة اليمينيون ، برئاسة تسيريتسلى ودان وليبير ، وكذلك الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، بقيادة افكسنتييف وغوتز ، يصرون على اشتراك ممثل الطبقات المالكة فى الحكومة .

وعقب هذا تقريبا استولى البلاشفة على الاكثريّة فى سوفييت بتروغراد ، ثم فى سوفييتات موسكو وكييف واوديسا وغيرها من المدن .

* كانت حكومة المديرين تضم : كيرنسكى وليكيتين وتيريشنكر وفيرخوفسكى وفيردبيرفسكى . المحرر .

** انظر «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ويد .

فاستولى القلق على المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ،
المسيطرين في التسيك ، وتقرر لديهم ان لينين هو ، في آخر الامر ،
ارهب عليهم من كورنيلوف . فعدلوا نظام التمثيل في المؤتمر
الديموقراطى^٢ ، مقدمين مقاعد اضافية الى التعاونيات وغيرها
من المنظمات المحافظة . ولكن حتى هذا المؤتمر المرتب ترتيباً
مقصودا قد صوت اول الامر الى جانب حكومة ائتلافية بدون
الكاديت . الا ان تهديد كيرنسكى السافر بالاستقالة وصيحات
الاشتراكيين «المعتدلين» اليائسة بان «الجمهورية في خطر» ، قد
ارغمت المؤتمر على ان يتبنى ، باكثرية ضئيلة ، مبدأ الائتلاف مع
البرجوازية والتصديق على تشكيل نوع من البرلمان الاستشارى
بدون اية سلطة تشريعية باسم «المجلس الموقت للجمهورية
الروسية» . وكان ممثلو الطبقات المالكة في الحكومة الجديدة هم
عمليا الموجهون لكل شيء ، واما في مجلس الجمهورية الروسية
فقد حصلوا على عدد كبير من المقاعد اكثر مما يحق لهم .

وكانت التسيك قد باتت لا تمثل ، عمليا ، الجمهور العادى في
السوفييتات وقد رفضت بدون اى اساس قانونى دعوة المؤتمر
الثانى لعامة روسيا الذى كان ينبغى ان يعقد في ايلول (سبتمبر) .
وما كان لدى التسيك اية نية في ان تدعو الى المؤتمر او تسمح
بدعوته . وكانت جريدتها الرسمية «الافستيا» قد اخذت تلمح
الى ان مهمة السوفييتات قد قاربت نهايتها^٣ وانه ربما سيجرى
حلها قريبا . . . وفي الوقت نفسه اعلنت الحكومة الجديدة ايضا
ان برنامجها يتضمن تصفية «المنظمات غير المسؤولة» ، اى
السوفييتات .

وردا على هذا دعا البلاشفة السوفييتات للاجتماع في مؤتمر
في ٢ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٠ تشرين الاول - اكتوبر) في
بتروغراد والى اخذ السلطة بيدها في روسيا . وفي الوقت نفسه ،

انسحبوا من مجلس الجمهورية الروسية معلنين انهم يابون الاشتراك في «حكومة الخيانة للشعب» ٤ .

بيد ان انسحاب البلاشفة لم يجلب الطمأنينة لمجلس الجمهورية المنكود . فالتطبيقات المالكة ، القائمة اذ ذاك على السلطة ، كانت تتوابع بصورة سافرة . فقد اعلن الكاديت ان الحكومة لا تملك الحق الشرعى فى اعلان روسيا جمهورية . وكانوا يطالبون باتخاذ تدابير صارمة فى الجيش والاسطول لحل لجان الجنود والبحارة ويشنون الهجوم على السوفييتات . واما فى الجناح اليسارى من مجلس الجمهورية فقد كان المناشفة - الامميون والاشتراكيون - الثوريون اليساريون ينادون بعقد الصلح على الفور وتسليم الارض للفلاحين وممارسة الرقابة العمالية على الانتاج - فكانوا بذلك ، عمليا ، يؤيدون برنامج البلاشفة .

وقد اتيح لى الاستماع الى خطاب مارتوف ضد الكاديت . كان منحنيا على المنبر ، كانه مريض مشرف على الموت ، وكان هو بالتأكيد ، يشير باصبعه الى اليمينيين ، ويقول بصوت ابح بالكاد يميزه السمع :

« انكم تسموننا بالانهزاميين . ولكن الانهزاميين الحقيقيين انما هم اولئك الناس الذين ينتظرون الفرصة المؤاتية لعقد الصلح ، والذين يرجئون الصلح ويؤجلونه الى ما لا نهاية ، الى الوقت الذى لن يبقى فيه من الجيش الروسى شىء ، الى الوقت الذى تصبح فيه روسيا مادة للمساومة بين الكتل الامبريالية ... انكم تحاولون فرض سياسة تمليها مصالح البرجوازية على الشعب الروسى . ان قضية الصلح يجب ان يبت فيها على الفور ... واذا ذلك سترون انه لم يكن عبثا عمل اولئك الناس الذين تدعونهم بالعملاء الالمان ،

اولئك الزيميرفالدیین* الذين هياوا ليقظة وعى الجماهير
الديموقراطية فى العالم اجمع ...»

وبین هاتین الفئتين كان يتأرجح المناشفة والاشتراكيون..
الثوريون ، متعرضين من اليسار الى ضغط استياء الجماهير
المتعاطف . وكانت ثمة عداوة عميقة تقسم مجلس الجمهورية الى
جماعات لا مجال للمصالحة بينها .

هكذا كان الوضع حين وصل نبا منتظر منذ وقت بعيد عن
مؤتمر الحلفاء فى باريس ، فطرح مسائل السياسة الخارجية الملحة
بكامل ابعادها ...

كانت جميع الاحزاب الاشتراكية الروسية تنادى ، نظريا ،
بالاسراع بمنتهى السرعة فى عقد الصلح على اسس ديموقراطية .
ففى ايار - مايو (نيسان - ابريل) ١٩١٧ كان سوفيت
بتروغراد ، الذى كان المناشفة والاشتراكيون-الثوريون مسيطرين
عليه فى ذلك الحين ، قد اعلن شروط الصلح الروسية المشهورة .
وقد كانت تنطوى على المطالبة بان يعقد الحلفاء مؤتمرا لبحث
اهداف الحرب . وكان المؤتمر موعودا بعقده فى آب (اغسطس) ،
ثم اجل الى ايلول (سبتمبر) ، ثم الى تشرين الاول (اكتوبر) ،
واذ ذاك كان قد حدد موعده فى ١٠ تشرين الثانى - نوفمبر
(٢٨ تشرين الاول - اكتوبر) * .

وكانت الحكومة الموقته تعتزم ارسال مندوبين الى هذه
المؤتمر ، هما الجنرال الكسييف ، وهو شديد الرجعية ، ووزير

* اعضاء الجناح الثورى-الاممى للاشتراكية الاوروبية . وكانوا
يسمون هكذا نسبة لمؤتمرهم الدولى الذى عقد سنة ١٩١٥ فى زيميرفالد
(سويسرا) . ج . ويد .

** لم يعقد المؤتمر بسبب سقوط الحكومة الموقته . المحرور

الخارجية تيريشنكو . وكانت السوفييتات من جهتها قد اختارت سكوبيليف ممثلاً عنها ووضعت بياناً ، هو «الناكاز» (والتوصيات) المشهور ، الذي كان ينبغي ان يسترشد به * . ولم تعترف الحكومة الموقته لا بسكوبيليف ولا بناكازه ؛ وكذلك احتجت ديبلوماسية الحلفاء . وانتهى الامر بان اعلن بونار لوف * برودة ، جواباً على سؤال في مجلس العموم البريطاني : «ان مؤتمر باريس ، على حد علمي ، سيبحث لا اهداف الحرب بل طرق خوضها ...»

وقد انتهجت الصحافة المحافظة الروسية ، واما البلاشفة فراحوا يصيحون : «هو ذا ما ادى اليه تاكتيك المناشفة والاشتراكيين-الثوريين القائم على الحلول الوسط !» وعلى طول الجبهة كله ، البالغ الوف الاميال * كان الجيش الروسي ، بملايينه العديدة ، يصطخب اصطخاب المد في البحر ، مرسل الى العاصمة بالمثلثات اثر المثلثات من الوفود مطالبة : «السلم ! السلم !»

وقد قطعت النهر قاصدا سيرك «مودرن» لحضور احد الاجتماعات الشعبية الضخمة التي كانت تجري في جميع ارجاء المدينة ، حاشدة كل مساء جمهوراً متزايداً باطراد . كان المدرج العاري الكثيب ، المضاء بخمسة مصابيح صغيرة ضعيفة راجفة ، معلقة بسلك رفيع ، مكتظاً من الحلبة صعوداً حتى السقف ، بالجنود والبحارة والعمال والنساء ، وكان الجميع يستمعون في حالة من

* الديرى بونار لوف (١٨٥٨-١٩٢٣) رجل دولة انكليزي ، زعيم المحافظين ، كان في عام ١٩١٧ وزيراً للخزانة في حكومة لويد جورج الائتلافية ورئيساً لمجلس العموم . المبحر .
* * الميل ١,٦ كيلومتر . المبحر .

التوتر يبدو معها كأن حياتهم كانت متعلقة بما يقال . وكان المنكلم جنديا من الفرقة رقم ٥٤٨ . كان يصيح قائلا ، وجهه المرهق وحركاته اليائسة تعبر عن الألم الحقيقي :

«ايها الرفاق ! ان الذين يحتلون المناصب العليا يدعوننا دائما الى تضحيات جديدة فجديدة ابدا ، ولكنهم في الوقت نفسه لا يمسون من يملكون كل شيء .

اننا في حرب مع المانيا . فهل نرانا ندعو الجنرالات الالمان للعمل في هيئة اركاننا ؟ ونحن في حرب مع الرأسماليين ايضا ، ومع ذلك فاننا ندعوهم الى حكومتنا ...

ان الجندي يقول : « بينوا لي لماذا احارب . في سبيل القسطنطينية ام في سبيل روسيا الحرة ؟ في سبيل الديمقراطية ام في سبيل الرأسماليين قطاع الطرق ؟ اذا ما اثبتوا لي اني ادافع عن الثورة فلسوف امشي واحارب ، ولن تكون ثمة حاجة لتشجيعي على المحاربة بالتهديد بالاعدام .

حين ستكون الارض للفلاحين ، والمصانع للعمال ، والسلطة للسوفييتات ، فسنعلم اذ ذاك ان لدينا ما نحارب في سبيله ، واذا ذاك سنحارب ! »

وفي الشكنات ، وفي المصانع ، وفي زوايا الشوارع ، وفي كل مكان كان يخطب جنود لا عد لهم ، مطالبين بالصلح على الفور ، ومعلنين ان الجيش سيترك الخنادق ويعود الى البيوت اذا لم تقم الحكومة بخطوات نشيطة من اجل عقد الصلح .

وكان ممثل الجيش الثامن يقول :

«اننا ضعفاء ، ولم يبق لدينا غير بضعة رجال في كل سرية . واذا لم تقدم لنا الاغذية والاحذية والامدادات فلن يبقى في الجبهة عما قريب غير الخنادق الخالية . فاما الصلح واما

التموين ... فلتبادر الحكومة اما الى انتهاء الحرب واما الى
تموين الجيش ...»

وقال آخر من لواء المدفعية السييري السادس والاربعين :
« ان الضباط يابون التعاون مع لجائنا ، انهم يبيعوننا
للعديو ، ويعدمون محرضينا ، والحكومة المعادية للثورة ساندتهم .
كنا نعتقد ان الثورة ستحمل لنا السلام . ولكن الحكومة ، بدلا
من هذا ، تحظر علينا حتى الكلام عن مثل هذه الامور ، وهى
نفسها لا تقدم لنا الكفاية من الطعام والكفاية من الذخائر للاستمرار
في القتال ...»

وكانت تصل من اوربا شائعات عن صلح على حساب
روسيا ...

وكانت تزيد الاستياء اخبار عن وضع القوات الروسية في
فرنسا . فقد حاول اللواء الاول احلال لجان الجنود محل ضباطه
مثلما فعل رفاقهم في روسيا ، ورفض التوجه الى سالونيك ،
مطالباً بالعودة الى الوطن . فجرى تطويقه وتجويعه ، واخيرا
قصف بنيران المدفعية ، فادى ذلك الى مقتل الكثيرين ٧ ...

وفي ٢٦ (١٣) تشرين الاول (اكتوبر) ذهبت الى قاعة
قصر مارى المبنية بالرخام الابيض - الاحمر ، حيث كانت تعقد
جلسات مجلس الجمهورية . وكنت راغبا في الاستماع الى تيريشنكو :
فقد كان من المنتظر ان يتلو البيان الحكومى عن السياسة الخارجية
الذى كانت البلاد المنهكة بالحرب والمتعطشة الى السلم تنتظره منذ
وقت طويل وبفراغ صبر شديد .

كان شباب طويل القامة حسن الودام حليق الوجه ناثى
الوجنتين يلقى بصوت هادى خطابه المعتنى به والخالى من اى
التزام بشئ^٨ . لا شئ ... انها العبارات العامة ذاتها عن تحطيم
العسكرية الالمانية بالاتحاد الوثيق مع الحلفاء الامجاد وعن

« مصالح روسيا القومية » وعن « الاحراج » الناجم عن التوصيات الموجهة الى سكوبيليف . وختم تيريشنكو خطابه بالكلمات التالية التي كانت تؤلف جوهر هذا الخطاب :

« ان روسيا دولة عظمى . ومهما يحدث ، فستظل روسيا دولة عظمى . فعلينا جميعا ان ندافع عنها ، علينا ان نظهر انفسنا مدافعين عن مثل اعلى عظيم وابناء لدولة عظمى » .

وما كان هذا الخطاب مبعثا لارتياح احد . فقد كان الرجعيون يطالبون بسياسة امبريالية « صارمة » ، واما الاحزاب الديموقراطية فكانت تريد الحصول على ضمانات تؤكد ان الحكومة ستسعى للتوصل الى الصلح . واني استشهد بالمقال الافتتاحي لجريدة « العامل والجندي » ، الناطقة بلسان سوفيت بتروغراد البلشفي :

«جواب الحكومة على الخنادق»

لقى وزير الخارجية السيد تيريشنكو خطابه كبيرا في مجلس الجمهورية بشأن الحرب والسلام . فماذا قال للجيش وللشعب اكثر وزرائنا صمتا ؟
اولا ، نحن مرتبطون وثيق الارتباط بحلفائنا (لا بالشعوب بل بحكوماتها) .

ثانيا ، ليس للقوى الديموقراطية ان تناقش امكان او استحالة القيام بحملة ا الشتاء : فالحكومات الحليفة هي التي ستقرر ذلك .
ثالثا ، كان هجوم ١٨ حزيران (يونيو) عملا مفيدا وموفقا (وصمت تيريشنكو عن عواقب الهجوم) .

رابعا ، غير صحيح ان الحكومات الحليفة غير مهتمة بنا . « فلدينا تصريحات قاطعة من حلفائنا » ... تصريحات ؟ واما الاعمال ؟ واما مسلك الاسطول الانكليزي ؟ واما مباحثات ملك

انكلترا مع المنفى المعادى للثورة غوركو ؟ لقد صمت الوزير عن هذا .

خامسا ، ان التوصيات لسكوبيليف سيئة ، فهي لم ترق للحلفاء ولا للدبلوماسية الروسية ، واما « في مؤتمر الحلفاء فينبغي لنا ان نتكلم كلاما واحدا » .

وهل هذا كل ما في الامر ؟ اجل كل شيء . فاين اذن طرق الخلاص ؟ انها الايمان بالحلفاء وبتريشنكو . ومتى يتحقق السلام ؟ حين سيسمح الحلفاء .

ذلك هو جواب الحكومة الموقته على الخناق بشأن مسألة الصلح » .

وفي ذلك الحين اخذت ترسم على خلفية السياسة الروسية الخطوط الغامضة لقوة مشؤومة ، هي القوزاق . وقد لفتت جريدة غوركي « نوافيا جيزن » انظار القراء الى النشاط الذي كانت تقوم به هذه القوة :

«... اثناء حوادث شباط لم يطلق القوزاق النار على الشعب ، وفي زمن كورنيلوف لم ينضموا الى الخائن...»

وفي الآونة الاخيرة يطرا شيء من التبدل على دورهم : فهم ينتقلون من الحياد السلبي الى الهجوم السياسي النشط...»

فان زعيم قوات قوزاق الدون كاليدين كان قد اقالته الحكومة الموقته من منصبه بسبب اشتراكه بمؤامرة كورنيلوف . فرفض بصورة قاطعة التخلي عن منصبه واستقر في نوفوتشيركاسك ، ومن حوله ثلاثة جيوش ضخمة من القوزاق ، واخذ يحيك المؤامرات ويهدد بالعمل . وكانت قوته من الضخامة بحيث اضطرت الحكومة لاغماض عينها على عصيانه . بل لقد اضطرت للاعتراف شكليا بمجلس اتحاد القوات القوزاقية والاعلان عن عدم شرعية الفرع القوزاقي للسوفييتات ، الذي كان قد شكل حديثا .

وفي اوائل تشرين الاول (اكتوبر) جاء الى كيرنسكى وفد من القوزاق كان من الوقاحة بحيث طالب بوقف الاتهامات الموجهة الى كاليدين ولام رئيس الحكومة على انه يتسامح مع السوفييتات . فوافق كيرنسكى على ترك كاليدين وشانه ، وجاء في الاخبار انه قال عند ذلك : « ان قادة المجلس يعتبرونني مستبدا وطاغية ... اما الحكومة الموقته فلا تقتصر على عدم الاعتماد على السوفييتات بل هي تأسف كل الاسف لمجرد وجودها » .

وفي الوقت نفسه جاء وفد قوزاقى آخر الى السفير الانكليزى واثناء الحديث معه دعا نفسه بصراحة ممثلا لـ « الشعب القوزاقى الحر » .

وعلى الدون انشىء ما يشبه جمهورية القوزاق . واعلنت منطقة الكوبان نفسها دولة قوزاقية مستقلة . وفي روستوف على الدون وبيكاترينوسلاف حل القوزاق المسلحون السوفييتات ، وفي خاركوف دمروا مقر نقابة عمال المناجم . وفي كل هذه التظاهرات كانت حركة القوزاق تبرز نفسها مناهضة للاشتراكية وذات نزعة عسكرية . وكان زعمائها من النبلاء وكبار الملاكين العقاريين ، من امثال كاليدين ، وكورنيلوف ، والجنرالات دوتوف وكاراكولوف وبارديجى ، وكان يساندها كبار التجار واصحاب البنوك الموسكوفيون .

كانت روسيا القديمة تتفسخ بسرعة . ففى اوكرانيا وفنلندا ، وفى بولونيا وبييلوروسيا ، كانت الحركة القومية تشتد على نحو متزايد السفور . وكانت الاجهزة المحلية للسلطة ، بقيادة الطبقات المالكة ، تسعى الى الحكم الذاتى وترفض الخضوع للوامر الصادرة من بتروغراد . وفى هلسنكى رفض البرلمان الفنلندى استلام المال من الحكومة الموقته ، واعلن فنلندا ذات حكم ذاتى وطالب

بانسحاب القوات الروسية . وفي كييف وسع مجلس الرادا
البرجوازي حدود اوكرانيا وقد ضم اليها اغنى الاراضى الزراعية
في روسيا الجنوبية ، وقد امتدت شرقا حتى الاورال ، وقام بتنظيم
جيش وطني . وتكلم رئيس الرادا فينييتشكو عن صلح منفرد مع
المانيا ، ووقفت الحكومة الموقنة عاجزة حيال كل ذلك . وكانت
سيبيريا والقفقاس تطلبان بجمعبتين تأسيسيتين خاصين بهما .
وفي جميع هذه الاقاليم كان قد اخذ يحتدم صراع شديد بين
السلطات المحلية وبين سوفيات نواب العمال والجنود .
ون يوم لآخر كانت الفوضى في اشتداد . فقد كان المئات
ر لالوف من الجنود يفرون من الجبهة ويروحون يتحركون في
ارجاء البلاد موجات هائلة بغير نظام . وفي مقاطعتي نامبوف
وتفير ، كان الفلاحون ، وقد كلوا من انتظار الحصول على الارض ،
واوصلتهم تدابير العسف الحكومية الى اليأس ، يقومون باحراق
العقارات وقتل ملاكى الاراضى . وكانت نهز موسكو واوديسا
وحوض الفحم على الدونيتز الاضرابات الضخمة واغلاق المعامل . وكانت
النقلات مشلولة ، والجيش جائعا ، والمدن الكبرى محرومة من الخبز .
وكانت الحكومة ، وقد مزقتها الصراع بين الاحزاب
الديموقراطية والرجعية ، عاجزة عن فعل اى شىء . وحين كانت
مع ذلك تضطر لاتخاذ تدبير ما ، كان عملها على الدوام يانى
مستجيبا لمصالح الطبقات المالكة . فقد كان القوزاق يرسلون
لاحلال النظام فى القرى ولسحق الاضرابات . وقامت السلطات
الحكومية بحل السوفييت فى طشقند . وانتهى المجلس الاقتصادى ،
الذى كان قد شكل فى بزوغراد للنهوض باقتصاد البلاد المنهار ،
الى الوقوع فى مأزق : فما كان فى وسعه ان يحل التناقض
المستعصى بين العمل ورأس المال ، فحله كيرنسكى فى آخر
الامر . وكان الضباط والجنرالات من النظام القديم ، بتأييد من

الكاديت ، يطالبون باتخاذ تدابير قاسية لاعادة الانضباط الى الجيش والاسطول . وعبثا كان وزير البحرية المحترم من الجميع الاميرال فرديريفسكى ووزير الحربية الجنرال فرخوفسكى يكرران ان انقاذ الجيش والاسطول لا يمكن ان يكون الا بانضباط جديد طوعى ديموقراطى ، قائم على تعاون هيئة القيادة مع لجان الجنود والبحارة . فما كان يصغى اليهما احد .

وكان يبدو ان الرجعيين عازمون عمدا على اثارة غضب الشعب . كان يوم محاكمة كورنيلوف يقترب . وكانت الصحافة البرجوازية تدافع عنه دفاعا متزايد الصراحة ، متحدثة عنه بوصفه «وطنيا روسيا كبيرا» . وكانت جريدة بورتسيف * «اوبشيبه ديلو» تطالب بأقامة ديكتاتورية كورنيلوف وكاليدين وكيرنسكى .

وقد تحدثت ذات مرة مع بورتسيف ، فى مقصورة الصحافة بمجلس الجمهورية . انه رجل قصير القامة محدودب الظهر ، تغضن الوجه ، حسير النظر ، على عينيه نظارتان سميكتا الزجاج ، اشعث شعر الرأس ، اشيب اللحية .

«تذكر كلامى ايها الشاب ! ان روسيا فى حاجة الى شخصية قوية . وقد آن الوقت لان ننبذ جميع الافكار عن الثورة وان نتكاتف ضد الالمان . الحمقى ، الحمقى ! سمحوا بـان يقهر كورنيلوف ؛ ووراء الحمقى يقف العملاء الالمان . كان ينبغى ان ينتصر كورنيلوف ...»

* بورتسيف ف . ل . - ناشر ليبيرالى-برجوازى . كانت جريدته «اوبشيبه ديلو» (١٩١٧) تناهض البلاشفة . وبعد الثورة بقليل هاجر بورتسيف الى باريس حيث استأنف اصدار الجريدة وجعلها ذات اتجاه ملكى . **البحرور .**

كان اقصى اليمين ممثلا بصحف ملكية قليلة التستر هي :
«نارودنى تريبنون» لبوريشكيفيتش ، و«نوايا روس»
و«جيفويه سلفو» ، الداعية جهارا الى اجتثاث الديمقراطية
الثورية .

وفي ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) جرت في خليج ريغا
معركة بحرية مع عمارة المانية . وبحجة ان بتروغراد في خطر ،
اعدت الحكومة خطة للجلء عن العاصمة . وكان ينبغي ، اول
الامر ، ان تنقل وتوزع في جميع ارجاء روسيا المصانع الضخمة
العاملة في مجال الدفاع ، وكانت الحكومة نفسها تعتزم الانتقال
الى موسكو . وفي الحال اعلن البلاشفة ان الحكومة ستتخلي عن
العاصمة الحمراء لمجرد اضعاف الثورة . فقد باعوا ريغا للالمان ،
وهم الآن يخونون بتروغراد !

وكانت الصحافة البرجوازية في انشراح واستبشار . وقد
قالت جريدة الكاديت «ريتش» : « سيكون في وسع الحكومة ،
وهي في موسكو ، ان تعمل في جو هادئ ، دون ازعاج من جانب
الفوضويين » . وفي جريدة «اوترو روسيه» ، اعلن رودزيانكو
زعيم الجناح اليميني في حزب الكاديت بان استيلاء الالمان على
بتروغراد من شأنه ان يكون توفيقا عظيما ، لانه يؤدي الى القضاء
على السوفييتات وانقاذ روسيا من اسطول البلطيق الثورى .
وقال ايضا : « ان بتروغراد في خطر ... وفي اعتقادي ان
الله معها ، مع بتروغراد ! يخشون ان تهلك في بتروغراد المؤسسات
المركزية (اى السوفييتات وهلم جرا) . وعلى هذا اجيب بانى
ساغتبط شديد الاغبتاط اذا ما هلكت هذه المؤسسات لانها لم
تجلب لروسيا غير الشر .

ومع الاستيلاء على بتروغراد سيحطم اسطول البلطيق ...

ولكن لا مجال للأسف على هذا : فان اكثريه طواقم السفن الحربية فاسدة كل الفساد » .

وقد نأنت عاصفة الاستنكار الشعبى من الشدة بحيث اضطر المسؤولين لترك خطط الجلاء .

وفى ذلك الخين كان مؤتمر السوفييتات مخيما على روسيا كانه سحابة منذرة بالعاصفة يتخللها البرق . وقد كانت الدعوة لعقده تلقى المقاومة لا من الحكومة وحسب بل وكذلك من جميع الاشتراكيين « المعتدلين » . وكانت اللجان المركزية للجيش والاسطول ، واللجان المركزية لبعض النقابات ، وسوفييتات نواب الفلاحين ، وبخاصة التسيك ، تسعى بكل قواها للحيلولة دون انعقاد المؤتمر . وكانت جريدتنا « الارفستيا » و« غولوس سولدانا » ، اللتان اسسهما سوفييت بتروغراد ، واللذان استولت عليهما التسيك ، تناهضان المؤتمر مناهضة ضارية . وكانت تساندتهما كل المدفعية الثقيلة المتمثلة فى صحافة الاشتراكيين-الشوريين : « ديلو نارودا » و« فوليا نارودا » .

وقد ارسل المندوبون الى جميع انحاء البلاد وحملت جميع اسلاك البرق تعليمات تطلب من السوفييتات المحلية ولجان الجيش ان تلغى او تؤجل الانتخابات للمؤتمر . وكانت ثمة قرارات متنفخة ضد المؤتمر ، وتصريحات تقول ان الديموقراطية لا تسمح بافتتاحه عشية انعقاد الجمعية التأسيسية ، واحتجاجات مندوبين من الجبهات ومن اتحاد الزيمستفوات ، ومن اتحاد الفلاحين ، ومن اتحاد الفوات القوزاقية ، ومن اتحاد الضباط ، ومن اتحاد الحائزين على وسام القديس جورجيس ومن « كتائب الموت » . . . * وكذلك اجمع مجلس الجمهورية الروسية على الاحتجاج . فقد

* انظر وملاحظات افتتاحية وتوضيحات » . ج . ويد .

كان كل الجهاز الضخم ، الذى اقامته ثورة اذار (مارس) فى روسيا ، يعمل بكل قواه على الحيلولة دون انعقاد مؤتمر السوفييتات .

ولكن كانت من الجهة الاخرى الرغبات غير المحددة بعد لدى البروليتاريا - عمالا وجنودا بسطاء وفلاحين فقراء . وكانت كثرة من السوفييتات المحلية قد اصبحت بلشفية . وبالإضافة الى هذا ، كانت ثمة منظمات البروليتاريا الصناعية ولجان المعامل والمصانع ، ومنظمات الجيش والاسطول الثورية المتأهبة للانتفاضة . وفى الكثير من الاماكن كان الشعب ، الذى لم يكن يسمح له بانتخاب ممثليه انتخابا صحيحا ، يجتمع فى حشود مرتجلة كان ينتخب فيها المندوبين الى بتروغراد . وفى اماكن اخرى كان الشعب يحل اللجان القديمة المعزضة طريقه وينتخب لجانا جديدة . فكانت نار الانتفاضة الكامنة تحت الارض تشق القشرة التى كانت تتصلب ببطء على سطح حمم الثورة ، التى كانت خامدة طوال هذه الاشهر . فكان يمكن لمؤتمر السوفييتات لعامة روسيا ان ينعقد الا نتيجة لحركة الجماهير العفوية ...

ويوما اثر يوم كان الخطاب البلاشفة يجولون على الشكنات والورشات ، حاملين بعنف على «حكومة الحرب الاهلية» . وقد ذهبنا ذات مرة ، فى يوم احد ، فى عربة ترام بخارية شديدة الازدحام بالناس ، تتجرجر فى بحر من الوحل الى جانب معامل عابسة وكنايس ضخمة ، الى مصنع اوبوخوف الحربى التابع للدولة ، بالقرب من جادة شليسلبورغ .

كان ثمة اجتماع حاشد منعقد فى مبنى ضخم لم ينجز تشييده بعد ذى جدران عارية من الآجر . وحول منصة مجللة بالاحمر ، يتكدس جمهور مؤلف من عشرة آلاف شخص . الجميع يلبسون السواد . والناس مزدحمون على اعمدة الخشب واكوام الآجر ،

ومتسلقون عاليا على عضادات كالحة السواد . وكان جمهور المستمعين متوتر الانتباه صاحب الصوت . ومن حين لآخر كانت الشمس تخترق السحب الثقيلة الدكناء غامرة بنور حمراوى ثقوب النوافذ الخالية وذلك البحر من الوجوه البشرية البسيطة المتوجهة اليها .

كان لونا تشارسكى - وهو نحيل ، اشبه بالطالب ، له وجه فنان رقيق - يوضح السبب في ان السوفييتات يجب ان تستلم السلطة . فهي وحدها القادرة على حماية الثورة من اعدائها الذين يتعمدون تخريب البلاد وتدمير الجيش وتمهيد الطريق لكورنيوف جديد .

وخطب جندي من الجبهة الرومانية ، وهو رجل نحيل ذو وجه مؤثر لاهب التعابير . وقد صاح قائلا : « ايها الرفاق ! اننا في جوع وصقيع على الجبهة . اننا نموت بدون داع . فلينقل الرفاق الاميركيون الى اميركا اننا ، نحن الروس ، سنقاتل حتى الموت في سبيل ثورتنا . اننا سنصمد بكل قوانا الى ان تهب لمساعدتنا جميع شعوب العالم ! قولوا للعمال الاميركيين ان يهبوا ويناضلوا في سبيل الثورة الاجتماعية ! »

ثم نهض بتروفسكى ، وهو رقيق البنية ، بطى ، صارم : « كفى كلاما ، فقد آن وقت الانتقال الى العمل ! ان الوضع الاقتصادي سيى جدا ، ولكن سيكون علينا ان نتكيف معه . انهم يحاولون القضاء علينا بالبرد والجوع ، انهم يريدون استفزازنا . ولكن على الاعداء ان يعلموا انهم قد يذهبون بعيدا الى درجة مفرطة ؛ فاذا ما تجاسروا على المساس بمنظماتنا البروليتارية فلسوف نكنسهم من على وجه الارض تكليس القاذورات ! »

وتوسعت الصحافة البلشفية بسرعة مفاجئة . فبالإضافة الى الجريدتين الحزبيتين «رابوتشى بوت» و«سولدات» ، اخذت تصدر «ديرفنسكايا بدنوتا» ، وهى جريدة يومية جديدة للفلاحين بلغ عدد نسخها نصف مليون نسخة ، وفى ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) صدرت جريدة «رابوتشى اى سولدات» . وكانت افتتاحيتها توجز وجهة النظر البلشفية :

«لقد كان من شأن حملة شتاء رابعة ان تكون قاضية على الجيش والبلاد . وفى الوقت نفسه خطر الاستسلام مخيم على بتروغراد الثورية . ان المعادين للثورة يتهللون لنكبات الشعب ... والفلاحون ، وقد استولى عليهم اليأس ، انطلقوا فى طريق الانتفاضة المكشوفة . والملاكون والموظفون يسحقون الفلاحين بالحملات التأديبية . والمعامل والمصانع تغلق ابوابها . انهم يريدون اخضاع العمال عن طريق تجويعهم . والبرجوازية وجنرالاتها يطالبون باتخاذ تدابير لا رحمة فيها لاقامة الانضباط الاعمى فى الجيش . وانصار كورنيلوف ساهرون ، وهم ، بمساندة البرجوازية كلها ، يتأهبون لتعطيل الجمعية التأسيسية . ان حكومة كيرسكى ... مناهضة للعمال والجنود والفلاحين . ان هذه الحكومة تخرب البلاد ...»

ان جريدتنا تصدر فى ايام تنذر بالاخطار . وستكون «رابوتشى اى سولدات» صوت البروليتاريا البتروغرافية والحامية البتروغرافية . ان «رابوتشى اى سولدات» ستكون المدافع الذى لا يعرف الكلل عن مصالح الفلاحين الفقراء ...»

ينبغى انقاذ الشعب من الهلاك . ينبغى المضى بالثورة حتى النهاية . ينبغى انتزاع السلطة من الايدى المجرمة ، ايدى البرجوازية ، وتسليمها لايدي منظمات العمال والجنود والفلاحين الثوريين ...»

ان برنامج جريدتنا هو برنامج سوفيتيت بتروغراد لنواب
العمال والجنود .

كل السلطة للسوفييتات - في المركز وفي الاقاليم !
هدنة على الفور في جميع الجبهات ! صلح ديموقراطي شريف
للشعوب !

ارض الملاكين ، بدون تعويض ، للفلاحين !

رقابة العمال على الانتاج !

جمعية تأسيسية منتخبة . بشرف ! ... »

ومن الطريف ان نورد هنا مقطعا آخر من هذه الجريدة
ذاتها ، جريدة البلاشفة ذاتهم الذين يعرفهم العالم اجمع جيدا
بصفتهم عملاء للالمان :

« ان قيصر المانيا ، الملطخ بدماء الملايين ، يريد ان يزحف
بقواته الى بتروغراد . فلندع العمال والجنود والبحارة والفلاحين
الالمان الذين يتوقون مثلنا الى السلام الى الوقوف الى جانبنا ضد
القيصر الالماني ... » فلتسقط الحرب اللعينة ! » . فكيف ينبغي
التقدم بمثل هذا العرض ؟

سلطة ثورية ، حكومة ثورية حقا ، سعمدة على الجيش
والاسطول والبروليتاريا والفلاحين ...

مثل هذه الحكومة تتوجه من فوق رأس الديبلوماسيين ،
الحلفاء والاعداء ، الى القوات الالمانية مباشرة . وتغمر الخنادق
الالمانية بالملايين من النداءات باللغة الالمانية ... ويقوم طيارونا
بنشر هذه النداءات في الارض الالمانية ... »

وفي مجلس الجمهورية كانت الهوة بين الطرفين تزداد عمقا
من يوم لآخر .

كان الاشتراكي-الثوري اليساري كاريلين يصيح قائلا :

«ان الطبقات المالكة تريد استغلال جهاز الدولة الثورى من اجل ان تكدن روسيا بعجلة الحلفاء الحربية ! والاحزاب الثورية تناهض مثل هذه السياسة مناهضة حازمة ...»

وعارض العجوز نيقولاى تشايكوفسكى ، ممثل الاشتراكيين -الشعبيين ، تسليم الارض للفلاحين ، ووقف الى جانب الكاديت : «من الضرورى اعادة الانضباط الصارم الى الجيش فورا ... فمنذ بداية الحرب لم اكف عن التاكيد بان من الجريمة القيام باصلاحات اجتماعية واقتصادية اثناء الحرب . ونحن نقترف هذه الجريمة ، مع انى لست عدوا لهذه الاصلاحات ، لانى اشتراكى ...» . فكانت صيحات من اليسار : « لسنا نصدقك ! » . وكان تصفيق عاصف من اليمين ...

وباسم الكاديت يعلن ادجيموف ان ليس ثمة اية ضرورة تقضى بان يبسن للجيش فى سبيل ماذا يحارب ، اذ ان كل جندى يجب ان يدرك ان الهدف المباشر انما هو تطهير الارض الروسية من العدو .

والقى كيرنسكى نفسه خطابين حماسيين عن الوحدة القومية ، وفوق ذلك راح يذرف الدمع فى نهاية احد هذين الخطابين . وكانت الجمعية تصفى اليه ببرودة وغالبا ما كانت تقاطعه بتعليقات ساخرة .

يقوم معهد سمولنى ، المقر العام للتسيك ولسوفييت بتروغراد ، على شاطى النيفا العريض ، فى طرف المدينة . وقد ذهبت الى هناك راكبا عربة ترام غاصة بالراكب ، كانت تتجرجر بسرعة الحلزون مطمئنة بانين فى شوارع غارقة بالوحول . ولدى الموقف الاخير كانت تنتصب القباب الزرقاوية الرائعة لدير سمولنى المزركشة بالذهب القاتم ، والى جانب ذلك واجهة معهد سمولنى الصخمة وهى تشبه الثكنة ، البالغ طولها متى ياردة وارتفاعها

مقدار ثلاثة طوابق ، وعلى مدخلها الرئيسى الشعار الامبراطورى منحوتا فى الحجر . فكأنما كان يسخر من كل ما يجرى ... ايام النظام القديم كان يقوم هنا دير - معهد مشهور لبنات النبلاء الروس ، نحت رعاية القيصرية نفسها . وقد اسنولت عليه الثورة وسلمته لمنظمات العمال والجنود . وكان يحتوى على اكثر من مئة غرفة بيضاء ضخمة خالية ، الصقت على ابوابها لافتات من المينا كتب عليها : « سيدة الصف » ، « الصف الرابع » ، « غرفة المعلمين » . ولكن هذه اللافتات كانت قد باثت تظهر فوقها علائم الحياة الجديدة ، وهى لوحات مكتوب عليها بخطوط غير متقنة : « اللجنة التنفيذية لسوفييت بتروغراد » او « التسيك » او « مكتب الشؤون الخارجية » ، و « اتحاد الجنود الاشتراكيين » ، و « المجلس المركزى للنقابات لعامة روسيا » و « لجان المعامل والمصانع » ، و « لجنة الجيش المركزية » ... وهنا ايضا كانت توجد اللجان المركزية للأحزاب السياسية وغرف لاجتماعاتها .

وفى الممرات الطويلة المقببة ، المضاعة بالنادر من المصاييح الكهربائية الصغيرة ، كان يزدهم ويتمشى عدد لا يحصى من الجنود والعمال ، وكان الكثيرون منهم ينوءون تحت ثقل رزم من الجرائد والاعلانات وجميع انواع وسائل الدعاية المطبوعة . وعلى الارض الخشبية كانت الجزمات الثقيلة تفرع باستمرار وباصوات تدوى كالرعد ... وفى كل مكان كانت معلقة لافتات كتب عليها : « ايها الرفاق ، فى سبيل صحتكم ، حافظوا على النظافة » . وفى جميع فسحات السلام ومنعطفاتها كانت تقوم طاولات طويلة تتكدس عليها مطبوعات لشتى الاحزاب السياسية ، معدة للبيع .

وكان المطعم ما يزال ، كما فى السابق ، قائما فى قاعة رحبة واطئة السقف فى الطابق الارضى . اشترت برولين بطاقة للغداء ، ووقفت مع الف من الآخرين فى صف انتظار يؤدى الى طاولات

طويلة وراءها عشرون رجلا وامرأة يقدمون لطالب الغداء حساء الملفوف من قدور ضخمة ، وقطعا من اللحم واكواما من «الكاشا» * ، وكسرا من الخبز الاسود . وكان يمكن للمرء ان يحصل على كأس شاي من الصفيح بخمسة كوبيكات . وكانت الملاعق الخشبية المغلفة بالدهن موضوعة في سلة . وعلى مقاعد طويلة قائمة الى جانب الموائد كان يزدحم البروليتاريون الجياع ، يلتهمون اكلهم بنهم متحاذين فيما بينهم عبر القاعة كلها ومتبادلين نكاتا بسيطة .

وكان في الطابق الاعلى مطعم آخر لم يكن يتناول الغداء فيه غير اعضاء التسيك . على انه كان في وسع اى راغب ان يدخل الى هناك . وقد كان يمكن للمرء ان يتناول خبزا-مطليا بطبقه كثيفة من الزبدة ، واية كمية يشاء من كؤوس الشاي .

وفي الجناح الجنوبي من الطابق الثانى كانت توجد قاعة ضخمة للجلسات العامة . وفي ايام المعهد كانت تقام هنا الحفلات الراقصة . انها قاعة بيضاء عالية السقف ، مضاءة بشمعدانات بيضاء محلاة بالميناء ، عليها مئات من المصابيح الكهربائية ، وفي القاعة كذلك صقان من الاعمدة الضخمة . وفي آخر القاعة مكان مرتفع على جانبيه شمعدانات عالية متشعبة وخلف المكان المرتفع اطار مذهب فارغ نزعته منه صورة الامبراطور . وفي ايام الاحتفالات ، كان يجتمع في المكان المرتفع حول الاميرات المعظّمات الضباط اللابسون البرات الرسمية الزاهية ورجال الكهنوت في حللهم الدينية الفخمة . ومقابل القاعة كان يقوم مكتب لجنة الطعون لمؤتمر السوفييتات . وقد كنت واقفا في هذه الغرفة اتطلع الى المندوبين القادمين ، وهم جنود اشداء ملتحمون ، وعمال عليهم قمصان

* «الكاشا» - طعام روسى شبيه بالبرغل العربى . المترجم .

سوداء ، وفلاحون ذوو لحى طويلة . وكانت تشتغل في اللجنة فتاة ، عضوة في جماعة بليخانوف «ايدينستفو» * ، تبتسم في ازدياء . وقد كانت تلاحظ قائلة : « ليس هذا الجمهور شبيها قط بجمهور المؤتمر الاول . يا لهذا الشعب الجلف المتخلف ! ناس جهلة ... » وقد كان هذا الكلام ينطوى على الحقيقة . ذلك ان الثورة كانت قد هزّت روسيا حتى الاعماق ، واذاً كان الادنون قد عاموا على السطح . كانت لجنة الطعون المعينة من التسليك القديمة تعلن بطلان انتداب مندوب اثر الآخر بحجة انهم منتخبون بصورة غير قانونية . ولكن ممثل اللجنة المركزية البلشفية كاراخان كان يكتفى بالابتسام ، قائلاً : « لا بأس ، حين سيبدأ المؤتمر ستجلسون جميعاً في اماكنكم ... »

وقد كتبت جريدة «رابوتشى اى سولدات» :

« اننا نلفت انتباه المندوبى المؤتمر الجديد لعامة روسيا الى المحاولات التى يقوم بها بعض اعضاء المكتب التنظيمى لنسف المؤتمر عن طريق نشر شائعات تقول ان المؤتمر لن ينعقد ، وان من الافضل للمندوبين ان ينصرفوا من بتروغراد . لا تلتفتوا الى هذا الكذب ... ان اياما عظمتى تقترب ... »

كان جلياً كل الجلاء ان النصاب القانونى لن يتم جمعه في ٢ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٠ تشرين الاول - اكتوبر) . ولذلك فقد تأجل افتتاح المؤتمر حتى ٧ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٥ تشرين الاول - اكتوبر) ، ولكن البلاد كلها كانت قد باتت في اضطراب ، وادرك المناشفة والاشتراكيون - الثوريون انهم مغلوبون على امرهم فغيروا تكتيكهم على نحو مفاجئ . وقد بعثوا الى جميع منظماتهم الاقليمية ببرقيات يائسة يطلبون فيها من هذه المنظمات ان توفد الى المؤتمر اكبر عدد ممكن من المندوبين من الاشتراكيين

* انظر «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

«المعتدلين» . وفي الوقت نفسه وجهت اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين بدعوات عاجلة لعقد مؤتمر فلاحين في ١٣ كانون الاول - ديسمبر (٣٠ تشرين الثاني - نوفمبر) ، بحيث يشمل اى عمل يقوم به العمال والجنود .

فماذا كان يعتزم البلاشفة فعله ؟ كانت تنتشر في المدينة شائعات تقول ان الجنود والعمال يعدون لعمل مسلح . وكانت الصحافة البرجوازية والرجعية تنبأ بحدوث عصيان وتطالب الحكومة باعتقال سوفييت بتروغراد او بعدم السماح بافتتاح المؤتمر على الاقل . وكانت ثمة وريقات مثل «نوفايا روس» تدعو على المكشوف بتقتيل جميع البلاشفة .

وكانت جريدة غوركي «نوفايا جيزن» على وفاق تام مع البلاشفة في ان الرجعيين يعتزمون خنق الثورة وان من الجدير عند الاقتضاء مواجهتهم بالمقاومة المسلحة . الا انها كانت ترى ان على جميع احزاب الديمقراطية الثورية ان تؤلف جبهة واحدة : «... ما دامت الديمقراطية لم تجمع قواها الرئيسية ، وما دامت المقاومة لنفوذها ما تزال شديدة الى حد ما ، فليس من مصلحتها ان تنتقل هي نفسها الى الهجوم . ولكن اذا ما انتقلت القوى المعادية لها الى الهجوم ، فسيكون على الديمقراطية الثورية ان تبشر الكفاح لاختد السلطة في ايديها . واذ ذاك سيلقى هذا الانتقال المساندة من جانب اوسع فئات الشعب» .

وقد كان غوركي يؤكد ان الجرائد ، الرجعية والحكومية على حد سواء ، تستفز البلاشفة الى العنف . ولكن العصيان ليس من شأنه الا ان يمهّد الطريق لكورنيلوف جديد . وكان غوركي يطالب البلاشفة بدحض الشائعات . وقد نشر بوتريسوف مقالا مثيرا في جريدة المناشفة «دن» («اليوم») مرفقا بخارطة يزعم انها تكشف عن الخطة البلشفية السرية للعمليات .

وكانما بضرب من السحر ، تغطت جميع جدران بتروغراد ببيانات تحذير ، واعلانات ١٠ ونداءات من اللجان المركزية للحزب «المعتدلة» والمحافظة ومن التسيك ، تندد بأية مظاهرات وتناشد العمال والجنود بعدم الاصغاء الى المحرضين . وهاكم ، مثلاً ، نداء الفرع العسكرى لحزب الاشتراكيين-الثوريين :

«... تروج في المدينة من جديد شائعات عن اعمال عنف تجرى انتهية لها . فما مصدر هذه الشائعات ؟ فمن قبل من ، من قبل اية منظمة يكلف المحرضون المتحدثون عن اعمال العنف ؟ .. ان البلاشفة قد اجابوا بالانكار على الاستجواب الذى وجه اليهم في التسيك ...»

ولكن هذه الشائعات تنطوى على خطر جسيم . انه لأمر يسير الحدوث ان تعتمد بعض الرؤوس العامة ، دون اكتران بالحالة النفسية لدى اكثرية جماهير العمال والفلاحين والجنود ، لدعوة قسم من العمال والجنود للنزول الى الشارع دافعة اياهم الى العصيان . ومن اليسير ، في الوقت الرهيب الثقيل الذى تعانى به روسيا الثورية ، ان تصبح اعمال العنف هذه بداية للحرب الاهلية ولدمار جميع المنظمات التى اقيمت بعد كل هذا الجهد ، منظمات البروليتاريا والفلاحين الكادحين والجيش ... انهم (المعادون للثورة . - المحرور) لن يتوانوا في استغلال اعمال العنف من اجل البدء بمذابح معادية للثورة وتسف الانتخابات للجمعية التأسيسية في حرب اهلية دامية . وفي هذه الاثناء يهيم عدو الثورة الاوروبى غليوم الثانى ضربات جديدة ...

لا مجال لاية اعمال عنف ! وليبق كل في مركزه ! ..»

في ٢٨ (١٥) تشرين الاول (اكتوبر) تحدثت في احد اروقة سمولنى مع كامينيف ، وهو رجل قصير القامة ذو لحية صهباء حادة الطرف نشيط الحركات في كلامه . لم يكن واثقا كل الثقة من

ان عددا كافيا من المندوبين سيجتمع في المؤتمر . وكان يقول :
 « اذا ما انعقد المؤتمر فلسوف يمثل الامزجة الاساسية للشعب .
 واذا ما حصل البلاشفة ، كما اعتقد ، على الاكثرية ، فسنتطالب
 باستقالة الحكومة الموقته وتسليمها السلطة كلها للسوفييتات ... »
 اما فولودارسكى ، وهو شاب طويل القامة شاحب الوجه
 عليل ، على عينييه نظارتان ، فقد اعرّب عن رأيه على نحو اكثر
 تحديدا : « ان ليبر ودان والتوفيقيين الآخرين يعملون على نسف
 المؤتمر . ولكن اذا ما افلحوا في منع اجتماعاته ، حسبنا ، فاننا ،
 كسياسيين ، لدينا ما يكفى من الواقعية لكى لا نتوقف من جراء
 مثل هذه الامور ... » .

توجد في دفتر مذكراتى ، بتاريخ ٢٩ (١٦) تشرين الاول
 (اكتوبر) المقتطفات التالية من اخبار الجرائد :

« موغيلوف . (مقر القيادة العليا) . تحتشد هنا افواج الحرس
 التى يمكن الاعتماد عليها ، و« الفرقة الوحشية » ، والوحدات
 القوزاقية و« كتائب الموت » .

اصدرت الحكومة امرا لليونكر * فى مدارس بافلوفسك
 وتساسرسكويه سيلو وبترهوف بان يكونوا على استعداد للذهاب
 الى بتروغراد . يونكر اورالينبوم يصلون الى المدينة .

يرابط فى قصر الشتاء قسم من فرقة المصفحات البتروغرافية .
 سلمت عدة الوف من البنادق لمندوبى عمال بتروغراد من
 قبل مصنع سستوروتسك للأسلحة ، بموجب امر موقع من
 نروتسكى .

* اليونكر - نلاميذ المدارس الحربية التى كانت تخرج الضباط
 للجيش القيصرى . **المحرر .**

اتخذ قرار في اجتماع للميليشيا البلدية ، في حي نيجنى ليتنى ، يطالب بتسليم السلطة كلها للسوفييتات ... » .
ليس هذا سوى نموذج من الاحداث المضطربة في تلك الايام المحمومة . فقد كان الجميع يعلمون ان شيئا ما لا بد ان يحدث ، ولكن ما كان نمة من يدري ماذا بالضبط .

وفي ليلة ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) ندد تروتسكى ، في اجتماع سوفييت بتروغراد في سمولنى ، بادعاءات الجرائد البرجوازية الزاعمة ان السوفييت يعد لعصيان مسلح ، ناعتا اياها بانها محاولة معادية للثورة من اجل الاساءة الى سمعة مؤتمر السوفييتات ونسفه . وقال : « ان سوفييت بتروغراد لم يقرر القيام بابة اعمال عنف . ولكن اذا كانت اعمال العنف ستكون امرا لا بد منه فلن نحجم عنها ، ولسوف تساندنا كل حامية بتروغراد ... انهم (الحكومة) يعدّون لثورة مضادة ، وعلينا ان نرد على هذا بهجوم حاسم لا رحمة فيه ... »

وبالفعل لم يكن سوفييت بتروغراد قد قرر القيام بأية مظاهرة ، ولكن مسألة العصيان كانت تبحث في اللجنة المركزية لحزب البلاشفة . وقد ظلت اللجنة مجتمعة طول ليل ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) . وكان ممثلا في هذا الاجتماع كل النخبة المثقفة في الحزب وجميع زعمائه ، وكذلك مندوبون من عمال وحامية بتروغراد . وما كان يقول "بالعصيان غير لينين وتروتسكى . حتى العسكريون كانوا معارضين . وجرى التصويت . فرفض العصيان ! واذا ذاك نهض عامل بسيط ، كان وجهه محترقا بالغليظ . فاعلن قائلا بحدة : « أنى اتكلم باسم بروليتاريا بتروغراد . نحن مؤيدون للعصيان . فافعلوا ما تشاؤون ، ولكنى اعلن لكم انكم اذا ما سمحتم بحل السوفييتات ، فلن نهامشكم ابدا ! » وانضم اليه

بضعمة جنود . وبعد هذا جرى التصويت من جديد ، وتقرر العصيان ... *

ومع ذلك فقد ظل جناح البلاشفة اليميني ، بقيادة ريزازوف وكامينيف وزينوفيف ، يتابع الحملة ضد العصيان المسلح . وصباح ٣١ (١٨) تشرين الاول (اكتوبر) * * صدر في جريدة « رابوتشي

* ان سير المناقشة حول مسألة العصيان المسلح في الجلسات التاريخية للجنة المركزية لحزب البلاشفة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، معروض على نحو غير صحيح . فالقرار عن العصيان المسلح اتخذ في جلسة سرية للجنة الحزب المركزية في ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، حضرها لينين وبوبنوف ودرجينسكي وزينوفيف وكامينيف وكولونتساي ولوموف وسفردلوف وسوكولنيكوف وسنالين وروسكي واورييسكي . وقد صوت ضد اقتراح لينين زينوفيف وكامينيف . وبعد ستة ايام ، في ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) عقد اجتماع موسع للجنة الحزب المركزية حصره ممثلو اللجنة التنفيذية للجنة الحزب الفرعية في بتروغراد ، والمنظمة العسكرية ، وسوفييت بتروغراد ، والنقابات ، ولجان المعامل والمصانع ، وعمال السكك الحديدية ، ولجنة الحزب في منطقة بتروغراد . وفي هذه الجلسة تلا لينين القرار المتخذ في الجلسة السابقة للجنة المركزية . ونوه لينين في كلمته بان الوضع السياسي الموضوعي ، سواء في روسيا ام في اوروبا ، يملئ ضرورة انتهاز سياسة بالغة اقصى درجات الحزم والنشاط ، سياسة لا يمكن ان تكون غير العصيان المسلح . واقترح لينين على الاجتماع قرا ايرحب بقرار اللجنة المركزية عن العصيان ويؤيده (انظر المؤلفات ، المجلد ٢٦ ، ص ١٦٥) . واقر القرار ب٩٦ صوتا مقابل ٢ وامتناع ٤ ومن جديد صوت زينوفيف وكامينيف ضد قرار اللجنة المركزية . المحرور .

* * المؤلف على خطأ . فان هذا العدد قد صدر في ١ تشرين الثاني - نوفمبر (١٩ تشرين الاول - اكتوبر) .

بوت» القسم الاول من مقال لينين «رسالة الى الرفاق»^{١١} - وهو من اجراً ما عرف العالم من المواقف السياسية . فقد كان لينين يبرهن فيه بالادلة القاطعة على ضرورة العصيان داحضا باسهاب جميع اعتراضات كامينييف وريازانوف :

«إما الانتقال الى لير ودان والتخلي للسافر عن شعار «كل السطة للسوفييتات» ، وإما العصيان . وليس ثمة من وسط» . وبعد ظهر ذلك اليوم بالدات القى زعيم الكاديت ميلوكوف خطاباً راعداً في مجلس الجمهورية^{١٢} وصم فيه توصيات سكوبيليف بالموالة لالمانيا ، وعلن ان «الديموقراطية الثورية» تدمر روسيا ، وسخر من تيريشنكو وعلن بصراحة انه يفضل الديليوماسية الالمانية على الروسية ... وراحت مقاعد اليسار تصخب بالاستنكار ...

وما كان في وسع الحكومة ، من جهتها ، تجاهل اهمية نجاحات الدعاية البلشفية . ففي ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) صاغت اللجنة الموحدة للحكومة ومجلس الجمهورية مشروع قانونين يعطى احدهما الارض للفلاحين موقتاً ويقضى الآخر بانتهاج سياسة خارجية سلمية نشيطة . وفي اليوم التالى القى كيرنسكى عقوبة الاعدام على الجبهة . وفي ذلك المساء بالذات افتتح بابها الاجتماع الاول للجنة الجديدة ، «لجنة تعزيز النظام الجمهورى ومكافحة انفوضى والثورة المضادة» التى لم تترك ، مع ذلك ، ادنى اثر لها في التاريخ . وفي صباح اليوم التالى اجريت مع اثنين آخرين من المراسلين مقابلة صحفية مع كيرنسكى^{١٣} ، وكانت تلك آخر مرة استقبل فيها الصحفيين . وقد قال بمرارة :

«ان الشعب الروسى يعانى الخراب الاقتصادى وخيبة الامل بالحلفاء . ان العالم اجمع يعتقد ان الثورة الروسية تدنو من نهايتها . فحذار من الخطأ . ان الثورة الروسية ما هى الا في

بدايتها...» وقد كانت هذه الكلمات تنطوى على قدر من النبوءة ربما اكثر مما كان يعتقد .

وقد كان اجتماع سوفيين بتروغراد ليلة ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) الذى حضرته انا اجتماعا عاصفا الى درجة خارقة للعادة . وقد حضره جميع الاشتراكيين - المثقفين «المعتدلين» ، والضباط ، واعضاء لجان الجيش واعضاء التسيك . وقد كان يواجههم عمال وفلاحون وجنود عاديون ببساطة واندفاع .

وقد تحدث احد الفلاحين عن الاضطرابات فى مدينة تفير التى اثارها ، حسب قوله ، اعتقال اللجان الزراعية . وصاح قائلا : « ليس كيرنسكى سوى ستار للملاكين العقاريين ، فهم يعلمون ان الجمعية التأسيسية ستنزح منهم الارض على كل حال ، ولذلك فهم يريدون نسفها ! »

ووصف ميكانيكى من مصنع بوتيلوف كيف كان المدراء يغلقون الورشة اثر الاخرى بحجة عدم توفر المحروقات والمواد الاولى . وكانت لجنة المصنع ، على حد قوله ، قد كشفت عن احتياطات ضخمة مخبأة . واعلن قائلا :

« ان هذا استفزاز . انهم يريدون ان يميثونا جوعا او يدفعونا الى العنف ! »

وبدا احد الجنود كلامه هكذا : « ايها الرفاق ! انى احمل اليكم التحية من ذلك المكان الذى يحفر فيه الرجال قبورا لهم ويسمونها خنادق ! »

ثم نهض جندى شاب طويل ذو عينين براقيتين . فاستقبل بتصفيق حماسى . وكان ذلك تشودنوفسكى الذى اشيع انه مات خلال القتال فى تموز (يوليو) وها هو الآن يبعث حيا .

« ان جمهور الجنود لم يعد لديه ثقة بضباطه . حتى لجان الجيش تخوننا اذ ترفض الدعوة لعقد سوفيينتنا ... ان جمهور

الجنود يطالب بانعقاد الجمعية التأسيسية في الموعد المحدد لها بالضبط ، واللغات على من يحاول تأجيلها ، وليست هذه اللغات افلاطونية وحسب ، فلا تزال لدى الجيش مدافع ...»
وتحدث عن حمى المعركة الانتخابية للجمعية التأسيسية في الجيش الخامس . « ان الضباط ، وبخاصة المناشفة والاشتراكيون -الثوريون يسعون متعمدين لهلاك البلاشفة . انهم يمنعون نشر صحفنا في الخنادق ، ويعتقلون خطباءنا ! ..»
وصاح احد الجنود : « لماذا لا تتكلم عن نقص الخبز ؟»
فاجاب تشودنوفسكى بحدة : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان !»
وخطب على اثره ضابط ، منشفى-دفاعى ، مندوب سوفيت فيتيبسك .

«القضية ليست قضية من يسيطر على السلطة . ان مصيبتنا ليست الحكومة ، بل الحرب ... ولكنه لا بد من كسب الحرب قبل تحقيق اية تبديلات ...» . فكانت صرخات وتصفيقات ساخرة . « هؤلاء المحرضون البلاشفة هم الديماغوجيون !»
فهزت القهقهات القاعة . « فلننس الصراع الطبقي موقتا ...»
فلم يمكنوه من متابعة الكلام . وانطلقت صيحة تقول : « اجل ، هذا ما تشتهييه جدا !»

كانت بتروغراد في تلك الايام تمثل مشهدا رائعا . فقد كانت مقرات اللجان في المصانع ملأى بالبنادق . رجال الارتباط يروحون ويجيئون ، والحرس الاحمر* يتدرب ... وفي جميع الشكنات تجرى نهارا وليلا اجتماعات ومناقشات حامية لا نهاية لها . وفي الشوارع تحتشد جموع الشعب متراسة في عتمة المساء الكثيفة . انها تنتشر كامواج متدفقة على شارع نيفسكى صاعدة

* انظر «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ديد .

هابطة كأنها امواج البحر في المد . والصحف تتنازعها الايدى ...
 وكانت اعمال النهب قد وصلت الى حد بات معه من الخطر الظهور
 في الازقة الجانبية ... وقد رأيت ذات مرة في النهار في شارع
 سادوفيا كيف كان جمهور يضم المئات من الناس يضرب جنديا
 حتى الموت القى عليه القبض متلبسا بجريمة سرقة ... وكان
 افراد خفيون يحومون حول النسوة المقرورات اللواتي ينتظرن
 في الصفوف ساعات طويلة باردة للتصول على الخبز والحليب
 وبهمسون بان اليهود يحتكرون كميات من المواد الغذائية في الوقت
 الذي يموت فيه الشعب من الجوع وان اعضاء السوفييت يعيشون
 عيشة رخاء .

وفي المدخل الرئيسي في سمولني وعلى البوابات الخارجية كان
 يقف حرس صارمون يطلبون من جميع القادمين اذن الدخول .
 وكانت غرف اللجان تظل طول النهار والليل تعج كخلايا النحل ،
 والمئات من الجنود والعمال ينامون على الارض ، حيثما يجدون
 اماكس خالية . وفي الطابق الاعلى كان الالوف من الناس يتكدسون في
 القاعة الضخمة اثناء الاجتماعات العاصفة لسوفييت بتروغراد .
 وكانت اندية القمار تشتغل بصورة محمومة من الفجر حتى
 الفجر ؛ والشمبانيا تسيل انهارا ، والمراهقات في القمار تصل
 حتى المئتي الف روبل . وفي الليل تتسكع المومسات وسط المدينة
 صعودا وهبوطا تملأ الشوارع والمقاهى متزينات بالماس
 ومرتديات ثمين الفراء ...

وكانت ثمة مؤامرات ملكية ، وجواسيس المان ، وخطط
 مذهلة للمضاربين والمهريين ...

وتحت المطر وفي غمرة البرد القارص ، وتحت السماء الكالحة
 الثقيلة ، كانت المدينة الضخمة المضطربة تحت خطاها اسرع
 فاسرع .. الى اين ؟

الفصل الثالث

عشبة الاحداث

في مجال العلاقات بين حكومة ضعيفة وشعب ثائر يحل وقت ، عاجلا ام آجلا ، يغدو فيه كل عمل من اعمال الحكومة باعشا لغيظ الجماهير ، وكل امتناع منها عن العمل يشير احتقارها .

وقد اثار مشروع اخلاء بتروغراد عاصفة من الاستنكار . واما التصريح العلني الذي ادلى به كيرنسكي ، ومفاده ان الحكومة لم تكن لديها قط مثل هذه النية ، فقد استقبل بوابل من السخریات .

فقد ارعدت جريدة «رابوتشي بوت» تقول : «ان حكومة المحظيين البرجوازيين ، وقد ضيقت عليها الثورة الخناق ، تحاول ان تتخلص من ورطتها بنشر التاكيدات الكاذبة عن انها لم تكن تعتزم الفرار من بتروغراد وما كانت تريد تسليم العاصمة ...» وفي خاركوف* شكل ثلاثون الفا من عمال المناجم منظمة لهم ، وتبنوا المادة التمهيدية من نظام «عمال العالم الصناعيين»**

* يبدو ان المؤلف يقصد حوض الفحم الحجري على نهر الدونetz .
المحرو .

** «عمال العالم الصناعيون» هي احدى المنظمات النقابية الجماهيرية الثورية في الولايات المتحدة . وقد قامت سنة ١٩٠٥ تحت تاثير

التي تقول : « ما من شيء مشترك بين طبقة العمال وطبقة ارباب العمل » . وقد شئت القوزاق المنظمة ، وطرد الكثيرون من العمال من العمل ، فاعلن الباقون الاضراب العام . واوكل وزير التجارة والصناعة كونوفالوف الى مساعده اورلوف مهمة انهاء الاضطرابات مزودا اياه بصلاحيات واسعة . وكان عمال المناجم يكرهون اورلوف . واما التسيك فلم تقتصر على تأييد هذا التعيين ، بل لقد رفضت المطالبة بسحب القوزاق من حوض الدونتر ...

وعقب هذا حل سوفييت كالوغا . وكان البلاشفة ، اذ استولوا على الاكثريّة في هذا السوفييت ، قد توصلوا لاطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين . فبادر الدوما البلدي ، بموافقة مفوض الحكومة ، الى استدعاء قوات من مينسك قصفت مبنى السوفييت بنيران المدفعية . فاستسلم البلاشفة ، وبينما كانوا يغادرون مبنى السوفييت ، انقض عليهم القوزاق صائحين : « هذا ما سيحدث لجميع سوفييتات البلاشفة الاخرى ، بما فيها سوفييتا موسكو وبتروغراد ! » مما احدث موجة من الذعر جارفة اجتاحت روسيا كلها ...

في بتروغراد كان المؤتمر المنطقي لسوفييت الشمال يختتم جلساته برئاسة البلشفي كريلنكو . فقرر باغليبيته الساحقة ، ان يستلم مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا السلطة كلها وختم قراراته بارسال التحية للمعتقلين البلاشفة معلنا ان ساعة اطلاق سراحهم باتت في متناول اليد . وفي الوقت نفسه اعلن المؤتمر الاول للجان

الاحداث الثورية في روسيا . وقد توقفت عن الوجود عمليا في الثلاثينيات ، اذ تحولت الى منظمة انعزالية ، وفقدت ما كان لها من حيلة بالجماهير . اثناء ازدهار هذه المنظمة كان جون ريد يسهم بنشاط في اعمالها .
المحرر .

المعامل والمصانع لعامة روسيا^١ تأييده القاطع للسوفييتات ،
متخذاً هذا القرار :

« ... ان الطبقة العاملة ، بعد ان اطاحت بالحكم
الاستبدادى فى المجال السياسى ، تسعى جاهدة لنصر النظام
الديموقراطى فى مجال نشاطها الاقتصادى ايضا . وان هذا السعى
ليجد التعبير عنه فى فكرة الرقابة العمالية التى نشأت بصورة
طبيعية فى ظروف الخراب الاقتصادى الناجم عن السياسة الاجرامية
للطبقات المسيطرة ... » .

وكان اتحاد شغيلة السكك الحديدية يطالب باستقالة وزير
المواصلات ليفيوفسكى .

وباسم التسيك كان سكوبيليف يلح على ان تقدم التوصيات
الى مؤتمر الحلفاء ، ويحتج رسميا على ايفاد تيريشنكو الى باريس .
وقدم تيريشنكو استقالته ...

وكان الجنرال فيرخوفسكى ، وقد عجز عن تنفيذ ما ابتغاه
من اعادة تنظيم الجيش ، نادرا ما يظهر فى اجتماعات مجلس
الوزراء ...

وفى ٣ تشرين الثانى - نوفمبر (٢١ تشرين الاول - اكتوبر)
صدرت جريدة بورتسييف « اوبشيه ديلو » (« القضية المشتركة »)
حاملة النداء التالى ، مطبوعا باحرف كبيرة :

« ايها المواطنون ! انقذوا روسيا !

عرفت للتو ان وزير الحربية الجنرال فيرخوفسكى ، احد
المسؤولين الرئيسيين عن فشل الجنرال كورنيلوف ، قد اقترح
امس فى اجتماع لجنة الدفاع لدى مجلس الجمهورية عقد صلح
مع الالمان خفية عن الحلفاء ...

هذه خيانة لروسيا !

وقد صرح تيريشنكو بان الحكومة الموقته لم تقم حتى بدرس اقتراح الجنرال فيرخوفسكى .

وقال تيريشنكو : ان هذا لمستشفى مجانيين .
وقد ذهل اعضاء اللجنة من كلمات الجنرال فيرخوفسكى . . .
وبكى الجنرال اليكسييف .

كلا ! ليس هذا مستشفى مجانيين ! ان هذا لأسوأ من مستشفى المجانين ! هذه خيانة مباشرة لروسيا !
ان على كيرنسكى وتيريشنكو ولكراسوف ان يقدموا لنا الجواب فوراً على اقوال فيرخوفسكى .

هبوا ايها المواطنون !

انهم يخونون روسيا !

فانقلوها !

ولكن فيرخوفسكى لم يكن يقول فى الواقع غير انه من الضرورى دفع الحلفاء للاستعجال بمقترحات الصلح ، لأن الجيش الروسى لم يعد فى وسعه ان يحارب .

ولقد كانت الضجة فى روسيا وخارجها هائلة . واعطى فيرخوفسكى «اجازة مرضية لاجل غير محدود» وانسحب من الحكومة . واغلقت جريدة «اوبشيه ديلو» . . .

وتقرر ان يكون يوم الاحد ٤ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٢ تشرين الاول - اكتوبر) «يوم سوفيتيت بتروغراد» وان تعقد فيه اجتماعات حاشدة ضخمة فى جميع انحاء المدينة . وتقررت هذه الاجتماعات بحجة جمع الاموال للمنظمات والصحافة السوفييتية ؛ وفى الواقع كانت تهدف الى اظهار قوة السوفييت . وفجأة علم بان القوزاق قد قرروا القيام فى هذا اليوم بموكب دينى تكريما للايقونة العجائبية التى انقلت موسكو من نابوليون سنة ١٨١٢ . فتكهرب الجو ؛ وكان يمكن لاقل شرارة ان تشعل

حريق الحرب الاهلية . فاصدر سوفيتيت بتروغراد النداء التالى
بعنوان «ايها الاخوة القوزاق !»

«... يريدون ، ايها القوزاق ، ان يثيروكم علينا نحن
العمال والجنود . وهذا العمل ، عمل قايين الرامى لأن يقتل الاخ
اخاه صممه اعداؤنا المشتركون : النبلاء الطغاة واصحاب المصارف
والملاكون العقاريون والموظفون السابقون وخدم القيصر
السابقون ... اننا موضع كراهية المرايين والاثرياء والامراء
والنبلاء والجنرالات بما فيهم جنرالانكم ايها القوزاق . انهم
مستعدون في كل لحظة للقضاء على سوفيتيت بتروغراد ولخنق
الثورة ...»

في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) سيجرى موكب ديني
قوزاقي . ان الاشتراك او عدم الاشتراك في الموكب الديني مسألة
تتعلق بضمير كل قوزاقي . فنحن لا نتدخل في هذه المسألة ولا
نقف عقبة في طريق احد ...»

وسرعان ما الغى الموكب الديني .

وفي الشكنات واحياء العمال كان البلاشفة ينشرون شعارهم
«كل السلطة للسوفييتات !» ، في حين ان عملاء القوى السوداء
كانوا يحرضون الشعب على تذبيح اليهود واصحاب الحوانيت
والزعماء الاشتراكيين ...»

فمن جهة كانت الصحافة الملكية تحض على المذابح الدامية ،
ومن جهة اخرى كان صوت لينين يدوي : «الى العصيان ... ! لم
يعد يمكن الانتظار !»

حتى الصحافة البرجوازية اعترافا الارتيك ٢ . فقد كانت
جريدة «بيرجيفى فيدوموسى» («انباء البورصة») تنعت الدعاية
البشفية بانها اعتداء على «مبادئ المجتمع الانسانية وعلى سلامة
الفرد واحترام الملكية الخاصة» .

ولكن صحف الاشتراكيين «المعتدلين» كانت تنضح باوفى نصيب من الكراهية^٣. فقد كانت جريدة «ديلو نارودا» («قضية الشعب») تعلن قائلة: «ان البلاشفة هم اشد اعداء الثورة خطرا». وكانت صحيفة «ديين» المنشفية تقول: «ان الحكومة ملزمة بالدفاع عن نفسها وعنا». وكانت جريدة بليخانوف «ايدينستفو» («الوحدة») تلفت انتباه الحكومة الى ان عمال بتروغراد قد باتوا مسلحين وتطالب بالتدابير الحازمة ضد البلاشفة. ولكن الحكومة كانت تغدو كل يوم اعجز من ذى قبل فحتى الادارة البلدية كانت فى انهيار. وكانت اعمدة الجرائد تعج بانباء عن اجراء حوادث السلب والقتل، واما المجرمون فما كانت تطالهم يد العقاب...

ولكن، من جهة اخرى، كانت دوريات العمال المسلحين تقوم بحراسة الشوارع ليلا، مطاردة اللصوص ومصادرة جميع الاسلحة التى تقع تحت ايديها. وفى اول تشرين الثانى - نوفمبر (١٩ تشرين الاول - اكتوبر) اصدر القائد العسكرى الاعلى لبتروغراد، العقيد بولكوفنيكوف الامر التالى:

«بالرغم من الايام الصعبة التى تعانيها البلاد، ما تزال تنشر فى بتروغراد نداءات عديمة المسؤولية تدعو الى الاعمال المسلحة والى المذابح، وفى الوقت نفسه تتزايد من يوم الى آخر اعمال السلب والتصرفات الفظيعة.

ان هذه الحال تخل بحياة المواطنين وتعيق الهيئات الحكومية والاجتماعية عن ممارسة عملها المنتظم.

فادراكا منى لما على من مسؤولية وواجب حيال الوطن امر:

١٠ - يتوجب على كل وحدة عسكرية، بمقتضى التعليمات الخاصة فى حدود منطقة ترابطها، ان تقدم للهيئات

البلدية وللمفوضين والميليشيا كل ما تستطيع من المساعدة للمحافظة على المؤسسات الحكومية والاجتماعية .

٢ - ان تنظم دوريات بالاتفاق مع قيادة الناحية وممثل الميليشيا البلدية ، وان تتخذ التدابير لاعتقال العناصر المجرمة والهاربين .

٣ - كل شخص يدخل الى الثكنات ويحضر على الاعمال المسلحة والمذابح ، يعتقل ويساق الى مقر القيادة الثانية في المدينة .

٤ - لا يسمح بالمظاهرات في الشوارع والاجتماعات العامة والمواكب .

٥ - التظاهرات المسلحة والمذابح تقمع على الفور بواسطة جميع القوات المسلحة المتوفرة .

٦ - تقديم المساعدة للمفوضين للحيلولة دون التحريات والاعتقالات التعسفية .

٧ - على الوحدات ان تبلغ هيئة الاركان على الفور بكل ما يجرى في منطقة ترابطها .

ادعو لجان الوحدات وجميع منظمات الجيش لمساعدة القادة في تنفيذ المهمات الملقة على عاتقهم .

وفي مجلس الجمهورية صرح كيرنسكى ان الحكومة الموقته مطلعة كل الاطلاع على الدعاية البلشفية وان لديها من القوة ما يكفى لمواجهة اية مظاهرات^٥ . واتهم جريدتى «نوفايا روس» و«رابوتشى بوت» بارتكاب الاعمال الاجرامية ذاتها . واردف قائلا : «ولكن حرية الصحافة المطلقة لا تمكن الحكومة من اتخاذ التدابير ضد الاكاذيب المطبوعة ...» * . وبعد ان اعلن ان البلشفية

* ليس هذا التصريح صادقا تمام الصدق . ففى تموز (يوليو) اغلقت الحكومة الموقته الجرائد البلشفية ، وكانت اذ ذاك تعتزم القيام بالعمل نفسه . ج . ويد .

والملكية ليستا سوى ظاهرتين مختلفتين لدعاية واحدة بذاتها في صالح الثورة المضادة ، التي شد ما تتوق اليها قوى الظلام ، نابع قائلا :

« انى امرؤ هالك ، فسواء لدىّ ما يجرى لى وان لدىّ الجراة لأن اعلن ان كل غامض فى الاحداث رهن بما. يقوم به البلاشفة فى المدينة من استفزاز لا يصدق » .

وفى ٢ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٠ تشرين الاول - اكتوبر) لم يكن قد جاء الى مؤتمر السوفييتات غير ١٥ مندوبا . وفى اليوم التالى بلغ عددهم المئة ، وبعد يوم بلغوا ١٧٥ ، منهم ١٠٣ بلاشفة ... وكان ينبغى لاكتمال النصاب ٤٠٠ شخص ، وما كان قد بقى حتى المؤتمر غير ثلاثة ايام ...

كنت اقضى معظم الوقت تقريبا فى سمولنى . وكان الوصول الى هناك قد بات عسيرا . فقد كان يقف صفان من الحرس عند البوابات الخارجية ، واما مقابل المدخل الرئيسى فكان يمتد صف انتظار طويل من الناس المنتظرين الحصول على اجازات الدخول . وكان يسمح بالدخول الى سمولنى لكل اربعة اشخاص دفعة واحدة ، بعد التحقق مسبقا من هوية كل شخص ومعرفة المسألة التي جاء من اجلها . وكانت اجازات الدخول تعطى ، ولكن نماذجها كانت تتبدل عدة مرات فى اليوم ، وذلك لأن الجواسيس كانوا يتحايلون دائما للتسلل الى سمولنى ...

وفيما كنت ذات مرة قادما الى سمولنى رأيت امامى تروتسكى مع زوجته لدى البوابة الخارجية . وكان الخفير قد اوقفهما . وكان تروتسكى يفتش فى جميع جيوبه ، ولكنه عبثا يعثر على اجازة الدخول . واخيرا قال :

« لا يهم . انك تعرفنى . كنىتى تروتسكى » .

فاجاب الجندى بعناد :

« اين اجازة الدخول ؟ لا تستطيع الدخول ، الاسماء لا
نعنى شيئا بالنسبة لى » .

«ولكنى رئيس سوفيتيت بتروغراد» .

فاجاب الجندى :

«حسنا ، ما دمت شخصية فى مثل هذه الاهمية ، فقد كان
ينبغى ان تكون معك ولو وثيقة ما» .

كان تروتسكى جد صبور . فقال : «دخنى اقابل القائد» .
فتردد الجندى وتمتم بان لا مجال لازعاج القائد مرضاة لكل
قادم . ولكنه اخيرا دعا صف ضابط باشارة من رأسه . فعرض
عليه تروتسكى قضيته ، مكررا قوله : «كنيتى تروتسكى» .

«تروتسكى» قال صف الضابط هذا وهو يحك قذاله .
ثم دمدم قائلا :— سمعت هذا الاسم فى مكان ما ... حسنا ، لا
باس ، ادخل يا رفيق » .

والتقيت فى الممشى بكاراخان ، عضو اللجنة المركزية
البلشفية* . فاوضح لى ما ستكون عليه الحكومة الجديدة :

«منظمة مرنة ، تصغى لارادة الشعب المعبر عنها عن طريق
السوفييتات ، تعطى الحرية الكبرى للمبادرة المحلية . ان الحكومة
الموقته تكبل الآن الديموقراطية المحلية ، مثلما كان يجرى فى
ظل القيصر تماما ... ان المبادرة فى المجتمع الجديد ستنتقل
من الادنى . وستكون اشكال الحكم منظمة وفق النظام الداخلى
للحزب الاشتراكى-الديموقراطى الروسى .

وسيكون البرلمان هو التسليك الجديدة ، المسؤولة امام مؤتمر
السوفييتات لعامة روسيا التى غالبا ما ستدعى للانعقاد ، وسيقوم
بإدارة الوزارات لا وزراء على حدة ، بل هيئات مسؤولة مباشرة
امام السوفييتات» .

* لم يكن كاراخان عضوا فى اللجنة المركزية . المحرر .

Военно-Революціон.

Комитетъ

при

ПЕТР. С. Р. и С. Д.

Командантскій отдѣлъ.

16 ноября 1917 г.

№ 955

Смольный Институтъ.



Пропускъ.

Дано, сіе *А. Ресову*
Карееву. А. М. Р. и С. Д.

срокомъ по *1 декабрю*

на право свободного входа въ Смоль-
ный Институтъ.

Командантъ

Ф. Дзержинскій

Диплопроизводитель

اجارة الدخول الممنوحة الى جون ريد والتي تخوله حق الدخول

الى مبنى سمولني

وفي ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) قمت بزيارة
لثروتسكى ، بناء على موعد سابق ، في غرفة صغيرة جرداء من
الاثاث في الطابق العلوى من سمولني . كان جالسا على كرسي
عادي خلف طاولة فارغة في وسط الغرفة . وقد طرحت عليه
قليلا جدا من الاسئلة . فراح يتكلم سريعا وبلهجة واثقة اكثر
من ساعة . واني لاورد هنا فحوى ما قاله مستعملا تعابيرہ نفسها :
« ان الحكومة الموقته عاجزة تماما . والبرجوازية تتولى
السلطة ، الا ان سلطتها مقنعة بائتلاف موهوم مع الاحزاب المؤيدة
للحرب الدفاعية . وعلى مدى الثورة كلها نرى انتفاضة الفلاحين ،
الذين كلوا من انتظار الارض التي وعدوا بها . وهذا الاستياء
ذاته يستولى بجلاء على جميع الطبقات الكادحة في جميع انحاء
البلاد . وليس يمكن لسلطة البرجوازية ان تتحقق الا عن طريق

الحرب الاهلية . فالبرجوازية لا يمكن ان تمارس الحكم الا بطريقة كورنيلوف ، ولكن القوة تعوزها . . . ان الجيش معنا . وقد خسر المساومون ودعاة المصالحة والاشتراكيون-الثوريون والمناشفة كل نفوذهم ، لأن الصراع بين الفلاحين والملاكين العقارين ، بين العمال وارباب العمل ، بين الجنود والضباط ، قد بلغ درجة خارقة من الشدة انعدمت معها امكانية المصالحة . وليس يمكن انجاز الثورة وانقاذ الشعب الا بتركيز جهود الجماهير الشعبية ، الا بانتصار ديكتاتورية البروليتاريا . . .

ان السوفييتات هي اصدق تمثيل للشعب اصدق من حيث تجربتها الثورية وافكارها واهدافها . وهي باعتمادها المباشر على الجنود في الخنادق وعلى العمال في المعامل وعلى الفلاحين في القرى ، انها بالفعل بمثابة العمود الفقري للثورة .

جرت هناك محاولات لاقامة السلطة بدون السوفييتات . فما نجم عن هذه المحاولات غير انعدام السلطة . وفي الوقت الحاضر تحاك في كواليس مجلس الجمهورية الروسية مختلف انواع الخطط المعادية للثورة . وحزب الكاديت يمثل الثورة المضادة النشيطة . اما السوفييتات فتمثل قضية الشعب . وليس بين هذين المعسكرين اية فئة ذات شأن . . . انها «lutte finale» - **المعركة النهائية الحاسمة** . ان الثورة البرجوازية المضادة تنظم جميع قواها ولا تنتظر غير اللحظة المؤتاتية للهجوم . ولسوف يكون ردنا حاسما . اننا سننجز العمل الذى بالكاد بوشر به في شباط (فبراير) والذي تقدم الى امام اثناء حركة كورنيلوف . . .» وانتقل الى السياسة الخارجية للحكومة المقبلة :

«سيكون اول عمل نقوم به هو الدعوة الى الهدنة الفورية على جميع الجبهات والى مؤتمر لجميع الشعوب لمناقشة شروط الصلح الديموقراطية . وسيكون مدى ديموقراطية معاهدة الصلح

متوقفا على مدى الدعم الثورى الذى نلقاه فى اوروبا ؛ واذا ألفنا هنا حكومة السوفييتات ، فسيكون ذلك عاملا قويا فى سبيل الصلح الفورى فى اوروبا لأن الحكومة ستتوجه باقتراح الهدنة الى جميع الشعوب مباشرة وبدون واسطة ، متخطية الحكومات . وعند عقد الصلح ستصر روسيا الثورية على مبدأ « لا الحاق ولا غرامة ، على اساس حق الشعوب فى تقرير مصيرها بحرية » واقامة **الجمهورية الاوروبية الاتحادية ...**

وانى لارى اوروبا ، فى نهاية هذه الحرب ، يعيد تكوينها لا الديبلوماسيون بل البروليتاريا . الجمهورية الاوروبية الاتحادية او الولايات المتحدة الاوروبية - هذا ما يجب تحقيقه . ان الاستقلال الذاتى الوطنى لم يعد كافيا . فالتطور الاقتصادى يتطلب الغاء الحدود الوطنية . فاذا ما ظلت اوروبا مجزأة الى جماعات قومية ، فان الامبريالية ستواصل فعلها . وليس غير الجمهورية الاوروبية الاتحادية تستطيع منح السلام للعالم بأسره ، وابتسم ابتسامته الرقيقة الساخرة بعض الشيء . - « ولكن هذه الاهداف لا يمكن بلوغها بدون عمل الجماهير الاوروبية ... »

كان الجميع يتوقعون ان يظهر البلاشفة فى الشوارع ذات يوم على نحو مفاجئ ويروحون يطلقون النار على جميع الناس ذوى الياقات الانيقة البيضاء . ولكن الانتفاضة جرت بمنتهى البساطة وعلى المكشوف تماما .

كانت الحكومة المؤقتة تعتزم ارسال حامية بتروغراد الى
الجهة

وكانت حامية بتروغراد تعدّ قرابة ٦٠ الف رجل وقد لعبت دورا بارزا فى الثورة . فهى بالذات التى حسمت الامر فى ايام شباط (فبراير) العظمى ، وهى التى انشأت سوفييتات نواب الجنود ، وهى التى صدت كورنيلوف عن مشارف بتروغراد .

وتضم الآن الكثير جدا من البلاشفة . وحين شرعت الحكومة تتحدث عن اخلاء المدينة ، كانت حامية بتروغراد بالذات هي التي ردت عليها قائلة : « واحد من اثنين ... اذا كانت الحكومة غير قادرة على الدفاع عن العاصمة فان' عليها إما ان تعقد الصلح في الحال ، وإما ان تنصرف اذا لم تكن قادرة على عقد الصلح ، فتخلي المكان لحكومة شعبية حقاً وصدقاً ... » .

فكان جلياً ان اية محاولة عصيان انما تتوقف كلياً على مسلك حامية بتروغراد . وكانت خطة الحكومة تقوم على احلال الوحدات « الموثوقة » من القوزاق و« كتائب الموت » محل افواج الحامية . وكانت لجان بعض الجيوش والاشتراكيون « المعتدلون » والتسليك تؤيد الحكومة . وكانت تجرى في الجبهة وفي بتروغراد اعمال تحريض واسعة : فقد كان يقال ان حامية بتروغراد قد مضت عليها ثمانية شهور وهي تتسكع وتعيش حياة دعة وهدوء في مكانات العاصمة ، في حين ان رفاقهم المنهوكين في الخنادق يجوعون ويموتون .

لا شك بان التهمة القائلة بان افواج الحامية كانت غير راغبة في استبدال ارتياحها النسبي باهوال الحملة الشتوية ، تنطوى ع قسط من الحقيقة . ولكن كانت ثمة اسباب اخرى لرفضها الذهاب الى الجبهة . فقد كان سوفيييت بتروغراد يرتاب بنوايا الحكومة وفي الوقت نفسه كان ياتى من الجبهة مئات المندوبين من للجنود البسطاء يعلنون بصوت واحد : « صحيح اننا في حاجة الى تعزيزات ولكن الاهم من ذلك هو ان نتأكد ان الثورة هنا ، في بتروغراد في حماية يركن اليها ... فحافظوا على المؤخرة ، ايها الرفاق ، ان نحن فسنحافظ على الجبهة ... » .

وفي ٢٥ (١٢) تشرين الاول (اكتوبر) عقدت اللجنة التنفيذية لسوفييت بتروغراد جلسة سرية بحثت فيها مسألة

تشكيل لجنة عسكرية خاصة . وفي اليوم التالي انتخب فرع الجنود في سوفيتيت بتروغراد لجنة اعلنت على الفور مقاطعة جميع الصحف البرجوازية ووجهت اللوم الى التسيك لمعارضتها مؤتمراً السوفييتات . وفي ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) اقترح تروتسكى في اجتماع على لسوفييتيت بتروغراد الاعتراف الرسمى باللجنة الثورية العسكرية . وقال : « ان علينا ان نؤلف اللجنة الخاصة لكي نسير وراءها الى القتال ونموت اذا اقتضى الامر . . . » وقد تقرر ايفاد وفدين الى الجبهة للتباحث مع لجان الجنود ومع الاركان العامة ، احدهما عن السوفييتيت والآخر عن الحامية .

وفي بسكوف استقبل وفد السوفييت قائد الجبهة الشمالية الجنرال تشيريميسوف فاعلن باقتضاب انه قد امر حامية بتروغراد بان تذهب الى الخنادق وان هذا كل ما في الامر . اما وفد الحامية فلم يسمحوا له بمغادرة بتروغراد . . .

وطالب وفد من فرع الجنود في سوفيتيت بتروغراد بان يكون له ممثل في الاركان العامة لدائرة بتروغراد العسكرية . فلقى هذا الالتماس الرفض . وطالب سوفيتيت بتروغراد بان لا يصدر اى امر بدون موافقة فرع الجنود . وكان نصيب هذا الطلب الرفض . وقيل بفظاظة للموفدين : « نحن نعتزف بالتسيك فقط . ولسنا نعتزف بكم ، فسوف نعتقلكم اذا ما خرقتم القانون » .

وفي ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) * اتخذ اجتماع ممثلى جميع افواج بتروغراد القرار التالى : « ان حامية بتروغراد لم تعد تعترف بالحكومة الموقته . ان حكومتنا هى سوفيتيت بتروغراد . ولن نخضع الا لاوامر سوفيتيت بتروغراد الصادرة عن لجنته العسكرية الثورية » . وصدرت الاوامر الى الوحدات

* هذا الاجتماع عقد فى ٣١ (١٨) تشرين الاول (اكتوبر) .

العسكرية المحلية بانتظار التعليمات من فرع الجنود في سوفيتيت
بتروغراد .

وفي اليوم التالي عقدت التسيك اجتماعها الخاص وكان الضباط
يمثلون اغلبية المشتركين فيه ، فالفت لجنة خاصة للعمل المشترك
مع الاركان العامة وبعثت بمفوضيتها الى جميع احياء بتروغراد .
وفي ٣ تشرين الثاني - نوفمبر (٢١ تشرين الاول - اكتوبر)
عقد في سمولني اجتماع عام حاشد للجنود ، اتخذ القرار التالي :
« ان حامية بتروغراد وضواحيها ، اذ ترحب بتشكيل اللجنة
العسكرية الثورية لدى سوفيتيت بتروغراد لنواب العمال والجنود ،
تعد اللجنة العسكرية الثورية بمساندنها التامة في كل خطوانها
الرامية الى وحدة اوثق بين الجبهة والمؤخرة لما فيه مصالح
الثورة .

وعلاوة على هذا تعلن حامية بتروغراد انها تقف بكليتها
مع البروليتاريا المنظمة على حراسة النظام الثوري في بتروغراد .
ان كل محاولة من جانب الكورنيلوفيين والبرجوارية لاحداث
الاضطراب والخلل في الصفوف الثورية، ستلقى مقاومة لا رحمة فيها» .
وشعورا منها بقوتها ، طالبت اللجنة العسكرية الثورية بحزم
بان تخضع الاركان العامة في منطقة بتروغراد لتوجيهاتها . وبعثت
الى جميع المطابع امرا يقضى بعدم طبع اية نداءات او بيانات
بدون ترخيص منها . وجاء الى ترسانة كرونفرك مفوضون
مسلحون فاستولوا على كمية ضخمة من الاسلحة والذخائر ،
واوقفوا شحنة مؤلفة من عشرة آلاف حربة معدة للارسال الى
نوفوتشيركاسك ، مقر اركان كاليدين ...

وشعرت الحكومة فجأة بالخطر الذي تواجهه ، فوعدت اللجنة
بالعفو اذا هي حلت نفسها من تلقاء نفسها . ولكن بعد فوات
الوان . ففي منتصف ليلة الخامس من تشرين الثاني - نوفمبر

(٢٣ تشرين الاول - اكتوبر) ، بعث كيرنسكى نفسه بماليفسكى الى سوفيتيت بتروغراد يعرض عليه ان يبعث بممثل عنه الى الاركان العامة . فاجابت اللجنة العسكرية الثورية بالموافقة ، ولكن الجنرال مانيكوفسكى ، وزير الحربية بالوكالة ، سحب هذا العرض بعد ساعة ...

وصباح الثلاثاء في السادس من تشرين الثاني - نوفمبر (٢٤ تشرين الاول - اكتوبر) اضطربت المدينة كلها لظهور نداء في الشوارع يحمل توقيع : «اللجنة العسكرية الثورية لدى سوفيتيت بتروغراد لنواب العمال والجنود» :

« الى سكان بتروغراد »

ايها المواطنون ! لقد رفعت الثورة المضادة رأسها المجرم . فالكورنيلوفيون يعيثون القوى من اجل سحق مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا واجباط الجمعية التأسيسية . وفي الوقت نفسه قد يحاول الارهابيون اثارة الاضطراب والمذابح في شوارع بتروغراد . ان سوفيتيت بتروغراد لنواب العمال والجنود يأخذ على عاتقه المحافظة على النظام الثوري ضد محاولات المعادين للثورة والارهابيين .

ان حامية بتروغراد لن تسمح باية اعمال عنف واخلاق بالنظام . والاهلون مدعوون لوقف الاوباش والمحرضين من جماعة المئة السوداء وتسليمهم لمفوضى السوفييت في اقرب وحدة عسكرية . ان المجرمين سيبادون من على وجه الارض لدى اول محاولة تقوم بها قوى الظلام لاثارة الاضطراب او النهب او الشجار او اطلاق النار في شوارع بتروغراد .

ايها المواطنون ! اننا ندعوكم الى التزام الهدوء التام وضبط النفس . ان قضية النظام والثورة في ايد قوية ... » .

وفي ٣ تشرين الثاني - نوفمبر (٢١ تشرين الاول - اكتوبر) عقد زعماء البلاشفة اجتماعهم التاريخي . وقد جرى في سرية . وكان زالكند * قد ابلى عن ذلك ، فلبثت انتظر نتيجة الاجتماع وراء الباب في الممشى . واذ خرج فولودارسكى من الغرفة ، اطلعنى عما يجرى فيها .

كان لينين يقول : « في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) سيكون العمل مبكرا جدا : فالانتفاضة بحاجة الى قاعدة تشمل روسيا بأسرها ، ويوم ٢٤ تشرين الاول لن يكون جميع المندوبين قد وصلوا الى المؤتمر . ومن جهة اخرى ، سيكون العمل في ٢٦ تشرين الاول جد متأخر : ففي هذا الوقت سينتظم المؤتمر ، ومن الصعب على اجتماع ضخم منظم ان يتخذ تدابير عاجلة وحاسمة . فعلينا ان نعمل في ٢٥ تشرين الاول ، يوم افتتاح المؤتمر ، بحيث يكون في وسعنا ان نقول له : ها هي ذى السلطة ! فماذا ستفعلون بها ؟ » .

كان يجلس في احدى غرف الطابق العلوى رجل نحيل الوجه طويل الشعر ، عالم رياضيات ولاعب شطرنج ، كان في الماضى ضابطا في الجيش القيصري ، ثم بات ثوريا ومنفيا ، يدعى اوفسينكو واسمه المستعار انطونوف . وبوصفه عالم رياضيات ولاعب شطرنج ، كان منهمكا باعداد خطط الاستيلاء على العاصمة .

وكانت الحكومة من جهتها تستعد هي ايضا للمعركة . فقد كانت تحتشد خفية في الطريق الى بتروغراد اكثر الافواج موضعا للشقة ، وقد اختيرت من الفرق المترامية على طول الجبهة . وفي قصر الشتاء اقيمت مدفعية اليونكر . وللمرة الاولى بعد ايام عصيان تموز (يوليو) ظهرت الدوريات القوزاقية في الشوارع . وكان

* زالكند ، مشترك نشيط في انقلاب اكتوبر ، عضو المنظمة البلشفية في بتروغراد . **المحرر** .

بولكوفنيكوف يصدر الامر اثر الامر ، مهددا بسحق ادنى تمرد « باشد وسائل القمع » . وجرى تعيين كيشكين ، وزير التعليم العام ، وهو اكثر اعضاء الحكومة كراهية ، مفوضا فوق العادة للمحافظة على النظام فى بتروغراد . وقد عين مساعدين له شخصين على قسط وافر من اللاشعبية ، هما روتنبرغ وبالتشنسكى . واعلن الحكم العرفى فى بتروغراد وكروونشتادت وفنلندا . وبهذا الصدد قالت صحيفة « نوفويه فريميا » (« الازمنة الحديثة ») البرجوازية بلهجة ساخرة : « ما الداعى لحالة الحصار ؟ ان الحكومة لم تعد بذات سلطة ، انها لا تملك السيطرة المعنوية ولا الجهاز الضرورى الذى من شأنه ان يمكنها من استخدام القوة ... وليس فى وسعها ، فى احسن الحالات ، الا اجراء مباحثات مع الذين يوافقون على التباحث معها . وسلطتها لا تتعدى ذلك ... »

صباح الاثنين ، فى ٥ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٣ تشرين الاول - اكتوبر) قمت بزيارة قصيرة لقصر مارى لمعرفة ما يجرى فى مجلس الجمهورية الروسية . كانت ثمة مناقشات عنيفة حول سياسة تيريشنكو الخارجية . وصدى قضية بورتسيف-فيرخوفسكى . وقد حضر جميع الديبلوماسيين ، خلا سفير ايطاليا الذى قيل انه منهوك القوى من جراء كارثة كارسو وحين دخلت كان كاريلين ، الاشتراكى-الثورى اليسارى ، يقرأ بصوت مسموع مقالا افتتاحيا فى جريدة « التايمس » اللندنية جاء فيه : « بالرصاص ينبغى معالجة البلشفية » . والتفت كاريلين صوب الكاديت ، فصاح : « هذا ما تفكرون به انتم ايضا » .

اصوات من اليمين : « نعم ! نعم ! »

فاجاب كاريلين بحرارة : « اجل ، انا اعلم انكم هكذا تفكرون . ولكن هيا تجاسروا على محاولة ذلك بالفعل ! »

وبعد ذلك راح سكوبيليف، وهو اشتهر بمغازل نبيل ، ذو لحية شقراء انيقة وشعر صفراوى متموج ، يدافع عن توصية السوفييتات بلهجة اعتذار . وعلى اثره خطب تيريشنكو وقد استقبل بصباحات من اليسار : « استقل ! استقل ! » وقد الح على ان من واجب مندوبى الحكومة والتسيك في مؤتمر باريس ان يدافعوا عن وجهة نظر مشتركة - وعلى وجه الضبط وجهة نظره هو ، تيريشنكو . وقال بضع كلمات عن اعادة الانضباط الى الجيش ، وعن الحرب حتى النصر ... ووسط ضجيج واحتجاجات صاخبة من اليسار ، انقل مجلس الجمهورية الروسية الى جدول الاعمال .

كانت مقاعد البلاشفة خالية ، ولقد كانت خالية منذ يوم افتتاح المجلس حين انسحب منه البلاشفة آخذين معهم كل الحيوية . وفيما انا اهبط السلم ، كنت افكر في ان هذه القاعة العالية الباردة لا يمكن ان يتسرب اليها ، برغم المناقشات العنيفة ، اى صوت حتى من العالم الخارجى الحقيقى ، وان الحكومة الموهنة قد تحطمت على هذه الصخرة ذاتها ، صخرة الحرب والسلام ، التى تحطمت عليها حكومة ميلوكوف في حينها ... وقد ستم البواب وهو يقدم لى معطفى : « لست ادرى ماذا حل بروسيا المنكودة ! .. مناقشة ، بلاشفة ، ترودوفيكيون ... اوكرانيا ، فناندا ، امير بالو جرمانيا ، امير ياليو انكلترا ... مضت على خمس واربعون سنة وانا اعيش في الدنيا ، ولكنى لم اسمع قط كل هذا المقدار من الكلام » .

التقيت في الممشى بالبروفسور شاتسكى ، وهو شخصية واسعة النفوذ في اوساط الكاديت ، له وجه الجرد ، يرتدى معطفا رسميا انيقا . فسألته رايه في الحركة البلشفية المسلحة التى طال اللغو حولها . فسال بكتفيه وابتسم بافتعال . واجابنى قائلا : « انهم قطع من السفلة . انهم لن يتجاسروا ، واما اذا

تجاسروا فلسوف نريهم !... بل في زائنا ان هذا ليس بالامر
السي ، اذ انهم سيجلبون الكارثة على انفسهم من جراء حركتهم
نفسها ولن تكون لهم اية قوة في الجمعية التأسيسية ...
ولكن اسمح لي ، ايها السيد العزيز ، ان ارسم لك مشروع
تنظيم الحكومة الجديدة الذي ساقدمه الى الجمعية التأسيسية .
فانا ، كما ترى ، رئيس اللجنة الفرعية التي شكلها مجلس الجمهورية
بالاشتراك مع الحكومة الموقته لاعداد مشروع للدستور ... ستكون
لدينا ندوة تشريعية مؤلفة من مجلسين ، على غرار ما هو عندكم
في الولايات المتحدة . ويضم المجلس الادنى ممثلي الاقاليم ، ويضم
الاعلى ممثلي المهن الحرة ، والمستشفيات ، والاتحادات التعاونية
والنقابات ...»

وفي الشارع ، كانت تهب من الغرب رياح باردة رطبة .
والحوال الجليدية تنفد من نعل . وكانت ثمة سريتان من اليونكر
تسيران صعدا في شارع بورسكيا بخطوات متوازنة . وكانت
صفوفهما تتماوج في المسير بانتظام . كانوا ينشدون اغنية عسكرية
قديمة من العهد القيصري ... وفي اول ملتقى للشوارع لاحظت
ان رجال الميليشيا يعتلون ظهور الخيل ، ويتمنطقون المسدسات
في قرابات جديدة لماعة . وكان ثمة جمع صغير من الناس ينظر
اليهم في صمت . وفي ملتقى شارع ليفسكي اشترت كراس لينين
«هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟» ودفعت ثمنه ، طابعا
بريديا ؛ وقد كانت امثال هذه الطوابع تتداول اذ ذاك بدلا من
القطع النقدية الصغيرة . كانت حافلات الترام تزحف على عهدها
دائما ، وقد تعلق بها من الخارج مديون وعسكريون باوضاع
يحسد هم عليها تيودور شونت * ... وعلى طول الارصفة كانت

* بهلوان مشهور في تلك الايام . المحرور .

تقف صفوف من الهاريين من الجندية ، باليستهم العسكرية ،
يبيعون السيكاكات وبذور دوار الشمس .

وعلى طول شارع نيفسكى ، وسط الضباب الكثيف ، كانت
جموع الشعب تتنازع الطبقات الاخيرة من الصحف او تتجمع على
الاعلانات ، وتحاول ان تتفهم النداءات والبيانات التي كانت ملصقة
على جميع الجدران ٦ . وكانت هناك بيانات التسيك ، وسوفييتات
الفلاحين ، واحزاب الاشتراكيين «المعتدلين» ، ولجان الجيش ،
وجميعها تنذر العمال والجنود وتتضرع اليهم ان يلزموا بيوتهم ، ان
يساندوا الحكومة ...

وكانت ثمة مصفحة تتحرك طول الوقت الى وراء والى امام
مطلقة زعيق صفارتها . وعند كل زاوية وفي كل مكان مكشوف
كانت تتجمع حشود كثيفة من الناس . والجنود والطلاب في نقاش
حار . والليل يهبط ببطء ، والمصاييح القليلة تتلامح ، وامواج
لا نهاية لها من الناس تتدفق ... هكذا كانت حال بتروغراد على
الدوام قبيل الاضطرابات .

كانت المدينة في توتر عصبى ، ترهف مسامعها لدى كل
ضجة حادة . ولكن لم تبد اية ظاهرة لنشاط البلاشفة ؛ فلزم
الجنود الشكنات والعمال المعامل ... ودخلنا قاعة للسينما قرب
كاتدرائية قازان . كان يعرض فيلم ايطالى ، زاخر بالدماء والشهوات
والدسائس . وكان يجلس في الصف الاول بعض البحارة والجنود ،
ينظرون الى الشاشة بدهشة الاطفال ، غير مدركين قط ما الداعى
لكل هذه المطارادات ولكل اعمال القتل هذه .

ومن قاعة السينما اسرعت الى سمولنى . كان ينعقد في الغرفة
العاشرة من الطابق العلوى اجتماع متواصل بدون انقطاع للجنة
العسكرية الثورية . وكان يتولى الرئاسة شاب متوهج الشعر في
الثمانية عشرة من عمره ، كنيته لازيمير . ولدى مروره بجانبى

توقف وشد على يدي مصافحا بشيء من الحياء . وقال لي بابتسامة بهيجة :

« انضمت الينا قلعة بطرس وبولس ! تلقينا للتو اخبارا من فوج استدعته الحكومة الى بتروغراد لاعمال القمع . كان الجنود قد اخذوا يرتابون بان وراء الاكمة ما وراءها ، فوقفوا القطار في غائشيننا وبعثوا بمندوبين الينا . وقد سالونا : « ما الامر ؟ ماذا تقولون لنا ؟ لقد اتخذنا قرارا بان تكون « كل السلطة للسوفييتات » . وقد اجابتهم اللجنة العسكرية الثورية : « نحييكم ، ايها الاخوان ، باسم الثورة ! الزموا اماكنكم وانتظروا الاوامر » . وابلغني قائلا : « جميع خطوطنا الهاتفية مقطوعة . الا ان رجال الهاتف العسكريين اقاموا خط ميدان للاتصال مع المصانع والشركات ... » .

وبدون انقطاع كان يدخل الى الغرفة ويخرج منها رجال ارتباط ومفوضون . وكان يتولى المناوبة وراء الباب اثنا عشر متطوعا ، مستعدين للانطلاق في أية لحظة الى ابعد قسم من المدينة . وقد قال احدهم بالفرنسية ، وهو رجل ذو وجه غجوى يرتدى بزة ملازم : « الجميع مستعدون للعمل لدى اول اشارة » . ومر امامي بودفويسكى ، وهو رجل مدنى نحيل ذو لحية ، كانت تختمر في دماغه خطط العمليات للعصيان ؛ وانطونوف الذى طال شعر لحيته ، واتسخت قبة قميصه ، وهو يترنح من النعاس نتيجة عدم النوم ؛ وكريلنكو ، وهو جندي ربع القامة عريض الوجه دائم الابتسامة ، نشيط الحركات في كلامه ، عنيف في خطابه ؛ وديينكو ، البحار الجسيم ذو اللحية والوجه الهادى . هؤلاء كانوا رجال هذه المعركة في سبيل السلطة للسوفييتات والمعارك المقبلة .

وفي مقر لجان المعامل والمصانع ، في الطابق الارضى ، كان يجلس سيراتوف . كان يوقع على اوامر الى ادارة الترسانة الحكومية تقضى بتوزيع ١٥٠ بندقية، على كل مصنع ... وكان يقف امامه اربعون مندوبا في صف انتظار .

وقد التقيت في القاعة ببعض القادة البلاشفة من الوجوه غير البارزة . فاراني احدهم مسدسا . وقال لى ، وقد كان شاحب الوجه : « لقد حلت البداية ! ان العدو ، سواء أباشرنا العمل ام لا ، يدرك ان وقت القضاء علينا قد حان والا قضى عليه هو بالذات » .
كان سوفيييت بتروغراد يجتمع ليل نهار بدون انقطاع .
وحين دخلت القاعة الكبرى ، كان تروتسكى يوشك ان ينهى كلمته .
وقد كان يقول :

«يسألوننا هل نعتزم القيام بعمل . ان فى وسعى اعطاء جواب واضح على هذا السؤال . ان سوفيييت بتروغراد يدرك انه قد حان اخيرا الوقت الذى ينبغى فيه انتقال السلطة كلها الى يد السوفييتات . وهذا ما سيحققه مؤتمر عامة روسيا . اما ضرورة القيام بعمل مسلح فأمر يتعلق باولئك الراغبين فى احباط مؤتمر عامة روسيا .

من الواضح لنا ان حكومتنا ، الممثلة بالشخصيات التى تؤلف الوزارة الموقته ، هى حكومة هزيلة عاجزة ، وانها لا تنتظر غير ضربة من مكنسة التاريخ لتخلى مكانها لسلطة شعبية حقا . ولكننا حتى الآن ، حتى اليوم نحاول تحاشي الاصطدام ونحن نأمل بان مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا سيأخذ السلطة بيده ، مستندا الى الحرية المنظمة للشعب كله . ولكن اذا كانت الحكومة تريد ان تستغل ما تبقى لها من الحياة - ٢٤ او ٤٨ او ٧٢ ساعة - لتهاجمنا ، فلسوف نرد عليها الضربة بضربة ونفل الحديد بالقولاذ ! »

ووسط عاصفة مدوية من التصفيق ، يعلن تروتسكى ان
الاشتراكيين-الثوريين اليساريين قد وافقوا على ارسال ممثلهم
الى اللجنة العسكرية الثورية .

وفيما كنت منصرفا من سمولنى فى الساعة الثالثة صباحا ،
لاحظت ان ثمة رشاشات قد نصبت على جانبى المدخل ، وان
البوابة والمنعطفات القريبة مخفورة بدوريات معززة من الجنود .
وكان بيل شاتوف* يصعد السلم الى الطابق العلوى مستعجلا .
فصاح قائلا : «حسنا ، لقد بدأنا ! ارسل كيرنسكى قوة من
اليونكر لاغلاق جريدتي «سولدات» («الجندي») و«رابوتشى
بوت» («طريق العمال») . ولكن جاءت اذ ذلك فصيلة من قواتنا
فنزعت الشمع الاحمر الرسمى ، والآن سنرسل رجلا للاستيلاء
على مكاتب الصحف البرجوازية ! » وربت على كتفى بنشوة ومضى
مسرعا فى طريقه ...

ضباح ٦ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٤ تشرين
الاول - اكتوبر) كان لى شغل لدى مراقب المطبوعات ، وقد
كان مكتبه فى وزارة الخارجية . كانت جميع الجدران فى الشوارع
ملأى ببيانات تدعو الشعب بلهجة هستيرية الى «الهدوء» . فقد
كان بولكوفنيكوف يصدر الامر تلو الامر :

* معروف جيدا لىدى المشتركين فى الحركة العمالية
الاميركية . ج . ويد .

يقصد المؤلف فلاديمير سرغيفيتش شاتوف وقد عاد من اميركا فى
حزيران (يونيو) ١٩١٧ . وهو احد منظمى والعمال الصناعيون فى العالم .
كان فى عام ١٩١٧ عضو اللجنة العسكرية الثورية فى بتروغراد وعضوا فى
هيئة رئاسة المجلس المركزى للجان المصانع والمعامل ، ثم اصبح
شيوعيا . المحرر .

«أمر جميع الوحدات والفصائل بان تلتزم ثكناتها بانتظار صدور الاوامر من هيئة اركان الدائرة العسكرية . محظور القيام باى عمل تلقائى . جميع الضباط الذين يقومون باعمال دون اوامر قادتهم سيقدمون الى المحاكمة بتهمة التمرد المسلح . محظور قطعيا على القوات تنفيذ اية اوامر صادرة عن مختلف المنظمات ...»

وكانت الصحف الصباحية تعلن ان الحكومة قد عطلت جرائد «نوفيا روس» («روسيا الجديدة») و«جيفوى سلوفو» («الكلمة الحية») و«رابوتشى بوت» («طريق العمال») و«سولدات» («الجندي») وقررت اعتقال قادة سوفيتيت بتروغراد واعضاء اللجنة العسكرية الثورية .

وفيما كنت اجتاز ساحة القصر، كانت بضعة بطاريات من مدفعية اليونكر تمر بصخب تحت قنطرة مبنى الاركان العامة وتتمركز امام القصر . وكان مبنى الاركان العامة الاحمر الضخم يبدو فى نشاط غير مألوف . وامام المدخل كانت تقف عدة سيارات ؛ وباستمرار كانت تجى وتروح سيارات اثر سيارات حاملة الضباط . وكان مراقب المطبوعات فى انفعال كأنه طفل صغير جاؤوا به الى سيرك . وقد قال لى : «منذ لحظات ذهب كيرنسكى الى مجلس الجمهورية لتقديم استقالته !» فاسرعت الى قصر مارى وتمكنت من التقاط نهاية الخطاب العاطفى غير المترابط تقريبا ، الذى كان يلقيه كيرنسكى ، وقد كان ينطوى بكامله على تبرير نفسه وعلى الاتهامات المريرة ضد اعدائه .

وقد كان كيرنسكى يقول : «لكى لا اكون مطلقا للكلام جزافا ، ساورد لكم هنا اكثر المقاطع دلالة من سلسلة بيانات نشرها فى جريدة «رابوتشى بوت» المجرم بحق الدولة اوليانوفد

لينين المحبى والذى نحاول العثور عليه . ان هذا المجرم بحق لدولة يدعو بروتيتاريا بتروغراد والقوات المسلحة ، فى سلسلة من البيانات تحت عنوان «رسالة الى الرفاق» ، الى تكرار تجربة ايام ٣-٥ نموز (يوليو) ويبرهن على ضرورة القيام بعصيان مسلح فورى . . .

والى جانب هذه الدعوات يلقى فى الوقت نفسه زعماء آخرون من حزب البلاشفة جملة من الخطب فى الاجتماعات والحشود يدعون فيها هم ايضا الى العصيان المسلح الفورى . وبهذا الصدد تنبغى الاشارة بخاصة الى نشاط رئيس سوفيت نواب العمال والجنود فى بطرسبورغ برونشتين-نروتسكى . . .

ان مقالات «رابونشى بوت» و«سولدات» فى عدد من المجالات تتطابق تعبيرا واسلوبا مع مقالات «نوفايا روس» .
ولسنا حيال حركة من هذا الحزب السياسى او ذاك بمقدار ما نحن حيال استغلال الجهل السياسى والفرائز الاجرامية لدى قسم من السكان ؛ اننا حيال منظمة خاصة ترمى مهما كلف الامر لأن نشر فى روسيا موجة غير واعية من التخريب والمذابح .
ونظرا للحالة النفسية الحاضرة لدى الجماهير ، لا بد لكل حركة فى بتروغراد ان تكون مصحوبة بافطع ظاهرات المذابح التى تدنس اسم روسيا الحرة بالعار الى الابد .
وانه لامر كثير الدلالة ان يعترف منظم العصيان نفسه اوليانوف-لينين بان «موقف الاجنحة الاشتراكية الديموقراطية الاقصى يسارا مؤات بصورة خاصة» . . .

وهنا نلا كبرنسكى المقطع التالى من مقال لينين :
«فكروا فقط فى ان الرفاق الالمان ، وهم فى ظروف هائلة الصعوبة ، وليس لديهم غير ليكننخت وحده (وهو ايضا فى سجن الاشغال الشاقة) ، ومحرومون من الصحف ومن حرية الاجتماع ،

ومن السوفييتات ، وفكرة الاممية موضع عداوه لا يتصورها العقل من قبل **جميع** فئات السكان حتى آخر فلاح ميسور ، وفي ظروف منظم رائع للبرجوازية الامبريالية الكبرى والمتوسطة والصغيرة ، - تصوروا فقط ان الالمان ، واعنى العمال الالمان النوريين- الامميين ، اللابسين سترات البحارة ، قد قاموا بعصيان في الاسطول ، ونسبة حظهم من النجاح واحد من مئة .

واما نحن ، ولدينا عشرات الصحف ، وحرية الاجتماع ، ولنا **الاكثرية** في السوفييتات ، اما نحن ، الامميين البروليتاريين المنتمعين باحسن وضع في العالم بأسره ، فاننا نرفض مساندة الثوريين الالمان بعصياننا .

ونابع كيرنسكى قائلا :

« وهكذا فمنظمو العصيان انفسهم يعترفون بان الظروف السياسية لنشاط جميع الاحزاب السياسية احسن ما تكون تحققا الآن في روسيا ، في ظل الحكومة الموقته الحالية ، التي يرأسها ، حسب رأى حزب البلاشفة ، شخص مفتصب ، بائع نفسه للبرجوازية ، هو رئيس الوزراء كيرنسكى ...

ان منظمى العصيان لا يقدمون يد العون لبروليتاريا المانيا بل يقدمون يد العون للطبقات الحاكمة في المانيا ، ويفتحون جبهة الدولة الروسية لقبضة غليوم واصدقائه الحديدية ... ان الحكومة الموقته لا تهمها الدوافع ، وسواء لديها أكان هذا صادرا عن وعى ام لا ، ولكنى مع ادراكى على كل حال لما احمل من مسؤولية اصف من على هذا المنبر مثل هذه الاعمال الصادرة عن حزب سياسى روسى بانها خيانة للدولة الروسية وغدر بها ...

انى آخذ بوجهة النظر الحقوقية : فقد اقترحت المباشرة فورا بالتحقيقات القضائية اللازمة ، كما اقترحت القيام بالاعتقالات اللازمة (ضجة في اليسار لا تمكن كبرنسكى من متابعة كلامه) .

بلى ، اصغوا الى ! - صاح كيرنسكى بصوت راعد ، - ان الحكومة الموقته ، وانا في عدادها ، نفضل في هذا الوقت الذى تتعرض فيه الدولة الروسية للهلاك وتوشك على الهلاك من جراء خيانة متمردة ام غير متمردة ، - نفضل الموت والفناء على ان نخون حياة الدولة وشرفها واستقلالها ... » .

وفى تلك اللحظة قدمت ورقة لكيرنسكى . فقال :

« لقد قدمت لى الآن نسخة من وثيقة توزع الآن على الافواج » .

وقرأ بصوت مسموع :

« ان سوفيينيت بتروغراد معرض للخطر ... آمر بالتعبئة التامة للفوج وانتظار الاوامر اللاحقة . كل تأخر فى تنفيذ هذا الامر او عصيان له سيعتبر خيانة للشورة . عن الرئيس بودفويسكى . امين السر انطونوف » .

واردف كيرنسكى يقول : « ان هذه بالفعل محاولة لاثارة السواد على النظام القائم ولنسف الجمعية التأسيسية وفتح الجبهة الروسية امام قبضة غليوم الحديدية وافواجه المتراصة . وانى لأقول « السواد » بكامل الوعى ، لأن هذه الاعمال تلقى الاستنكار من كل الديموقراطية الواعية ولجنتها التسيك ، وجميع منظمات الجيش ، وكل ما تعتز وينبغى ان تعتز به روسيا الحرة - الا وهو عقل ووجدان وشرف الديموقراطية الروسية العظمى ... لم آت الى هنا متضرعا ، وانما اتيت بثقة ويقين راسخ بان الحكومة الموقته ، التى تدافع فى هذه اللحظة عن هذه الحرية الجديدة ... ستلقى المساندة من الجميع ، باستثناء الذين لم يجرأوا ابدا على الاعراب عن الحقيقة وجها لوجه ... ان الحكومة الموقته لم تنتهك ابدا حريات مواطنى الدولة وحقوقهم السياسية .

اما الآن فان الحكومة الموقته تعلن بان تلك العناصر من

المجتمع الروسى ، تلك الجماعات والاحزاب التى تتجراً على رفع يدها ضد ارادة الشعب الروسى الحرة ، مهددة بذلك فى الوقت نفسه بفتح الجبهة لالمانيا ، ينبغى ان يتم القضاء عليها فوراً وعلى نحو حازم ونهائى ... وليعلم اهالى بتروغراد انهم يواجهون سلطة حازمة ، ولعل العقل والوجدان والشرف ستنصرف فى الساعة او الدقيقة الاخيرة فى قلوب الذين ما زالوا يملكون ذلك ...» .

وخلال هذا الخطاب كله كانت القاعة تضج وتصخب . وحين صمت رئيس الوزراء الشاحب اللاهث ، وغادر القاعة مع حاشيته من الضباط ، تتالى الخطباء من اليسار على المنبر . وقد كانوا يشنون على اليمين حملات عنيفة غاضبة . حتى الاشتراكيون-الثوريون اعلنوا بلسان غوتز :

«ان سياسة البلاشفة ، القائمة على استغلال الاستياء الشعبى ، ديماغوجية ومجرمة . ولكن ما من شك فى ان جملة كاملة من المطالب الشعبية لم تتم تلبيتها حتى الآن ... ان المسائل المتعلقة بالصلح والارض واشاعة الديمقراطية فى الجيش يجب ان توضع بشكل لا يكون فيه لى جندى ولاى عامل ولاى فلاح ادنى شك فى ان الحكومة تسعى بحزم وتصميم للوصول الى الحل الفعلى لهذه المسائل ...»

اننا نحن والمناشفة غير راغبين فى احداث ازمة وزارية . ونحن مستعدون للدفاع عن الحكومة الموقته بكل قوانا وحتى النقطة الاخيرة من دمننا ، هذا اذا ما عبرت الحكومة عن موقفها من جميع هذه المسائل الملحة باقوال دقيقة واضحة ينتظرها الشعب بفارغ الصبر ...» .

ثم خطب مارتوف ، وهو يزخر بالغضب :

«ان كلمات رئيس الوزراء ، الذى سمح لنفسه بالحديث عن حركة السواد ، فى حين ان المسألة هى مسألة حركة قسم كبير

من البروليتاريا والجبش ، رغم كونها توجه نحو هدف خاطئ ،
انما هي كلمات تدعو الى الحرب الاهلية » . (تصفيق من اليسار) .
وقد اقر صيغته الانتفال ، المفروحه من قبل اليسار . وكانت
عمليا بمثابة حجب للثقة عن الحكومة :

« ١ - ان العمل المسلح الذى يجرى الاستعداد له فى الايام
الاخيرة ، بهدف الاستيلاء على السلطة ، يهدد باثارة حرب اهلية ،
ويخلق ظروفا مؤاتية للقيام بالمجازر ولتعبئة القوى المضادة
للثورة من جماعة المثة السوداء وبؤدى لا محالة الى استحالة
انعقاد الجمعية التأسيسية ، والى كوارث حربيه جديدة والى
انهيار الثورة فى ظروف تثلل الحياه الاقتصادية ودمار البلاد
الكلى .

٢ - ان سبب نجاح التحريض المشار اليه يعود ، بالاضافة
الى الظروف الموضوعية الناجمة عن الحرب والخراب ، الى التأخر
فى اتخاذ اجراءات سريعة ، ولذلك فان من الضرورى قبل كل
شئ اصدار مرسوم بشأن وضع الارض تحت تصرف اللجان
الزراعية ، والعمل الحاسم فى مجال السياسة الخارجية ، مع الاقتراح
على الحلفاء باعلان شروط الصلح ومباشرة مفاوضات الصلح .

٣ - لا بد ، من اجل مكافحة مظاهر الفوضى المشتدة وقمع
المجازر ، من المبادرة فورا الى اتخاذ التدابير الرامية الى القضاء
عليها ، وتاليف لجنة الانقاذ العام فى بتروغراد لهذا الغرض من
ممثلى الادارة البلدية واجهزة الديموقراطيه الثورية ، تعمل بالتماس
مع الحكومة الموقتة ... » .

وطريف ان يلاحظ المرء ان هذا القرار قد صوت الى جانبه
المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ايضا ... الا ان كيرنسكى ،
حين علم بهذا ، استدعى اليه افكسنتييف للاستيضاح منه فى
قصر الشتاء . وقد صرح قائلا لافكسنتييف : « اذا كان هذا القرار

تعبيرا عن عدم الثقة بالحكومة الموقته ، فاني اقترح عليك تأليف وزارة جديدة» . واذ ذاك عمد الزعماء المساومون دان وغونز وافكسنتييف الى القيام بآخر «مساومة» لهم ... فوضحوا لكيرسكى ان هذا القرار لا يعنى انقادا لعمل الحكومة ...

في زاوية سارعى مورسكيا ونيفسكى كانت فصائل من الجنود المسلحين بالبنادق المسرعة الحراب توقف جميع السيارات الخاصة ، وتنزل منها ركابها ، وتبعت بالسيارات الى قصر الشناء . وكان جمهور غفير قد تجمع ليراقبهم . وما كان احد يعرف ما اذا كان هؤلاء الجنود تابعين للحكومة الموقته ام للجنة العسكرية الثورية . وهذا ما كان يجرى ايضا مقابل كاتدرائية قازان . وكانت السيارات ترسل من هناك صعدا في شارع ليفسكى . وفجأة طهر خمسة - ستة من البحارة ، متسكبين بنادقهم . وكان مكنوبا على اشرطة قبعاتهم البحرية «افرورا» («الفجر») و«زاريسا سفوبودى» («فجر الحرية») - وهما اسما الطرادين البلشفيين الاكثر شهرة في اسطول البلطيق . وقال احد البحارة : «كرونشادت قادمة!» ... فكان هذا القول يعنى 'كما لو قيل في باريس سنة ١٧٩٢ بان : «اهالى مارسيليا قادمون!» فقد كان في كرونشادت ٢٥ الف بحار ، وكانوا جميعا بلاشفة عن اقتناع ، مسنعين لمواجهة الموت .

وكانت جريدة «رابوتشى اى سولدات» («العامل والجندي») قد صدرت . وكان يشغل كامل صفحتها الاولى نداء مطبوع بحرف ضخمة :

«ايها الجنود ! ايها العمال ! ايها المواطنون !

ان اعداء الشعب قد شنوا الهجوم ليلا . والكورنيلوفون في الاركان العامة يحاولون استدعاء اليونكر وكتائب الصدام من

الضواحي . ان اليونكر في اورابنسباوم وجنود الصدام في
نسارسكوبه سيلو قد رفضوا ان يلبوا النداء . ويجرى الاستعداد
لانزال ضربة غادرة بسوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود . . .
ان حملة المتآمرين المعادين للثورة موجهة ضد مؤتمر السوفييتات
لعامة روسيا عشية افتتاحه ، وضد الجمعية التأسيسية ، وضد
الشعب . ان سوفيت بتروغراد لنواب العمال والجنود يقوم على
حماية الثورة . واللجنة العسكرية الثورية تتولى صد ضغط
المتآمرين . ان حامية بروغراد وبروليتاريها بأسرهم على استعداد
لانزال ضربة قاضية باعداء الشعب .

ان اللجنة العسكرية الثورية تأمر بما يلي :

١ - على جميع لجان الافواج والسرايا والمفاز ، وكذلك
مفوضى السوفييت ، وجميع المنظمات الثورية ان تظل مجتمعة
باستمرار ، وان تجمع في ابيديها كافة المعلومات عن خطط
المتآمرين واعمالهم .

٢ - لا يجوز لاي جندي ان يغادر وحدته العسكرية بدون
اذن من اللجنة .

٣ - ينبغي على كل وحدة عسكرية ارسال ممثلين عنها الى
معهد سمولني على الفور ، وكذلك خمسة ممثلين عن كل سوفييت
منطقي .

٤ - ابلاغ معهد سمولني فوراً عن جميع اعمال المتآمرين .
٥ - جميع اعضاء سوفييت بتروغراد وجميع مندوبى مؤتمر
السوفييتات لعامة روسيا مدعوون فوراً الى معهد سمولني الى
الاجتماع فوق العادة .

ان الثورة المضادة قد رفعت رأسها المجرم .

ان خطراً عظيماً يهدد جميع مكتسبات وآمال الجنود والعمال
والفلاحين . ولكن قوى الثورة تفوق بما لا يقاس قوى اعدائها .

ان قضية الشعب في ايد حازمة متينة . ولسوف يتم سحق
المتآمرين .

لا تردد ولا شكوك ! الحزم والصلابة والانضباط والتصميم !
عاشت الثورة !

اللجنة العسكرية الثورية»

كان سوفيييت بتروغراد منعقدا باستمرار في سمولني ، مركز
العاصفة . وكان المندوبون ينامون على الارض ثم يستيقظون
للاشتراك فورا في المناقشات . وكان كل من تروتسكي وكامينيف
وفولودارسكي يتكلمون ما يتراوح بين ٦ و ٨ و ١٢ ساعة يوميا .
وقد نزلت الى الطابق الاول ، الى الغرفة رقم ١٨ ، حيث كان
المندوبون البلاشفة يعقدون اجتماعا . كان ثمة صوت اجش يندفع
بشدة وبحزم لخطيب حجه الجمهور عني : «يقول المساومون
اننا معزولون . فلا تكثرثوا بهم ! سيضطرون آخر الامر الى ان
يسيروا خلفنا والا فقدوا اتباعهم ...»

ولوح الخطيب عاليا بقطعة من الورق : «ها نحن نجرهم
وراءنا ! لقد جاء للتو مندوبون من المناشفة ومن الاشتراكيين-
الثوريين . يقولون انهم يشجبون اعمالنا ، ولكن اذا ما هاجمتنا
الحكومة فانهم لن يحاربوا قضية البروليتاريا !» فانطلقت عاصفة
مدوية من الهتافات الحماسية ...

ومع حلول الليل امتلأت القاعة الكبرى بالجنود والعمال ،
بجمهور حاشد رمادي تلفه سحابة زرقاوية من دخان التبغ .
واخيرا قررت التسليك السابقة الترحيب بمندوبي المؤتمر الجديد
الذي سيؤدي الى هلاكها ، وربما الى هلاك النظام الثوري الذي

اقامته . على ان اعضاء التسيك هم وحدهم الذين كان لهم حق التصويت في هذا الاجتماع .

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل حين ترأس غوتز الاجتماع ، وصعد دان الى المنبر في جو من الضمت المترتر يكاد فيما بدا لي ان يكون منذرا . فبدأ الكلام قائلا :

« ان اللحظة التي نجتازها تصطبغ بلون فاجع للغاية . فالعدو على ابواب بتروغراد ، وقوى الديموقراطية تحاول تنظيم المقاومة ، ونحن في هذا الوقت نتوقع ان تشفك الدماء في شوارع العاصمة ، والجوع يهدد لا بالقضاء على حكومتنا وحسب ، بل وعلى الثورة نفسها ايضا ...

ان الجماهير منهوكة القوى ومرهقة ؛ ولا تبدى اى اهتمام بالثورة . واذا باشر البلاشفة عملا ما فسيكون ذلك نهاية الثورة . (صيحات : « كذب ! ») واعداء الثورة لا ينتظرون الا البلاشفة لكي يباشروا اعمال التذبيح والقتل ... واذا ما حدث اى عمل من اعمال العنف ، فلن تكون ثمة جمعية تأسيسية ... (صياح : « كذب ! يا للعار ! »)

من غير الجائز اطلاقا ان ترفض حامية بتروغراد ، في منطقة العمليات العسكرية ، تنفيذ اوامر الاركان ... ان عليكم ان تطيعوا الاركان والتسيك المنتخبة من قبلكم . اعطاء السلطة كلها للسوفييتات انما هو الموت . ان الاشقياء واللصوص ينتظرون الفرصة المؤاتية لمباشرة اعمال النهب والحرق . وحين تطرح شعارات مثل « اقتحموا البيوت وانتزعوا الاحذية والملابس من البرجوازيين ! .. (صخب وصياح : « لم تكن ثمة مثل هذه الشعارات ! كذب ! كذب ! ») الامر سواء ، فقد يبدأ بشكل آخر ولكنه سينتهى هكذا !

ان التسيك تتمتع بسلطة التصرف الكاملة ، والجميع ملزمون بالخضوع لها . اننا لا نخشى الحراب ! ان التسيك ستحمى الثورة بجسدها ... (صيحات : « انها جثة هامة منذ وقت بعيد ! ») فكان صخب رهيب متواصل ، بالكاد كان يمكن من خلاله سماع صوت دان وقد توترت كل قواه وراح يصيح وهو يخطب على طرف المنبر بقبضته : « من يحض على هذا يرتكب جريمة ! » فانطلق صوت يقول : « منذ وقت بعيد ارتكبتم الجريمة ! لقد استلمتم السلطة وسلمتموها للبرجوازية ! » ودق غوتر بجرس الرئاسة قائلا : « اسكتوا ، والا فاني اخرجكم ! »

فصاح صوت : « حاول ! » . وكان ضرب بالايدي وصفير . واردف دان قائلا : « والآن انتقل الى سياستنا السلمية . (ضحك) . ان روسيا ، مع الاسف ، لا تستطيع متابعة الحرب . وسيكون صلح ، الا انه صلح غير دائم ، ولا ديموقراطي ... واليوم اقررنا في مجلس الجمهورية ، رغبة في تجنب سفك الدماء ، صيغة الانتقال التي تقضى بتسليم الارض للجان الزراعية والمباشرة بمفاوضات للصلح على الفور . (ضحك وصيحات : « فات الاوان ! ») . واعتلى المنبر تروتسكى ممثلا عن البلاشفة ، فاستقبل بتصفيق عاصف . وهب المجتمعون جميعا وقوا وهتفوا له . كان وجه تروتسكى النحيل الحاد التقاطيع يعبر عن سخرية خبيثة لاذعة . فشرع يقول :

« ان تاكتيك دان يبرهن على ان جمهورا - جمهورا واسعا ابله غير مبال - يمشى وراءه بقضه وقضيضه ! » . وكانت قهقهة صاخبة ... وبحركة درامية التفت الخطيب صوب الرئيس . « حين كنا نتكلم عن تسليم الارض للفلاحين ، كنتم تعارضون ذلك . وقد كنا نقول للفلاحين : اذا لم يعطوكم الارض فخذوها

بانفسكم ! والآن بات الفلاحون يعملون بنصيحتنا ، اما انتم
فتدعون الى ما كنا نتكلم عنه منذ ستة شهور خلت !

وانى لا اعتقد بان مُلّ كيرنسكى هى التى املت عليه الغاء
عقوبة الاعداد على الجبهة ، ففى اعتقادى ان حامية بتروغراد هى
التى اقنعتة عندما رفضت ان تطيعه ...

ان دان متهم اليوم بانه قد القى فى مجلس الجمهورية خطابا
نكشف من خلاله انه بلشفى متستر ... وسيأتى يوم يقول فيه
دان نفسه ان عصيان ٣ - ٥ تموز (يوليو) قد اشتركت فيه
زهرة الثورة ... وليس فى القرار المقدم اليوم من قبل دان الى
مجلس الجمهورية اية اشارة الى تعزيز الانضباط فى الجيش ، مع
ان هذا الامر يشغل مكانا هاما فى دعاية المناشفة ...

كلا ، ان تاريخ الاشهر السبعة الاخيرة يدل على ان الجماهير
قد تخلت عن المناشفة ! ان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين قد
انتصروا على الكاديت ، اما حين تسلموا السلطة ، فقد سلموها
للكاديت هؤلاء ...

يقول لكم دان ان ليس لكم الحق فى ان تقوموا بالعصيان .
ان العصيان حق لا ينقص عن كل ثورى . والجماهير المظلومة
حين تشور تكون دائما على حق ...»

ثم اخذ الكلام ليبر ذو الوجه الطويل واللسان السليط ،
فاستقبل بالسخرى والضحك . وقد قال :

« قال ماركس وانجلس ان البروليتاريا لا يحق لها استلام
السلطة ما لم تكن قد نضجت لذلك . واستيلاء الجماهير على
السلطة فى ثورة برجوازية كثورتنا ... يعنى النهاية الفاجعة
لثورة ... ان تروتسكى نفسه ، بوصفه نظريا اشتراكيا-
ديموقراطيا ، يعارض الامر الذى يدعوكم اليه الآن ...» (سياح :
« كفى ! ليسقط ! ») .

وبعد ذلك تكلم مارتوف ، فكان يقاطع دائما بالصياح . وقد قال : « ان الامميين لا يعترضون على تسليم السلطة للديموقراطية ، ولكنهم يشجبون الاساليب البلشفية . فليس الوقت الآن وقت استلام للسلطة ... »

وصعد دان الى المنبر من جديد ، فاحتج بشدة على اعمال اللجنة العسكرية الثورية التي بعثت بمفوض للاستيلاء على مكتب تحرير « الازفستيا » وللرقابة على هذه الجريدة . فاثار كلامه ضجة رهيبة . وحاول مارتوف الكلام ، الا ان صوته لم يكن يسمع . وهب المندوبون عن الجيش واسطول البلطيق من اماكنهم صائحين ان السوفييت هو حكومتهم .

ووسط فوضى هائلة اقترح ايرليخ * مشروع قرار يناشد العمال والجنود المحافظة على الهدوء وعدم الاصغاء الى الاستفزازيين الداعين الى التظاهر ، ويعترف في الوقت نفسه بضرورة تأليف لجنة الامن العام في الحال ، وكذلك بان تصدر الحكومة الموقته في القريب العاجل قانونا بشأن تسليم الارض للفلاحين ، وفتح مفاوضات للصلح ...

وهنا وثب فولودارسكى صائحا بحدة ان التسيك لا يحق لها ان تمارس وظائف مؤتمر السوفييتات عشية موعد انعقاده . واعلن فولودارسكى قائلا : ان التسيك ميتة ، عمليا ، وليس مشروع القرار هذا سوى مناورة ترمى الى انعاش سلطتها المتداعية ...

« اننا نحن البلاشفة لن نصوت لمشروع القرار هذا ! » وعلى اثر هذا غادر البلاشفة قاعة الاجتماعات ، وجرى اقرار مشروع القرار ...

* ايرليخ ، هو احد زعماء المناشفة . المحرور .

وحوالى الساعة الرابعة صباحا التقيت بزورين فى الفسحة .
ومن كتفه تتدلى بندقية . وقد قال لى بلهجة هادئة ولكن بارتياح :
- بدأنا العمل ! ٧ وقد اعتقلنا مساعد وزير العدالة ووزير
الاديان . وهما الآن فى القبو . تحرك فوج واحد للاستيلاء على
مركز الهاتف ، وآخر ذاهب للاستيلاء على دائرة البرق ، وثالث
على بنك الدولة . ونزل الحرس الاحمر الى الشارع ...
وعلى ادراج سمولنى ، فى العتمة الباردة ، رأينا للمرة الاولى
الحرس الاحمر ، وهم جماعة من الفتيان بملابس العمال . كانوا
يحملون بايديهم بنادق مشرعة الحراب ويتكلمون فيما بينهم
بعصبية .

ومن بعيد ، من الغرب ، من فوق الاسطحة الصامتة ، وصلت
الى المسامع اصوات طلقات نار . انها قوات اليونكر كانت
تحاول فتح الجسور على نهر النيفا بغية عدم تمكين العمال والجنود
فى حى فيبورغ من الانضمام الى قوات السوفييت المسلحة الموجودة
فى الجانب الآخر من النهر ، فى حين كان بحارة كرونشتادت يغلقونها
من جديد ...

ومن ورائنا كانت بناية سمولنى الضخمة تتألق بالانوار
وتعج كقفير النحل ...

الفصل الرابع سقوط الحكومة الهوقية

يوم الاربعاء ، في السابع من تشرين الثاني - نوفمبر (٢٥ تشرين الاول - اكتوبر) استيقظت من نومى في وقت جد متأخر . وحين نزلت الى شارع نيفسكى كان مدفع نصف النهار يدوى في قلعة بطرس وبولس . وكان النهار رطباً بارداً . ومقابل باب بنك الدولة المقفل كان يقف عدة جنود يحملون بنادق مشرعة الحراب . سألتهم : « الى اية جهة تنتمون ؟ هل انتم مع الحكومة ؟ » فاجاب جندى بابتسامة : « لم يعد للحكومة وجود ! والحمد لله ! » وهذا كل ما استطعت ان اعلم منه .

كانت عربات الترام تجرى على عاداتها في شارع نيفسكى وبجميع منافذها كان يتشبث رجال ونساء واولاد . وكانت المخازن مفتوحة ، وعلى العموم كان يبدو على الشارع وكأنه اكثر هدوءا مما كان في العشية . واثناء الليل كانت الجدران قد تغطت ببيانات ونداءات جديدة تحذر من العصيان . وقد كانت موجهة الى الفلاحين وجنود الجبهة وعمال بتروغراد . وهذا ما جاء في احد البيانات :

« من الدوما البلدى لبتروغراد »

ان الدوما البلدى يحيط المواطنين علما بانه قد شكل في جلسته الاستثنائية المنعقدة في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) لجنة

سلامة عامة مؤلفة من نواب الدوما المركزي ومجالس الدوما في الاحياء ومن ممثلى المنظمات الديموقراطية الشوريه التالية : اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب العمال والجنود ، واللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين لعامة روسيا ، ومنظمات الجيش ، والتسنزوفلوت ، وسوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود ، وسوفييت الاتحاد المهني وغيرها .

وستكون مناوبة اعضاء لجنة السلامة العامة في مبنى الدوما البلدى . ارقام الهواتف للاستعلامات ٤٠-١٥ ، ٧٧-٢٢٣ ، ٣٦-١٣٨ .

لم اكن قد ادركت بعد في تلك اللحظة ان بيان الدوما هذا انما كان اعلان حرب رسمى على البلاشفة .

اشتريت عدد جريدة «رابوتشى بوت» ، وهى على ما يبدو الجريدة الوحيدة التى كانت معروضة للبيع ، وبعد ذلك بقليل تمكنت من شراء عدد مقروء من جريدة «دين» من احد الجنود بخمسين كوبكا . كانت الجريدة البلشفية ، وقد طبعت على صفحات كبرى فى مطبعة «روسكيا فرليا» («ارادة روسيا») المصادرة ، تحمل هذا العنوان الضخم : «كل السلطة لسوفييتات العمال والجنود والفلاحين ! السلم ! الخبز ! الارض !»

وكان المقال الافتتاحى يحمل توقيع زينوفييف * الذى اضطر للاختباء مثل لينين ايضا . وهذا مطلع المقال :

«لا يمكن لكل جندى ، ولكل عامل ، ولكل اشتراكى حقيقى ، ولكل ديموقراطى شريف الا ان يرى ان الصدام الثورى الناضج يتطلب حلا قوريا .

* غير صحيح . فالمقال انشأه اليه ، المنشور فى «رابوتشى بوت» بتاريخ ٧ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٥ تشرين الاول - اكتوبر) ١٩١٧ لم يكن مؤثرا . وكاتبه غير معروف . المحرر .

إما - وإما .

إما ان تنتقل السلطة الى ايدى عصابة البرجوازيين والملاكين العقاريين ، واذا ذاك يعنى هذا ... حملة دامية من اعمال التنكيل تشمل روسيا كلها ... تسفك دماء الجنود والبحارة والفلاحين والعمال في جميع ارجاء البلاد . واذا ذاك يكون هذا استمرارا للحرب النكراء ، واذا ذاك يكون هذا موتا وجوعا لا مفر منهما . وإما ان ننتقل السلطة الى ايدى العمال والجنود والفلاحين النوريين ، واذا ذاك يعنى هذا القضاء التام على طغيان كبار الملاكين العقاريين ، ولجم الرأسماليين على الفور ، وعرض الصلح العادل في الحال . واذا ذاك سيؤمن الارض للفلاحين ، واذا ذاك ستؤمن الرقابة على المعامل ، واذا ذاك سيؤمن الخبز للجياع ، واذا ذاك ستكون بهاية المجزرة الخرقاء ... » .

وكانت جريدة «ديين» («الهار») تحمل انباء متفرقة عن احداث الليلة العاصفة . البلاشفة استولوا على مركز الهاتف ، ومحطة البلطيق ، ومركز البرق ؛ يونكر بزهوف عاجزون عن بلوغ بزوغراد ؛ القوزاق مرددون ؛ اعتقل عدة وزراء ؛ قتل رئيس ميليشيا البلدية ميير ؛ اعتقالات واعتقالات مضادة ، مناوشات بين دوريات الجنود واليونكر والحرس الاحمر ...

التقيت في منعطف مorskaya بالمنشفي-الدفاعي النقيب غومبرغ ، امين الفرع العسكري لحزبه . وحين سألته عما اذا كان قد جرى عصيان فعلا ، اكتفى بان شال بكتفيه في اعياء : «علم ذلك عند الشيطان ! .. وماذا ؟ ربما يستطيع البلاشفة الاستيلاء على السلطة ، ولكنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بها اكثر من ثلاثة ايام . فليس لديهم اناس قادرين على ادارة البلاد . قد يكون الافضل افساح المجال لهم للتجربة : وهذا ما سيقضى عليهم ... » . كان البحارة المسلحون يطوقون الفندق العسكري في زاوية

ساحة ايساكيفسكى . وفى الفسحة كان يجتمع عدد كبير من الضباط الشبان الانيقين ، يروحون ويحيئون ، ويتهايمسون فيما بينهم . وكان البحارة لا يسمحون لهم بالخروج الى الشارع . وفجأة لعلت فى الشارع طلقة نار مدوية ، وبدأ تبادل شديد فى اطلاق النار . فهرعت خارجا . كان يجرى من حول قصر مارى ، حيث كان يجتمع مجلس الجمهورية الروسية ، امر غير مألوف . ومن اقصى الساحة حتى اقصاها كان ثمة صف من الجنود متاهبين لاطلاق النار ، ومحدقين بسطح الفندق . صاح احدهم :

«استفزاز ! انهم يطلقون النار علينا !»

وهرع جندى آخر الى المدخل .

كالت تقف قرب زاوية القصر الغربية مصفحة كبيرة عليها علم احمر وقد كتبت عليها حديثا باللون الاحمر الاحرف التالية : «س . ن . ع . ج . ٥» (سوفيت نواب العمال والجنود) . وكانت جميع رشاشاتها مصوبة الى كاندراية ايساكيفسكى (القديس اسحق) . وكان متراس قد اقيم عبر شارع «نوفيا اوليتسا» («الشارع الجديد») من براميل وصناديق ورفاس سرير وعربة ترام مقلوبة . وفى آخر رصيف مويكا كان يقوم متراس من اكوام الحطب المجلوبة من مستودع مجاور والموضوعة على طول البناية فشكلت استحكما .

فسألت : «وهل سيجرى هنا قتال ؟»

فاجاب جندى بعصبية : «قريبا ، قريبا ! مر ، يا رفيق ، وإلا اصابتك رصاصة ! هاك ، من هذه الجهة سيأتون . . .» - قال هذا وأشار الى ناحية الاميرالية (مقر القيادة البحرية) .

«ومن سيأتى ؟»

فاجاب ثم بصق : «هذا ، يا اخ ، ما لا استطيع قوله» .

وقرب مدخل القصر كان يقف حشد من الجنود والبحارة .
وكان احد البحارة يتحدث عن نهاية مجلس الجمهورية الروسية ،
قائلا : « دخلنا فاحتلنا مع رفاقنا جميع الابواب . تقدمت من
الكورنيلوفى المعادى للثورة ، الذى كان يجلس فى سدة الرئاسة ،
فقلت له : لم يعد لمجلسكم وجود . فانصرف الى بيته ! »

فانطلق الجميع يضحكون . ولوحت بمجموعة من الاوراق
المتنوعة وتمكنت من بلوغ باب قسم الصحافة . فوقفنى هنا بحار
جسيم مبتسم . فابرت له بطاقة الاذن بالدخول ، ولكنه اجاب :
« لن تمر ، يا رفيق ، ولو كنت القديس ميخائيل بالذات » . وعبر
زجاج الباب لمحت الوجه المنقبض وحركات اليدين لمراسل فرنسى
محتجز فى الداخل .

وعلى مقربة من هناك كان يقف رجل قصير القامة اشيب
الشاربين يرتدى بزة جنرال ، يحيط به جمع من الجنود كان وجهه
شديد الاحمرار . وقد كان يصيح :

« انا الجنرال اليكسييف ! بصفى رئيسا لكم ، وبصفى عضوا
فى مجلس الجمهورية ، آمركم بان تخلوا سبيلى ! »

حك الخفير رأسه وراح يتطلع باضطراب الى جميع الجهات ،
واخيرا اشار الى ضابط مقبل نحوه ، فانفعل هذا شديد الانفعال
حين علم من المتكلم معه ، وبدأ باداء التحية العسكرية . وتمثم
قائلا كان الامر يجرى فى ظل النظام القديم :

« ممنوع قطعاً ، يا صاحب السعادة ، اندخول الى القصر ... »

ليس لى حق ... »

واقبلت سيارة لمحت فيها غوتز ضاحكا . كان يبدو ان كل
ما يجرى جد مفرح له . وما هى الا بضع دقائق حتى جاءت سيارة
اخرى . كان ثمة جنود مسلحون جالسون فى المقعد الامامى منها .
ومن ورائهم كان يرى اعضاء الحكومة الموقته المعتقلون . وكان

عضو اللجنة العسكرية الثورية اللاتفى بيترس يجتاز الساحة
مسرعاً . فقلت له مشيراً الى المعتقلين :

« كنت اعتقد انكم اعتقلتم جميع هؤلاء السادة في هذه الليلة » .
فقال وفي صوته نبرة من خيبة الامل : « ايه ! اولئك الحمقى
اخلوا سبيل معظمهم قبل ان نقرر كيف ينبغي ان نعاملهم ... »
وعلى طول جادة فوزنيسنسكى كان يحتشد جمهور غفير من
البحارة ، وعلى مد البصر كانت ترى من خلفهم مواكب زاحفة من
الجنود .

وسرنا في جادة ادميرال تيسكى نحو قصر الشتاء . وقد كانت
جميع الدروب المؤدية الى ساحة القصر تحت حراسة الخفراء ،
واما الجانب الغربى من الساحة فكان يسده صف من القوات المسلحة
يزحمه جمهور غفير من الناس . وكان الجميع محافظين على الهدوء ،
خلا بعض الجنود الذين كانوا يحملون الاخشاب من بوابة القصر
ويصفونها امام المدخل الرئيسى .

لم يكن فى وسعنا قط معرفة ما اذا كان الخفراء تابعين
للحكومة ام للسوفييت . ولم تكن اورافنا من سمولنى ذات نفع .
واذ ذاك جئنا من الطرف الثانى من الصف وتكلفنا العظمة ونحن
نظهر جوازتنا الاميركية : « بمهمة رسمية ! » ، وتسللنا الى الداخل .
وفى مدخل القصر استلم منا المعاطف والقبعات بسادب اولئك
البوابين الشيوخ انفسهم بجزائهم الزيق ذات الازرار النحاسية
وياقاتهم الحمر ذات الاشرطة الذهبية . وصعدنا السلم . وفى الممر
المعتم الكئيب ، الخالى من السجاد ، كان بعض الخدم الشيوخ
يتسكعون بدون هدف . وعند باب مكتب كيرنسكى كان يتمشى
ضابط شاب ، وهو يقرض شاربيه . فسألناه اذا كان فى الامكان
اجراء مقابلة صحفية مع رئيس الوزراء . فالحنى ووقف وقفة
رسمية ، واجاب بالفرنسية :

«مع الاسف ، لا يمكن . الكسندر فيدوروفيتش جد مشغول ...- وتطلع ايننا لحظة ثم اضاف :- الواقع انه غير موجود هنا ...»

«واين هو اذن ؟»

«ذهب الى الجبهة . وقد اعوزه البنزين للسيارة ، فاضطرونا لاقتراضه من المستشفى الانكليزي» .

«وهل الوزراء هنا ؟»

«اجل ، انهم مجتمعون في احدى الغرف ، لا اعرف بالضبط اين هي» .

«وهل سيأتى البلاشفة ؟»

«طبعاً ، سيأتون بدون شك ! انى انتظر في كل دقيقة هاتفنا ينبىء بانهم قادمون . ولكننا مستعدون ! القصر بحراسة اليونكر . انهم هنا خلف هذا الباب» .

«وهل نستطيع الذهاب الى هناك ؟»

«كلا ، بالتأكيد ، كلا ! ممنوع ...» وفجأة شد على ايدينا وانصرف . ومضيينا نحو الباب المحرم وكان وسط حاجز مؤقت يقسم الغرفة الى قسمين . كان مغلقاً من جهتنا . ومن وراء الجدار كانت تترامى اصوات وضحكات غريبة الوقع في الصمت الثقيل المخيم على القصر الواسع القديم . فاقبل علينا حاجب عجوز .

«ممنوع الدخول الى هنا ، يا سيد !»

«لماذا اغلق الباب ؟»

فاجاب : «لكى لا يخرج الجنود» . وقال بعد بضع دقائق انه راغب في شرب كاس شاي ، وانصرف . ففتحنا الباب . وكان في العتبة خفيران ، الا انهما لم يقولوا لنا شيئاً . وكان الممشى يؤدي الى غرفة كبيرة ثرية الزينة ذات اطناف ذهبية فيها ثريات ضخمة من الكريستال . وبعد ذلك جملة من الغرف اصغر منها ذات جدران

من الخشب القائم . وعلى جانبي الارضية الخشبية ، صفوف من الفراش والاعطية المتسخة وقد تمدد عليها بعض الجنود . وفي كل مكان اعقاب سكاير وكسرات خبز وثياب مطروحة وزجاجات فارغة كانت تحتوى على خمور فرنسية غالية . وراح يتجمع حولنا باطراد عدد متزايد من الجنود لهم كتافيات اليونكر الحمراء الموشاة بالذهب . كان الجو الخانق من دخان التبغ ورائحة الاجسام البشرية الوسخة يحبس الانفاس . وكان احد رجال اليونكر يحمل في يده زجاجة من نبيذ بورغون الابيض ، وبديهي انه اخذها من اقبية القصر . وكان الجميع ينظرون الينا بدهشة ، واما نحن فكنا نمر بهم غرفة اثر اخرى حتى وصلنا الى سلسلة من القاعات الرسمية الكبرى ، تطل نوافذها العالية الوسخة على الساحة . وعلى الجدران كانت معلقة لوحات ضخمة ضمن اطارات ثقيلة مذهبة ، تمثل مواضيع ومعارك تاريخية : « ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨١٢ » ، « ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٨١٢ » ، « ١٦ - ٢٨ آب (اغسطس) ١٨١٣ » . وكانت احدى هذه اللوحات ممزقة من زاويتها العليا اليمنى .

كان المبنى كله قد تحول الى فكنة ضخمة ، ويدل حال الجدران والارض على ان هذا التحول قد جرى منذ بضعة اسابيع . وقد اقيمت رشاشات على مصاطب النوافذ ، ونصبت بين الافرشة اهرامات من البنادق .

وفيما كنا نطلع الى اللوحات فاحت فجأة بالقرب منى رائحة كحول وسمعت صوتا يقول بلغة فرنسية سيئة الا انها طليقة : « من نظرتكم الى اللوحات ارى انكم اجانب ... » . واذا نحن حيال رجل قصير القامة مكتنز الجسم . وحين رفع قبعته ، لاحت لنا صلعته . « اميركيون ؟ لنا غاية الشرف ! . الرئيس فلاديمير ارتسيباشيف . كليا في خدمتكم ... »

كان يبدو انه لم يجد قط من المستغرب ان نكون نحن الاجانب الاربعة ، وبيننا امرأة ، نتمشى في مواقع فضيلة تنتظر الهجوم . واخذ يتشكى من وضع الامور في روسيا ، قائلا :

« ليست القضية قضية بلاشفة وحسب . انما المصيبة ان تقاليد الجيش الروسى النبيلة قد انهارت . تدللوا الى ما حولكم : انهم جميعا من اليونكر ، ضباط المستقبل ... فهل تراهم نبلاء ؟ لقد فتح كيرنسكى المدارس الحربية لجميع الراغبين ، لكل جندي يستطيع اجتياز الفحص . ومن الطبيعى ان نجد العديد ، العديد بينهم ممن انتقلت اليهم عدوى الروح الثورية ... »

وفجأة ، وبدون اى ترابط ، اخذ يتكلم عن موضوع آخر : « انى لشديد الرغبة بمغادرة روسيا . وقد قررت الانخراط في الجيش الاميركى ... فهلا تتفضلون بمساعدتى في هذا الامر لدى قنصلكم ؟ ساعطيكم عنوانى » .

ورغم احتجاجاتنا ، كتب بضع كلمات على قطعة ورق ، وبدا انه شعر على الفور بمزيد من الانشراح . وقد احتفظت بالورقة التى كتبها : « المدرسة الثانية للضباط في اورانيينباوم . بترهوف القديمة » .

وتابع يقول وهو يسير بنا عبر الغرف ويقدم الايضاحات : « كان لدينا استعراض صباح اليوم . وقد قررت الكتيبة النسائية المحافظة على اخلاصها للحكومة » .

« يعنى هذا ان فى القصر جنودا من النساء ؟ »

« اجل ، انهن فى الغرف الخلفية . فاذا ما حدث شىء فسيكن

هناك فى امان » . وتنهى . « يالها من مسؤولية جسيمة ! »

وقفنا قليلا قرب النافذة ننظر الى ساحة القصر ، حيث تصطف ثلاث سرايا من رجال اليونكر بمعاطفهم الرمادية الطويلة . وكان يصدر الاوامر اليهم ضابط طويل القامة يبدو عليه النشاط ، عرفت

فيه كبير المفوضين العسكريين لدى الحكومة الموقرة ستانكيفيتش . وبعد بضع دقائق تنكبت سريتان السلاح بجلبة واجتازت صفوفهما المتماوجة الساحة ، موزونة الخطوات ، ومرتا من تحت القوس الاحمر * ، وغابتا عن الانظار ، ماضيتين باتجاه المدينة الصامتة . وسمع صوت يقول : «ذهبوا لاحتلال مركز الهاتف !» . كان يقف بالقرب منا ثلاثة من اليونكر . فشرعنا نتحدث معهم . وقد قالوا لنا انهم في الاصل من الجنود ، وذكروا اسماءهم : روبرت اوليف ، واليكسى فاسيلنكو ، والاستوني ايرني ساكس . وقد باتوا الآن غير راغبين في ان يكونوا ضباطا لأن الضباط في اقصى درجة من انعدام الشعبية . والظاهر انهم كانوا لا يعرفون ماذا ينبغي لهم ان يفعلوا . وكان جليا انهم على درجة كبيرة من عدم الارتياح .

ولكنهم اخذوا بعد قليل يتبعجون : « فليدس البلاشفة ائوفهم فقط ، ولسوف نريهم كيف نحارب ! انهم لا يجسرون على مهاجمتنا ، فهم جميعا جناء ... ولكن اذا ما تغلبوا علينا ، فان كل واحد منا يحتفظ بالرصاص الاخرة لنفسه ... » .

في تلك اللحظة بدأ تبادل اطلاق النار في مكان ليس بعيد . فاذا بجميع الناس في الساحة يتشتتون . وانبطح كثيرون على الارض . وكان ثمة جوذيون واقفون في منعطفات الشوارع فانطلقوا بمجلاتهم في جميع الاتجاهات . وقامت جلبة رهيبة . وراح الجنود يعدون مقبلين مدبرين ، يحملون النادق ويصيحون : « جاؤوا ! جاؤوا ! » . ولكن ما هي الا بضع دقائق حتى هدا كل شيء . وعاد الحوزية الى اماكنهم ، وهب الناس المنبطحون يقفون على اقدامهم . وظهر رجال اليونكر تحت القوس الاحمر . لم يكونوا يسيرون سيرا منتظما تماما ، وكان احدهم يتكى على ساعدى اثنين من رفاقه .

* تحت قوس رئاسة الاركان . المحرر .

وحين غادرنا القصر ، كان الوقت متأخرا بعض الشيء . وقد
اختفى جميع خفراء الساحة وبدأت البنايات الحكومية المنتصبة في
نصف دائرة واسعة ، مهجورة ، فذهبنا لتناول العشاء في « اوتيل
دو فرانس » . وما كدنا نبدأ بشرب الحساء حتى اقبل علينا نادل
شاحب الوجه الى حد رهيب ، والح علينا ان نذهب الى القاعة
الرئيسية المطلية بنوافذها على الردهة : فلا بد من اطفاء النور في
المقهى المطل على الشارع . وقال لنا : « سيجرى اطلاق نيران
عنيف » .

وخرجنا الى شارع مورسكيا من جديد . وكان الظلام مطبقا ،
فيما عدا مصباح واحد شحيح الضوء عند شارع نيفسكي .
وتحت المصباح تقف مصفحة كبيرة يهدر محركها وينفث دخان
البنزين . والى جانبها يقف احد الصبية متطلعا الى فوهة الرشاشة .
ومن حولها يحتشد جنود وبحارة ، ينتظرون كما يبدو شيئا ما .
ذهبنا الى قوس الاركاب العامة . وكان ثمة جماعة من الجنود
ينظرون الى قصر الشتاء المشعشع بالانوار ويتحداثون فيما بينهم
باصوات مرتفعة . وكان احدهم يقول :

« كلا ، يا رفاقي ، كيف يمكن ان نطلق النار عليهم ؟ فشمه
الكتيبة النسائية ! وسوف يقولون اننا نطلق النار على النساء
الروسيات ... »

وحين ذهبنا الى شارع نيفسكي كانت تجري مصفحة اخرى
قادمة من وراء منعطف الشارع . وقد اخرج احد الرجال رأسه من
برجها وصاح :

« الى امام ! هيا الى الهجوم ! »

واقبل سائق مصفحة اخرى وصاح بصوت غطى على هدير
السيارة :

«اللجنة امرت بالانتظار ! عندهم مدفعية مخفية خلف اكوام
الخطب !...»

لم تكن عربات الترام تسير هنا ، وكان ثمة قليل من المارة ،
واما النور فلا وجود له البتة . ولكن كان في الوسع بعد اجتياز عدة
بيوت فقط رؤية عربات الترام وحشود الناس وواجهات المخازن
المشعشة بالنور والاعلانات الكهربائية لدور السينما . فقد كانت
الحياة جارية في مسراها الطبيعي . وكانت لدينا بطاقات الى مسرح
مارينسكى ، للباليه (كانت جميع المسارح مفتوحة) . ولكن ما
كان يجري في الشارع كان اكثر اثارة للاهتمام .

وقد تغثرنا في الظلمة باكوام الخشب التي تسد جسر البوليس ،
وقرب قصر ستروغانوف رأينا بضعة من الجنود ينصبون مدافع
من عيار ثلاث بوصات . وكان ثمة جنود آخرون ، بملابس مختلف
الوحدات ، يروحون ويجيئون متسكعين بدون هدف ، يتبادلون
فيما بينهم احاديث لا نهاية لها ...

وفي شارع يفسكى ، كان يبدو كأن المدينة كلها تترقق
هناك . فلدى كل زاوية كانت تقف جموع ضخمة محيطة باناس
يتناقشون بحماسة وحرارة . وفي نقاط تلاقي الشوارع تقف
دوريات يتالف كل منها من اثني عشر جنديا يحملون بنادق مشرعة
الحراب ، في حين يتوعددهم الشيوخ ذوو الوجوه الحمر ومعاطف
الفراء الثمينة بتلويع قبضاتهم ، والنسوة الانيكات يمتطرونهم
بالشتائم . وكان الجنود يجيبون بكثير من الامتعاض ويبتسمون
بارتباك . وفي الشارع كانت تسير مصفحات ما تزال مرئية عليها
الاسماء القديمة : «اوليخ» ، «ريوريك» ، «سفياتوسلاف» ،
وهي جميعها اسماء امراء روس قدامى . وقد كتبت فوقها بخط
كبير احمر الاحرف الاولى لاسم «حزب العمال الاشتراكي
الديموقراطي الروسي» . وظهر بائع صحف في جادة ميخائيلوفسكى

فاندفع نحوه الجمهور بشكل جنوني ، عارضا شراء العدد بروبيل ، وخمسة روبلات ، وعشرة روبلات ، وافراده ينتزعون الجرائد بعضهم من بعض . كانت تلك جريدة « رابوتشى اى سولدات » . تعلن انتصار الثورة البروليتارية واطلاق سراح المعتقلين البلاشفة ، وتدعو قطعات الجبهة والمؤخرة الى مساندة الانتفاضة . . . ولم يكن هذا العدد المحموم يحتوى الا على اربع صفحات مطبوعة باحرف ضخمة . ولم تكن ثمة اية اخبار .

وفى ناحية شارع سادوفيا كان يحتشد قرابة الفى مواطن . وكان الجمهور يحتق بسطح دار عالية حيث وميض شرارة حمراء تشتعل حيناً وتنطفئ حيناً آخر . وقد قال فلاح طويل القامة ، مشيراً الى الشرارة :

« انظر ، هناك استفزازى ، الآن سيطلق النار على الشعب . . . » . وكان ظاهراً ان احد لم يفكر فى التحقيق بالامر . حين وصلنا الى سمولنى كانت واجهته الضخمة تشع بالانوار . ومن جميع الشوارع كان يتجه اليه الناس افواجا افواجا مسرعين وسط الظلام والعتمة . والسيارات والدراجات النارية تروح وتجى . ومن البوابة كانت تنطلق مصفحة ضخمة رمادية اللون يخفق فوقها علمان احمران ، وتطلق صفارتها . كان الجو بارداً ، ورجال الحرس الاحمر الذين يخفرون المدخل يتدفاون قرب النار . وكانت ثمة نار موقدة عند البوابة الداخلية ايضا ، وعلى ضوئها قرأ الخفراء ببطء بطاقات الاذن بالدخول التى كنا نحملها وتطلعوا اليها من رؤوسنا الى اخامص اقدامنا . وعلى جانبى المدخل اقيمت الرشاشات وقد نوزعت اغطيتها ، وتدلّت احزمة ذخيرتها كالافاعى . وكانت ثمة مصفحات كثيرة مصفوفة تحت اشجار الحديقة فى الفناء ، ومحركاتها تهدر . وكانت القاعات الرجة الخاوية الضعيفة الاضاءة تدوى بخبط الجزمات الثقيلة وبالصيحات والكلام . . . وكانت الحالة

النفسية حازمة . والسلام كلها ملائى بالجموع : كان ثمة عمال ذوى قمصان سوداء وقبعات من الفراء سود ، يتنكب الكثيرون منهم البنادق ، وجنود يلبسون معاطف بلون الوحل ويعتمدون بقبعات رمادية من الفراء . ووسط هؤلاء الناس جميعا كان لوناتشارسكى وكامينيف ، المعروفان لدى الكثيرين ، يسرعان ، ماضيين الى جهة ما . . . وكنا يتكلمان فى وقت واحد . ووجهاهما يعروهما القلق ، وكل منهما يتأبط محفظة زاحرة بالاوراق . وكان اجتماع سوفيت بتروغراد قد انتهى . فاقففت كامينيف * ، وهو رجل غير طويل القامة ، سريع الحركات ، ذو وجه عريض ينم عن الحيوية ورأس يكاد يكون بدون رقعة . وبدون اية مقدمات ترجم لى الى الفرنسية القرار المتخذ للتو :

« ان سوفيت بتروغراد لنواب العمال والجنود يحيى الثورة المضفرة التى قامت بها بوليتاريا بتروغراد وحاميتها . وينوه السوفييت على الخصوص بما ابدته الجماهير من نلاحم وتنظيم وانضباط واجماع تام فى هذه الانتفاضة التى قل مثيلها من حيث عدم اراقة الدماء وقل مثيلها من حيث النجاح .

* كامينيف (روژنفلد) ل . ب . فى الحزب البلشفى منذ عام ١٩٠٩ . وبعد ثورة اكتوبر كان رئيسا لسوفييت موسكو ، ونائبا لرئيس مجلس المفوضين الشعبيين .

عارض مرارا سياسة الحزب اللينينية : بعد ثورة شباط (فبراير) الديمقراطية البرجوازية ناهض بهج الحزب الرامى الى الثورة الاشتراكية ؛ وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ كان من انصار تشكيل حكومة ائتلافية يشترك فيها المناشفة والاشة اكيون-الشيوريون .

وفى آخر الامر خرج على المارسية-اللينينية وطرد من الحزب .

المحرر .

وان السوفييت ، اذ يعبر عن ثقته الراسخة بان حكومة العمال والفلاحين التي ستقيمها الثورة ، بوصفها حكومة سوفييتية ، والتي ستؤمن لبروليتاريا المدن المساندة من جانب كل جماهير الفلاحين الفقراء ، ستسير بحزم نحو الاشتراكية التي هي الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد من بؤس منقطع النظير ومن احوال الحرب . ان الحكومة الجديدة ، حكومة العمال والفلاحين ، ستقترح في الحال صلحا عادلا ديموقراطيا على جميع الشعوب المتحاربة . وستلغى في الحال الملكية الكبيرة للارض وتسلم الارض للفلاحين . وستقيم الرقابة العمالية على الانتاج وتوزيع المنتجات وستقيم رقابة شعبية عامة على البنوك مع تحويلها الى مؤسسة واحدة تابعة للدولة .

ان سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود يهيب بجميع العمال وجميع الفلاحين الى دعم ثورة العمال والفلاحين بدون تحفظ وبكل طاقاتهم . ويعبر السوفييت عن الثقة بان عمال المدن بالتحالف مع الفلاحين الفقراء سيبدون انضباطا رفاقيا راسخا ويؤمنون النظام الثوري الصارم الذي لا غنى عنه لانتصار الاشتراكية .

وان السوفييت لمقتنع بان بروليتاريا بلدان اوربا الغربية ستساعدنا على السير بقضية الاشتراكية الى الانتصار التام الوطيد » .
« اذن فانتم تعتقدون انكم ربحتم الجولة ؟ .. »
فقال وقد رفع كتفيه : « ما يزال ثمة عمل هائل ينبغي القيام به . كثير الى درجة رهيبة ! .. فالامر ما يزال في بدايته ... »

وعلى فسحة السلم رأيت نائب رئيس مجلس اتحاد النقابات ريازانوف . كان ينظر امامه باكتئاب ، وهو يعرض لحيته الشائبة . وقد قال بانة-مال : « هذا مخالف للعقل ، مخالف للعقل !

البروليتاريا الاوروبية لن تشور . روسيا كلها ...» - ولوح بيده في ذهول واسرع مبتعدا .

كان ريزازانوف وكامينيف قد اعترضا على الانتفاضة وتعرضا لانتقادات لينين اللاذعة .

وكان ذلك اجتماعا على جانب كبير من الاهمية . فباسم اللجنة العسكرية الثورية ، اعلن تروتسكى ان الحكومة الموقته لم يعد لها وجود . وقال :

« ان طبيعة الحكومات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة تقوم على خداع الجماهير .

وامامنا الآن ، نحن سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، تجربة لا مثيل لها في التاريخ ، تجربة اقامة سلطة ليس لها من هدف غير تلبية مطالب الجنود والعمال والفلاحين . وارتقى لينين المنبر . فاستقبل بالهتافات العاصفة . فتنبا بالثورة الاشتراكية العالمية ... وتكلم بعده زينوفييف صائحا : « اليوم ادينا قسطنطين الواجب علينا للبروليتاريا العالمية وانزلنا ضربة هائلة بالحرب ، ضربة في صدر جميع الامبرياليين وبخاصة السفاح غليوم » .

وبعد هذا اعلن تروتسكى ان البرقيات قد وجهت الى الجبهة منبهة بانتصار الانتفاضة ، ولكن لم يات جواب بعد . وتقول الشائعات ان ثمة قوات تزحف على بتروغراد . فلا بد من توجيه وفد اليها ليبلغها الحقيقة كاملة .

فانطلقت اصوات نقول : « انكم تسبقون ارادة مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا ! »

فقال تروتسكى ببرودة : « ان ارادة مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا قد سبق وعبر عنها واقع ضخم ، واقع انتفاضة عمال بتروغراد وجنودها » .

دخلنا قاعة الاجتماعات الكبرى شاقين لانفسنا الطريق وسط جمهور مصطخب متزاحم على الباب . كان ممنلو عمال وجنود روسيا جمعاء جالسين تحت ضوء نريات بيض ضخمة على المقاعد والكراسى وحاشرين انفسهم فى الممرات وعلى مصاطب النوافذ ، بل وعلى اطراف منصة الرئاسة ، ينتظرون رنة جرس الرئيس فى صمت قلق حيننا وضجة صاحبة حيننا آخر . لم يكن المكان مدفاً الا ان الجو كان حاراً من الدفء المنبعث من اجساد بشرية غير مفتسلة . وكان يتصاعد فى الجو دخان ازرق كرية من التبغ ويعلق فى الهواء الثقيل . ومن حين لآخر كان احد الاشخاص القياديين يرتقى المنبر ويرجو الرفاق ان يكفوا عن التدخين . واذ ذاك كان جميع الحاضرين ، بمن فيهم المدخنون ، يرفعون اصواتهم بالصياح : « لا تدخنوا ، يا رفاق ! » ويستمر التدخين . واجلسنى الى جانبه مندوب مصنع اوبوخوفسكى ، الفوضى بتروفسكى . كان وسخاً غير حليق الوجه ، يتمايل مرهقا من السهر : فقد ظل يشتغل فى اللجنة العسكرية الثورية ثلاثة ايام بلياليها من غير انقطاع .

كان يجلس على السدة زعماء التسيك السابقة ، وقد ائبح لهم للمرة الاخيرة تولى ادارة اجتماع السوفييتات المستعصية التى كانوا يديرونها منذ الايام الاولى للثورة . والسوفييتات الآن ثائرة عليهم . فقد انتهت المرحلة الاولى من الثورة الروسية التى كان هؤلاء الرجال يسعون لكبحها . وكان غائبا ثلاثة من كبارهم : كان غائبا كيرنسكى الهارب الى الجهة عبر مدن وقرى يسودها الاضطراب ؛ وكان غائبا النسر العجوز تشخيدزه الذى انسحب بازدراء الى مسقط رأسه جبال جورجيا حيث اصابه داء اللسل ؛ كما كان غائبا تسيريبلى الطيب النفس ، وهو ايضا مصاب بمرض عضال ، الا انه عاد فيما بعد فأنفق كل بلاغته

المنمقة في الدفاع عن قضية خاسرة . كان يجلس على السدة غور ودان وليبر وبوغدانوف وبرويدو وفيليبوفسكى ، وقد كانوا جميعا شاحبي الوجوه مستائين ، غائرى العيون . واما هم كان المؤتمر الثانى لسوفييتات عامة روسيا يغلى ويصطخب ، ومن فوق رؤوسهم كانت اللجنة العسكرية الثورية تعمل بصورة محمومة ، ممسكة في ايديها بجميع خيوط الاستفاضة ومنزلة الضربات الصائبة الفوية ... وكانت الساعة العاشرة والدقيقة الاربعون مساء .

قرع دان الجرس ؛ وهو رجل ذو وجه اكمد اللون منرهل ، يرتدى بزة طبيب عسكري فضفاضة . وفي الحال ساد صمت متوتر لا يشوبه غير مجادلات وتشائم الناس المتزاحمين عند المدخل ... وبلهجة حزينة بدأ دان الكلام :

«السلطة في ايدينا» . وتوقف لحظة ثم اردف يقول بصوت خافت : «ايها الرفاق ، ان المؤتمر ينعقد في وقت غير مألوف وظروف غير عادية تدركون معها السبب في ان التسيك تعتبر ان لا جدوى من التوجه اليكم بخطاب سياسى . وان هذا ليغدو مفهوما بوجه خاص لديكم اذا ما تذكرتم انى رئيس هيئة رئاسة التسيك ، واما رفاقنا في الحزب فموجودون الآن في قصر الشتاء تحت قصف النار ، وهم يؤدون بتفان واجباتهم كوزراء ، هذه الواجبات التى القتها التسيك على كاهلهم (ضجة غامضة) . وانى اعلن افتتاح الجلسة الاولى للمؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود» .

وجرى انتخاب هيئة الرئاسة وسط ضجة عامة وتحركات من هنا الى هناك . واعلن افانيسوف انه قد تقرر ، بناء على الاتفاق بين البلاشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين والمناشفة-الامميين ، ان تتألف هيئة الرئاسة على اساس التمثيل النسبى . فهب عدد من المناشفة واقفين على اقدامهم يحتجون باصوات

عالية . فصاح بهم جندي ذو لحية : «تذكروا ، تذكروا ما كنتم
«معلون بنا ، نحن البلاشفة ، حين كنا اقلية !» وكانت نتيجة
الانتخابات : ١٤ من البلاشفة ، ٧ من الاشتراكيين-الثوريين ،
٣ من المناشفة وواحد من الامميين (من جماعة غوركى) . وباسم
الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والوسط ، اعلن غندلمان انهم
يرفضون الاشتراك في هيئة الرئاسة . واعلن خنتشوك مثل هذا
ابضا باسم المناشفة . وكذلك اعلن المناشفة الامميون انهم لا يمكن
ان يدخلوا الهيئة ما لم يتم توضيح بعض الامور . وانطلقت
نصفقات وصيحات متفرقة . وصاح صوت : «مرتدون ! وتسمون
انفسكم اشتراكيين !» وطلب ممثل مندوبى اوكرانيا مقعدا في
هيئة الرئاسة فاعطى له . وعندئذ غادرت السيك السابقة السدة
وشغل مكانها تروتسكى وكامينيف ولوناشارسكى والرفيقة
كولونتاى ونوغين ... وهب جميع من في القاعة واقفين يرمعون
بالتصفيق . فكلم خلقا عاليا هؤلاء البلاشفة ، - كانوا طائفة مكروهة
ومصطهدة * قبل اربعة شهور وها هم الآن في هذا المركز الرفيع ،
مركز قيادة روسيا العظمى .

ويعلن كامينيف ان جدول الاعمال يتضمن : اولا ، تنظيم
السلطة ، ثانيا ، الحرب والسلم ، ثالثا ، الجمعية التأسيسية .
ويقف لوزوفسكى معلنا ان مكاتب جميع الفرقاء تقترح الاستماع
الى تقرير سوفييت يتروغراد ومناقشته ، ثم اعطاء الكلام لاعضاء
السيك وممثلى الاحزاب ، واخيرا الانتقال الى جدول الاعمال .
ولكن سمعت ، فجأة ، ضجة جديدة ، اشد وقعا من جلبة
الجمهور ، ملحمة ، مقلقة ، هى دوى طلقة مدفعية . فالتفت الجميع
متوثرين الاعصاب صوب النوافذ المعتمة ، والم بالمتجمعين نوع

* انظر ملاحظة المحرر في صفحة ٤٠ . المحرر .

من الرعشة . وطلب مارتوف الكلام فقال بصوت أجش : « لقد بدأت الحرب الاهلية ، ايها الرفاق ! وينبغي ان تكون المسألة الاولى لدينا حل الازمة سلميا . اننا ملزمون مبدئيا وتاكتيكيا بان نبحث على عجل وسائل تفادى الحرب الاهلية . هناك في الشارع يطلق النار على اخواننا ! ففي هذا الوقت ، قبيل افتتاح مؤتمر السوفييتات ، يجرى حل مسألة السلطة عن طريق مؤامرة عسكرية مدبرة من قبل احد الاحزاب الثورية ... » . ولمدة لحظة عجز عن اسماع صوته بسبب الضجة . « ان جميع الاحزاب الثورية ملزمة بمواجهة الوقائع وجها لوجه ! مهمة المؤتمر تقوم قبل كل شيء على حل مسألة السلطة ، وهذه المهمة باتت موضوعة في الشوارع ، باتت تحل بالسلاح ! ان علينا ان نقيم سلطة تتمتع باعتراف الديموقراطية كلها . وليس ينبغي للمؤتمر ، اذا كان يريد ان يكون صوتا للديموقراطية الثورية ، ان يقف مكتوف الايدي امام حرب اهلية مستعرة قد تكون نتيجتها ابدلاع الثورة المضادة . ينبغي البحث عن امكانية المخرج السلمى في اقامة سلطة ديموقراطية موحدة ... ومن الضروري انتخاب وفد للتباحث مع الاحزاب والمنظمات الاشتراكية الاخرى ... »

دوى بعيد متواصل من طلقات المدفعية ، ومجادات متواصلة بين المندوبين ... وهكذا كانت روسيا الجديدة تولد تحت هدير المدافع في جو من الظلمة والكراهية والهلع الوحشى والبسالة المتفانية .

ايسد الاشتراكيون-الثوريون اليساريون والاشتراكيون-الديموقراطيون المتحدون اقتراح مارتوف . وتم اقراره . فالن احد الجنود ان اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين لعامة روسيا « رفضت ايفاد مندوبيها الى المؤتمر ؛ واقترح ان توفد الى هناك لجنة فرعية تحمل دعوة رسمية . وقال : « يوجد هنا عدة

مندوبين فلاحين . وانا اقترح ان يعطى لهم حق التصويت » . ونمت الموافقة على الاقتراح .

طلب الكلام السقيب خاراش . وصاح فائلا من مكانه بلهجة حماسية : « أن المنافقين السياسيين الذين يشرفون على هذا المؤتمر يقولون لنا ان علينا ان نشر مسألة السلطة ، ولكن هذه المسألة قد ايرت من خلف ظهورنا قبل افتتاح المؤتمر ! ان قصر الشتاء تطلق عليه النيران ، ولكن الضربات الموجهة اليه ليست سوى الضربات على المسامير التي ندق في نابوت الحزب السباسى الذى اقدم على مثل هذه المغامرة ! » فحدثت جلبة عامة . واخذ الكلام غارا * ، فقال : « فى الوقت الذى يعرض فيه اقتراح بشأن التسوية السلمية للنزاع ، يدور القتال فى الشوارع ... ان الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة يرون ان من الضرورى اسنكار كل ما يجرى هنا ، ويدعون جميع القوى الاجتماعية لمقاومة محاولات الاستيلاء على السلطة ... » . ويقول عضو جماعة الترووفيك كونشين ، مندوب الجيش الثانى عشر : « انى موفد الى هنا للاستطلاع فقط . وسأعود فى الحال الى الجبهة حيث جميع لجان الجيش موقنة راسخ اليقين بان استيلاء السوفييتات على السلطة قبل ثلاثة اسابيع من افتتاح الجمعية التأسيسية انما هو طعنة فى ظهر الجيش وجريمة بحق الشعب ! » فانطلقت صيحات غاضبة : « كذب ! كذب ! » ومن جديد سمع صوت الخطيب يقول : « ينبغى وضع حد لهذه المغامرة البتروغرافية ! وباسم خلاص الوطن والثورة دعو جميع المندوبين لمغادرة هذه القاعة ! » ولدى مبارحته المنبر وسط زئير اصم ،

* حسب تقرير « البرافدا » ، كان المتكلم خاراش . المحرر .

انقضض عليه الكثيرون منذرين مهددين ... وتكلم خينتشوك * ، وهو ضابط ذو لحية صغيرة صهباء حادة الرأس ، فالقى خطابا ناعما مقنعا : « انى اتكلم باسم مندوبى الجبهة . ان الجيش ممثل تمثيلا غير كاف فى هذا المؤتمر ، وهو ، بالاضافة الى هذا ، لا يعتقد ان مؤتمر السوفييتات ضرورى فى الوقت الحاضر ، اى قبل ثلاثة اسابيع فقط من افتتاح الجمعية التأسيسية ... » فكانت صيحات وضربات بالارجل على الارض عاصفة متزايدة الشدة . « ان الجيش يعتقد ان مؤتمر السوفييتات لا يملك السلطة الضرورية ... » وهب الجنود الموجودون فى القاعة من اماكنهم : وراحوا يصيحون :

« باسم من تتكلم ؟ ومن تمثل ؟ »

« اللجنة التنفيذية المركزية للجيش الخامس ، الفوج الثانى ، الفوج الاول ، فرقة الرماة الثالثة ... »

« ومتى انتخبوك ؟ انك لا تمثل الجنود ، بل الضباط ! وماذا يقول الجنود ؟ » وانطلقت صيحات استنكار .

« نحن ، جماعة الجبهة ، نتصل من كل مسؤولية عما يجرى الآن وعمد سيجرى فى المستقبل ، وسمعتقد بضرورة تعبئة جميع القوى الثورية الواعية من اجل انقاذ الثورة ! ان جماعة الجبهة تنسحب من المؤتمر ... ومكان القتال انما هو فى الشوارع . »

فانطلقت صيحات صاحبة : « باسم الاركان تتكلم ، لا باسم الجيش ! »

« ادعو جميع الجنود العقلاء لمغادرة المؤتمر ! »

* ينسب جون ريد الخطاب التالى لخينتشوك . وهو - حسب تقارير جميع الجرائد - بقية خطاب كوتشين . **المحرور .**

وسمعت في القاعة صيحات نقول : « كورنيلوفى ! معاد
للثورة ! استفزازى ! »

وبعد ذلك اعلن خينتشوك باسم المناشفة قائلا : ان الامكانية
الوحيدة للمخرج السلمى انما هى فى ان يبدأ المؤتمر محادثات
مع الحكومة الموقنة حول تشكيل وزارة جديدة تستند الى جميع
فئات المجتمع . فقامت ضجة رهيبة استمرت عدة دقائق لم
يكن يستطيع فيها الكلام . ورفع صوته حتى درجة الصياح فتلا
بيان المناشفة :

« لما كان البلاشفة قد حاكوا مؤامرة عسكرية ، بالاستناد
الى سوفيينيت بتروغراد ، ولم يتشاوروا مع الجماعات والاحزاب
الاخرى ، فانه يستحيل علينا البقاء فى المؤتمر ، ولهذا فاننا
ننسحب منه ، داعين جميع الجماعات والاحزاب الاخرى للاقتداء
بنا وللاجتماع لبحث الوضع الناشئ » .

« فراريون ! »

ويتكلم غندلمان ، وقد كان يقاطع كل دقيقة بالضجيج العام
والصيحات ، فيحتج بصوت بالكاد يسمع ، باسم الاشتراكيين-
الثوريين ، على قصف قصر الشتاء . « اننسا نعارض مثل هذه
الفوضى ... »

وما كاد يصمت حتى انطلق الى المنبر جندى شاب نحيل
الوجه متأجج العينين . فرفع يده بحركة مسرحية وهتف قائلا :
« ايها الرفاق ! » ، فحل الصمت . وردف يقول : « كنيق
بنرسون . وانا اتكلم باسم فوج المشاة اللاتفى الثانى . لقد سمعتم
تصريحي ممثلين للجان الجيش ، وكان من شأن هذين التصريحيين
ان يكون لها قيمة ما لو ان قائليهما كالا فعلا ممثلين للجيش ... »
(تصفيق عاصف) « انهما لا يمثلان الجنود ... » وهر الخطيب
قبضته . « ان الجيش الثانى عشر يلح منذ وقت بعيد على اعادة

انتخاب السوفييت والايكوسول * ، ولكن لجنتنا ، شأها في ذلك شأن التسليك عندكم تماما ، رفضت ان تدعو ممثلى الجماهير الا في نهاية ايلول (سبتمبر) بحيث يتسنى للرجعيين ان ينتخبوا مندوبيهم المزعومين الى هذا المؤتمر . على انى اعلمكم ان الرماة اللاتفيين طالما قد اعلنوا قائلين : « كفى قرارات ! كفى ثمرات ! نحن في حاجة للاعمال ! ينبغي ان نأخذ السلطة في ايدينا ! » فلينسحب هؤلاء المندوبون المزيّفون ! الجيش ليس معهم ! »

وانفجرت القاعة بعاصفة من التصفيق . في الدقائق الاولى من الجلسة ، كان المندوبون ، وقد اذهلهم تسارع الاحداث وأصمهم قصف المدافع ، مترددين حائرين . وخلال ساعة كاملة كانت ضربات المطرقة تنهال عليهم من فوق ذلك المنبر ضربة اثر الاخرى ، لاحمة اياهم في كتلة واحدة ، وساحقة اياهم في الوقت نفسه . انراهم يقفون لوحدهم ؟ اما ستشور عليهم روسيا ؟ اصحيح ان القوات زاحفة على بتروغراد ؟ ولكن ما ان شرع يتكلم هذا الجندى المشرق العينين حتى ادركوا جميعا على الفور ان كلماته المشعة كالبرق تنطوى على الحقيقة ... **كان صوته صوت الجنود - صوت الملايين من العمال والفلاحين بالبرات العسكرية ، وقد هيمن عليهم الاندفاع نفسه والافكار والمشاعر نفسها ، المهيمنة عليهم هم انفسهم ، المندوبيين ...**

ومن جديد يرتقى المنبر جنود ... ويعلن غجيلشاك باسم مندوبى الجبهة ان مسألة الالسحاب من المؤتمر لم تقرها الا اكثرية جد زهيدة من الاصوات ، يضاف الى هذا ان **المندوبيين البلاشفة لم يشتركو!** في التصويت ، اعتقادا منهم بان القرار يجب

* الايكوسول هى اللجنة التنفيذية لجنود الوحدات اللاتفية في الجيش الثانى عشر . **المحرر .**

ان يتخذ على اساس الاحزاب لا على اساس الفئات . وقال :
« ان مئات المندوبين من الجبهة قد جرى انتخابهم بدون اشتراك
الجنود ، لأن لجان الجيش لم تعد منذ وقت بعيد ممثلة حقيقية
لجماهير الجنود البسطاء ... » ويصيح لوقيانوف قائلا ان الضباط
من شاكلة خارايش او خينتشوك لا يمثلون في المؤتمر الجنود
وانما القيادة العليا . « ان سكان الخنادق ينتظرون بصبر فارغ
انتقال السلطة الى ايدي السوفييتات » . واخذت الحالة النفسية
تتبدل .

وبعد ذلك خطب ابراموفيتش باسم البوند (الحزب الاشتراكي
- اديموقراطى اليهودى) . كان يرتعد غضبا ، وعيناه تقدحان
شررا من تحت زجاج نظارتيه الكشيف * .

« ان الاحداث الجارية الآن في بتروغراد لنكبة نكباء ! ان
جماعة البوند تنضم الى بيان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين
وتنسحب من المؤتمر ! - واعلى صوته ورفع يده . - ان واجبنا
حيال البروليتاريا الروسية لا يسمح لنا بالبقاء هنا وتحمل
مسؤولية هذه الجريمة . ولما كان قصف قصر الشتاء غير متوقف ،
فان الدوما البلدى قد قرر ، بالاشتراك مع المناشفة والاشتراكيين-
الثوريين واللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، ان يموت مع
الحكومة الموقته . اننا ننضم اليهم ! ولسوف نفتح صدورنا ،
ونحن عزّل من السلاح ، لرصاص رشاشات الارهابيين ... اننا
ندعو جميع مندوبى المؤتمر ... » وضاعت بقية الخطاب في
عاصفة من الصيحات والتهديدات والشتائم ، وقد تحولت الى صخب
جهنمى حين هب خمسون مندوبا من اماكنهم واخذوا يتجهون الى
المخرج .

* يبدو ان جون ريد قد جمع فيما بعد بين خطايبى ابراموفيتش
وايرليخ . **المحرر .**

واخذ كامينيف يقرع بجرس الرئاسة ، صائحا : « ابقوا في
اماكنكم ! لننتقل الى جدول الاعمال ! » . ووقف تروتسكى . كان
وجهه شاحبا رهيبا . وفي صوته الشديد رنة من الاحتقار البارد .
« فلينصرف جميع من يسمون بالاشراكيين-المصالحين ،
جميع هؤلاء المناشفة-الخائفين والاشتراكيين-الثوريين
والبونديين ! فليسوا جميعا سوى زبالة سيلقى بها في صندوق
قمامة التاريخ ! .. »

وباسم البلاشفة اعلن ريازاتوف ان اللجنة العسكرية الثورية
قد بعثت ، استجابة منها لطلب الدوما البلدى ، بوفد للمفاوضات
مع قصر الشتاء . « وهكذا فنحن قد فعلنا كل المستطاع من اجل
تفادى سفك الدماء ... »

كان قد حان وقت انصرافنا . وقد لبثنا دقيقة في الغرفة
التي كانت اللجنة العسكرية الثورية تعمل فيها بسرعة رهيبة ،
مستقبلة ومرسلة رجال الارتباط اللاهثين ، باعثة الى جميع زوايا
المدينة بالمفوضين المزودين بصلاحيات الحياة والموت . كانت
هواتف الميدان ترن بدون انقطاع . وحين انفتح الباب هبت علينا
رائحة هواء فاسد هابق بالدخان ، ولاح لاعيننا رجال شعث
الشعور ، منحنون على خريطة يغمرها نور ساطع من مصباح
كهربائى ذى اباجور ... وقد سلّمنا تصاريح المرور الرفيق
يوسفوف-دوخفسكى ، وهو شاب بسام له خصلة من الشعر
صفراء شاحبة .

وخرجنا الى الشارع فواجهتنا ليلة باردة . كان مقابل
سمولنى حشد ضخم من السيارات القادمة والذهابة . ومن خلال
ضجيجها كانت تسمع طلقات مدفعية صماء بعيدة . وكانت ثمة
شاحنة ضخمة تهتز بكل كيائها من دوران محركها . وهناك

رجال يقدفون اليها رزما من الاوراق المطبوعة ، وآخزون
يستلمونها ويكدسونها ، وبنادقهم في ايديهم . فسالتهم :
« الى اين انتم ذاهبون ؟ »

فاجابني عامل شاب ، مبتسما : « الى جميع انحاء المدينة ! » .
ولوح بيده بحركة واسعة حماسية .

فاظهرنا تراخيصنا . فدعونا قائلين : « تعالوا معنا ! ولكن
قد يطلقون النار علينا ... » فتسلقنا الشاحنة . واصدر جهاز
التغييرات صريرا حادا ، واندفعت السيارة الضخمة الى امام ،
وارتمينا جميعا الى وراء . منشدين على الرجال الذين كانوا
بتسلقون شاحتنا . وموت السيارة قرب الشعكتين عند البوابتين
الداخلية والخارجية وقد كانتا تلقيان ضوءهما الاحمر على العمال
المسلحين بالبنادق والمتجمعين حول النار ، ومضت مسرعة في
جادة سوفوروف تتهاذى متمائلة من جانب لآخر . ومزق اخذ
مرافقينا غلاف احدى الرزم واخذ يقذف في الهواء اعدادا من
الاوراق . ففعلنا مثله . وهكذا كنا نمضي في الشوارع المعتمة
مخلفين ذيلا كاملا من الاوراق البيض المتطايرة . وكان المارة
المتأخرون في سهرتهم يتوقفون ليلتقطوها . وعند ملتقى الشوارع
كان رجال الدوريات يتركون مشاعلهم ويرفعون ايديهم فيتلقفون
الاوراق . واحيانا كان يشب تحونا رجال مسلحون ، يرفعون
البنادق ويصرخون : « قف ! » ولكن سائقنا كان يلفظ بضع كلمات
غير مفهومة ، فتتابع سيرنا . تناولت احد النداءات ، وقماته
كيفما اتفق على ضوء مصابيح الشارع القليلة :

« الى مواطني روسيا ! »

ان الحكومة الموقته قد عزلت . وانتقلت سلطة الدولة الى
يد جهاز سوفيت بتروغراد لنواب العمال والجنود - اللجنة

العسكرية الثورية ، القائمة على رأس بوليتاريا بنروغراد وحاميتها .

ان القضية التي ناضل الشعب من اجلها ، الا وهى عرص الصلح الديموقراطى فى الحال ، والغاء الملكية الكبيرة للارض ، والرقابة العمالية على الانتاج ، واقامة حكومة سوفيتية ، ان هذه القضية مضمونة .

عاشت ثورة العمال والجنود والفلاحين !

اللجنة العسكرية الثورية

لدى سوفيت بنروغراد لنواب

العمال والجنود»

قال جارى ، وهو رجل مائل العينين ، مونغولى السحنة ، على رأسه قبعة قفقاسية من فرو الماعز : « انتبه ! الاستفزازيون يطلقون النار دائما من النوافذ ! .. » وانعطفنا الى ساحة زنامنسكايا المعتمدة وهى تكاد تكون مقفرة ، ومرزنا بجانب النصب التذكارى الاخرق للمثال تروبتسكوى * وانطلقنا بسرعة الى شارع نيفسكى العريض ، وقد كان ثلاثة منا يقفون والبنادق فى ايديهم جاهزة للاطلاق ، وهم يتطلعون الى النوافذ . كان الشارع شديد الحركة يعج بالناس المهوليين الى مختلف الاتجاهات ، محنئى الظهور . لم نعد نسمع طلقات المدفعية ، وكلما ازددنا اقترابا من قصر الشتاء ، كانت الشوارع تغدو اشد هدوءا واكثر اقفارا . وكانت نوافذ الدوما البلدى تشع بالانوار جميعها . وعلى مبعده كان حشد من الناس وصف من البحارة اخذوا يصرخون طالبين منا ان نتوقف . فابطأت السيارة سيرها وقفزنا منها الى الارض .

* يقصد النصب التذكارى للقيصر الكسندر الثالث . المحرر .

كان امامنا مشهد مدهش . عند تقاطع شارع نيفسكى وقناة
ايجانرينا بالضبط كان صف من البحارة المسلحين يسد شارع
نيفسكى تحت احد مصابيح الطريق ، فاطعا الدرب على جمهور
من الناس مصطفين اربعة وراء اربعة . كان ثمة عدد من الناس
يتراوح بين الثلاثمئة والاربعمئة : رجال بمعاطف جميلة ، ونسوة
بملايس انيقة ، وضباط - جمهور من كافة الفئات والاجناس .
وعرفنا بينهم الكثيرين من مندوبى المؤتمر ، زعماء المناشفة
والاشتراكيين-الثوريين . وكان ثمة ايضا رئيس اللجنة التنفيذية
لسوفييتات الفلاحين افكسنتييف النحيل ذو اللحية الصهباء ،
وسوروكين ، من اتباع كيرنسكى المقربين ، وخينتشوك ،
وابراموفيتش ، وامام الجميع رئيس بلدية بتروغراد الاشيب
اللحية ، العجوز شريدر ، ووزير التموين فى الحكومة الموقته
بروكوبوفيتش ، الذى اعتقل فى ذلك الصباح واطلق سراحه .
كما رأيت مراسل جريدة «راشيان ديلي نيوز» * مالكين . وقد
صاح بحماسة : «اننا ذاهبون للموت فى قصر الشتاء !» . كان
الموكب واقفا بلا حراك ، وكانت تسمع صيحات عالية من صفوفه
الاولى . وكان شريدر وبروكوبوفيتش يتجادلان مع بحار جسيم
كان ، على ما يبدو ، قائدا للمجموعة . وقد كنا يصيحان :
«اننا نطلب بالسماح بالمرور ! هاكم هؤلاء الرفاق قادمون
من مؤتمر السوفييتات ! انظروا ، ها هى ذى اوراق اعتمادهم !
اننا ذاهبون الى قصر الشتاء !..»

كان جلينا ان البحار مرتبك . وقد راح يحك قذاله بيده
الغليظة وهو مقطب الجبين . ثم دمدم قائلا : «لدى امر من

* «الاجبار اليومية الروسية» - جريدة كانت تصدر فى بتروغراد
باللغة الانكليزية سنة ١٩١٧ . المحرر .

اللجنة بعدم السماح لاحد بالدخول الى القصر . ولكنى سابعث الآن
 برفيق للاتصال هاتفيا بسمولتى ...»
 وصاح العجوز شريدر باهتياج شديد : «اننا مصرون ،
 فاتركنا نمر ! ليس معنا سلاح ! ولسوف نمر بأذن ام بدون
 اذن !»

فكرر البحار : «لدىّ امر ...»
 وصيحات من جميع الجهات تقول : «اطلقوا النار اذا كنتم
 نريدون ! سنمر ! الى امام ! اذا كانت القسوة قد بلغت لديكم
 حدا نجعلكم معه تطلقون النار على الروس والرفاق ، فنحن
 مستعدون للموت ! اننا نفتح صدورنا لرشاشاتكم !»
 فاعلن البحار وهو ينظر اليهم نظرة ثابتة عنيدة : « كلا ،
 لا يمكن ان اسمح لكم بالمرور » .

«وماذا ستفعل اذا ما مررنا ؟ هل ستطلق النار ؟»
 « كلا ، لن اطلق النار على العزّل . نحن لا يمكن ان نطلق
 النار على الناس الروس العزّل ...»
 « سنمر ! فماذا يمكنك ان تفعل ؟»
 فاجاب البحار وفد بات جليا انه في موقف حرج :
 « سنفعل شيئا ما . لا يمكن ان نسمح لكم بالمرور !
 سنفعل شيئا ما ...»

«ماذا ستفعلون ؟ ماذا ستفعلون ؟»
 وهنا ظهر بحار آخر ، شديد الانفعال . فراح بلجهة
 حازمه : «سنضربكم باعقاب البنادق ! واذا اقتضى الامر نطلق النار
 ايضا . عودوا الى بيوتكم ودعونا في سلام !»
 فأنفجر زئير وحشى من الغضب والاستنكار . وصعد
 بروكوبوفيتش على احد الصناديق وراح يخطب ملوفا بمظلمته :
 «ايها الرفاق والمواطنون ! القوة الغاشمة تستخدم ضدنا .

ونحن لا يمكن ان نقبل بان تلتطخ ايدى هؤلاء الجهلة بدمنا البريء .
وليس مما يليق بمكانتنا ان يرمينا بالنار هؤلاء المفتحجية (لم
افهم ماذا قصد بكلمة «المفتحجية») . فلنعد الى مجلس الدوما
لندرس افضل الوسائل لانقاذ البلاد والثورة ! »

وبعد هذا ارتد الجمع في صمت جليل ومضى صعدا في شارع
نيفسكى وهو ما يزال مصطفيا اربعة اربعة . وانتهزنا الفرصة
فتسللنا من بين الخفراء وحسينا الى قصر الشتاء .

كان يخيم هنا ظلام مطبق . وليس ثمة اية حركة ، انما
التقينا فقط بدوريات من الجنود والحرس الاحمر وهم في حالة
بالغة من التصميم . ومقابل كاتدرائية قازان كان يقوم ، وسط
الشارع ، مدفع ميدان مائلا الى جانبه بعض الشيء اثر القذيفة
الاخيرة التى اطلقها فوق اسطحة البيوت . وكان ثمة جنود واقفون
امام جميع الابواب ، يتحدثون فيما بينهم باصوات خافتة ، وهم
ينظرون الى جهة جسر الشرطة . وسمعت احدهم يقول : «ربما
كنا قد ارتكبنا خطيئة ...» وفى جميع الزوايا كانت الدوريات
توقف المارة . وكان تركيبها امرا ذا دلالة : فعلى رأس كل مجموعة
من القوات النظامية ، احد افراد الحرس الاحمر ... وتوقف
اطلاق النار .

وحين وصلنا الى شارع مورسكايا سمعنا احدا يصيح :
«اليونكر بعثوا من يقول انهم ينتظرون ان نجى ونطردهم ! »
وسمعت ايعازات ، وراينا فى العتمة الدكناء كتلة سوداء تتحرك
قدما الى امام فى صمت لا يمزقه غير وقع الاقدام وقرقعة السلاح .
وانضممنا الى الصفوف الاولى .

ومررنا تحت القنطرة الحمراء نهرا اسود يغمر الشارع
كله ، بدون اغان ولا صيحات . وهمس الرجل الذى يمشى امامى ،
بصوت خافت : «انتبهوا ، يا رفاق ، لا تشقوا بهم ! اكيد انهم

سيشرعون باطلاق النار ...» واذ وصلنا الى الساحة حثثنا
خطابا محنب جدوعنا ومزاصين بعضنا على بعض . وهكذا ظللنا
تركض الى ان بلغنا قاعدة عمود الكسندر . فسالت :

« وهل وقع منكم كثير من القتلى ؟ »

« لا اعرف ، ربما عشرة رجال ... »

كانت الكتيبة تعد بضع مئات من الرجال . وبعد ان توقفت
هنا بضع دقائق ارتفعت معنوياتها فاستأنفت مسيرها الى امام
فجأة ، بدون اى امر . واذا ذاك لاحظت ، على الضوء الساطع الذى
يشع من جميع نوافذ قصر الشتاء ، ان المئتين او الثلاثمئة رجل
السائرين فى المقدمة كانوا جميعا من الحرس الاحمر . وكان
الجنود بينهم جد قلائل . تسلقنا على المتاريس المكونة من
الاشخاب ثم هبطنا مطلقين صيحات النصر : فقد وقعنا على اكوام
من البنادق تخطى عنها رجال اليونكر . وكانت ابواب المداخل على
جانبي البوابة الرئيسية مفتوحة على مصاريحها . ومن هناك كان
يشع النور ، ولكن لم تكن تصل الى السمع ولا تأمة من المبنى الضخم .
وجذبنا الموجة البشرية العارمة فولجنا القصر راكضين من
المدخل الايمن المؤدى الى قاعة واسعة فارغة مقببة ، هى قبو
الجناح الشرقى ، ومن هناك تتفرع شبكة من الممرات والسلام .
وكانت ثمة كثرة من الصناديق . وقد هرع اليها رجال الحرس
الاحمر والجنود باهتياج ، فحطموها باعقاب البنادق واخرجوا
منها سجاجيد وستائر وملابس داخلية واوانى من الصينى
والبلور . وحمل احدهم على كتفه ساعة جدارية من البرونز .
ووجد آخر ريشة نعام فشكلها فى قبعته . ولكن ما ان بدأ النهب
حتى صاح احدهم : « رفاق ! لا تمسوا شيئا ! لا تأخذوا شيئا !
هذا ملك الشعب ! » وفى الحال ايده ما لا يقل عن عشرين
صوتا : « قف ! ارجع كل شىء لمكانه ! ممنوع اخذ اى شىء !

ملك للشعب !» وامتدت عشرات الاذرع الى الناهبين . فانزعت
 معهم اقمشة الديباج والسجاجيد الجدارية . وانزاع رجالان الساعة
 البرونزية . وعلى عجل اعيدت الاتياع الى الصناديق كيفما انفق ،
 وتطوع بضعة رجال لخفارتها . وقد جرى هذا كله بصورة عفوية
 تماما . وفي الممرات وعلى السلالم كانت تسمع صيحات تزداد
 حفونا على البعد : « الانضباط الثورى ! ملك الشعب ! »

وذهبنا الى المدخل الايسر ، الى الجناح الغربى من
 القصر . وكان النظام هنا ايضا مستتباً . وقد كان رجال من
 الحرس الاحمر يصيحون وهم خارجون من الابواب الداخلية :
 « اخلوا القصر ! هيا بنا نذهب يا رفاق ، وليعلم الجميع اننا
 لسنا لصوصا ولا اشقياء ! ليخرج الجميع من القصر ، باستثناء
 المفوضين ! ولنقم الخفراء ! .. »

كان اثنان من الحرس الاحمر ، جندي وضابط ، يقفان وفي
 يديهما مسدسان . ووراءهما يجلس جندي آخر خلف طاولة ،
 مزودا بريشة وورق . ومن جميع الانحاء كانت تنطلق صيحات :
 « ليخرج الجميع ! ليخرج الجميع ! » . فاخذت المفوضة كلها تتدفق من
 الباب متدافعة مناقشة ومجادلة . وكانت ثمة لجنة تقوم من تلقاء
 نفسها بايقاف كل خارج وتفتيش جيبه وتلمس ثيابه وتصادر
 منه كل شئ تشبه انه ليس له ويسجله الجندي الجالس وراء
 الطاولة على ورقة ثم يحمل الى الغرفة المجاورة . وهكذا صودرت
 اشياء متنوعة : تماثيل صغيرة ، وزجاجات حبر ، واغطية
 اسرة مطرزة عليها الطفرء الامبراطورية ، وشمعانات ، ولوحة
 زيتية صغيرة وحافظات ورق ، وسيوف ذات مقابض ذهبية ،
 وقطع صابون ، وملابس من جميع الانواع ، واغطية صوفية .
 وكان احد رجال الحرس الاحمر قد جاء بثلاث بندقيات ، واعلن
 انه قد غنم اثنتين منها من رجال اليونكر . وجاء آخر باربع

حقائب يدوية ملأى بالاوراق . وكان المذنبون اما يلزمون الصمت بعبوس واما يتحججون كالأطفال . وبصوت واحد اوضح اعضاء اللجنة ان اللصوصية لا تليق بالمناضلين الشعبيين . وكان كثير من الذين يقبض عليهم ينضمون الى اللجنة ويساعدون على تحرى الرفاق الآخرين ٢ .

واخذ رجال اليونكر يتقدمون جماعات مؤلفة من ثلاثة او اربعة اشخاص . وكانت اللجنة تنقض عليهم بمزيد من الحماسة مرفقة تحرياتها بعبارات عنيفة : « استفزازيون ! كورنيلوفيون ! اعداء للثورة ! سفاحو الشعب ! » وكان رجال اليونكر يبدون الخوف الشديد ، رغم انه لم يكن يجرى معهم اى عنف . وقد كانت جيوبهم هم ايضا ملأى بالاشياء المنهوبة . وكانت اللجنة تسجل بعناية جميع هذه الاشياء وتبعث بها الى الغرفة المجاورة ... ونزع سلاح رجال اليونكر . وسئلوا باصوات عالية : « وماذا ، هل سترفعون السلاح ايضا ضد الشعب ؟ » وكان رجال اليونكر يجيبون ، الواحد اثر الآخر : « كلا ! » . وبعد ذلك كان يخلى سبيلهم .

وسألنا أيمن ان نذهب الى الغرف الداخلية . فترددت اللجنة ، ولكن جسيما من رجال الحرس الاحمر اعلن ان هذا ممنوع . ثم قال : « ومن تراكم تكونون يا هؤلاء ؟ واني لى ان اعرف انكم جميعا من جماعة كيرنسكى ؟ » (وقد كنا خمسة ، وفي عدادنا امرأتان) .

« من فضلكم يا رفاق ! طريق ، يا رفاق ! » وظهر في الباب جندي واحد رجال الحرس الاحمر ، يبعدان الجمهور ويفسحان الطريق ، ومن ورائهما بضعة عمال ايضا مسلحين ببنادق مشرعة الحراب . ومن خلفهم كان يسير ستة مدنيين ، واحد اثر الآخر ، وكان هؤلاء اعضاء الحكومة الموقته . كان كيشكين

يسير في المقدمة ، شاحبا ، متطاوّل الوجه ؛ ومن بعده رونبرغ ، ينظر الى الارض باكتئاب ؛ وتيريشنكو يتطلع الى ما حوله بغضب . وتوقفت نظرته الباردة على جماعتنا ... كانوا يمرون صامتين . وكان الظافرون يتقدمون لينظروا اليهم ، ولكن صيحات الاستنكار كانت جد قليلة . وقد علمنا فيما بعد ان الشعب في الشارع اراد الاقتصاص من المعتقلين بدون محاكمة ، بل وقد جرى اطلاق النار ، ولكن الجنود نجحوا بايصالهم الى قلعة بطرس وبولس ...

وفي هذه الاثناء مضينا الى داخل القصر دون ان نتعرض لتعنيف . كان نمة كثير من الناس في جيئة وذهاب ، يكتشفون غرفا جديدة في المبنى الضخم ، باحثين عن رجال اليونكر المختفين ، فما وجد لهم اثر . وصعدنا الى الاعلى على السلم ورحنا نجوب الغرف الواحدة اثر الاخرى . كانت تحتل هذا القسم من القصر مفرزة اخرى اقتحمته من جهة نهر نيفا . ولم تكن قد مست اللوحات ، والتمائيل ، والستائر والسجاجيد في القاعات الرسمية الواسعة . واما المكاتب ، فكانت الحال فيها على النقيض من ذلك ؛ كانت جميع طاولات الكتابة والخزائن منبوشة ، والاوراق مبعثرة على الارض . وكذلك كانت غرف السكن متحواة ، والاغطية منزوعة عن الاسرة ، وخزائن الثياب مفتوحة على مصاريعها . وكانت ائمن الغنائم انما هي الملابس التي كان الشعب العامل في حاجة ماسة اليها . وفي احدى الغرف التي كانت تحتوى على الكثير من الاثاث ، وجدنا جنديين ينزعان من الكراسي الوثيرة اغطيتها من الجلد الاسباني المصبوغ . وقد قالنا لهما انهما يريدان ان يصنعا منه احذية ...

كان خدم القصر الشيوخ ، ببزاتهم الزرق ذات الحواشي الحمر والذهبية يقفون في ذلك المكان ، مكررين القول على جرى عاداتهم

القديمة : « ممنوع الدخول الى هنا ، يا سادة ... » واخيرا وصلنا الى الغرفة المغطاة جدرانها بصفائح حجر المالاخيت الاخضر وذات الحواشى الذهبية وستائر البروكار القرمزية ، وقد انعقدت فيها طول اليوم السابق والليل الاخير جلسات مجلس الوزراء المستمرة ، ودل البوابون رجال الحرس الاحمر على الدرب اليها . كانت ثمة طاولة طويلة عليها غطاء من الجوخ الاخضر ، ما تزال كما كانت قبل اعتقال الحكومة . وعلى هذه الطاولة وامام كل مقعد فارغ كانت توجد دواة وورق وريشة . وكانت صفحات الورق قد خط عليها على عجل شذرات من برامج العمل ومسودات نداءات وبيانات . وكان كل هذا تقريبا مشطوبا كانما واضعوه انفسهم قد افتنعوا شيئا فشيئا بكل ما تنطوى عليه خطتهم من عدم الجدوى ... وفي الاماكن الخالية كانت ترى رسوم هندسية لا معنى لها ، يبدو ان المجتمعين كانوا يرسمونها آليا وهم يصغون يائسين الى الخطط الوهمية المتجددة باطراد التي كان يقترحها الخطباء . وقد اخذت للذكرى واحدة من هذه الاوراق . وهى مكتوبة بخط كونوفالوف . وقرأت فيها : « ان الحكومة الموقته تناشد جميع طبقات السكان ان تساند الحكومة الموقته ... »

وتنبغى الاشارة الى ان الحكومة الموقته ، رغم ان قصر الشتاء كان مطوقا ، لم تفقد الاتصال بالجبهة ومراكز المقاطعات ولا دفيقة واحدة . وقد استولى البلاشفة على وزارة الحربية منذ الصباح ، ولكنهم ما كانوا يعلمون ان فى الطابق العلوى مكتب للبرق العسكرى ، وما كانوا يعلمون ان مبنى الوزارة مرتبط بقصر الشتاء عن طريق خط سرى . وفى هذه الاثناء كان يقبع فى الطابق العلوى طول النهار ضابط شاب ويبعث الى جميع انحاء البلاد بسيل من النداءات والبيانات . وحين عرف بسقوط قصر الشتاء لبس عمرنه وغادر البناية بهدوء ...

ولقد كنا مأخوذين بما يحيط بنا الى حد جعلنا لا ننتبه
 البتة الى الجنود ورجال الحرس الاحمر ، بينما تغير سلوكهم تغيرا
 غريبا . كانت ثمة جماعة صغيرة تسير على اثرنا من غرفة الى
 اخرى . وحين وصلنا ، اخيرا ، الى قاعة اللوحات الرحبة التي
 سبق لنا في النهار ان تحدثنا فيها مع رجال اليونكر ، تجمع
 حولنا ، فجأة ، قرابة مئة شخص . وكان يقف امامنا جندي
 جسيم . كان وجهه عابسا يعبر عن الارتياح . وقد صاح قائلا :
 « من انتم يا هؤلاء ؟ وماذا تفعلون هنا ؟ » وكان يتجمع
 حولنا عدد متزايد ابدا من الناس . والانظار تتفحصنا بامعان .
 وبدأت الضجة وسمعت احدا يقول : « استفزازيون ! » ،
 « نهابون ! » . ابرزت تراخيصنا المعطاة لنا من اللجنة العسكرية
 الثورية . فتناولها الجندي بحذر وقلبها والقى عليها نظرة دونما
 ادراك . كان جليا انه لا يعرف القراءة . واحتفظ بالوثائق قليلا ،
 ثم اعادها الى بصق على الارض . وقال مدمما بارتياح :
 « (اوراق!) » . واصبح طوق الجمهور يزداد ضيقا من حولنا ،
 شأن خيول برية تتراص حول راعي بقر مترجل . ووقعت عيني
 بعيدا على ضابط ، يبدو عليه الكثير من العجز ، فناديته . فاخذ
 يشق لنفسه الطريق اليينا . وقال لي :

« انا مفوض . فمن انتم ، وما القضية ؟ »

فتراجع الجمهور واتخذ موقف المتربص . وبرزت الاوراق
 من جديد . فسأل الضابط بالفرنسية بسرعة :

« انتم اجانب ؟ الامر خطير جدا ... » والتفت الى الجمهور
 ولوح بوثائقنا في الفضاء ، وصاح قائلا : « يا رفاق ، هؤلاء الناس
 رفاق اجانب لنا ، اميركيون ! جاؤوا الى هنا لكي ينقلوا الى
 مواطنيهم الاخبار عن بسالة الجيش البروليتارى وانضباطه
 الثوري ! .. »

فاجاب الجندى الجسيم : « وانت ، مم عرفت هذا ؟ اقول لك ان هؤلاء استفزازيون . يقولون انهم جاؤوا الى هنا ليروا الى الانضباط الثورى لدى الجيش البروليتارى ، وهم انفسهم يتنزهون فى جميع ارجاء القصر . وانى لنا ان نعرف انهم هنا لم يملأوا جيوبهم بالمنهوبات ؟ »

فصاح الجمع وهو يندفع نحونا : « صحيح ! »
وسرى العرق على جبين الضابط . وقال بانفعال : « يا رفاق ، يا رفاق ! انا مفوض من اللجنة العسكرية الثورية . افلا تصدقوننى ؟ اقول لكم ان هذه الوثائق موقعة بالاسماء ذاتها التى تحملها وثيقتى الخاصة ! »

ورافقنا فى طريقنا داخل القصر وفتح لنا الباب المؤدى الى رصيف النيفا . وامام هذا الباب كانت توجد تلك اللجنة ذاتها التى تتحرى الجيوب .

وهمس قائلا لنا ، وهو يمسح وجهه : « نعم ، لقد وفقتم بالخلاص » .

وسألناه : « وماذا جرى للكتيبة النسائية ؟ »
فقال مبتسما : « ايه ، يا هؤلاء النسوة ! كن جميعا محشورات فى الغرف الخلفية . وقد حرنا كثيرا فيما ينبغى ان نفعل بهن : هستيريا كلية ، وهلم جرا . . . وفى آخر الامر بعثنا بهن الى محطة فنلندا ووضعناهن فى القطار الداهب الى ليفاشيفو : وهناك لديهم معسكر . . . »^٣

ومن جديد خرجنا الى الليل البارد القلق ، الزاخر بالدمدمات الهادرة الصاخبة السادرة عن تحركات جيوش غير مرئية ، والمكهرب بالدوريات . ومن وراء النهر ، حيث لاحت قلعة بطرس وبولس كتلة سوداء معتكرة ، كانت تصل الى المسامع صيحات بحاء . . . وكان الرصيف تحت اقدامنا زاخرا بقطع الجص المتساقطة من

كورنيش القصر الذى اصابته قذيفتان من الطراد «افرورا» * . ولم يحدث القصف اضرارا اخرى .

كانت الساعة الثالثة ونيف صباحا . وفى شارع نيفسكى اشتعلت جميع المصابيح من جديد ، والمدفع قد سحب ، ولم يكن ثمة من دلالة على الاعمال العسكرية غير رجال الحرس الاحمر والجنود المتجمعين حول شعلات النار . وكانت المدينة هادئة ، ولعلها كانت اهدأ منها فى اى وقت مضى . ولم تقع فى هذه الليلة اية حادثة نهب واية عملية سلب .

كانت بناية الدوما البلدى مضاعة بكاملها . دخلنا قاعة الكسندروفسكى المحاطة بالاروقة والمزدانة بصور القياصرة ذات الاطارات الذهبية الثقيلة ، وقد غطيت بقماش احمر . وحول الاروقة كان يحتشد قرابة مئة شخص . وكان سكوبيليف يخطب مشددا على توسيع لجنة السلامة العامة بهدف توحيد جميع العناصر المعادية للبشيفية فى منظمة واحدة ، هى لجنة انقاذ الوطن والثورة . وحين وجودنا فى القاعة كانت اللجنة قد شكلت ، تلك اللجنة ذاتها التى اصبحت فيما بعد العدو الاشد للبلاشفة ، وقد عملت طيلة الاسبوع التالى حينما باسمها الخاص ، وحينما باسم لجنة السلامة العامة وقد اخفى طابعها الحزبى .

وكان ثمة دان وغوتز وافكسنتييف وبعض المندوبين المتسحبين من المؤتمر ، واعضاء اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، والعجوز بروكوبفيتش ، بل واعضاء مجلس الجمهورية

* المؤلف وقع فى خطأ : ففى الساعة الواحدة والعشرين والدقيقة الخامسة والاربعين من ٢٥ تشرين الاول - اكتوبر (٧ تشرين الثانى - نوفمبر) اطلق الطراد «افرورا» طلقة فى الخلاء ايدانا ببدء الهجوم على قصر الشتاء . والاضرار التى يكتب عنها ريد انما هى نتيجة لطلقات المدفعية من قلعة بطرس وبولس . المحور .

وفي عدادهم فيناير وغيره من الكاديت . وكان لير يصيح قائلا
ان مؤتمر السوفييتات غير شرعى ، وان التسيك السابقة ما تزال
محتفظة بصلاحياتها التامة ... وفي الحال صيح نداء موجه الى
البلاد .

خرجنا فاستدعينا حوزيا . فسالنا : « الى اين ؟ » . وحين
قلنا « الى سمولني » هز الحوذى رأسه تعبيرا عن الرفض ، واعلن
قائلا : « كلا ! ثمة اولئك الشياطين ... » ولم نتمكن من ان نجد
حوزيا يوافق على ايصالنا الا بعد تجوال طويل منهك . ولكنه
طالب بثلاثين روبلا ، وتوقف على بعد مقسمين من سمولني .
كانت نوافذ المعهد ما تزال تشع بالانوار . والسيارات في
جيئة وذهاب . وحول شعلات النار التي ما تزال تشتعل بلهيب
ساطع كان الخفراء متجمعين يستفسرون من الجميع ، بلهفة ،
عن آخر الانباء . وقد كانت الممرات ملأى بالناس منهمكين
بمشاغلهم ، وقد غارت عيونهم . وفي بعض غرف اللجان كان الناس
نائمين على الارض ، وبالقرب من كل منهم بندقية . ورغم انسحاب
المندوبين المعارضين كانت قاعة الاجتماعات زاخرة بالناس ،
تهدر هدير البحر . وحين دخلنا كان كامينيف يتلو قائمة باسماء
الوزراء المعتقلين . واذا تلا اسم تيريشنكو ، ضجت القاعة بالتصفيق
وصيحات الارتياح والقهقهات . وحدثت تلاوة اسم روتنبرغ تأثيرا
اقل ، اما اسم بالشنسكى فقد اثار عاصفة من الصياح والتصفيق ...
واعلن ان تشودنوفسكى عين مقوضا لقصر الشتاء .

وهنا جرى حادث درامى حقا . فقد هرع الى المنبر فلاح
طويل القامة ، وجهه الملتحي يتشنج من الغضب . وضرب بقبضته
على طاولة الرئاسة .

« نحن ، الاشتراكيين-الثوريين ، نلج على اطلاق سراح
الوزراء الاشتراكيين المعتقلين في قصر الشتاء فورا . فهل تعرفون ،

يا رفاق ، ان اربعة من رفاقنا ، الذين جازفوا بحياتهم وحريرتهم
في النضال ضد الطغيان القيصري ، مسجونون في قلعة
بطرس وبولس ، القبر التاريخي للحرية الروسية ؟!»
فشارت ضجة شاملة . واستمر الفلاح يصيح ويخبط
بقبضتيه . واقبل على المنبر مندوب آخر فوقف الى جانبه وصاح
مشيرا بيده صوب الرئاسة :

«هل في وسع ممثلي الجماهير الثورية ان يجتمعوا هنا
باطمئنان بينما الدرك البلشفي يعذب زعماءهم ؟»
وراح تروتسكى يطلب الصمت بالاشارة . «لقد اعتقلنا هؤلاء
«الرفاق» اذ كانوا يتآمرون مع المغامر كيرنسكى بقصد الاطاحة
بالسوفييتات . فعلى اى اساس ينبغي لنا مراعاتهم ؟ اتراهم
عاملونا بالحسنى بعد ٣ - ٥ تموز (يوليو) ؟» . كان في صوته
رنة انتصار . «والآن ، اذ ذهب الدفاعيون وضعاف النفوس وباتت
مهمة حماية الثورة وانقاذها ملقاة باكملها على عاتقنا ، غدا من
الضرورى جدا ان نعمل ، ونعمل ونعمل ! ولقد صممنا على ان
نموت ولا نستسلم !..»

واقبل على المنبر مفوض من تسارسكويى سيلو يلهث ،
وعليه آثار من وحل الطريق . «ان حامية تسارسكويى سيلو
تقف على ابواب بتروغراد ، مستعدة تمام الاستعداد للدفاع عن
مؤتمر السوفييتات واللجنة العسكرية الثورية !» وكانت عاصفة من
التصفيق . «ان فيلق الدراجات ، المرسل من الجبهة ، وصل الى
تسارسكويى سيلو وانضم الى جانبنا . انه يعترف بسلطة
السوفييتات ، ويعترف بضرورة تسليم الارض للفلاحين فورا وجعل
الرقابة على الانتاج في يد العمال ان كتيبة الدراجات الخامسة ،
المرابطة في تسارسكويى سيلو ، هى معنا ...»
وتكلم مندوب من كتيبة الدراجات الثالثة . وفى جو من

الحماس البالغ اخبر كيف تلقى فيلق الدراجات ، منذ ثلاثة ايام فقط ، امرا بالتحرك من الجبهة الجنوبية الغربية بقصد «الدفاع عن سروجراد» . ولكن الجنود ارتابوا في هدف الامر الصادر اليهم . وفي محطة بيريدولسك استقبلهم ممثلو الكتيبة الخامسة من سارسكوبى سيلو . فانعقد اجتماع عام مشترك ، وتبين ان «ليس بين رجال الدراجات من يقبل بسفك دم اخوانه او مساندة حكومة كبار الملاكين العقاريين والرأسماليين» .

وباسم المناشفة الامميين اقترح كاييلنسكى نايف لجنة خاصة للبحث عن مخرج سلمى ونفادى الحرب الاهلية . فارعدت القاعة بصوت واحد : «ليس ثمة اى مخرج سلمى . المخرج الوحيد هو النصر !» ورفض الاقتراح بالاكثرية الساحقة ، وانسحب المناشفة الامميون من المؤتمر تحت وابل من السخريات والاهانات . ولم يكن بين المندوبين ظل من الهلع . وقد اخذ كامينيف يصيح من المنبر في اعقاب المنسحبين : «ان المناشفة الامميين قد قدموا اقتراحهم بشأن المخرج السلمى بوصفه اقتراحا مستعجلا ، ولكن كانوا دائما يصوتون للخروج على جدول الاعمال مرضاة لبيانات الجماعات الراغبة في الانسحاب من المؤتمر ! ومن الجلى تماما ان انسحاب جميع هؤلاء المارقين كان مبينا من قبل ! ..» وقرر الاجتماع عدم الاكتراث لانسحاب بعض الجماعات ، واستمع الى النداء الموجه الى عمال وجنود وفلاحى عامة روسيا :

«الى العمال والجنود والفلاحين !

ان المؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود قد افتتح . وفيه تمثل الاكثرية الكبرى من السوفييتات . كما يحضر المؤتمر جملة من المندوبين عن سوفييتات الفلاحين ... واستنادا

الى ارادة الاكثرية الكبرى من العمال والجنود والفلاحين ، واستنادا الى الانتفاضة المظفرة التي قام بها العمال والحامية في بتروغراد ، يأخذ المؤتمر السلطة في يده .

ان الحكومة الموقته قد عزلت . واكثرية اعضاء الحكومة الموقته بانته محتلة .

ان السلطة السوفييتية ستقترح صلحا ديموقراطيا فوريا على جميع الشعوب وهدنة فورية على جميع الجبهات . وسوف تؤمن وضع اراضى كبار الملاكين العقاريين والاقطاعيين والاديرة تحت تصرف لجان الفلاحين مجانا ، وستدافع عن حقوق الجنود ، وتحقق اشاعة الديموقراطية الكاملة في الجيش ، وتقيم الرقابة العمالية على الانتاج ، وتؤمن عقد الجمعية التأسيسية في حينه ، وتؤمن بتموين المدن بالخبز وتموين القرى بالمواد ذات الضرورة الاولى ، وستؤمن لجميع الامم القاطنة في روسيا الحق الفعلى في تقرير مصبرها بنفسها .

ان المؤتمر يقرر : ان تنتقل السلطة كلها في المقاطعات لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين التي ينبغى ان تؤمن النظام الثورى الحقيقى .

ويدعو المؤتمر الجنود فى الخنادق الى اليقظة والصمود . وان مؤتمر السوفييتات لعل يقين من ان الجيش الثورى سيعحسن الدفاع عن الثورة ضد اية اعتداءات من جانب الامبريالية الى ان تتوصل الحكومة الجديدة لعقد الصلح الديموقراطى الذى ستقترحه مباشرة على جميع الشعوب . وستتخذ الحكومة الجديدة جميع التدابير من اجل تزويد الجيش الثورى بكل ما هو ضرورى ، عن طريق سياسة حازمة قائمة على المصادرة وفرض الضرائب على الطبقات المالكة ، وكذلك لتحسين احوال عائلات الجنود .

ان الكورنيلوفيين - كيرنسكى وكاليدين وغيرهما - يحاولون
تسيير القوات على بتروغراد . ان بعض الفصائل التى ضلها كيرنسكى
عادت وانضمت الى الشعب الشائر .

**ايها الجنود ، ابدوا مقاومة فعالة لكيرنسكى الكورنيلوفى !
كونوا على حذر !**

**يا عمال السكك الحديدية ، اوقفوا جميع القطارات العسكرية
المرسلة من قبل كيرنسكى الى بتروغراد !
ايها الجنود ، ايها العمال ، ايها المستخدمون ، ان فى ايديكم
مصير الثورة ومصير الصلح الديموقراطى !
عاشت الثورة !**

مؤتمر عامة روسيا لسوفييتات
نواب العمال والجنود
مندوبون من سوفييتات الفلاحين *

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والدقيقة السابعة عشرة
صباحا بالضبط ، حين صعد كريلنكو الى المنبر ، وهو يترنح من
الاعياء ، وابرز للمجتمعين برقية .
« انها من الجبهة الشمالية ، يا رفاق ! الجيش الثانى عشر
يحيى المؤتمر ويعلن عن تشكيل لجنة عسكرية ثورية اخذت
على عاتقها قيادة الجبهة الشمالية ! .. » وبنشوة لا تصف اخذ
الناس ييكون ويتعانقون . « اعترف الجنرال تشيريميسوف باللجنة .
واستقال مفوض الحكومة الموقته فويتنسكى ! »
لقد تم الامر ...

ان لينين وعمال بتروغراد قد قرروا القيام بالانتفاضة ،

* ان توقيع «مندوبون من سوفييتات الفلاحين» قد وضع بعد
ان صدر تصريح بهذا الشأن من ممثل الفلاحين . **المحرر .**

واطاح سوفيت بتروغراد بالحكومة الموقته ووضع مؤتمر
السوفييتات امام الامر الواقع ، امام الانقلاب . وكان ينبغى الآن
ان يكتسبوا روسيا كلها الى جانبهم ، ثم العالم كله . فهل ستتجيب
روسيا ، وهل ستثور ؟ والعالم اجمع - ماذا سيقول ؟ وهل
ستلبى الشعوب نداء روسيا ، وهل سيصعد المد الاحمر العالمى ؟
كانت الساعة قد بلغت السادسة ، والليلة باردة ثقيلة .
ولم يكن غير ضوء خافت شاحب ، كأنما هو ضوء سماوى ، يحبو
باستحياء على الشوارع الصامتة مخمدا اشعاع نيران الخفراء .
فقد كان يبرز فوق روسيا ظل فجر رهيب .

الفصل الخامس

الى امام بدون توقف !

الخميس ، فى الثامن من تشرين الثانى - نوفمبر (٢٦ تشرين الاول - اكتوبر) . طلع الصباح على المدينة وهى فى اضطراب شديد . والشعب كله ثائر وسط زئير العاصفة . كان كل شىء على السطح هادئا . مئات الالوف من الناس ناموا فى الوقت المألوف ، وافاقوا مبكرين فمضوا الى العمل . وفى بتروغراد ، كانت عربات الترام تجرى ، والمخازن والمطاعم مفتوحة ، والمسارح تعمل ، ومعارض اللوحات تجمع الجمهور ... والروتين اليومى المعقد ، الرتيب حتى وقت الحرب ، آخذ مجراه . فلا شىء يثير الدهشة اكثر من حيوية التركيب الاجتماعى ، الذى يواصل عمله ، فيتغذى ويلبس بل ويتسلى فى وجه افطع النكبات ...

كانت المدينة ملأى بالشائعات عن كيرنسكى . فكان يقال انه وصل الى الجبهة ويوحف على العاصمة بجيش جرار . ونشرت جريدة « فوليا نارودا » امرا صادرا من قبله فى سكوف : « ان الاضطرابات القائمة التى اثارها جنون البلاشفة تضع دولتنا على شفا الهلاك وتتطلب بذل كل العزيمة والرجولة وان يودى كل واحد واجبه للخروج بوطننا من المحنة القاتلة التى يعانىها . والى ان يتم تشكيل حكومة موقته جديدة ، اذا ما حدث ذلك ، ينبغى الآن على كل واحد منا ان يبقى فى مركزه ويؤدى

واجبه حيال الوطن المعذب . وينبغي ان نتذكر ان اقل مساس بتنظيم الجيش الحالى قد يؤدى الى مصائب لا يمكن تلافيها ، اذ يفتح الجبهة لضربة جديدة من العدو . ولذلك لا بد من المحافظة على معنويات الجيش القتالية مهما كلف الامر ، بالمحافظة على النظام التام وصيانة الجيش من الهزات الجديدة وعدم زعزعة الثقة المتبادلة الثامة بين الرؤساء ومرؤوسيهـم . وانى لآمر جميع الرؤساء والمفوضين فى سبيل انقاذ الوطن بان يحافظوا على مراكزهم مثلما احافظ انا ايضا على منصبى كقائد اعلى الى ان تعلن الحكومة الموقته للجمهوريه ارادتها .» .

وردا على هذا النداء الصق على جميع الجدران النداء التالى :

«من مؤتمـر السوفييتات لعامة روسيا

ان الوزراء السابقين كونوفالوف وكيشكين وتيريشنكو وماليالتوفيتش وليكيتين ، وغيرهم اعتقلتهم اللجنة الثورية . وكيرنسكى هارب . فعلى جميع منظمات الجيش ان تتخذ التدابير لاعتقال كيرنسكى على الفور وجلبه الى بتروغراد . وكل مساعدة تقدم لكيرنسكى سيعاقب عليها بوصفها جريمة نكراء بحق الدولة .» .

واستحوذت اللجنة العسكرية الثورية على حرية العمل التامة ، فراحت تنشر فى جميع الانحاء الاوامر والنداءات والمراسيم ، كانها الشرارات . ١٠٠٠ وقد صدر امر بجلب كورنيلسوف الى بتروغراد . واطلق سراح اعضاء اللجان الزراعية الفلاحية الذين كانوا معتقلين من قبل الحكومة الموقته . والغيت عقوبة الاعدام فى الجبهة . وتلقى موظفو الدولة الامر بمتابعة العمل ، وهددوا بالعقاب الصارم اذا تمردوا على ذلك . وتحت طائلة الحكم بالموت منعت المذابح واعمال الاخلال بالنظام والمضاربات . وعين مفوضون

في جميع الوزارات : في وزارة الخارجية - اوريتسكى وتروتسكى ،
وفي وزارتي الداخلية والعدلية - ريكوف ، وفي وزارة العمل -
شليابينيكوف ، وفي وزارة المالية - منجنسكى ، وفي وزارة الضمان
الاجتماعى - كولونتاي ، وفي وزارة التجارة والمواصلات -
ريزانوف ، وفي دائرة البحرية - البحار كوربير ، وفي وزارة البريد
والبرق - سييرو ، وفي ادارة المسارح - مورافيف ، وفي ادارة
المطابع الوطنية - ديريشيف ، وعين الملازم نيستروف مفوضا
لبتروغراد ، وبوزير مفوضا للجبهة الشمالية * .

ودعى الجيش لانتخاب اللجان العسكرية الثورية . ودعى
عمال السكك الحديدية للمحافظة على النظام ولا سيما عدم تأخير
نقل المواد الغذائية الى المدن والجبهات . وبالمقابل وعدوا بان
يكون لهم ممثل في وزارة المواصلات .

وجاء في احد النداءات :

«ايها الاخوة القوزاق ! انهم يسوقونكم الى بتروغراد .
يريدون حملكم على محاربة جنود وعمال العاصمة الثوريين ...
لا تصدقوا كلمة واحدة من اعدائنا المشتركين ، كبار
الملاكين العقاريين والرأسماليين .

ان جميع العمال والجنود المنظمين والفلاحين الواعين في
روسيا ممثلون في مؤتمرنا . والمؤتمر يريد ان يرى القوزاق
الكادحين ايضا ضمن اسرته . ان الجنرالات من جماعة المئة السوداء ،
خدم كبار الملاكين العقاريين ، خدم نيقولاى الدموى ، هم
اعدائنا ...

* ان بعض المعلومات الواردة في الكتاب عن تعيينات المفوضين الموقتين
في الوزارات غير صحيحة . ففي وزارة الخارجية عين اوريتسكى وحده ،
وتولت ادارة وزارة البحرية لجنة عسكرية بحرية ثورية منتخبة من
ممثل جميع الاساطيل في مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا .

يقولون لكم ان السوفييتات تريد انتزاع الارض من القوزاق .
هذا كذب . ان الثورة ستنتزع الارض من كبار الملاكين القوزاق
وتقدمها للشعب .

نظموا سوفييتات نواب القوزاق ! انضموا الى سوفييتات
العمال والجنود والفلاحين !

اظهروا لجماعة المثة السوداء انكم لن تصبحوا خونة
للتعب ، وانكم نابون ان تنصب عليكم اللعنات من روسيا
الثورية جمعاء ! ..

ايها الاخوة القوزاق ! لا تنفذوا اى امر صادر عن اعداء
الشعب ! ..

ابعثوا بمندوبيكم الى بتروغراد للتفاهم معنا ...
ان قوزاق حامية بتروغراد ، ولهم الشرف والفخر ، لم يحققوا
امل اعداء الشعب ...

ايها الاخوة القوزاق ! ان مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا
يبد لكم يد الاخوة .

عاش اتحاد القوزاق مع جنود وعمال وفلاحى روسيا
جمعاء ! * »

ومن الجانب الآخر ، كان سيل عرم اى سيل من النداءات ،
والاعلانات الملصقة والموزعة فى كل مكان ، ومن الجرائد ، متضمنة
الاحتجاجات واللعنات ، ومتنبئة بالهلاك ! لقد استعرت الآن
معركة مطابح النشر بعد ان سيطر السوفييت على جميع الاسلحة
الاخرى .

وكان اول هذه النداءات نداء لجنة انقاذ الوطن والثورة ،
الذى وزع على نطاق واسع فى كل روسيا واوروبا :

* كان النداء يحمل توقيع «مؤتمر عامة روسيا لنواب العمال
والجنود» . المحرر .

« الى مواطني الجمهورية الروسية ! »

في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) قام بلاشفة بتزويراد خلافا
لارادة الشعب الثورى وعلى نحو اجرامى باعتقال عدد من اعضاء
الحكومة الموقته ، وحلوا مجلس الجمهورية الروسية الموقت ،
واعلنوا سلطة غير شرعية .

ان ارتكاب مثل هذا العنف ضد حكومة روسيا الثورية
في ايام يخيم اوج الخطر على الوطن من جانب عدونا هو جريمه
ضد الشعب لم يسمع لها مثيل من قبل .

ان فتنة البلاشفة تنزل ضربة قاتله بقضية الدفاع وبرى
الصلح الذى يتمناه الجميع .

والحرب الاهلية التى بدأها البلاشفة تهدد ببقاء البلاد فى
اهوال لا توصف من الفوضى والثورة المضادة وبنسف الجمعية
التأسيسية التى ينبغى ان تدعم النظام الجمهورى وان تؤمن الارض
للشعب الى الابد .

ان لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة ، اذ تحافظ
على استمرار سلطة الدولة الوحيدة ، تأخذ على عاتقها زمام المبادرة
بتشكيل حكومة موقته جديدة تتولى ، بالاستناد الى قوى
الديموقراطية ، قيادة البلاد الى قيام الجمعية التأسيسية وانقاذها
من الثورة المضادة ومن الفوضى .

ان لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة تدعوكم ، ايها
المواطنون :

لا تعترفوا بسلطة اهل العنف !

لا تنفذوا اوامرهم !

هبوا للدفاع عن الوطن والثورة !

ساندوا لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة !

لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة التي تضم ممثلين عن :
مجلس الدوما البلدى لبتروغراد ، المجلس الموقت للجمهورية
الروسية ، اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب الفلاحين ،
اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب العمال والجنود ، جماعات
الجهات ؛ ممثلى مؤتمر السوفييتات الثانى لنواب العمال والجنود ،
كتل الاشتراكيين-الثوريين ، والاشتراكيين-الديموقراطيين (المناشفة)
والاشتراكيين-الشعبيين ، وجماعة « ايدينستفو » وغيرهم .
وكانت ثمة نداءات من حزب الاشتراكيين-الثوريين ،
والمناشفة-الدفاعيين ، واللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ،
ولجان الجيش ، والتسينتروفلوت ...

وكانت جميعها تصيح قائلة : « ان الجوع سيخنق بتروغراد ،
والجيوش الالمانية ستدوس حريتنا باقدامها ، ومذابح جماعة
المئة السوداء ستجتاح روسيا ، اذا لم نتلاحم ، نحن العمال والجنود
والمواطنيين الواعين ...

لا تصدقوا وعود البلاشفة ! ان الوعد بالصلح الفورى كذب !
والوعد بالخبز غش ! والوعد بالارض اسطورة ! ..»
وجميعها على هذه الشاكلة .

« ايها الرفاق ! .. لقد خدعوكم بنذالة وعلى نحو اجرامى !
البلاشفة وحدهم قاموا بالاستيلاء على السلطة ... ولقد كان
البلاشفة يخفون خططهم عن الاحزاب الاشتراكية الاخرى ، المشتركة
فى السوفييتات ...

وعدوكم بالارض وبالحرية ، ولكن الثورة المضادة ستستغل
النوضى التي نشرها البلاشفة وتحرمكم الارض والحرية ...»
وبمثل هذا العنف كانت لهجة الصحف ايضا .

فقد كتبت «دبلو نارودا» («قضية الشعب») بحزم : « ان

واجبنا هو ان نفصح خونة الطبقة العاملة هؤلاء . ان واجبنا هو ان نعبى جميع القوى ونهب للدفاع عن قضية الثورة » .

وكانت «الافستيا» ، وهى تنطق للمرة الاخيرة بلسان التسيك السابقة ، تهدد بعقاب رهيب ...

«اما فيما يتعلق بمؤتمر السوفييتات ، فاننا نؤكد ان لم يكن ثمة مؤتمر للسوفييتات ، نؤكد ان لم يكن ثمة غير اجتماع خاص للكتلة البلشفية . وفى هذه الحال لم يكونوا يملكون الحق فى حرمان التسيك من صلاحيتها الكاملة » .

وكانت «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») ننادى بقيام حكومة جديدة تضم جميع الاحزاب الاشتراكية ، وتوجه انتقادا شديدا لاعمال الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة بانسحابهم من المؤتمر ، وتؤكد ان انتفاضة البلاشفة قد بينت بجلاء لا مزيد عليه امرا اساسيا ، هو ان جميع الاوهام فيما يتعلق بالتعاون مع البرجوازية لا تقوم على اساس البتة .

ومن جديد اصبحت «رابوتشى بوت» («طريق العمال») تحمل اسم «البرافدا» («الحقيقة») ، جريدة لينين التى اغلقت فى شهر تموز (يوليو) . وقد اعلنت بلهجة شديدة :

«ايها العمال والجنود والفلاحون ! لقد اطحتم فى شباط (فبراير) باستبداد زمرة النبلاء . وبالامس اطحتم باستبداد العصابة البرجوازية ...

والمهمة الاولى الآن هى حراسة جميع المنافذ المؤدية الى بتروغراد .

والمهمة الثانية هى نزع سلاح العناصر المعادية للثورة فى بتروغراد ونقلهم اظافرها نهائيا .

والمهمة الثالثة هى تنظيم السلطة الثورية تنظيما نهائيا وتأمين تحقيق البرنامج الشعبى ... » .

وكانت صحف الكاديت القليلة والصحف البرجوازية على العموم ،
التي كانت مستمرة في الصدور ، تقف من كل ما كان يجرى موقف
السخرية المطمئنة ، وكانما هي تقول لجميع الاحزاب الاخرى :
«وماذا كنا نقول ؟» وكان الاعضاء ذوو النفوذ من حزب الكاديت
يتسكعون طول الوقت حول مجلس الدوما البلدى ولجنة انقاذ
الوطن والثورة . وكانت البرجوازية بكاملها تلتزم الصمت ، منتظرة
ساعتها ، وقد كان يبدو لها انها غير بعيدة . ولعله لم يكن ثمة
من احد غير لينين وتروتسكى وعمال بتروغراد والجنود البسطاء
يتصور ان البلاشفة سيحتفظون بالسلطة اكثر من ثلاثة ايام ...
في ذلك اليوم شهدت في المدرج الضخم لقاعة نيقولايفسكى
جلسة عاصفة لمجلس الدوما البلدى ، اعلن انها مستمرة بدون
انقطاع ، وكانت ممثلة فيها جميع قوى المعارضة المعادية
للبلاشفة . وكان رئيس المجلس البلدى شريدر المهيب الاشيب
اللحية والرأس يصف زيارته الى سمولني في الليلة الماضية ليقدم
الاحتجاج باسم الادارة الذاتية البلدية . وقد صرح لتروتسكى
قائلا : «ان الدوما ، وهو الآن السلطة الشرعية الوحيدة في
المدينة ، المنبثقة من انتخابات عامة مباشرة سرية ، لا يعترف
بالسلطة الجديدة !» واجابه تروتسكى قائلا : «حسنا ، ان
لهذا مخرجا دستوريا . ففي الوسع حل الدوما ، واجراء انتخابات
جديدة ...» وقد اثار تقرير شريدر استنكارا عاصفا .

واردف الشيخ يقول مخاطبا الدوما : «اذا كان يراد الاعتراف
بحكومة اقامتها الحراب ، فان لدينا مثل هذه الحكومة . ولكني
لا اعتقد الا بشرعية حكومة يعترف بها الشعب ، تعترف بها
الاکثرية ، لا بحكومة اقامتها حفنة من المغتصبين» . فانطلق
تصفيق حاد من جميع المقاعد ، ما عدا مقاعد البلاشفة . ووسط
الضجيج والصياح يعلن رئيس البلدية ان البلاشفة قد انتهكوا

حقوق الادارة الذاتية البلدية بتعيينهم مفوضيهم في جملة من الدوائر .

ويحاول الخطيب البلشفي ان يسمع بصوته متغلبا على الضجة ، فيعلن ان التأييد الذي حصل عليه البلاشفة من قبل مؤتمر السوفييتات هو تأييد من روسيا باجمعها . ويهتف قائلا : « انتم لستم الممثلين الحقيقيين لاهالي بتروغراد ! » وتنطلق اصوات تقول : « اهانة ! اهانة ! » ويذكر رئيس البلدية بوقار بان الدوما قد انتخب على اساس اكثر ما يمكن ان يكون عليه حق الاقتراع من الحرية . ويجيب الخطيب البلشفي قائلا : « صحيح ، ولكن الدوما منتخب منذ مدة طويلة ، شأنه في ذلك شأن التسيك ولجان الجيش ... » . وتنطلق صيحات ترد عليه : « لم يكن ثمة بعد مؤتمر جديد للسوفييتات ! »

« فريق البلاشفة يرفض البقاء في وكر الثورة المضادة هذا ... » ضجيج . « اننا نطالب باعادة انتخاب الدوما ! » ويغادر البلاشفة قاعة الاجتماع . وتنطلق في اثرهم صيحات : « عملاء للالمان ! يسقط الخونة ! »

وطالب الكاديت شنغاريوف بان يسرح ويحال الى القضاء جميع موظفي البلدية الذين وافقوا على ان يكونوا مفوضين للجنة العسكرية الثورية . فوقف شريدنر وقدم اقتراحا بالاحتجاج على تهديد البلاشفة لمجلس الدوما . وينبغي للدوما ، بوصفه ممثلا شرعيا للاهلين ، ان يرفض التخلي عن مركزه .

وكذلك كانت قاعة الكسندروفسكى تغص بالمجتمعين . فقد كانت تعقد فيها جلسة لجنة الانقاذ . وكان سكوبيليف يخطب قائلا : « لم يسبق قط لوضع الثورة ان كان في مثل هذه الحرجة ، ولم يسبق قط لمسألة وجود الدولة الروسية ذاتها ان اثارت هذا القدر من القلق . ولم يسبق قط للتاريخ ان وضع امام روسيا ،

بمثل هذه الحدة ومثل هذا الحجم ، مسألة ان تكون او لا تكون .
لقد ازفت الساعة العظمى ، ساعة انقاذ الثورة ، وادراك منا
لهذا ، سنحافظ على الوحدة الوثقى لجميع القوى الحية ، قوى
الديموقراطية الثورية التي تمت بارادتها المنظمة اقامة مركز
لانقاذ الوطن والثورة . ولسوف نموت ولا نتخلي عن مكاننا
المجيد ...» وهلم جرا .

ووسط عاصفة من التصفيق اعلن ان اتحاد شغيلة السكك
الحديدية ينضم الى لجنة الانقاذ . وبعد بضع دقائق ظهر موظفون
من البريد والبرق . ثم دخل بضعة مناشفة-اميين ؛ فاستقبلوا
بالتصفيق . واعلن شغيلة السكك الحديدية انهم لا يعترفون
بالبلاشفة وانهم قد وضعوا ايديهم على جميع جهاز السكك
الحديدية ويرفضون تسليمه لمغتصبى السلطة . واعلن مندوبو
مستخدمى البرق ان رفاقهم قد رفضوا العمل رفضا قاطعا ما دام
المفوض البلشفى موجودا فى الوزارة . ورفض موظفو البريد استلام
وتوزيع بريد سمولنى ... وقطعت جميع خطوط سمولنى
الهاتفية . وبفرحة عارمة اصغى الاجتماع الى رواية تحكى كيف
ذهب اوريتسكى الى وزارة الخارجية فطالب بالمعاهدات السرية ،
وكيف طلب منه نيراتوف* الانسحاب . وفى كل مكان كان موظفو
الدولة يتركون العمل ...

كانت تلك حربا ، حربا متعمدة ، محض روسية الطراز ،
حربا عن طريق الاضراب والتخريب . وقد تلا الرئيس امامنا
قائمة بالمهمات : هذا ينبغى ان يقوم بجولة على جميع الوزارات ،
وذاك يذهب الى البنوك ؛ وعين ما بين عشرة واثنى عشر شخصا

* نيراتوف - وكيل وزير الخارجية فى الحكومة الموقته ، وديبلوماسى

قيصرى سابق . الهجور .

للذهاب الى الثكنات لاقتناع الجنود بالمحافظة على الحياد : «ايها الجنود الروس ، لا تسفكوا دماء اخوتكم !» وعينت لجنة خاصة للتباحث مع كيرنسكى . وبعث عدة اشخاص الى مدن المقاطعات لتنظيم فروع محلية للجنة الانقاذ ولتوحيد جميع العناصر المعادية للبلاشفة .

وارتفعت المعنويات : «هؤلاء البلاشفة يريدون محاولة فرض ارادتهم على المثقفين ؟ .. نعم ، لسوف يلاقون العجب ! ..» . لقد كان التنافر مذهلا بين هذا الاجتماع وبين مؤتمر السوفييتات . فقد كان هنالك جماهير ضخمة من الجنود ذوى الاسمال البالية ، والعمال والفلاحين المتسخين ، وهم جميعا فقراء محنيو الظهور مرهقون بالعمل الشاق من اجل العيش ؛ وهنا زعماء المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، اضراب افكسنستيف ودان وليير ، والوزيران الاشتراكيان السابقان سكوبيليف وتشيرنوف ، والى جانبهم جماعة الكاديت من امثال شاتسكى المتشحم وفينافير الاملس . وهنا ايضا صحافيون وطلاب ومثقفون من شتى الانواع والالوان . وكان جمهور الدوما هذا حسن الغذاء والملبس ؛ ولم الحظ هنا اكثر من ثلاثة بولييتاريين ..

ووردت انباء جديدة . التركمان التيكينيون الاوفياء لكورنيلوف خنقوا حرسه فى بيخوف ، وهرب كورنيلوف . وكاليدىن يزحف صوب الشمال . سوفيت موسكو نظم لجنة عسكرية ثورية وهو يجرى مفاوضات مع القيادة العسكرية فى المدينة طالبا منها تسليم الترساة . فالسوفييت يريد تسليم العمال .

وكانت هذه الوقائع تختلط بركام من شتى الشائعات والدسائس والاكاذيب الصارخة . اذكر ، على سبيل المثال ، ان مثقفا شابا من الكاديت ، كان من قبل السكرتير الخاص لميليكوف ، ثم

لربشنكو ، نحى بنا جانبا وراح يروى لنا كل التفاصيل عن الاستيلاء على قصر الشتاء . وقد قال مؤكدا :

« كان يتولى قيادة البلاشفة ضباط المان ونمساويون ! »
فسألناه بكياسة :

« حقا ؟ ومن اين عرفت هذا ؟ »

« كان ثمة واحد من اصدقائي . وهو الذى اخبرنى عن ذلك » .

« وكيف تبين له ان هؤلاء ضباط المان ؟ »

« ولكنهم كانوا يرتدون البزات العسكرية الالمانية ! .. »

مثل هذه الشائعات السخيفة كانت تنتشر بالامئات . ولم يكن يقتصر الامر على ان كل الصحافة المعادية للبلاشفة كانت ننشرها ، بل لقد كان يصدقها اناس مثل المناشفة والاشتراكيين-الشيوريين الذين كانوا على العموم يتميزون دائما بمزيد نوعا ما من الاحتراس للوقائع .

ولكن الاقاصيص عن عنف البلاشفة وقسوتهم كانت اشد خطورة الى حد بعيد . ففي كل مكان ، مثلا ، كان تروى وتنشر في الصحافة مزاعم تقول ان رجال الحرس الاحمر لم يقتصروا على نهب كل ما فى قصر الشتاء ، بل لقد ابادوا رجال اليونكر عن بكرة ابيهم واقدموا ببرودة دم على ذبح عدة وزراء . اما النسوة الجنود فقد اغتصبت اكثريتهن ، بل التحرن لعجزهن عن احتمال التعذيب الذى تعرضن له ... وكان جمهور مجلس الدوما يتلقف امثال هذه الاساطير بطيبة خاطر ... والاسوأ من هذا ان اباء اليونكر وامهاتهم والنساء الجنود كانوا يقرأون كل هذه التفاصيل الرهيبة في الجرائد التى كانت ترفق غالبا باسماء الضحايا ، حتى انه ما ان حل المساء حتى كان جمهور مذعور يحتشد حول مجلس الدوما .

وانها لنموذجية جدا حادثة الامير تومانوف الذى اكدت جرائد كثيرة ان جثته قد انتشلت من نهر مويسكا . وما هى الا بضع

Комиссаръ
Главнаго Управленія до-
новъ заключенія
"6..." 16.01.1917, г.
К. 244...
Петроградъ Смольный
Институтъ; комн. № 56.

ПРОПУСКЪ

Представителямъ Американскихъ Соціалистическихъ
газетъ Д Ж О И У Р И Ш У , во вѣсть мѣста заклю-
ченія въ Петроградѣ и Кронштатѣ, для общаго озна-
комленія положенія заключенныхъ и широкаго общес-
твеннаго освѣдомленія въ цѣляхъ прекращенія газетн
и травлѣ противъ демократіи.-



Внѣ Комиссаръ *[Signature]*
Секретаръ *[Signature]*

رخصة حون ريد لزيارة كافة المعتقلات

ساعات حتى كذبت عائلة الامير نفسه هذا الخبر معلنة انه معتقل .
واذ ذاك نشرت الجرائد ان الجثة المنتشلة ليست جثة الامير
تومانوف ، بل الجنرال دينيسوف . ولكن ظهر ان الجنرال
دينيسوف ايضا سليم معافى . وقد قمنا بالتحقيق ولكننا لم نجد
اثرا لاية جثة منتشلة من نهر مويسكا .
وحين خرجنا من الدوما وجدنا كشافين يوزعان بياننا ٢ على
جنهور ضخم كان يسد شارع نيفسكى امام المدخل . وكان هذا
الجمهور مؤلفا بكليته تقريبا من رجال اعمال وتجار صغار
وموظفين ومستخدمى مكاتب . وهذا ما جاء فى البيان :

«من مجلس الدوما البلدى»

ان مجلس الدوما البلدى ، نظرا للاحداث الطارئة ، قرر فى
جلسته المنعقدة فى ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) اعلان حصانة
المساكن الخاصة ، ويدعو اهالى بتروغراد ، عن طريق اللجان

المنزلية ، لأن يقاوموا بحزم كل محاولة لاقتحام المساكن الخاصة ،
وان لا يحجموا عن استعمال السلاح لما فيه مصلحة الدفاع الذاتى
عن المواطنين » .

وعند زاوية شارع ليتينيى كان خمسة من رجال الحرس
الاحمر واثنان من البحارة يحيطون ببائع صحف ويطلبون منه
تسليمهم اعدادا من نسخ جريدة «رابوتشايا غازيتا» المنشفية .
وكان البائع يصيح فى وجوههم بعنف ويهدد بقبضته حين
بادر احد البحارين ، مع ذلك ، الى انتزاع الصحف منه .
وتألب حشد من الناس وراح يقذف رجال الدورية بالشتائم . وراح
عامل قصير القامة يسعى لرد بائع الصحف والجمهور الى جادة
الصواب ، مكررا باستمرار : « منشور هنا بيان كيرنسكى ، وهو
يقول اننا نطلق النار على الشعب الروسى . سيؤدى هذا الى سفك
الدماء ... » .

وقد كان الجو فى سمولنى اكثر توترا من ذى قبل ، اذا كان
هذا ممكنا . الرجال انفسهم يهرولون فى المماشى المعتمة ، والمفارز
نفسها من العمال المسلحين بالبنادق ، والزعماء انفسهم بحقائقهم
المنتفخة ، يتناقشون ويقدمون الايضاحات ويصدرون الاوامر وهم
مسرعون وقد تحلق حولهم الاصدقاء والمساعدون . كانوا حرقا
خارجين عن اطوارهم ، يبدون وكأنهم التجسيد الحى للسهر والشغل
الذى لا يعرف الكلل . طالت لحاهم ، وتشعثت شعورهم ، والتهبت
عيونهم ، وهم منطلقون سريعا الى الهدف المرسوم ، تلهبهم
الحماسة . وكم كان لديهم من اعمال كثيرة ، كثيرة لا نهاية لها !
فقد كان ينبغى تأليف الحكومة ، واحلال النظام فى المدينة ، وابقاء
الحامية الى جانبهم ، ومحاربة الدوما ولجنة الانقاذ ، والصمود فى
وجه الالمان ، والاستعداد لمقاتلة كيرنسكى ، وابلاغ المقاطعات

بما حدث ونشر الدعاية في روسيا كلها من ارخانجلسك حتى فلاديفوستوك . وقد كان موظفو الحكومة والبلدية يرفضون اطاعة المفوضين ، وشغيلة البريد والبرق يقطعون مخابرات سمولني مع العالم الخارجى ، ومستخدمو السكك الحديدية يجيبون بعناد بالرفض على جميع طلباتهم للقطارات . اما كيرنسكى فكان يزحف ، وما كان يمكن الاعتماد كليا على الحامية ، والقوزاق كانوا يستعدون للهجوم . . . ولم يكن يقف من وراء الاعداء البرجوازية المنظمة فقط ، بل كذلك جميع الاحزاب الاشتراكية ، باستثناء الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، وبعض المناشفة-الامميين وجماعة الحياة الجديدة ، حتى هؤلاء كانوا مترددين في ان يقفوا الى جانبهم ام لا يقفون . صحيح ان البلاشفة كانت تسير وراءهم جماهير العمال والجنود الواسعة ؛ وصحيح ان موقف الفلاحين لم يكن قد حدد التحديد الكافى ، ولكن حزب البلاشفة لم يكن في آخر الامر غنيا بذوى الثقافة والمؤهلين . . .

كان ريزانوف ، وهو يصعد السلم ، يفسر بنوع من الدعر الساخر ، انه ، وهو مفوض التجارة والصناعة ، لا يفهم شيئا البتة في الامور التجارية . وفي المقهى القائم فى الطابق العلوى ، كان يجلس منزويا رجل يرتدى قبعة فرائية والطقم ذاته الذى . . . كدت ان اقول ، نام به ليلا ، ولكنه ظل مؤرقا بالطبع . لم يكن قد حلق شعر لحيته منذ ثلاثة ايام . وقد كان يكتب شيئا ما بقلق على مغلف وسخ ويضع الرسا ص مفكرا . وكان هذا مفوض المالية منجنسكى ، وكل مؤهلاته هو انه اشتغل كاتباً فى مصرف فرنسى . . . وها هم هؤلاء الرفاق الاربعة الراكضون فى الممشى من مقر اللجنة العسكرية الثورية وهم يخطون على الطائر شيئا ما على قصاصات من الورق ، - انهم مفوضون مرسلون الى جميع ارجاء

روسيا ليفسروا كل ما جرى ، وليقنعوا ويناضلوا بما يتيسر لهم من الحجج او اى سلاح يقعون عليه ...

كان ينبغي افتتاح جلسة المؤتمر في الساعة الواحدة بعد الظهر ، وكانت القاعة الرحبة قد امتلأت بالمندوبين منذ وقت بعيد ، وكانت الساعة قد بلغت قرابة السابعة ، ولم تكن هيئة الرئاسة قد ظهرت بعد ... وكان البلاشفة والاشتراكيون-الثوريون اليساريون يعقدون اجتماعا في الغرفتين المخصصتين لكل فئة . وكان لينين وتروتسكى قد امضيا كل هذا النهار الذى لا نهاية له في صراع مع انصار المساومة . فقد كان قسم ملحوظ من البلاشفة يميل الى تأليف حكومة اشتراكية شاملة . وكانوا يصيحون قائلين : « لن نستطيع الصمود ! ان ضدنا قوى كثيرة للغاية ! ليس لدينا رجال . سوف ننزل وينهار كل شيء ... » هكذا كان يتكلم كامينيف وريازانوف ، وآخرون .

ولكن لينين ، وقد كان يؤيده تروتسكى ، كان واقفا كالصخرة لا تتزعزع : « فليقر المساومون برنامجنا ليشتركوا في الحكومة ! اننا لن نتراجع قيد انملة . واذا كان يوجد هنا رفاق تنقصهم الجراءة والعزيمة على الاقدام على ما نحن مقدمون عليه فلينضسوا الى جميع المتخاذلين والمساومين الآخرين ! ان العمال والجنود معنا ، ونحن ملزمون بمتابعة العمل » .

وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة بعث الاشتراكيون-الثوريون اليساريون برسول قال انهم سيبقون في اللجنة العسكرية الثورية . فقال لينين :

« هكذا ترون . انهم يسرون وراءنا ! »

وبعد ذلك بقليل ، اذ كنا جالسين وراء طاولة الصحافة في القاعة الكبيرة ، اقترح على فوضوى يشتغل في الصحف البرجوازية ان اذهب معه لنرى ماذا حل بهيئة الرئاسة . فلم نر احدا لا في

غرفة التسيك ولا فى مكتب سوفييت بتروغراد . ومن غرفة الى اخرى تجولنا داخل سمولنى الواسع . يبدو ان لا احد عنده مجرد فكرة عن مكان وجود قادة المؤتمر . واثناء الطريق وصف لى مرافقى عن نشاطه الثورى السابق وفترة لجوئه الطويلة والسعيدة فى فرسا ... وكان هذا الشخص يعتبر البلاشفة اناسا اجلافا سوقيين جهلة ، محرومين من اى حس جمالى . وقد كان نموذجاً حقيقياً للمثقفين الروس ... واخيراً بلغنا الغرفة رقم ١٧ ، مقر للجنة العسكرية الثورية ، ووقفنا امام بابها ، وسط حركة ذهاب واياب مذهلة ... وانفتح الباب ، وخرج من الغرفة رجل مربع القامة عريض المنكبين يرتدى بزة عسكرية بدون كتافيات . كان يبدو عليه انه يبتسم ، ولكن كان بوسع المرء اذا هو امعن النظر ان يدرك ان ابتسامته كانت ابتسامة اعياء لا حد له . انه كريلىنكو . واذا بمرافقى ، وهو شاب رشيق شديد التهذيب فى مظهره ، يهتف جذلاً ويخطو الى امام قائلاً بانفعال وقد مد يده :

« نيقولاى فاسيليفيتش ! اترك نسيئنى ؟ كنا معا فى السجن » . فاجهد كريلىنكو نفسه وركز ذهنه وامعن النظر ، ثم اجاب اخيراً وهو ينظر الى محدثه نظرة تنطوى على تعبير عن المودة البالغة : « ايه ، اجل ... انت س ... مرحباً ! » وتبادلا القبلات . « وماذا تفعل هنا ؟ » - قال كريلىنكو وبسط ساعده بحركة واسعة .

« انى مجرد مراقب ... انتم ، على ما يبدو ، تحققون نجاحاً ، فاجاب كريلىنكو بلهجة حازمة بعض الشيء : « كبيراً ؟ »

« اجل ، ان الثورة البروليتارية نجاح كبير ! » وابتسم . « على انه ... على انه ، ربما التقى معك فى السجن من جديد ! ... » ومضينا نسير فى الممشى ، وراح صاحبى يوضح لى الوضع :

« انا ، كما ترى ، مريد لكروبوتكين . وفي رأينا ان الثورة انتهت
بفشل ذريع : انها لم تلهب وطنية الجماهير . وهذا يبرهن بالطبع ،
على ان شعبنا لم ينضج للثورة ... »

كانت الساعة الثامنة والدقيقة الاربعون تماما حين انطلقت
موجة عارمة من الهتاف والتصفيق معلنة ظهور اعضاء هيئة الرئاسة
وبينهم لينين ، لينين العظيم . مربوع القامة قصيرها ، ورأس كبير
اصلع نافر الجبين متين المستقر على الكتفين . عينان صغيرتان ،
وانف جسيم ، وفم عريض لطيف ، وذقن كبيرة حلقة بدأت تنمو
عليها لحية صغيرة ، شد ما هي شهيرة في الماضي وفي المستقبل .
وثوب رث ، وبنطال اطول من القامة بعض الشيء . ليس مهيبا
ليكون معبود الجماهير ، ولكنه يحظى بحب واحترام لم يحظ بمثلهما
الا القليل من القادة في التاريخ . انه زعيم شعبي نسيج وحده ،
زعيم بفضل قوة ادراكه ليس إلا ، بعيد عن كل بهرج ، غير
مستسلم للاهواء ، صلب ، لا يتزعزع ، خال من ميول لماعة ،
الا ان له قدرة جبارة على الكشف عن اشد الافكار تعقيدا بكلمات
في منتهى البساطة وتقديم تحليل عميق للوضع المحدد يجمع بين
المرونة الحصيفة والشجاعة الفكرية البالغة .

نلا كامينيف تقريراً عن اعمال اللجنة العسكرية الثورية :
الغاء عقوبة الاعدام في الجيش ، اعادة حرية الدعاية ، اطلاق سراح
الجنود والضباط المعتقلين بجرائم سياسية ، امران باعتقال
كيرنسكى ومصادرة مؤن المواد الغذائية من المستودعات
الخاصة ... تصفيق عاصف .

ومن جديد نكلم ممثل البوند . فقال ان موقف البلاشفة
المتصلب سيقضى على الثورة ، ولذلك فان مندوبى البوند مضطرون
للامتناع عن متابعة الاشتراك في المؤتمر .

وانطلقت صيحات تقول : «كنا نظن انكم انسحبتم منذ الليلة الماضية ؟ فكم مرة ستنسحبون ؟»

ثم تكلم ممثل المناشفة-الاميين . فكانت صيحات : «كيف ؟ أما تزالون هنا ؟» ويوضح الخطيب بان لم ينسحب من المؤتمر غير قسم من المناشفة-الاميين ، وبقي قسم في المؤتمر . وقال :

«نحن نعتقد ان تسليم السلطة للسوفييتات خطوة خطيرة بل ربما كان فيه القضاء على الثورة ... (ضجيج) . - ولكننا نرى من واجبنا البقاء في المؤتمر والتصويت ضد هذا التسليم . وتكلم خطباء آخرون ، يبدو انهم اخذوا الكلام دون ان يكونوا مسجلين مسبقا . ودعا مندوب من عمال الفحم في حوض الدونتر المؤتمر لاتخاذ التدابير ضد كاليدين الذي قد يقطع الفحم والخبر عن العاصمة . وتكلم عدة جنود قادمون من الجبهة فنقلوا الى المؤتمر تحية اعجاب من افواجهم .

وها هو ذا لينين على المنبر . كان يقف ممسكا بطرفي المنبر مستعرضا جمهور المندوبين بعينين نصف مغمضتين ، ينتظر وهو على ما يبدو متجاهل للتهافتات المتعالية التي استمرت عدة دقائق . وحين هدأت ، قال بايجاز وبساطة :

«لقد دقت الآن ساعة المباشرة ببناء النظام الاشتراكي !»
ومن جديد انطلق هدير هائج لعاصفة بشرية .

«ان اول مهمة ينبغي ان نقوم بها ، هي اتخاذ خطوات عملية لتحقيق السلام ... ينبغي لنا ان نقترح على شعوب جميع البلدان المتحاربة صلحا قائما على اساس الشروط السوفييتية ؛ بدون الحاقات ، وبدون تعويضات ، على اساس حرية الشعوب في تقرير مصيرها . وفي الوقت نفسه ، وبناء على وعدنا ، نحن ملزمون بنشر المعاهدات السرية والامتناع عن التقييد بها ... ان مسألة الحرب

والسلام هي من الوضوح بحيث استطيع بدون اية مقدمات تلاوة مشروع النداء الى شعوب جميع البلدان المتحاربة ...»
 كان لينين يتكلم وفمه واسع الانفتاح كانما هو يتسم .
 وكان صوته مشوباً ببحة - غير ممجوج سماعه ، بل كانما صقلته
 إلفة الخطابة طيلة سنوات وسنوات - سوى النبرة بحيث يخيّل
 للمرء ان في امكانه الاستمرار على هذه النبرة الى ما لا نهاية ...
 وكان لينين ، حين يرغب في التاكيد على فكرته ، ينحني الحنأة
 خفيفة الى امام . اما الاشارات الخطائية فلا شيء منها . وكانت
 الاولف من الوجوه البسيطة تتطلع اليه في خشوع ، وقد امتلأت
 شغفا .

«نداء الى شعوب وحكومات جميع البلدان المتحاربة

ان حكومة العمال والفلاحين المنبثقة من ثورة ٢٤-٢٥
 تشرين الاول (اكتوبر) والمستندة الى سوفيات نواب العمال
 والجنود والفلاحين تقترح على جميع الشعوب المتحاربة وعلى
 حكوماتها ان تشرع على الفور بمفاوضات في سبيل صلح ديموقراطي
 عادل .

ان الحكومة تعتبر الصلح الديموقراطي او العادل هو الذي
 تتعطش اليه في جميع البلدان المتحاربة الغالبية العظمى من العمال
 والطبقات الكادحة التي ارهقتها الحرب وانهكتها وسامتها العذاب -
 الصلح الذي ما زال يطالب به العمال والفلاحون الروس مطالبة
 اكيدة وملحة جدا بعد اسقاط الملكية القيصرية - الصلح الذي
 يقوم على الفور من غير ما إلحاق يفرض (اى من غير اغتصاب
 للاراضى الاجنبية ومن غير ضم للقوميات الاجنبية الى كيان دولة
 اخرى بالقوة) ومن غير تعويض ما يفرض .

هذا هو الصلح الذى تقترحه حكومة روسيا على جميع الشعوب المتحاربة لتبرمه على الفور ، وهى تعلن انها مستعدة لأن تقوم ، بدون تلكوء ومباطلة ، بكل الخطوات الحازمة الضرورية قبل ان يتم التصديق النهائى على كل شروط هذا الصلح من قبل المجالس ذات الصلاحية لممثلى الشعب فى جميع البلدان والامم .

وان الحكومة لتقصد بالدمج او الاستيلاء على الاراضى الاجنبية - حسب مفهوم الحق عند الديموقراطية عامة ، والطبقات الكادحة خاصة - كل ضم لقومية صغيرة او ضعيفة تقوم به دولة كبيرة او قوية الى كيائها ، دون ان تعبر هذه القومية عن موافقتها ورغبتها تعبيرا دقيقا جليا حرا ، ايا كان موعد حدوث هذا الضم القسرى ومهما كان مستوى التطور الحضارى او تأخره للامة التى ضمت بالقوة او المحجوزة بالقوة فى حدود الدولة المعنية ، واخيرا لا يؤثر فى ذلك سواء أكانت تلك الامة فى اوربا ام فى البلدان النائية عبر المحيطات .

واذا احتجزت امة اية كانت بالقوة فى حدود دولة من الدول - ولم تعط الحق - على الرغم من الرغبة التى سواء عبرت عنها فى الصحافة او فى الاجتماعات الشعبية او قرارات الاحزاب او بالتمرد او الانتفاضات ضد الاضطهاد القومى - تقول - لم تعط الحق لتقرر بتصويت حر ، بعد جلاء تام لجيوش الامة الضامة او بشكل عام امة اقوى ، من دون ادنى اكراه ، مسألة اشكال كيائها السياسى ، فان ضم هذه الامة يعتبر دمجا ، اى احتلالا وعنفا .

وتعتبر الحكومة ان الاستمرار فى هذه الحرب لتمكين الامم القوية والغنية من ان تتقاسم فيما بينها الشعوب الضعيفة والمغلوبة على امرها ، انما هو اعظم جريمة تقترب فى حق الانسانية . وانها لتعلن رسميا عن عزمها على التوقيع فورا على شروط صلح يوقف

هذه الحرب بالشروط المشار اليها والعادلة بالدرجة نفسها لجميع الشعوب دونما استثناء .

وتعلن الحكومة في الوقت ذاته انها لا تعتبر ابدا شروط الصلح المشار اليها آنفا شروطا نهائية . فهي نقبل ان تبحث كل شروط اخرى للصلح ملحة فقط على ان تقترح باسرع ما يمكن من قبل اى بلد متحارب ، وان نكون واضحة كل الوضوح وان ينبذ بشكل محتتم كل التباس وكل سر لدى عرض شروط الصلح . ان الحكومة تلغى الديبلوماسية السرية ، وتعتبر من جانبها عن ثابت عزمها على اجراء المفاوضات كلها بشكل مكثوف كليا امام الشعب بأسره ، وتنشر على الفور ، بالنص الكامل ، المعاهدات السرية التي ابرمتها او عقدها حكومة الملاكين العقاريين والرأسماليين مد شهر شباط (فبراير) حتى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . وتعلن الحكومة انها تلغى على الفور ودون قيد ولا شرط كل مضمون هذه المعاهدات السرية الهادفة ، كما كانت الحال في اغلب الاوقات ، الى تأمين مغامم وامتيازات للملاكين العقاريين والرأسماليين الروس ، وإلى المحافظة على الاراضى التي اغنصبها الروس او تميمتها .

ثم ان الحكومة ، اذ تدعو حكومات جميع البلدان وشعوبها الى الشروع على الفور بمفاوضات علنية لعقد الصلح ، تعلن من جانبها انها مستعدة لاجراء هذه المفاوضات إما كتابيا ، تلغرافيا ، وإما عن طريق المحادثات بين ممثلى مختلف البلدان او فى مؤتمر ينعقد لهؤلاء الممثلين . وان الحكومة ، تسهلا منها لهذه المفاوضات ، تعين ممثلا عنها مطلق الصلاحية فى البلدان المحايدة . وتقترح الحكومة على جميع الحكومات والشعوب فى جميع البلدان المتحاربة عقد هدنة فورا ، وترى من جانبها انه من المرغوب فيه ان تكون مدة هذه الهدنة ثلاثة اشهر على اقل

تقدير ، اى لمدة يمكن كل الامكان خلالها اجراء وانجاز محادثات الصلح بالاشتراك مع ممثلى جميع القوميات او الامم دونما استثناء سواء من جرّ منها الى الحرب او اضطر الى خوضها وكذلك عقد مجالس ذات صلاحيات لممثلى الشعوب فى جميع البلدان وذلك للتصديق نهائيا على شروط الصلح .

ان حكومة العمال والفلاحين الموقّعة فى روسيا ، اذ تتوجه باقتراح الصلح هذا الى حكومات جميع البلدان المتحاربة وشعوبها ، تتوجه فى الوقت ذاته وبنوع خاص الى العمال الواعين فى الامم الثلاث ، وهى اكثر امم الانسانية تقدما ، والدول الثلاث الكبرى من الدول المشتركة فى الحرب الحاضرة : انكلترا وفرنسا والمانيا . ان عمال هذه البلدان ادوا اعظم خدمة الى قضية التقدم والاشتراكية : ان النماذج العظيمة التى قدمتها الحركة الشارتيه فى انكلترا ، وجملة الثورات ذات الاهمية العالمية والتاريخية التى قامت بها البروليتاريا فى فرنسا ، واخيرا المضال البطولى ضد القانون الاستثنائى فى المانيا ، والعمل الدؤوب العنيد المنظم النموذجى بالنسبة لعمال العالم اجمع لانشاء منظمات بروليتارية جماهيرية فى المانيا - ان كل هذه النماذج عن بطولة البروليتاريا والابداع التاريخى لهى ضمان لنا بان عمال هذه البلدان سيفهمون الواجبات الملقة على عوائقهم اليوم ، واجبات تحرير الانسانية من احوال الحرب ونتائجها ، وبان هؤلاء العمال بنشاطهم الحارم والمتفانى والمتنوع الوجوه سيساعدوننا على السير قدما بقضية السلم الى النهاية بنجاح وفى الوقت ذاته قضية تحرير الجماهير الكادحة والمستثمرة من كل عبودية وكل استغلال » .

وحين هدأت عاصفة التصفيق ، استأنف لينين الكلام من جديد :

« اننا نقترح على المؤتمر الموافقة على هذا النداء وتصديقه .
 اننا لا نتوجه الى الشعوب فقط ، بل الى الحكومات ايضا ، لأن
 التوجه الى شعوب البلدان المتحاربة وحدها ، من شأنه ان يؤخر
 عقد اتفاقية الصلح . وشروط الصلح سيجرى اعدادها اثناء
 الهدنة وتصديقها من قبل الجمعية التأسيسية . ونحن نريد من
 وراء تحديد مدة الهدنة بثلاثة شهور ان نعطي الشعوب اطول
 فترة راحة ممكنة من الحرب الدامية والوقت الكافي لانتخاب ممثلين
 عنها . ان بعض الحكومات الامبريالية ستعارض اقتراحاتنا
 السلمية ، ونحن لا نضلل انفسنا في هذا الصدد . ولكننا نأمل
 بان الثورة سرعان ما تندلع في جميع البلدان المتحاربة ، ولهذا
 بالضبط نتوجه بالحاح خاص الى العمال الفرنسيين والانكليز
 والالمان...»

وختم قائلا : « ان ثورة ٢٤-٢٥ تشرين الاول (اكتوبر)
 تدشن عصر الثورة الاجتماعية ... ان الحركة العمالية في سبيل
 السلام والاشتراكية ستصل الى النصر وستؤدي رسالتها ...»
 كان ينبعث من كلماته اطمئنان وقوة ينفذان بعمق الى نفوس
 الناس . وكان جليا كل الجلاء السبب الذي من اجله كان الشعب
 يثق على الدوام بما يقول لينين .

وقد قدم واقر على الفور بالاقتراع العلني ، اقتراح يقضي
 باعطاء حق الكلام لممثل الكتل السياسية فسط وتحديد مدة الكلام
 للخطباء بخمس عشرة دقيقة .

فكان اول المتكلمين كاريلين باسم الاشتراكيين-الثوريين
 اليساريين ، فقال : « ان كتلتنا لم يتح لها فرصة تقديم تعديل على
 نص النداء ، ولذلك فهو صادر عن البلاشفة وحدهم . ولكننا
 سنصوت الى جانبه مع ذلك ، لأننا محبذون كل التحييد لاتجاهه
 العام...»

وتكلم كراماروف باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين الامميين ، وهو رجل طويل القامة ، ضيق المنكبين ، حسير البصر ، كتب له ان ينال شهرة لا يحسد عليها ، شهرة كونه مهرج المعارضة . وقد اعلن قائلا انه ليس يمكن الا لحكومة مؤلفة من ممثلى جميع الاحزاب الاشتراكية ان تحوز على الصلاحية الكاملة للاقدام على عمل بمثل هذا القدر من الاهمية . فاذا ما تشكل مثل هذا الائتلاف الاشتراكى فان كتلتنا ستؤيد البرنامج بكامله ، والا فانها ستؤيده جزئيا فقط . اما فيما يتعلق بالنداء فان الامميين يؤيدون نقاطه الاساسية ...

وبعد هذا راح الخطباء يتكلمون الواحد اثر الآخر فى جو من الحماسة المتزايدة . وقد ايد النداء ممثلو الاشتراكيين-الديموقراطيين الاوكرانيين ، والاشتراكيين-الديموقراطيين الليتوانيين ، والاشتراكيين الشعبيين ، والاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين واللاتفيين . وكذلك ايد الحزب الاشتراكى البولوى النداء ، ولكنه المح الى انه يفضل الائتلاف الاشتراكى ... لقد استيقظ شىء ما فى هؤلاء الناس جميعا . كان احدهم يتكلم عن « الثورة العالمية المقبلة التى نحن طليعتها » وآخر عن « عصر الاخوة الجديد الذى سيضم جميع الشعوب فى اسرة عظمى واحدة ... » واعلن احد المندوبين قائلا باسمه الشخصى : « ثمة شىء من التناقض . فى البداية تقترحون صلحا بدون الحاق ولا تعويضات ثم تقولون انكم مستعدون للنظر فى جميع مقترحات الصلح . والاستعداد للنظر يعنى الاقرار ... »

وفى الحال هب لينين واقفا : « اننا نريد صلحا عادلا ، ولكننا لا نخشى الحرب الثورية ... والارجح ان الحكومات الامبريالية لن تستجيب لدعوتنا ، ولكننا لا ينبغي ان نقدم لهم انذارا نهائيا من اليسير جدا الرد عليه بالرفض ... فاذا ما رأت

البروليتاريا الالمانية اننا مستعدون لبحث اى اقتراح للصالح فقد يكون هذا القطرة الاخيرة التى تجعل الكاس تطفح ، فتندلع الثورة فى المانيا .

اننا موافقون على بحث اية شروط للصالح ، ولكن هذا لا يعنى البتة اننا موافقون على قبولها . اننا سنناضل حتى النهاية ، فى سبيل بعض نقاط شروطنا ، ولكن من الممكن جدا ان تكون بينها شروط لا نعتبر ان من الضرورى متابعة الحرب فى سبيلها ...

ولكن الامر الرئيسى هو اننا نريد الانتهاء من الحرب ...»
كانت الساعة قد بلغت العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين

تماما حين اقترح كامينيف على جميع المؤيدين للنداء ان يرفعوا بطاقات انتدابهم . وحاول احد المندوبين ان يرفع يده معارضا ، ولكن عاصفة الاستنكار التى انفجرت من حوله كانت من الشدة بحيث جعلته يسرع فى اسدال يده ... وتم الاقرار بالاجماع .

وهبنا جميعا واقفين بدافع مفاجئ عفوئ ، وانسكب اجماعنا فى نشيد «الاممية» المنطلق المؤثر . وراح جندى عجوز اشيب يبكى بكاء الطفل . وكانت الكسندرا كولونتاي تسكب دموعها خفية . وملا لحن النشيد الجبار القاعة وانطلق عبر النوافذ والابواب وبلغ السماء الهادئة . «انتهت الحرب ! انتهت الحرب !» ، هكذا كان جارى ، وهو عامل شاب ، يقول مبتسما بابتهاج . وحين انتهينا من انشاد «الاممية» ووقفنا فى صمت ثقيل ، صاح صوت من الصفوف الخلفية : «يا رفاق ، فلنذكر من استشهدوا فى سبيل الحرية !» . فشرعنا نرثم النشيد الماتمى ، هذا النشيد المهيب الحزين ، الا انه نشيد مظفر ، عميق فى روسيته ، ولا نهاية لتأثيره فى النفس . والحق ، ان «الانترناسيونال» («الاممية») هو مع ذلك نشيد ألف فى بلد آخر . واما النشيد الماتمى فانه يكشف عن كل روح نلك

الجمهير المضطهدة التي كان مندوبوها مجتمعين في هذه القاعة ،
يبنون من رؤياهم الغامضة روسيا الجديدة ، بل ربما اكثر
من ذلك ...

ضحايا ذهبتم في النضال المحتوم ،
من اجل الحب المتفاني للشعب
بكل ما استطعتم جدم في سبيله ،
من اجل حياته ،
من اجل سعادته وحرية .

ستحل الساعة ويستيقظ الشعب ،
عظيما ، قديرا ، طليقا .
فيا من سرتهم يشرف
دربكم الكريم المجيد ،
وداعا ايها الاخوة !

في سبيل هذا كان شهداء ثورة آذار (مارس) في مقبرة
التآخي الباردة بساحة مارس ، وفي سبيل هذا مات الالوف وعشرات
الالوف في السجون ، في المنافي ، في مناجم سيبيريا . اذا لم يتحقق
كل شيء مثلما كانوا يتصورون ، مثلما كان يرغب في ذلك
المثقفون ، ولكن الامر قد تحقق مع ذلك ، ولقد تحقق بشكل
عنيف ، متسلط ، عجول ، نابذ للصيغ الجاهزة ، مستهتر بكل
عاطفية ، صادق ...

وقرأ لينين مرسوم الارض :

« ١ - تلغى الملكية الكبيرة للارض على الفور بدون اي
تعويض .

٢ - توضع الملكيات العقارية الكبيرة ، وكذلك جميع اراضي

الاقطاع ، واراضى الاديرة والكنائس ، مع جميع موجوداتها الحية والميتة ومبانيها وتوابعها ، تحت تصرف اللجان الزراعية فى الاقضية وسوفييتات نواب الفلاحين فى النواحي حتى انعقاد الجمعية التأسيسية .

٣ - كل اتلاف للممتلكات المصادرة التى هى منذ الآن ملك للشعب بأسره يعتبر جريمة خطيرة تقع تحت طائلة العقاب امام المحكمة الثورية . وعلى سوفييتات نواب الفلاحين فى النواحي ان تتخذ جميع التدابير اللازمة للمحافظة على النظام الصارم عند مصادرة اراضى كبار الملاكين العقاريين ، وتحديد مساحة الاراضى موضوع المصادرة وتعيينها بدقة ، ووضع قائمة مضبوطة بجميع الممتلكات المصادرة ، وثأمين الحماية الثورية الشديدة على جميع الاستثمارات الزراعية والمنشآت والاوائل والماشية والمؤونة ، الخ . ، التى تنتقل للشعب .

٤ - ان التوصيات الفلاحية الالزامية^٣ التالى نصها ، التى وضعت من قبل هيئة تحرير «ازفستيا سوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا» ، على اساس ٢٤٢ توصية فلاحية محلية ، والمنشورة فى عدد «الازفستيا» هذه رقم ٨٨ (بتروغراد ، رقم ٨٨ ، ١٩ آب - اغسطس - ١٩١٧) يجب الاسترشاد بها عند القيام بالتحويلات الزراعية الكبرى الى ان تتخذ الجمعية التأسيسية القرار النهائى بشأنها .

٥ - لا تصادر اراضى الفلاحين البسطاء والقوزاق البسطاء . واضاف لينين قائلا : « ليس هذا بمشروع الوزير السابق تشيرنوف الذى كان يقول بضرورة «بناء الصقالة» ويحاول اجراء اصلاح من فوق . ان مسألة توزيع الاراضى ستحل من تحت ، عن كذب . وما يصيب الفلاحين من الارض سيكون حسب المنطقة ... فى ظل الحكومة الموقته ، كان الملاكون العقاريون يرفضون

رفضاً باتاً الانصياع لأوامر اللجان الزراعية ، هذه اللجان التي ابتدعها لفوف ، وحققها شنغاريوف ، وتولى ادارتها كيرنسكى !
لم تكن المناقشات قد بدأت عندما شق احدهم الدرب لنفسه بعنف دافعا بالجمهور المزدهم في الممر ، وارتقى المنبر بسرعة .
وكان هذا عضو اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين بيايخ . كان خارجا عن طوره من شدة الغيظ . وقد قذف كلماته بعنف في وجوه المندوبين ، قائلا :

« ان اللجنة التنفيذية لسوفييتات نواب الفلاحين لعامة روسيا تحتج على اعتقال رفيقينا ، الوزيرين سالازكين وماسلوف ! اننا نطالب بالاعراج عنهما فورا ! انهما معتقلان في قلعة بطرس وبولس . ينبغي العمل فورا . لا يجوز اضاءة دقيقة واحدة !
وعقبه جندي اشعث اللحية ملتهب العينين . فقال : « انكم قاعدون هنا تتكلمون عن تقديم الارض للفلاحين ، ولكنكم انتم انفسكم في هذا الوقت تعاملون الممثلين المنتخبين عن الفلاحين معاملة الطغاة والمغتصبين . واني لاحذركم - قال هذا مهددا بقبضته - احذركم من انه اذا ما مُسَّت شعرة من رأسيهما فلسوف تواجهون الانتفاضة ! » . فراح الجمهور يدمدم باضطراب .

وارتقى المنبر تروتسكى الهادئ ، اللاذع الواثق بقوته . فاستقبله الحضور بهمة ترحيب . « يوم امس اتخذت اللجنة العسكرية الثورية قرارا مبدئيا باطلاق سراح الوزراء الاشتراكيين الثوريين والمناشفة : ماسلوف ، سالازكين ، غفوزديف ، ماليانتوفيتش . واذا كانوا ما يزالون معتقلين في قلعة بطرس وبولس فما ذلك الا لاننا مشغولون الى ما فوق الحد . . . ومفهوم انهم سيظلون تحت الاقامة الجبرية في بيوتهم الى ان يتضح نهائيا اشتراكهم في اعمال الخيانة التي قام بها كيرنسكى وقت عصيان كورنييلوف » .

وصاح بيانخ قائلا : « لم يحدث قط ، لم يحدث قط في اية ثورة ما نراه الآن ! »

فاجاب تروتسكى : « انك لمخطى' ، فحتى نورتنا شاهدت مثل هذه الاشياء . ان مئات من رفاقنا قد اعتقلوا في ايام تموز (يوليو) وحين اطلق سراح رفيقتنا كولونتاي من السجن بطلب من الطبيب ، وضع افكسنستيف امام باب بيتها عميلين من رجال الشرطة السرية القيصريّة السابقين ! » وانسحب ممثلو الفلاحين شاتمين وشيعةهم الحضور بصيحات السخرية .

واعرب ممثل الاشتراكيين-الثوريين عن رأيهم بمرسوم الارض . انهم مع تأييدهم المبدئي التام للمرسوم لا يمكن مع ذلك ان يصوتوا له الا بعد بحثه . ولا بد من معرفة رأى سوفيئات الفلاحين . وكذلك اصر المناشفة الامميون على بحث المسألة داخل حزبهم .

وبعد ذلك تكلم زعيم المكسيماليين ، اى الجناح الفوضوى من الفلاحين ، فقال : « ليس في وسعنا الا ان نقر بالفضل لذلك الحزب السياسى الذى حقق مثل هذا العمل منذ اليوم الاول بدون اية فثرة . . . ! »

وظهر على المنبر فلاح نموذجى ، طويل الشعر ، يلبس جزمة طويلة الساق ومعطفًا من فرو الغنم . وراح ينحن الى جميع الجهات ، ثم قال : « مرحبا ، ايها الرفاق والمواطنون . ثمة رجال من الكاديت ما يزالون يتجولون هنا من حولنا . وانتم تعتقلون فلاحينا الاشتراكيين ، فلماذا لا تعتقلون هؤلاء الكاديت ؟ »

وكان هذا نديرا بانطلاق نقاش حاد بين الفلاحين ، مثل النقاش الذى ثار ليلة امس بين الجنود . كان ثمة بروليتاريو الارض الحقيقيون

« ان اعضاء لجنتنا التنفيذية افكسنتيف والآخرين الذين
كنا نعتبرهم مدافعين عن الفلاحين ، هم امثال الكاديت ! فاعتقلوهم !
اعتقلوهم ! »

وانطلق صوت آخر : « ومن هم هؤلاء جميعا ، اضراب
افكسنتيف وبيانخ ؟ ليسوا فلاحين على الاطلاق ! بالسنتهم فقط
يثرثرون ! »

وكم اشرأب جمهور المندوبين نحو هؤلاء الخطباء ، شاعرا
انهم اخوة له !

واقترح الاشراكيون-الشوريون اليساريون فترة استراحة لمدة
نصف ساعة . وجب أخذ المندوبون يخرجون من القاعة ، نهض
لينبن من مكانه فقال :

« لا يجوز لنا ان نضيع الوقت ، يا رفاق ! فغدا صباحا
ينبغي ان تعلم روسيا كلها بانباء ذات اهمية هائلة ! فلا ابطاء ! »
ووسط المناقشات الحامية والاحاديث وجلبة المئات من
الاقدام سمع صوت ممثل اللجنة العسكرية الثورية يصيح :

« ينبغي ان يذهب ١٥ من المحرضين الى الغرفة ١٧ !
لارسالهم الى الجبهة ! .. »

وبعد ساعتين ونصف اخذ المندوبون يعودون الى القاعة
جماعات جماعات ، وشغلت هيئة الرئاسة مكائها ، واستؤنفت
الجلسة . وبدى بتلاوة برقيات من مختلف الافواج تعلن تأييدها
للجنة العسكرية الثورية .

ودب النشاط في الاجتماع شيئا فشيئا . فقد راح مندوب من
القوات الروسية في جبهة مقدونيا يتحدث بمرارة عن الوضع
لديهم . وقد قال : « اننا الآن نعاني من صداقة «حلفائنا» اكثر
مما نعاني من الاعداء » . واعلن ممثلو الجيشين العاشر والثاني
عشر ، وقد كانوا قادمين لتوهم من الجبهة : « اننا نعدكم بكل ما

في المستطاع من المساندة والتأييد ! » واحتج جندي من الفلاحين على اطلاق سراح « الاشتراكيين الخائنين ماسلوف وسالازكين » . اما فيما يتعلق باللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين فينبغى اعتقالها بكاملها ! اجل ، لقد كانت هذه كلمات ثورية حققة ... واعلن مندوب القوات الروسية في ايران انه مكلف بالمطالبة بتسليم كل السلطة للسوفييتات . وصاح ضابط اوكراني بلغته الوطنية : « في وقت ازمة كهذه لا يمكن ان يكون ثمة اى تفريق على اساس القوميات ... عاشت ديكتاتورية البروليتاريا في جميع البلدان ! » هكذا كان يضطرم هذا السيل من الافكار السامية الحارة ، وكان جليا ان روسيا لن يمكن ابدا ان تلوذ بالصمت من جديد .

واعلن كامينيف ان القوى المعادية للبلاشفة تسعى لاثارة الاضطرابات في كل مكان ، وملا نداء من المؤتمر الى جميع السوفييتات المحلية :

« ان مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود لعامة روسيا يكلف السوفييتات المحلية بان تتخذ على الفور اشد التدابير للحيلولة دون الاعمال المعادية للثورة ، والمجازر ضد اليهود واية مجازر اخرى . ان شرف ثورة العمال والجنود والفلاحين يقضى بعدم السماح باية مجازر .

ان الحرس الاحمر في بتروغراد وحامية بتروغراد والبحارة قد امنوا النظام التام في العاصمة .

فعلى العمال والجنود والفلاحين في كل مكان من الاقاليم ان يحذوا حذو عمال بتروغراد وجنودها .

ايها الرفاق الجنود والقوزاق ، على كاهلكم بالدرجة الاولى يقع واجب تأمين النظام الثورى الحقيقى . واليكم تتطلع روسيا الثورية كلها والعالم بأسره ! »

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل طرح المرسوم عن

الارض على التصويت ، وتم اقراره بكامل الاصوات مقابل صوت واحد معارض . وجن جنون المندوبين الفلاحين من شدة البهجة والحماس ...

وهكذا كان البلاشفة يمضون قدماً على نحو لا يقاوم ، نابذين جميع الشكوك ، مزيلين من دربهم جميع المعارضين . وقد كانوا الناس الوحيدين في روسيا الذين يملكون برنامجاً للأعمال محدداً ، في الوقت الذي كان فيه الآخرون جميعاً لا عمل لهم سوى الثروة طيلة الشهور الثمانية بكاملها .

وارتقى المنبر جندي شديد النحول ، مهترئ^١ اللباس ، بليغ العبارة ، فاحتج على مادة في التوصيات * تنص على ان الهاربين من الجيش يحرمون من حصتهم في الارض . وقد قوبل اول الامر بالسخرية والصفير ، ولكن كلماته البسيطة المؤثرة ارغمت الجميع آخر الامر على الصمت . فقد صاح قائلاً : « ان الجندي البائس الذي قذف به مرغماً في مجزرة الخنادق التي تعترفون انتم انفسكم في المرسوم عن السلام بهولها الاخرق ، قد استقبل الثورة استقباله لنبا عن السلام والحرية . السلام ؟ ان حكومة كيرنسكى قد ارغمته من جديد على الزحف ، على الذهاب الى غاليسيا ليقتل ويقتل . كان يتلطف الى السلام ، واما تيريشنكو فكان يكتفى بالضحك ... الحرية ؟ لقد رأى في عهد كيرنسكى ان لجانه تحل وصحفه تمنع من الصدور ، والمتكلمون باسم حزيه يلقي بهم في السجن ... اما في البيت ، في القرية مسقط رأسه ، فالملكون العقاريون الكبار يحاربون اللجان الزراعية ويسجنون رفاقه ... وفي بتروغراد ، كانت البرجوازية ، بالتحالف مع الالمان ، تعرقل تمويل الجيش

* المقصود هنا التوصيات التي اقرها المؤتمر في الوقت نفسه مع المرسوم عن الارض . المحرور .

بالمواد الغذائية والملابس والذخيرة ... وقد كان الجندي يقبع في الخنادق عاريا حافيا . فمن الذى دفع به الى الفرار من الجيش ؟ انها حكومة كيرنسكى التى اطحتم بها ! » وفي النهاية قوبل حتى بالتصفيق . وهنا القى جندي آخر خطبة ملتهبة ، قال فيها : « ليست حكومة كيرنسكى ستارا يمكن ان يخفى وراءه عمل قذر مثل الفرار من الجيش ! الفار من الجيش نذل يهرب الى بيته ويتخلى عن رفاقه الذين يموتون في الخنادق ! كل فار من الجيش خائن وينبغى ان يلقي العقاب ... » ضجيج وصياح : « كفى ! اسكت ! » وسارع كامينيف يقترح ترك المسألة للحكومة لتتظفر فيها .

وفي الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين صباحا ساد الاجتماع صمت متوتر . قرأ كامينيف مرسوم تشكيل الحكومة :

« تؤلف من اجل ادارة البلاد حتى انعقاد الجمعية التأسيسية حكومة عمال وفلاحين موقته تسمى مجلس مفوضى الشعب * . ستتولى ادارة مختلف نواحي حياة الدولة لجان يكون على اعضائها تأمين تنفيذ برنامج المؤتمر بالاتحاد الوثيق مع المنظمات الجماهيرية للعمال والعاملات والبحارة والجنود والفلاحين والمستخدمين . والسلطة الحكومية تعود للهيئة المؤلفة من رؤساء هذه اللجان ، اى لمجلس مفوضى الشعب .

ان الرقابة على نشاط مفوضى الشعب وحق عزلهم يعودان لمؤتمر سوفياتات نواب العمال والفلاحين والجنود لعامة روسيا ولجنته التنفيذية المركزية ... » وساد القاعة هدوء تام ؛ وبعد ذلك كانت عواصف التصفيق تنفجر عند قراءة قائمة مفوضى الشعب بعد كل اسم ، وبخاصة لينين وتروتسكى .

« ... رئيس المجلس — فلاديمير اوليانوف (لينين) ؛

مفوض الشعب للداخلية — ا . ا . ريكوف ؛

للزراعة - ف . ب . ميليوتين ؛
 للعمل - ا . غ . شليابنيكوف ؛
 للحربية والبحرية - لجنة مؤلفة من :
 ف . ا . اوفسيينكو (انطونوف) ، ن . ف . كريلنكو ؛
 ب . ا . دينكو ؛
 للتجارة والصناعة - ف . ب . نوغين ؛
 للتعليم العام - ا . ف . لوناتشارسكى ؛
 للمالية - ا . ا . سكفورنسوف (ستيبانوف) ؛
 للخارجية - ل . د . برونشتاين (تروتسكى) ؛
 للعدلية - غ . ا . ايتوكوف (لوموف) ؛
 للتموين - ا . ا . تيبودوروفيتش ؛
 للبريد والبرق - ن . ب . افيلوف (غليبوف) ،
 رئيس لشؤون القوميات - ي . ف . جوغاشفيلي (ستالين)
 يبقى شاغرا بصورة مؤقتة منصب المفوض لشؤون السكك
 الحديدية » .

لاحت الحراب في جوانب القاعة ؛ ولقد كانت تطل برؤوسها
 فوق مقاعد المندوبين . فاللجنة العسكرية الثورية قد سلحت
 الجميع . وقد كانت البلشفية تتسلح للمعركة الحاسمة مع كيرنسكى
 وقد حملت الريح الجنوبية الشرقية اصوات نفي هذه المعركة . . .
 وما كان ثمة من احد راغب في الذهاب الى بيته . بالعكس ، لقد كان
 ياتى القاعة المئات من الوافدين الجدد . وقد كانت القاعة الضخمة
 غاصة بجنود صارمى الوجوه وعمال . كانوا يقفون هنا ساعات طوالا
 يصغون بلا كلل الى الخطباء . وكان الجو الفاسد ممتلئا بدخان
 التبغ . وكانت تفوح رائحة العرق ، والتنفس البشرى والملابس
 الوسخة .

تكلم افيلوف ، من هيئة تحرير «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين الامميين والباقيين في المؤتمر من المناشقة الامميين بوجهه الشاب والذكي ؛ ويبدو في معطف السهرة الاليق الذي يرتديه شاذاً عن الوسط المحيط به .

« يتبغى لنا ان ندرك بجلاء ما الذي يجرى والى اين نحن ذاهبون ... ان السهولة التي تمت فيها الاطاحة بالحكومة الائتلافية ليس مردها كون الديموقراطية اليسارية جد قوية ، وانما فقط عجز الحكومة عن توفير الخبز والسلم للشعب . ولن يكون في وسع الجناح اليسارى من الديموقراطية ان يصمد الا في حال استطاعته حل هاتين المهمتين كليهما .

فهل هو قادر على توفير الخبز للشعب ؟ ان الخبر في البلاد جد قليل . واكثرية جماهير الفلاحين لا تسير وراءكم لأنكم عاجزون عن منحها الآلات التي شد ما هي في حاجة اليها . ويكاد يكون مستحيلا الحصول على المحروقات والمواد الاخرى التي هي في الدرجة الاولى من الضرورة ...

والتوصل الى السلام على مثل هذه الدرجة صعب ويزداد الامر صعوبة اذ ان حكومات الدول الحليفة قد رفضت الكلام حتى مع سكوبيليف ، اما اقتراح عقد مؤتمر للصلح ، الصادر عنكم ، فانها لا تقبله باية حال . وانتم غير معترف بكم لا من لندن ، ولا من باريس ، ولا من برلين .

وليس يمكن الآن الاعتماد على تأييد بروليتاريا البلدان الحليفة ، لأنها بمعظمها ما تزال جد بعيدة عن النضال الثوري . وتذكروا ان الديموقراطية المتحالفة لم تتمكن حتى من عقد مؤتمر ستوكهولم . اما بشأن الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، فقد كنت للتو في حديث مع مندوبنا الى ستوكهولم الرفيق غولدنبرغ .

ان ممثلى الجناح اليسارى المتطرف يعلنون له ان الثورة فى المان مستحيلة خلال الحرب ...» الصيحات من المفاعد تزداد بالطراد تواترا وشدة ، ولكن افيلوف يتابع كلامه :

« اما ان يتحطم الجيش الروسى على يد الالمان ، فيتصالح الائتلافان الالماني-التمسوى والانكلو-فرنسى على حسابنا ، واما ان نعقد صلحا مع المانيا ، وستكون النتيجة فى الحالين على حد سواء العزلة التامة لروسيا .

لقد علمت للتو ان سفراء الجلفاء يعتزمون السمر وان لحانا لانقاذ الوطن والثورة ننظم فى جميع مدن روسيا ...»

ليس يمكن لأى حزب ان يتغلب لوحده على مثل هذه المصاعب الهائلة . فقط الاكثرية الحقيقية للشعب التى تؤيد حكوته»
ائتلاف اشتراكى ، يمكنها ان تنجز قضية الثورة ...»

وبعد ذلك تلا مشروع قرار من الكتلتين :

« اعترافا بواقع انه لا بد لانقاذ مكتسبات الثورة من المبادرة فورا الى تشكيل حكومة تستند الى الديموقراطية الشورية المنظمة فى سوفبيئات نواب العمال والجنود والفلاحين ، واعترافا بان هدف هذه الحكومة هو : التوصل باقصى السرعة الى صلح ديموقراطى ، ووضع الارض تحت تصرف اللجان الزراعية ، وتنظيم رقابة العمال على الانتاج ، وعقد الجمعية التأسيسية فى الموعد المعين ، يقرر المؤتمر : انتخاب لجنة تنفيذية مؤقتة لتشكيل حكومة بالائتافى مع الكتل الديموقراطية الثورية العاملة فى المؤتمر » .

بالرغم من الحماسة الثورية التى تملكى المندوبين فان محاكمات افيلوف الهادئة الباردة اوصلتهم الى شئ من الارتباك . وقبل نهاية الخطاب خفت الصياح والصفير ، اما حين انتهى افيلوف من الكلام فقد انطلقت حتى بعض التصفيقات هنا وهناك .

وبعد افيلوف تكلم كاريلين ، وهو ايضا شاب جسور لم يكن

احد يتك في صدقه ، وهو الى جانب ذلك ممثل الاشتراكيين-
التوريين اليساريين ، اى حزب ماريا سبيريدونوفا ، الحزب الوحيد
الدى تبع البلاشفة ، والذى كان يقود الفلاحين الثوريين * .

« لقد رفض حزبنا الاشتراك في مجلس مفوضى الشعب لاننا لا
بريد ان نقطع الصلة الى الابد مع ذلك القسم من الجيش الثورى
الدى انسحب من المؤتمر . فان من شأن هذه القطيعة ان تحرمنا
من امكانية ان نكون وسطاء بين البلاشفة والجماعات الديموقراطية
الاخرى . ومثل هذه الوساطة بالذات هى الواجب الاساسى علينا في
الوقت الحاضر . اننا لا يمكن ان ندعم غير حكومة ائتلاف
اشتراكى ... »

وعدا ذلك فنحن نشجب سلوك البلاشفة التعسفى . فان
مفوضينا قد طردوا من جميع مراكزهم . وبالامس عطلت صحيفتنا
الوحيدة « زناميا ترودا » (« علم الكدح ») .

ان الدوما البلدى يشكل لجنة جبارة لانقاذ الوطن والثورة من
اجل الكفاح ضدكم . وقد يتم في عزلة . فما من جماعة ديموقراطية
واحدة تؤيد حكومتكم ... »

وصعد تروتسكى المنبر واثقا من نفسه ممثلا زمامها . وعل
شفتيه تلوح ابتسامة تهكمية ، تكاد تكون ساخرة . وقد راح يتكلم
بصوت رنان ، وتحرك الجمهور الغفير الى امام ، يصيخ سمعه الى
كلماته .

« ليست بجديدة هذه الاعتبارات حول خطر انعزال حزبنا .
وعشية الانتفاضة ايضا كانوا يتنبأون لنا بالاخفاق المحتوم . وكان
الجميع ضدنا بصورة قاطعة ؛ ولم تلق اللجنة العسكرية الثورية

* كان يسير خلف الاشتراكيين-الثوريين اليساريين قسم فقط من
العلايين ذوى الميول الثورية . **المحرر .**

التأييد الا من كتلة الاشتراكيين-الشيوعيين اليساريين . فباية صورة امكننا مع ذلك ان نليح بالحكومة الموقتة دون سفك دماء تقريبا ؟ .. ان هذا الواقع هو الدليل الاسطع على اننا لم تكن في عزلة . والواقع ان الحكومة الموقتة هى التى بدت معزولة ؛ وكانت معزولة الاحزاب الديموقراطية التى سارت ضدنا ، وهى الآن ايضا معزولة وقطعت الى الابد صلتها مع البروليتاريا !

يحدثوننا عن ضرورة الائتلاف . ليس يمكن غير ائتلاف واحد ، هو الائتلاف مع العمال والجنود وفقراء الفلاحين . ولحزبنا شرف تحقيق هذا الائتلاف ... فإى ائتلاف يقصد افيلوف ؟ الائتلاف مع الذين ايدوا حكومة خونة الشعب ؟ الائتلاف لا يزيد دائما من القوة . فهل كان بوسعنا ، مثلا ، تنظيم الانتفاضة لو كان في صفوفنا دان وافكسنستيف ؟ » عاصفة من الضحك .

« كان افكسنستيف يعطى القليل من الخبر . فهل يؤدى الائتلاف مع الدفاعيين الى منح كميات اكبر ؟ حين يكون من اللازم الخيار بين الفلاحين وبين افكسنستيف الذى كان يعتقل للجان الزراعية ، فاننا نختر الفلاحين ! ان ثورتنا ستظل نموذجية في التاريخ ... يتهموننا برفض الاتفاق مع الاحزاب الديموقراطية الاخرى . ولكن نحن المسؤولون عن هذا ؟ ام لعل « سو » التفاهم » ، كما يعتقد كاريلين ، هو المسؤول ؟ كلا ، ايها الرفاق . حين يأتى حزب ، في عنفوان الثورة ، وهو ما يزال محاطا بدخان البارود ، فيقول : « ها هى ذى السلطة ، فاستلموها ! » واما الذين تقدم اليهم هذه السلطة فينتقلون الى معسكر الاعداء ، فان هذا لا يكون سو تفاهم ... انما يكون هذا اعلانا لحرب لا رحمة فيها ! وما كنا نحن الذين اعلنا هذه الحرب ...

ان افيلوف يهدد باننا اذا ما بقينا « معزولين » فان جهودنا في سبيل التوصل الى السلام ستظل عقيمة . وانا اكرر القول بانى

لا ارى بأية صورة يمكن للائتلاف مع سكوبيليف بل ومع تيريشنكو ان يساعدنا في التوصل الى السلام . ان اهيلوف يحاول اخافتنا بخطر الصلح على حساب روسيا . وانا اجيب على هذا بان روسيا الثورية لا محالة هالكة اذا ظلت البرجوازية الامبريالية في اوروبا تحكم . . . واحد من اثنين : اما ان تثير الثورة الروسية الحركة الثورية في اوروبا ، واما ان تخنق الدول الاوروبية الثورة الروسية ! » فانطلق المندوبون يصفقون تصفيقا عاصفا ، وهم يلتهبون جراءة ، شاعرين بانهم مناضلون في سبيل الانسانية جمعاء . ومنذ ذلك الحين كانت جميع اعمال الجماهير الشائرة يبدو فيها وما يزال الى الابد نوع من العزيمة الواعية الصارمة .

ولكن من الجانب الآخر كانت المعركة تتبلور . فقد اعطى كامينيف الكلام لممثل اتحاد شغيلة السكك الحديدية . وكان هذا رجلا مربوع القامة قاسى الوجه لا يخفى عداوته المتأصلة . وكان لخطابه وقع انفجار القنبلة على الاجتماع .

« انى اطلب الكلام باسم اقوى منظمة في روسيا ، وابلغكم ان الفيكجل * قد كلفتني بان احيطكم علما بالقرار الذى اتخذته اتحادنا حول مسألة تنظيم السلطة . ان اللجنة المركزية ترفض رفضا قاطعا تأييد البلاشفة اذا كانوا سيظلون في عدااء مع كل الديموقراطية الروسية » . واثارت في القاعة ضجة رهيبة .

« ان عمال السكك الحديدية قد اظهروا في عام ١٩٠٥ وخلال مؤامرة كورنييلوف انهم المدافعون عن الثورة . ولكنكم لم تدعونا الى مؤتمرهم » . صيحات : « التسيك السابقة لم تدعكم ! » ولم ينتبه الخطيب لهذا ، وتابع كلامه : « اننا لا نعترف بشرعية هذا

* الفيكجل -- هي اللجنة التنفيذية لعامة روسيا لاتحاد عمال ومستخدمى السكك الحديدية . المحرر .

المؤتمر : فبعد انسحاب المناشفة والاشتراكيين-الثوريين لم يبق هنا النصاب اللازم . . . ان اتحادنا يؤيد التسيك السابقة ويعلن ان المؤتمر لا يملك حق انتخاب تسيك جديدة . . .

ان السلطة ينبغي ان تكون سلطة اشتراكية وثورية ، مسؤولة امام الهيئة ذات الصلاحية الممثلة لكل الديموقراطية الثورية . والى ان يتم قيام هذه السلطة ، فان اتحاد شغيلة السكك الحديدية ، اذ يرفض نقل القوات المعادية للثورة الى بتروغراد ، سيحظر في الوقت نفسه على جميع اعضائه تنفيذ اية اوامر بدون موافقة الفيكيجل . وستستلم الفيكيجل زمام ادارة جميع السكك الحديدية الروسية » .

وضاعت نهاية هذا الخطاب وسط عاصفة صاخبة من الاستنكار الشامل . ومع ذلك ، فقد كانت هذه ضربة عنيفة . وكان يكفي للاقتناع بهذا ان يتطلع المرء الى وجوه اعضاء هيئة الرئاسة وقد شحبت من القلق . وقد اجاب كامينيف في اقتضاب بان شرعية المؤتمر لا يمكن ان تكون موضع اية شكوك اذ انه قد بقى في المؤتمر ، برغم انسحاب المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، عدد من الاعضاء يزيد حتى عما يتطلبه النصاب المقرر من قبل التسيك السابقة . . .

وبعد ذلك جرى انتخاب مجلس مفوضى الشعب بالاكثرية الساحقة من الاصوات .

ولم يستغرق انتخاب التسيك الجديدة ، البرلمان الجديد للجمهورية الروسية ، اكثر من ربع ساعة . وقرأ تروتسكى النتائج : مئة عضو ، منهم سبعون بلشفيا . . . اما الفلاحون والاحزاب المنسحبة من المؤتمر فقد ابقيت لهم مقاعد شاغرة . وختم تروتسكى قائلا : « اننا نرحب في الحكومة بجميع الاحزاب والجماعات التى تتبنى برنامجنا » .

واثر هذا اختتم في الحال مؤتمر السوفييتات الثاني لعامة روسيا لكى يتمكن مندوبوه من السفر باقصى السرعة الى جميع انحاء روسيا ليخبروا عن الاحداث الكبرى التى جرت ...

كانت الساعة قد بلغت السابعة صباحا تقريبا حين ايقظتنا سواقى عربات التزام الواقفة امام سمولني ، التى ارسلها اتحاد عمال التزام لنقل المندوبين الى منازلهم . وقد كان الجو في العربات المزدحمة اقل فرحة وارتياح بال ، على ما بدا لي ، مما كان عليه في الليلة الماضية . فقد كان تبدو على الكثيرين جدا امائر القلق الشديد . ولربما كانوا يسائلون انفسهم : « ها نحن قد اصبحنا سادة البلد ... فكيف سيتسنى لنا تحقيق ارادتنا ؟ »

وبالقرب من بيتنا اوقفتنا دورية من المواطنين المسلحين وفتشتنا تفثيشا دقيقا . وكان بيان مجلس الدوما قد فعل فعله ...

وسمعتنا ربة البيت فاسرعت لملاقانا بمئزر حريري وردى .

« لجنة الدار تطالب من جديد بان تقوموا بالمناوبة شأنكم شأن الرجال الآخرين ! »

« وما الداعي لهذه المناوبة ؟ »

« ينبغي حماية النسوة والاطفال » .

« ومن ؟ »

« من الاشقياء واللصوص » .

« واذا جاء مفوض من اللجنة العسكرية الثورية وفتش عن الاسلحة ؟ »

« ولكنهم جميعا يسمون انفسكم هكذا ... ثم ، أليس الامر كله سواء ؟ »

فاكدت لها رسميا ان القنصل قد حظر على جميع المواطنين الاميركيين حيازة الاسلحة في الاحياء التى يعيش فيها المثقفون الروس ...

الفصل السادس

لجنة الانقاذ

الجمعة ، ٩ تشرين الثاني - نوفمبر (٢٧ تشرين الاول -
اكتوبر) ...

« نوفمبر تشرين كاسك ، ٨ تشرين الثاني (٢٦ تشرين الاول) .
ان حكومة دائرة جيش الدون ، نظرا لاعمال البلاشفة
ومحاولاتهم قلب الحكومة الموقته والاستيلاء على السلطة في
بتروغراد واماكن اخرى ، واعتبارا منها لكون مثل هذا الاستيلاء
على السلطة جريمة وغير مقبول على الاطلاق ، ستقدم بالتحالف الوثيق
مع حكومات القوات القوزاقية الاخرى الدعم الكامل للحكومة الموقته
الاتلافية القائمة . ونظرا للوضع الاستثنائي ولانقطاع الاتصالات مع
السلطة المركزية للدولة ، فقد اخذت حكومة دائرة جيش الدون
على عاتقها موقتا كامل السلطة التنفيذية للدولة في منطقة الدون الى
ان تعود السلطة للحكومة الموقته ويعود النظام لروسيا ، وذلك
ابتداء من ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) .

رئيس حكومة دائرة الجيش
قائد جيش الدائرة كاليدين » .

امر من رئيس الوزراء كيرنسكى ، الصادر في غاتشيننا :
« اعلن انى ، انا رئيس وزراء الحكومة الموقته والقائد الاعلى

لجميع القوات المسلحة للجمهورية الروسية ، قد قدمت اليوم على رأس قوات الجبهة المخلصة للوطن .
 أمر جميع وحدات دائرة بتروغراد العسكرية التي انضمت جهلا او ضلالا الى عصاة خونة الوطن والثورة ان تعود ، غير متاخرة ولا ساعة واحدة ، وتؤدى واجبها .
 يتلى هذا الامر في جميع السرايا والفصائل والكتائب .

رئيس وزراء الحكومة المؤقتة
 والقائد الاعلى ١ . كيرنسكى » .

برقية كيرنسكى الى قائد الجبهة الشمالية :
 « مدينة غاتشيننا استولت عليها القوات المخلصة للحكومة ، واحتلت بدون سفك دماء .
 سرايا من جنود كرونشتادت وفوجى سيمينوفسكى واسماعيلوفسكى ومن البحارة سلمت اسلحتها بدون مقاومة وانضمت الى قوات الحكومة .

أمر جميع الوحدات المهيئة بالزحف سريعا .
 تلقت القوات امرا بالتقهقر من اللجنة العسكرية الثورية . . . »
 ان مدينة غاتشيننا ، الواقعة على بعد ثلاثين كيلومترا تقريبا الى الجنوب الغربى من بتروغراد ، قد سقطت ليلا . فان فصائل الفوجين المذكورين آنفسا ، تتجول فى الضواحي بدون قيادة ، فحاصرها القوزاق فعلا فسلمت اسلحتها . ولكن ليس صحيحا انها انضمت الى قوات الحكومة . ففى ذلك الحين بالذات ، كانت جموع كاملة من هؤلاء الجنود ، يستولى عليها الاضطراب والخلج ، موجودة فى سمولنى تحاول تفسير تصرفها . ما كانوا يعرفون ان القوزاق قريبين الى هذا الحد . . . وقد حاولوا الدخول فى مفاوضات مع القوزاق . . .

كانت الفوضى التامة تسيطر بجلاء على الجبهة الثورية .
فالحاميات في جميع المدن الصغرى ، القائمة الى الجنوب من
بتروغراد ، قد انشقت نهائيا وبصورة قاطعة الى شطرين ، او
بالاصح الى ثلاثة . القيادة العليا كانت الى جانب كيرنسكى لعدم
وجود من هو اقوى منه ، ومعظم الجنود مع السوفييتات ،
والآخرون جميعا كانوا تحت وطأة الشك والتردد .

وقد تسرعت اللجنة العسكرية الثورية فعينت لقيادة الدفاع
عن بتروغراد الضابط النظامى النقيب الطموح مورافيوف * ، وهو
نفسه الذى نظم في الصيف « كتائب الموت » ، والذى سمع ذات مرة
يقول للحكومة انها « متهاونة كثيرا مع البلاشفة : فليس ينبغى الا
ان يسحقوا سحقا » . لقد كان هو رجلا ذا عقل عسكرى معجبا
بالقوة والجرأة ، وربما باخلاص ...

واذ كنت خارجا الى الشارع صباحا ، رايت على الجدار من
جانبي مدخلا امرين جديدين صادرين عن اللجنة العسكرية الثورية
ينصان على ان جميع الدكاكين والمخازن يجب ان تفتح على
عادتها ، وان توضع تحت تصرف اللجنة جميع المحلات الخالية .
لقد مضت ست وثلاثون ساعة على عزلة البلاشفة عن سائر
اقاليم روسيا والعالم الخارجى . فقد كان شغيلة السكك الحديدية
وموظفو البرق يرفضون ارسال برقياتهم ، وموظفو البريد يرفضون
استلام البريد منهم . وما كان ثمة غير محطة الاذاعة الحكومية في
تسارسكوى سيلو تبث الى ارجاء العالم الاربعة النشرات والبيانات
كل نصف ساعة . وكان مفوضو اللجنة العسكرية الثورية يتسابقون
في القطارات مع مفوضى مجلس الدوما البلدى ماضين الى جميع انحاء
البلاد . وطاروا الى الجبهة طائرتان تحملان مواد الدعاية
والتحريض .

* كان مورافيوف برتبة مقدم . المحرر .

ولكن موجة الانتفاضة كانت تجتاح روسيا بسرعة تفوق سرعة وسائل المواصلات البشرية . فقد اتخذت سوفيات هلسنكى قرارا بالتأييد ؛ وفي كييف ، استولى البلاشفة على الترسانة وعلى دائرة البرق ، ومن هناك اخرجهم مندوبو مؤتمر القوزاق الذى كان منعقدا اذ ذاك فى المدينة ؛ وفى قازان ، اعتقلت اللجنة العسكرية الثورية هيئة اركان الحامية المحلية ومفوض الحكومة الموقته ؛ وجاء نواب من كراسنويارسك ، فى سيبيريا ، يقول ان السوفييتات قد استولت على اجهزة الادارة البلدية ؛ وفى موسكو ، حيث كان الوضع قد تعقد نتيجة لاضراب عمال الجلود من جهة وباغلاق عام من جهة اخرى ، اعلن السوفييت بالاكثريّة الساحقة التأييد لعمل بلاشفة بتروغراد وكانت اللجنة العسكرية الثورية قد بدأت هنا عملها . وكان الشئ نفسه يحدث فى كل مكان . الجنود البسطاء وعمال الصناعة يؤيدون السوفييتات تأييدا يكاد يكون شاملا ؛ والضباط واليونكر والبرجوازية الصغيرة ، شأنهم فى ذلك شأن ممثلى البرجوازية - الكاديت والاشتراكيين المعتدلين ، يقفون الى جانب الحكومة الموقته . وفى جميع المدن كانت تتألف لجان انقاذ الوطن والثورة وتستعد للحرب الاهلية

كانت روسيا الواسعة الارزاء فى حالة تحلل . وقد بدأت هذه العملية منذ عام ١٩٠٥ . وجاءت ثورة اذار (مارس) فعجلت مسيرها ، اذ انها بعد ان تنبأت فى اول الامر بانبثاق نظام جديد ، فقد انتهت بتمديد اجل البنية الفارغة للنظام القديم . والآن اطاح البلاشفة بهذه البنية فى ليلة واحدة ، مثلما ينفخ المرء مبددا الدخان . ولم يعد لروسيا القديمة وجود . كان المجتمع غير المتبلور ينصهر ويسيل حمما فى هياولى الخلق البدائى ، ومن بحر اللهب المصطخب كان يعوم صراع طبقى جبار لا رحمة فيه ،

ومعه تنبثق براعم التشكلات الجديدة ، وهى «اتزال بعد هشه
يتماسك عودها فى بطء واناة .

كانت ست عشرة وزارة ، فى بزوغراد ، مضربة بقيادة
وزارتين ، هما الوحيدتان اللتان انشأتهما الحكومة الاشتراكية*
المؤتلفة فى آب (اغسطس) - وزارة العمل ووزارة التموين .
فى ذلك الصباح الكالح البارد ، كانت «حفنة البلاشفة» ، على
ما يبدو ، فى اشد ما يمكن ان تكون العزلة فى الدنيا . فمن حولهم
كان يصطخب بحر من العداوة^١ . كانت اللجنة العسكرية الثورية ،
وقد سدت عليها المنافذ ، تناضل مدافعة بضراوة عن حياتها .
«الاقدام ، مزيدا من الاقدام وابدا الاقدام !» * وفى الساعة
الخامسة صباحا دخل رجال الحرس الاحمر الى مطبعة البلدية ،
فصادروا الوف النسخ من النداء الاحتجاجى لمجلس الدوما ،
واغلقوا جريدة الدوما الرسمية «نشرة البلدية» . ونزعت عن
آلات الطباعة جميع الجرائد البرجوازية ، بما فيها جريدة التسيك
السابقة «غولوس سولداتا» («صوت الجندى») التى غيرت هذا
الاسم مع ذلك ، فجعلته «سولداتسكى غولوس» ، وصدرت
بمئة الف نسخة ، نافثة الغيظ والتحدى :

«الناس الذين انزلوا ضربتهم الغادرة ليلا ، الناس الذين
اغلقوا الصحف ، لن يستطيعوا ابقاء البلاد طويلا فى الظلمات .
البلاد ستعرف الحقيقة ! ولسوف تقدر قيمتكم ، ايها السادة
البلاشفة ! وسنرى هذا جميعا !»

* حكومة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين . **المحرور** .

** الصيحة الشهيرة التى القاها دالتون فى الخطاب الذى القاه فى

٢ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ فى الجمعية التشريعية الفرنسية حول خطر
الحرب والدفاع عن الثورة ضد غزو الائتلاف الروسى النمساوى المعادى
لثورة . **المحرور** .

وبعد الظهر بقليل كنا نسير منحدرين في شارع نيفسكى .
 وكان الشارع امام مجلس الدوما غاصا بجموع الناس . وهنا وهناك
 كان يصادف المرء رجلا من الحرس الاحمر او بحارا يحمل كل
 منهم بندقية مشرعة الحربة ، ومن حوله يزدهم ما لا يقل عن
 مئة من الرجال والنساء ، مستخدمين ، وطلابا ، واصحاب
 حوانيت ، وموظفين . وهؤلاء الناس جميعا يهزون قبضاتهم
 قاذفين باللعنات والتهديدات . وعلى درجات سلم البناية كان يقف
 كشافون وضباط وهم يوزعون اعدادا من صحيفة « سولداتسكى
 غولوس » . ووسط الحشد المعادى كان يقف في اسفل الدرج عامل وعلى
 ساعده شريطة حمراء وفي يده مسدس ، وهو يرتجف من الغضب
 والتهيج يطالب بان يسلموه الصحف ... وقد خطر للذهني ان
 التاريخ لم يشهد قط مثيلا لهذا . من جهة قبضة من العمال
 المسلحين والجنود تتمثل فيهم الانتفاضة المظفرة وهم على غاية
 من التعاسة ؛ ومن الجهة الاخرى جمهور هائج مؤلف من اضرابهم
 من الناس الذين يملأون الجادة الخامسة * عند الظهيرة ، جمهور
 يسخر ويلعن ويصيح : « خونة ! استفزازيون ! اوبريشنيكيون ! » * *
 كانت الابواب تحت حراسة الطلاب والضباط ، على اكمامهم
 شرائط بيض كتب عليها بالاحمر : « ميليشيا لجنة السلامة
 العامة » . وكان مئة ستة كشافين يمشون جيئة وذهابا . والبناية
 ما تزال تعج بالناس في قسمها العلوى . وكان النقيب غومبرغ
 ينزل على السلم ، فقال لنا : « يريدون ان يحلوا الدوما ! وعند
 الرئيس الآن مفوض من البلاشفة ... » وحين صعدنا الى اعلى

* شارع في حي الاغنياء بنيويورك . المحرور .

* * الحرس الخاص لايفان الرهيب ، وقد كانوا مشهورين بقسوتهم .

المحرور .

راينا ريزانوف خارجا بسرعة . وكان قد جاء الى هنا ليطلب من الدوما الاعتراف بمجلس مفوضى الشعب ، فاجابه رئيس البلدية بالرفض القاطع .

وقد كان ثمة ، فى جميع مكاتب الدوما جمهور غفير يصرخ ويضج ويلوح بالايدي ، وكان هذا الجمهور يتألف من موظفين ومثقفين وصحافيين ، ومراسلين اجانب ، وضباط فرنسيين وانكليز ... وقد قال مهندس البلدية مشيرا اليهم بانتصار : « جميع السفارات تعترف بالدوما بوصفه السلطة الوحيدة ذات الصلاحية . اما اولئك البلاشفة فما هم الا اشقياء ونهابون ، وما نهايتهم الا مسألة بضع ساعات ! ان روسيا كلها من ورائنا ... » وفى قاعة الكسندر كانت تعقد جلسة موسعة للجنة الانقاذ ضخمة من حيث عدد الحاضرين فيها . وكان يتولى الرئاسة فيلييوفسكى ، واما على المنبر فكان يخطب سكوبيليف ذاته . ووسط ضجيج التصفيق كان يعدد المنظمات التى انضمت من جديد الى لجنة الانقاذ : اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، التسيك السابقة ، لجنة الجيش المركزية ، « تسينترفولوت » (اللجنة المركزية للاسطول) ، الكتل المنشفية والاشتراكية-الثورية والجمهورية فى مؤتمر السوفييتات ، اللجان المركزية لحزب المناشفة وحزب الاشتراكيين-الثوريين والحزب الاشتراكى الشعبى ، وجماعة « ايدينستفو » ، واتحاد الفلاحين ، والتعاونيات ، والزيستفات وهيئة الادارة البلدية ، واتحاد البريد والبرق ، والفيكجل ، ومجلس الجمهورية الروسية واتحاد الاتحادات * ، واتحاد التجار والصناعيين ... وقد كان يقول : « ان السلطة السوفييتية ليست سلطة ديموقراطية ، بل هى الديكتاتورية ، وما هى بالاضافة الى هذا

* انظر « ملاحظات افتتاحية وايضاحات » . ج . ويد .

ديكتاتورية البروليتاريا ، بل ديكتاتورية ضد البروليتاريا . فلزام على كل من عاش ويعيش الحماسة الثورية ان يهب معنا الآن للدفاع عن الثورة ...

ومهمة الساعة ليست فقط تقليم اظافر الديماغوجيين عديمي الشعور بالمسؤولية ، بل هي ايضا النضال ضد الثورة المضادة ... فاذا صحت الشائعات التي تؤكد ان في الاقاليم جنرالات يريدون استغلال الاحداث الجارية والزحف على بتروغراد لاغراض معادية للثورة ، فما هذا الا برهان اضافي على ان من واجبنا تاليف حكومة ديموقراطية متينة . والا فان الاضطرابات الناجمة من اليسار ستعقبها اضطرابات ناجمة من اليمين ...

وليس يمكن لحامية بتروغراد ان تظل غير مبالية في الوقت الذي يجري فيه في الشوارع اعتقال المواطنين الذين يشترون جريدة «سولداتسكي غولوس» والصبيبة باعة الصحف الذين يبيعون «رابوتشايافازيتا» («صحيفة العمال»).

لقد مضى وقت القرارات ... فليتنح جانبنا من فقد الايمان بالثورة ... ومن اجل اقامة سلطة ديموقراطية وحيدة ، لا بد من بعث كرامة الثورة من جديد ...

فلنقسم ، ايها الرفاق ، على ان الثورة سيتم انقاذها او نموت معها ! ..»

وهب المجتمعون واقفين وقابلوا هذا الخطاب بعاصفة من التصفيق ، وعيونهم جميعا متوهجة . وما كان يرى في القاعة بروليتاري واحد .

واخذ فاينشتين الكلام ، فقال :

«ينبغي ان نحافظ على الهدوء ونمتنع عن القيام باى عمل ما لم يلتف الرأى العام.التفافا حاسما حول لجنة الانقاذ . واذ ذاك فقط سيكون في وسعنا الانتقال من الدفاع الى الهجوم ...» .

ويعلم ممثل الفيكل ان المنظمة التي يعيش به تقوم بالمبادرة لتشكيل حكومة جديدة . وقد ذهب مندوبوها الى سمولني لاجراء مباحثات حول هذا الامر ... وبدأت مناقشة حامية : هل يسمح للبلاشفة بان يشتركوا في الحكومة الجديدة ؟ كان مارتوف يعتقد بوجود السماح لهم . وقد كان يبرهن على ان البلاشفة ، على كل حال ، يمثلون حزبا سياسيا بالغ الاهمية . وانقسمت الآراء : فقد كان الجناح اليميني من المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، وكذلك الاشتراكيون الشعبيون ، والتعاونيون ، وممثلو البرجوازية يعترضون على ذلك اعتراضا حاسما ... وقد قال احد الخطباء :

« لقد خانوا روسيا ! انهم بدأوا الحرب الاهلية وفتحوا الجبهة للالمان ! يجب سحق البلاشفة بدون رحمة ... »

وقال سكوبيليف باستبعاد البلاشفة والكاديت على حد سواء . شرعنا في حديث مع شاب من الاشتراكيين-الثوريين كان قد انسحب مع البلاشفة من الجمعية الديموقراطية . وكان ذلك في الليلة التي ربط فيها تسيريتيلي وغيره من المساومين ، الديموقراطية الروسية بسياسة الائتلاف . سألته :

« انت هنا ؟ »

فاتقدت النار في عينيه ، وقال بانفعال : « اجل ، لقد انسحبت مع رفاقي من المؤتمر في منتصف الليل . فانا لم اكن اجازف بحياتي طيلة عشرين عاما من اجل ان اخضع الآن لاناس طغاة جهلة . ان اساليبهم غير محتملة . ولكنهم لم يفكروا بالفلاحين ... فحين سيهب الفلاحون ستغدو نهايتهم مسألة دقائق ! »

« ولكن هل سيبادر الفلاحون الى العمل ؟ ترى الا يرضيهم مرسوم الارض ؟ وماذا يريدون ايضا ؟ »

فصاح بحنق : « ايه ، مرسوم الارض ! ولكن هل تعلم انت ما هدف مرسوم الارض هذا ؟ انه مرسومنا نحن ، برنامج الاشتراكيين-الثوريين بكامله ! لقد وضع حزبي اساس هذه السياسة بعد ادق دراسة لمطالب الفلاحين ! هذا امر لم يسمع بمثله من قبل ... »

« ولكن اذا كانت هذه هي سياستكم الخاصة ، فعلى اى شئ تعترضون ؟ واذا كانت هذه رغبات الفلاحين فعلى اى اساس سيناهضون ؟ »

« لست تفهم ! اليس واضحا في نظرك ان الفلاحين سيدركون في الحال ان هذه مجرد خدعة ، وان هؤلاء المفتصبين قد سرقوا برنامجنا الاشتراكي الثوري ؟ »

وسأله : « اصحيح ان كاليدين يزحف الى الشمال ؟ »
 فهر رأسه بالايجاب وراح يفرك كفيه بارتياح شديد .
 « صحيح تماما ! .. وسترى الآن ماذا فعل هؤلاء البلاشفة . لقد اقاموا علينا الثورة المضادة . الثورة قضت نجبها . قضت نجبها الثورة » .

« ولكن اما ستدافعون عن الثورة ؟ »
 « طبعا ، سندافع عنها حتى النقطة الاخيرة من دماننا ! اما التعاون مع البلاشفة فلن نقدم عليه باية حال ... »

« ولكن اذا ما اقترب كاليدين من بتروغراد ، وهب البلاشفة للدفاع عن المدينة ، اما ستنضمون اليهم ؟ »
 « كلا ، بالتأكيد ! نحن ايضا سندافع عن المدينة ، ولكن ليس مع البلاشفة ! ان كاليدين هو عدو الثورة ، ولكن البلاشفة هم ايضا اعداؤها » .

« ومن تفضلون - كاليدين ام البلاشفة ؟ » . فصاح وقد فرغ صبره : « ليست هذه هي المسألة ! انا اقول لك ان الثورة قد

قضت نحبها . والذنب في هذا على البلاشفة . وما الداعي لأن نتماحك في هذا ؟ ان كيرنسكى قادم ... وبعد غد سنبادر الى الهجوم ... وقد ارسلوا اليينا من سمولى مندوبيين يقترحون تشكيل حكومة جديدة . ولكنهم الآن في قبضتنا : انهم في عجز مطلق ... فلن نتعاون ...»

وانطلق في الشارع عيار نارى . فهرعنا الى النوافذ . وكان رجل الحرس الاحمر الذى اخرجته شتائم الجمع في النهاية عن طوره قد اطلق عيارا ناريا فاصاب فتاة بجرح في يدها . وقد شهدنا كيف اجلسوها في عربة ، ومن حولها جمهور مهتاج ، ووصل صياحه الى مسامعنا . وفجأة ظهرت مصفحة قادمة من منعطف جادة ميخائيلوفسكى . كانت رشاشاتها تدوران من جهة لآخرى . وسرعان ما لاذ الجمع بالفرار . وكما يحدث عادة في مثل هذه الحالات في بتروغراد ، انبطح الناس على الارض ، واختبأوا في القنوات ووراء اعمدة الهاتف . واقبلت المصفحة على باب مجلس الدوما . واخرج رجل رأسه من برجها وطلب تسليمه اعداد جريدة « سولداتسكى غولوس » فانفجر الكشافون هازئين في وجهه وانطلقوا هاربين الى المدخل . واستدارت السيارة قرب الدوما مترددة ثم مضت صعدا في شارع نيفسكى . في حين نهض عدة مئات من الرجال والنساء الذين كانوا منبطحين على جادة الطريق واخذوا ينفضون الغبار عن ثيابهم ...

وفي داخل البناية كان الناس يتراكمون باندفاع هائل الى هنا وهناك ، حاملين اكداسا من « سولداتسكى غولوس » (« صوت الجندى ») باحثين عن مخبأ لها .

وهرع صحفى الى الغرفة ملوفا في الفضاء بورقة ، وهو يصيح : « بيان من كراسنوف ! » . فتكأكا عليه الجميع . « سلمها للطبع ، الى الطبع بسرعة ، والى الشكنات على الفور ! »

« بامر من القائد الاعلى عينت قائدا للقوات المحتشدة على ابواب بتروغراد .

ايها المواطنون ، ايها الجنود ، يا قوزاق الدون والكوبان وما وراء البايكال واوسورى والامور البواسل ، انتم يا من بقيتم على الوفاء لقسم الجندية ، انتم يا من اقستمتم على التمسك الثابت الوطيد بسمين القوراق ، اناشدكم بان تسيروا لانقاذ بتروغراد من الفوضى والعنف والجوع ، وانقاذ روسيا من لطفة العار التي لا تمحى والتي الصغها بها حفنة مشوهة من الناس الجهلة يسبيرون بارادة الامبراطور غليوم وبامواله . ان الحكومة الموقته التي اقستمتم على الاحلاص لها في ايام آذار (مارس) العظمى لم تقلب قلبا بل اخرجت بالعنف من مقرها وهي تتجمع لدى جيش الجبهة العظيم المخلص لواجهه .

ان مجلس اتحاد القوات القوزاقية قد وحد جميع القوزاق ، وابهم بحافز من الروح القوزاقية ليستندون الى ارادة الشعب الروسى كله ، وقد اقسموا على خدمة الوطن كما خدمه اجدادنا سنة ١٦١٢ في الايام الرهيبة المضطربة ، حين انقذ اهل الدون موسكو المهددة من قبل السويديين والبولونيين والليتوانيين ، والممزة باعمال الشغب الداخلية . (ان حكومتكم ما تزال قائمة * ...)

ان جبهة القتال تنظر الى الاعداء والخونة باحتقار واستنكار يعجز اللسان عن وصفه . وما يقومون به من اعمال نهب وقتل وعنف واسلوبهم الالمانى المحض في معاملة من غلبوا على امرهم دون ان يستسلموا قد نفرت منهم روسيا باجمعها .

ايها المواطنون ، ايها الجنود ، يا قوزاق حامية بتروغراد الامجاد ، ابعثوا في الحال بمتدوبيكم الى لى يتاح لى ان اعرف

* الكلمات داخل القوسين غير منشورة في الجرائد . المحرور .

من الذى خان الحرية والوطن ومن لم يخنهما ، ولكى لا يسفك الدم
البرى عن غير قصد ...»

وفى تلك اللحظة تقريبا راحت تتردد شائعة تقول بان رجال
الحرس الاحمر قد طوقوا البناية . ودخل ضابط وعلى كفه شريطة
حمراء فطلب مقابلة رئيس البلدية . وما هى الا بضع دقائق حتى
قفل راجعا ، وخرج على اثره العجوز شريد مسرعا من مكتبه .
وقد كان يصيح محمر الوجه ممتعه فى آن واحد :

«جلسة استثنائية لمجلس الدوما ! فى الحال !»

وتوقفت الجلسة المنعقدة فى القاعة الكبرى : «جميع اعضاء
الدوما الى الجلسة الاستثنائية !»

«ما الامر ؟»

«لست ادرى ... يريدون اعتقالنا ! يريدون ان يحلوا
الدوما ... جميع اعضاء الدوما يعتقلون عند الباب ...» - تلك
كانت التعليقات المضطربة .

لم يكن فى قاعة نيقولا مكان حتى للوقوف . واعلن رئيس البلدية
ان الابواب جميعا قد وضعت عليها قوات لا تسمح لاحد لا بالدخول
الى البناية ولا بالخروج منها ، وان المفوض يهدد باعتقال مجلس
الدوما البلدى وحله . فتدفقت خطب حماسية لا من المنبر وحسب ،
بل كذلك من بين الجمهور . ان المجلس البلدى المنتخب انتخابا
حرا لا يمكن ان يحل من قبل اية سلطة ؛ شخص رئيس البلدية
واشخاص اعضاء الدوما جميعا متمتع بالحصانة ؛ لن يعترف ابدا
بالغاصبين والاستفزازيين وعملاء الالمان ؛ يهددوننا بالحل ،
لن يدخلوا هذه القاعة الا على جثتنا ، سننتظر هنا بجلال مجى
البرابرة ، كما انتظر اعضاء مجلس الشيوخ الرومان قدوم
الواندال ...

واتخذ قرار يقضى بان يصار على الفور عن طريق البرق الى

ابلاغ مجالس الدوما البلدية والزيستفات فى جميع روسيا بما
يجرى ... وتقرر ايضا انه لا يمكن لرئيس البلدية ولا لرئيس
الدوما الدخول فى اية علاقات مع ممثل اللجنة العسكرية الثورية
وما يسمى بمجلس مفوضى الشعب . وتقرر ايضا وايشا التوجه على
الفور بنداء جديد الى اهالى بتروغراد يدعوهم لأن يهبوا للدفاع عن
ادارتهم البلدية المنتخبة . وتقرر اخيرا : اعلان جلسة الدوما
مستمرة بدون انقطاع ...

وهنا دخل القاعة احد اعضاء الدوما فابلق المجتمعين انه قد
اتصل هاتفيا بسمولنى ، وان اللجنة العسكرية الثورية قد اعلنت
انها لم تصدر امرا بتطويق الدوما وان القوات ستسحب ...
وحين نزلنا السلم كان ريزانوف يدخل الباب الرئيسى بسرعة
خاطفة وهو فى اقصى الانفعال . وقد سألته :
« هل تعتزمون حل الدوما ؟ »

فاجاب : « كلا ، يا رباه ! ثمة سو تفاهم ... سبق لى ان
ابلغت رئيس البلدية صباحا ان الدوما سترك وشانه ... »
ومع هبوط الظلام كان قد اقبل عن طريق شارع نيفسكى
صفان من راكبى الدراجات وبنادقهم على مناكبهم . وتوقفوا ،
فاحاط بهم الجمهور وراح يمتطهم بالاسئلة :
« من انتم ؟ ومن اين قادمون ؟ » - سألهم شيخ ممثلى الجسم
وسيكاكه بين اسنانه .

« من الجيش الثانى عشر ، من الجبهة . وقد جننا نساند
السوفييتات ضد البرجوازية اللعينة » .
فانطلقت صيحات شرسة .

« آ - آ ! درك البلاشفة ! قوزاق البلاشفة ! »
ونزل درجات السلم على عجل ضابط قصير القامة يرتدى
سترة من الجلد . وقد همس فى اذنى قائلا :

«الحامية في تردد ! هذه بداية النهاية بالنسبة للبلاشفة .
اتريدون ان تروا كيف تتغير الحالة النفسية ؟ هيا تعالوا !»
ومضى في شارع ميخائيلوفسكى يكاد يركض ، ونحن من ورائه .
«واى فوج هذا ؟»

«فوج المصفحات» ... كان ذلك امرا خطيرا فعلا . فقد
كان رجال المصفحات يمسكون في ايديهم مفتاح الوضع : فالجهة
التي يؤيدونها تصبح سيدة الموقف . «ذهب للتفاوض معهم مفوضون
من لجنة الانقاذ ومن الدوما . ولديهم اجتماع عام ينبغي ان
يقرر ...»

«وماذا يقرر ؟ مع اى جانب يحارب ؟»

«اوه ، كلا ! ما هكذا تجرى الامور . انهم لن يحاربوا
البلاشفة ابدا . انهم سيقرون فقط البقاء على الحياد ، واذ
ذاك يكون العمل لليونكر والقوزاق ...»

كان باب ميدان ميخائيلوفسكى الواسع لسباق الخيل مشرعا
على رحبه . وحاول خفيران ان يوقفانا ، ولكننا تخطيناهما
بسرعة غير مكثرئين لصيحاتهم الاستنكارية . كان ميدان السباق
مضاء بنور ضعيف من مصباح وحيد ، معلق تحت سطح المبنى
الضخم الذى غرقت نوافذه وزخارفها العالية في الظلام . ومن حوله
كانت ترى اشباح داكنة لسيارات مصفحة ، وقد وقفت واحدة
منها في مركز المبنى ، تحت المصباح ، يحتشد حولها قرابة الفى
جندى يرتدون بزات فاتمة ، يكادون يضيعون في سعة هذا المبنى
الضخم . وفوق المصفحة قرابة اثني عشر رجلا ، ضباطا وممثلين
للجنة الجنود ، وخطباء . وكان ثمة رجل عسكري منتصب على
برج المصفحة المركزى ، يلقي خطابا . كان هذا خانجونوف ،
رئيس مؤتمر الوحدات المصفحة لعامة روسيا ، الذى انعقد في
الصيف . قامه مرنة انيقة في سترة من الجلد ، على كتافيتها شارة

الملازم . كان يتكلم مؤيدا الحياد ببلاغة وحجة مقنعة . وقد كان يقول :

« رهيب على الروسى ان يقتل اخوته الروس . فليس ينبغى ان تنشب الحرب الاهلية بين الجنود الذين ناضلوا كتفا لكتف ضد القيصر ، وكتفا لكتف حطموا العدو الخارجى فى معارك ستدخل فى التاريخ ! ما شأننا ، نحن الجنود ، وكل هذا الشجار بين الاحزاب السياسية ؟ لن اقول لكم ان الحكومة الموقنة كانت حكومة ديموقراطية ؛ اننا لا نريد ائتلافا مع البرجوازية ، كلا ، لا نريد . ولكن لا بد لنا من حكومة للديموقراطية الموحدة ، والا كانت القضية على روسيا ! وفى ظل حكومة كهذه لن يكون ثمة من دافع لحرب اهلية ولمجزرة يقتل فيها الاخ اخاه » .

وقد بدا هذا الكلام على درجة كبيرة من الاقناع . ودوت القاعة الضخمة بالتصفيق وهتافات الاستحسان .

وتسلق برج المصفحة جندى شاحب الوجه منفعل . فصاح قائلا :

« ايها الرفاق ! لقد جئت من جبهة رومانيا لاقول لكم جميعا بالحاح : ينبغى عقد الصلح ! الصلح فورا ! من يعطينا السلام نمشى وراءه ، سواء اكان البلاشفة ام حكومة جديدة . اعطونا السلام ! فنحن على الجبهة لم نعد نستطيع القتال ، ولسنا نستطيع لا مقاتلة الالمان ولا مقاتلة الروس ... » قال هذا وانحدر نازلا . واخذ جمهور المستمعين الغفير يهمهم . وتحولت هذه المهمة الى ما يشبه الغضب حين راح الخطيب التالى ، وهو منشغى دفاعى ، يحاول ان يقول ان الحرب يجب ان تستمر حتى انتصار الحلفاء . وقد صاح احدهم بصوت حاد :

« انت تتكلم مثل كيرنسكى ! »

وتكلم بعد ذلك مندوب عن الدوما . فنصح الجنود بالبقاء

على الحياد . وقد كانوا يستمعون اليه وهم يتهايمسون فيما بينهم بشيء من الارتياح ، غير شاعرين بأنه من جماعتهم . ولم يتفق لى قط ان شهدت اناسا يجهدون بمثل هذا التشبث لأن يفهموا ويقرروا . فقد كانوا واقفين بدون حراك اطلاقا ، يصغون الى الخطباء ، مقطبين حواجبهم من شدة التفكير ، وجباههم تنضج عرقا . كانوا جبابرة بعيون اطفال بريئة ، ووجوه ابطال الملاحم . . . وشرع يتكلم الآن بلشفي ، جندي من هذه الوحدة . كان خطابه حماسيا زاخرا بالحق . ولم يكن الجمع يصغى اليه بعطف يزيد عن الآخرين . وما كان هذا ليتفق والحالة النفسية لدى هؤلاء الناس . لقد كانوا جميعا في تلك اللحظة في شرود عن افكارهم اليومية المألوفة . انهم الآن يفكرون بروسيا ، بالاشتراكية ، بالعالم اجمع ، وكأنما حياة الثورة ومماتها متعلقان بمصفحاتهم . وفي جو من السكون المتوتر كان الخطباء يتعاقبون الواحد اثر الآخر . وصيحات الاستحسان تتعاقب وصيحات الاستنكار . هل ينبغي العمل ام لا ؟ ومن جديد تكلم خانجونوف المستلطف ذو الحجة القوية . ولكن مهما يتكلم عن السلم ، افليس ضابطا ، افليس دفاعيا ؟ وتكلم عامل من جزيرة فاسيلي . وقوبل بصيحة تقول : « اتراكم انتم ، ايها العمال ، ستعطوننا السلام ؟ » . وكان يتجمع بالقرب منا بضعة رجال ، معظمهم من الضباط ، وقد لظموا ما يشبه جماعة من المصفقين المأجورين ، وراحوا يحيون بصخب جميع انصار الحياد . وقد كانوا يصيحون : « خانجونوف ! خانجونوف ! » ويصفرون لجميع الخطباء البلاشفة . وفجأة نشب جدال حار بين جماعة اللجنة والضباط ، الواقفين على المصفحة . كانوا يكثرون من الاشارات العنيفة ولا يستطيعون باية حال الوصول الى اتفاق . ولاحظ المجتمعون هذا الجدال . فاخذ الجمع الغفير يهمهم وينفعل ، راغبا في ان يعرف

ما القضية . وانتفض جندى ، كان احد الضباط يحاول الامساك به ، فرفع يده عاليا وصاح :

« ايها الرفاق ! هنا الرفيق كريلنكو ، وهو يريد الكلام ! » .
فانطلق انفجار من الصياح والتصفيق والصفير . « ليتكلم ! ليتكلم ! » ، « ليسقط ! » . ووسط صخب لا يوصف تسلق مفوض الشعب للشؤون الحربية ، المصفحة ، تدفعه وتسنده الايدى من جميع الجهات . وتوقف دقيقة ، ثم سار نحو مقدمتها ، وراح ينقل طرفه الى هنا وهناك ، مبتسما ، ويداه على خصرتيه . رجل مربع القامة ، قصير الساقين ، يرتدى بزة عسكرية ، بدون كتافيات ، حاسر الرأس .

كانت جماعة المصفقين ، الواقفة بالقرب منى ، تطلق صياحا ضاريا : « خانجونوف ! نطلب خانجونوف ! ليسقط هذا ! اسكت ! ليسقط الخائن ! » وشرع الجمع كله يغلى ويهمهم . وفجأة بدأت حركة . وكما تزحف كتلة متهاوبة من الثلج ، تحرك نحونا جمع من الجنود الاشداء سود الحواجب . وقد كانوا يشقون لانفسهم الطريق ، دافعين الجمهور بمناكبهم . وصاحوا قائلين : « من يشوش هنا على الاجتماع ؟ من يثير الضجيج هنا ؟ » . وعلى الفور تفرق شمل جماعة المصفقين وما عادت الى الالتئام . وبدأ كريلنكو الكلام قائلا بصوت ابح من الاعياء :

« ايها الرفاق الجنود ! لست استطيع الكلام كما ينبغي ، فارجو معذرتى ، فانا لم انم منذ اربع ليال كاملات
لست بحاجة لأن اقول لكم انى جندى . وما انا بحاجة لأن اقول لكم انى اريد السلام . ولكن على ان اقول لكم ان الحزب البلشفى الذى كنتم ، انتم وسائر الرفاق البواسل الذين اطحتم بسلطة البرجوازية الدموية الى الابد ، العون له فى تحقيق ثورة العمال والجنود ، قد وعد بعرض الصلح على جميع شعوب العالم .

وهذا الوعد قد تم اليوم انجازه !» فانفجرت عاصفة من التصفيق . . .

« يحضونكم على الوقوف على الحياد ، الوقوف على الحياد في الوقت الذى يقوم فيه رجال اليونكر وكتائب الموت ، الذين لم يقفوا **ابدا** على الحياد ، باطلاق النار علينا في الشوارع ويجيئون الى بتروغراد بكيرنسكى او بواحد ما من هذه العصابة ذاتها . وكاليدى يزحف من الدون . ويقترّب كيرنسكى قادما من الجبهة . وقد حشد كورنيلوف التركمان وهو يريد تكرار المغامرة التى قام بها فى آب (اغسطس) . ان المناشفة والاشتراكيين-الشوريين يطلبون منكم الحيلولة دون نشوب حرب اهلية . ولكن ما الذى مكنهم هم انفسهم من البقاء فى الحكم ان لم تكن الحرب الاهلية ، تلك الحرب الاهلية التى بدأت منذ تموز (يوليو) والتي وقفوا فيها على الدوام الى جانب البرجوازية مثلما يقفون الآن ؟

كيف يمكننى اقناعكم اذا كان قراركم قد تم اتخاذه ؟ ان المسألة واضحة تماما . من جهة يقف كيرنسكى وكاليدى وكورنيلوف والمناشفة والاشتراكيون-الشوريون والكاديت ومجالس الدوما البلدية والضباط . . . وهم يقولون لكم ان مراميههم جد طيبة . ومن الجهة الاخرى يقف العمال والجنود والبحارة والفلاحون الفقراء . انكم اسياد الموقف . وروسيا العظمى لكم . فهل تسلمونها ؟ »

كان كريلنكو بالكاد يقف على قدميه من شدة التعب . ولكن ما تنطوى عليه كلماته من عميق الصدق كان يزداد جلاء فى صوته كلما استرسل فى كلامه . وحين انتهى من خطابه ترنج وكاد ان يقع . فسندته مئات الايدى وارتجّ المبنى العالى المعتم من هدير التصفيق والصيحات الحماسية .

وحاول خانجنوف ان يتكلم مرة اخرى ، ولكن المجتمعين

ما كانوا يريدون سماع شيء ، وقد راحوا يصيحون : « الى التصويت ! الى التصويت ! » . فتنازل اخيرا وتلا مشروع قرار يقضى بان يسحب فوج المصفحات ممثلية من اللجنة العسكرية الثورية ويعلن وقوفه على الحياد في الحرب الاهلية الناشبة .

وقد اقترح على جميع المؤيدين لمشروع القرار هذا ان يتنحوا الى اليمين ، وعلى جميع المعارضين له ان يتنحوا الى اليسار . فكانت في اول الامر لحظة تردد وشيء من التبرص ، ثم بدأ الجمع يتدفق اسرع فاسرع الى اليسار . فكان المئات من الجنود الاشداء يمشون بضجيج على الارض الوسخة المعتمدة يتأثرون بعضهم ببعض . وبقي بالقرب منا ما لا يزيد عن خمسين رجلا . كانوا مصرين على تأييدهم لمشروع القرار ، واما حين دوت هتافات النصر تحت قباب المبنى العالية ، فداروا على اعقابهم وانصرفوا مسرعين من البناية . وتخلى كثيرون منهم عن الثورة ايضا . . .

وليتصور المرء ان الصراع نفسه كان يدور في كل ثكنة في جميع المدن ، وجميع المقاطعات ، وفي الجبهة كلها ، وفي روسيا جمعاء ! وليتصور هؤلاء الرجال من امثال كريلنكو ، الذين لا يدوقون طعم الرقاد ، وهم يسهكون على كل فوج ، مسرعين من مكان لآخر ، يحضون ويناقشون ويهددون ! وليتصور بعد ذلك ان هذا بالذات كان يجرى في مقرات جميع الاتحادات المهنية ، وفي المعامل والمصانع ، وفي القرى ، وعلى السفن الحربية للاساطيل الروسية الضاربة بعيدا عبر البحار ؛ وليفكر بمئات الألوف من الروس يلتهمون الخطباء باعينهم في جميع ارجاء روسيا الشاسعة ، وبالعمال والفلاحين والجنود والبحارة وهم يجهدون على هذا النحو المضنى لأن يفهموا ويختاروا ، وهم ينكرون بتركيز شديد ، وان يقرروا في آخر الامر بهذا الاجماع منقطع النظر . هكذا كانت الثورة الروسية ! . . .

اما هناك ، في سمولني ، فما كان مجلس مفوضي الشعب الجديد يستسلم للرقاد . فالمرسوم الاول كان قد اصبح قيد الطبع وكان ينبغي ان يوزع بالوف النسخ في الليلة ذاتها في جميع شوارع المدينة وان يوصل بالقطارات الى جميع انحاء البلاد، جنوبا وشرقا : « باسم حكومة الجمهورية الروسية ، المنتخبة من قبل مؤتمر نواب العمال والجنود لعامة روسيا ، باشتراك نواب الفلاحين ، يرسم مجلس مفوضي الشعب ما يلي :

- ١ - الانتخابات للجمعية التأسيسية يجب ان تجرى في الموعد المعين ، الثاني عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢ - على جميع اللجان الانتخابية ، وهيئات الادارة السلية ، وسوفيات نواب العمال والجنود والفلاحين ، ومنظمات الجنود في الجبهة ، ان تبذل كل الجهود من اجل تأمين الانتخابات الحرة السليمة للجمعية التأسيسية في الموعد المعين .

رئيس مجلس مفوضي الشعب فلاديمير اوليانوف - لينين »

كان مبنى الدوما البلدي ما يزال في اوج الغليان . وحين دخلنا قاعة الجلسات ، كان يتكلم احد اعضاء مجلس الجمهورية ، معلنا ان المجلس لا يعتبر نفسه منحلا على الاطلاق ، وان استمراره بعمله رهن بايجاد مبنى جديد له فحسب . وقد قررت لجنة شيوخه القيادية in corpore * الانضمام الى لجنة الانقاذ . . . واني لاشير بين قوسين الى ان هذه كانت آخر مرة يذكر فيها التاريخ مجلس الجمهورية الروسية .

* بكامل اعضائها (باللاتينية) . المحرر .

وعقب ذلك العرض المألوف للمندوبين : عن الوزارات ، وعن الفيكل ، واتحاد مستخدمي البريد والبرق . وقد سبق لهم جميعا ان اعلنوا للمرة المئة عن عزمهم الذى لا يتزعزع على الامتناع عن العمل للمغتصبين البلاشفة . وروى احد رجال اليونكر ، المدافعين عن قصر الشتاء ، قصة مضحكة عن بطولته هو نفسه وبطولة رفاقه ، وكذلك عن تصرفات الحرس الاحمر المخزية . وكان المجتمعون يصدقون من غير جدال كل كلمة يقولها . وتلا احدهم تقريرا لصحيفة الاشتراكيين-الثوريين « نارود » (« الشعب ») يتكلم باسهاب عن تحطيم قصر الشتاء ونهبه ، ويذكر ان الاضرار التى نزلت به تقدر بـ ٥٠٠ مليون روبل .

ومن حين لآخر كان يظهر السعاة يجيئون باخبار وردتهم هاتفيا . البلاشفة اطلقوا سراح اربعة وزراء اشتراكيين . كريلنكو ذهب الى قلعة بطرس وبولس وقال للاميرال فيرديفسكى بان وزير البحرية هرب ، وانه هو ، كريلنكو ، مكلف من قبل مجلس مفوضى الشعب بان يطلب منه ، فى سبيل سلامة لروسيا ، بان يتولى ادارة الوزارة تحت اشراف مجلس مفوضى الشعب . ووافق البحار الشيخ . . . كيرنسكى يتقدم الى الشمال من غاتشينا ، والحاميات البلشفية تتقهقر امامه . صدر عن سمولنى مرسوم جديد يوسع صلاحيات مجالس الدوما البلدية فى ميدان التموين بالمواد الغذائية .

وفد اثار هذا العمل الوقح الاخير عاصفة من الاستنكار . لينين ، هذا المغتصب ، المتعسف ، الذى استولى مفوضه على مرآب البلدية واقتحموا مستودعاتها وتدخلوا فى شؤون لجنة التموين وفى توزيع المواد الغذائية ، يتجاسر على تعيين حدود صلاحيات الادارة البلدية الحرة المستقلة ذات الاستقلال الذاتى ! وتقدم احد اعضاء الدوما ، وهو يهز قبضتيه ، باقتراح يقضى بان

يوقف بتاتا توريد المواد الغذائية الى المدينة اذا ما تجرأ البلاشفة على التدخل في شؤون لجنة التموين ... واعلن عضو آخر ، وهو ممثل للجنة التموين الخاصة ان الحالة الغذائية جد خطيرة وطلب ارسال مفوضين للتعجيل في وصول قطارات التموين .

وبصورة درامية اعلن ديدوننكو ان الحامية مترددة . وقد قرر فوج سيمينوفسكى الخضوع لاوامر حزب الاشتراكيين-الثوريين ؛ وبحارة الدفاعات ، الموجودة في النيفا ، في وضع نفسى متقلقل . وقد عين علم الفور سبعة من اعضاء اللجنة لمتابعة الدعاية ... وهنا سعد المنبر رئيس البلدية العجوز :

«ايها الرفاق والمواطنون ! علمت للتو ان جميع المعتقلين في قلعة بطرس وبولس في خطر شديد . الحراس البلاشفة عروا اربعة عشر طالبا من مدرسة بافلوفسكى الحربية وامنعوا بهم تعذيبا . وقد جن احدىهم . والحراس يهددون بسحل الوزراء . فانطلق اعصار من الاستفطاع والاستنكار ازداد شدة وعنفا حين طلبت الكلام امرأة قصيرة ممثلة رمادية الملابس ، هي فيرا سلوتسكايا ، الثورية القديمة والعضو في مجلس الدوما عن البلاشفة . وقد قالت بصوتها الحاد الرنان غير مكترثة بسيل الاهانات :

«هذا كذب واستفزاز ! ان حكومة العمال والفلاحين التي الغت عقوبة الاعدام لا يمكن ان تسمح بمثل هذه الاعمال . اننا نطالب بالتحقيق فورا في هذا النبأ ؛ واذا كان فيه ولو قسط ضئيل من الحقيقة ، فان الحكومة ستتخذ اشد التدابير ! » وفي الحال عينت لجنة خاصة مؤلفة من ممثلين عن جميع الاحزاب برئاسة رئيس البلدية ، فذهبت الى قلعة بطرس وبولس . وذهبنا نحن على امر اللجنة ، وفي ذلك الحين انتخبت لجنة اخرى لمقابلة كيرنسكى لتفادى سفك الدماء لدى دخوله العاصمة ...

وكانت الساعة قد بلغت منتصف الليل حين مررنا بصعوبة من
بوابة قلعة بطرس وبولس خفية عن الخفراء، ومضينا في الفناء الواسع
المضاء بنور جد ضعيف من المصابيح الكهربائية القليلة . ومررنا
بجانب الكنيسة ، حيث تقوم اضرحة الامبراطرة الروس تحت البرج
الذهبي الرشيق وتحت الساعة الدقاقة التي كانت ما تزال تدق ظهيرة

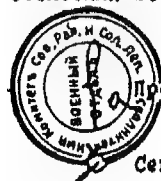
ИСПОЛНИТЕЛЬНЫЙ КОМИТЕТ
ПЕТРОГРАДСКОГО СОВЕТА
РАБОЧИХ И СОЛДАТСКИХ
ДЕПУТАТОВЪ
Военный Отделъ

28 Октября 1917 г.

261485

У Д О С Т О В Ъ Р Е Н І Е.

Настоящее удостовѣреніе дано представите
Американской Соціалъ - демократіи Интернаціона-
листу товарищу Д Ж О Н У Р И Д Ъ въ томъ,
Военно - Револүціонный Комитетъ Петербургскаго
Совѣта Рабочихъ и Солдатскихъ Депутатовъ пред-
ставляетъ имъ права свободнаго проѣзда по всѣмъ
Сѣверному фронту въ цѣляхъ освѣдомленія нашихъ
Американскихъ товарищей интернаціоналистовъ съ
событіями въ Россіи.



Председатель:

Секретарь:

[Handwritten signatures]

جواز مرور جون ريد لزيارة الجبهة الشمالية

كل يوم «ربنا احفظ القيصر» * ... كان المكان من حولنا مقفرا ولم تكن اكثرية النوافذ مضاءة . ومن حين لآخر كنا نلتقى بشخص عملاق ، يسير ببطء في الظلمة ، ويرد على جميع اسئلتنا بالعبارة المألوفة : «يا نى زنايو» («لا اعرف») .

كان يرتسم الى اليسار شبح حصن تروبتسكى القاتم ، مقبرة الاحياء ، حيث مات في العهد القيصرى الكثير من المناضلين المتفانين من اجل الثورة او فقدوا صوابهم . وفي ايام آذار (مارس) سجنتم الحكومة الموقتة هنا الوزراء القيصريين . اما الآن فقد سجن البلاشفة هنا وزراء الحكومة الموقتة .

وبطبيعة خاطر ، سار بنا احد البحارة الى مقر القيادة القائم في منزل صغير قرب دار سك النقود . كان قرابة نصف دزينة من ل الحرس الاحمر والجود والبحارة جالسين في غرفة دائمة عابقة بالدخان حول سماور يغلى مطلقا انغاما مرحة . وقد استقبلونا بكثير من المودة وقدموا لنا الشاي . لم يكن القائد موجودا . فقد كان يرافق لجنة الدوما من المخربين الذين كانوا يؤكدون ان رجال اليونكر قد تم ذبحهم عن بكرة ابيهم . وكان في هذا ، على ما يبدو ، مدعاة كثير من التسلية للجنود والبحارة . وفي جانب من الغرفة كان يجلس شخص قصير اصلع يرتدى ستر رسمية سوداء ومعطفا ثميئا من الفراء ، يقضم شاربيه ويحملق بالذين حوله كالجرذ المحاصر . كان معتقلا منذ وقت قريب . ونظر اليه احدهم بغير مبالاة ، وقال انه وزير من الوزراء او ما شاكل ذلك ... ولم يسمع الرجل ، على ما يبدو ، هذا القول . فقد كان جليا انه في هلع ، رغم ان احدا لم يكن يبدى نحوه اية عداوة . عبرت الغرفة وتحدثت اليه بالفرنسية . وقد اجابني منحنيا

* كانت ساعة كنيسة بطرس وبولس تدق لنا آخر . المحرور .

بتكلف : «انا الكونت تولستوى . لست استطيع ان افهم لماذا اعتقلوني . كنت اجتاز جسر ترويتسكى بهدوء عائدا الى البيت ، واذا باثنين من هؤلاء ال... ال... الافراد يوقفونى . كنت مفوضا للحكومة الموقته لدى الاركان العامة ، ولكنى لم اكن وزيرا باية حال ... »
قال احد البحارة : «دعه ينصرف . اى خوف منه ؟»
فاجاب الجندى الذى جاء بالموقوف : « كلا ، يجب سؤال القائد » .

فقال البحار متهافيا : «القائد ؟ ولماذا قمنا بالثورة ؟
الأجل اطاعة الضباط من جديد ؟»

قص علينا مرشح في فوج بافلوفسكى كيف بدأت الانتفاضة :
« كان الفوج ليلة السادس من تشرين الثانى - نوفمبر (٢٤ تشرين الاول - اكتوبر) يقوم بنوبته في الاركان العامة . وكنت اتولى الحراسة مع بضعة من الرفاق . وكان ايفان بافلوفيتش ورفيق آخر - لا اذكر اسمه - مختبئين خلف ستائر النوافذ في الغرفة التى كانت تجتمع فيها هيئة الاركان ، وقد سمعا هناك كثيرا جدا من الاشياء الخطيرة . سمعا ، مثلا ، امرا يقضى بان ينقل الى بتروغراد في الليلة ذاتها رجال اليونكر من غاتشينا ، وامرا الى القوزاق بان يكونوا قبيل الصبح مستعدين للعمل ... وكان يجب ان يتم احتلال جميع النقاط الرئيسية في المدينة قبل الفجر . وبعد هذا كان رجال الاركان يعتزمون فك الجسور . ولكنهم حين بدأوا بالكلام عن تطويق سمولوى ، لم يعد ايفان بافلوفيتش قادرا على ان يتحمل اكثر من ذلك . وفي ذلك الحين كان يدخل الغرفة ويخرج منها كثير جدا من الناس بحيث اتيح له ان ينسل من الغرفة ويمضى الى غرفة المناوبة ، وظل الرفيق الآخر يتسمع .

وكنتم ارتاب قبل ذلك بان شيئا ما يبيت . فقد كانت تجى الى الاركان طول الوقت سيارات تحمل ضباطا ، وكان جميع الوزراء

ابصا ود اصبحوا هاك . واخبرني ايفان بافلوفيتش بكل ما سمع
وكاتب الساعة فد بلغت 'منتصف الشالنه صباحا ... وكان معنا امي
مر لجنة الفوج . فروينا له كل شيء وسألناه ما العمل .

فاجابنا قائلا : « ينبغي اعتقال جميع الداخلين والخارجين » .
وشكدا فعلنا . وما هي الا ساعة حتى كنا قد قبضنا على عدة صباط
ووريوين وبعننا بهم رأسا الى سمولني . ولكن اللجنة العسكرية
السوريه لم يكن بعد على استعداد : فما كانت تدري ماذا ينبغي ان
نعمل ، فجاء من هناك بعد قليل امر يقول بالافراج عن الجميع
وعدم اعتقال احد بعد . فهرعنا الى سمولني ، قاطعين الدرب كله
ركضا . ومضى في اعتقادي ما لا يقل عن ساعة حتى افهمناهم ان
الحرب قد بدأت . وما عدنا الى الاركان الا والساعة قد بلغت
الخامسة ، اما خلال هذا الوقت فكان قد تم اخلاء سبيل جميع
الموقوفين تقريبا . ولكننا مع ذلك كنا ممسكين ببعض منهم ،
واما الحامية بكاملها فكانت قد بدأت المسير ... »

وبكثير من الاسهاب روى احد رجال الحرس الاحمر من جريرة
فاسيليفسكي كيف مر يوم الانتفاضة العظيم في منطقته . وقد كان
بقول مبتسما : « لم يكن لدينا ولا رشاش ، وما كان في وسعنا باية
حال الحصول عليها من سمولني ايضا . وتذكر الرفيق زالكيند ، عصو
البلدية المحلية ، ان لديهم في البلدية رشاشا في قاعة الجلسات مغنما
من الالمان . فاصطحبت معه رفيقا آخر وذهبنا الى هناك . وهناك كان
المناشفة والاشتراكيون-الثوريون يعقدون اجتماعا . حسنا ، لا
بأس ، فتحنا الباب ومضيينا مباشرة اليهم ، وقد كانوا يجلسون حول
طاولة ، وعددهم يتراوح بين ١٢ و ١٥ رجلا ، اما نحن فثلاثة . وما
ان رأونا حتى صمتوا جميعا وراحوا يحملقون بنا . فاجتزنا نحن
العرقة رأسا وفككنا الرشاش . فحمل الرفيق زالكيند قسما على كتفه
وحملت انا القسم الآخر ، وذهبنا ... ولم يقل لنا احد كلمة ! »

وسأل احد البحارة : « وهل تعرفون كيف تم الاستيلاء على
فصر الشتاء ؟ حوالى الساعة الحادية عشرة رأينا ان رجال اليونكر
لم يبق منهم ولا واحد من جهة نهر النيفا . فاقترحنا اذ ذاك الابواب
وصعدنا الى اعلى على السلام ، فرادى وجماعات صغيرة . وفي فسحة
السلم العليا اوقفنا رجال اليونكر ونزعوا منا بنادقنا . ولكن رفاقنا
كانوا يتدفقون ويتدفقون ، وما لبثنا ان تفوقنا عددا . واذ ذاك
انفضضنا على اليونكر ونزعنا منهم البنادق ... »

وهنا دخل القائد ، وهو صف ضابط شاب مرح معصوب
السد ، تحيط بعينييه حلقتان زرقاوان من السهر . فنظر الى الموقوف
الذى راح على الفور يشرح وضعه . فقال له مقاطعا :

« نعم ، نعم ، انت عضو فى اللجنة التى رفضت يوم الاربعاء
سليمنا الاركان . على اننا فى غير حاجة اليك ، ايها المواطن .
فالمعدرة ... » وفتح الباب وبحركة من يده اشار الى الكونت
بولسنوى انه مطلق السرح . فصدرت عن بعض الموجودين ،
وبخاصة رجال الحرس الاحمر ، احتجاجات فاترة ، اما البحار فقد
اعلن بلهجة المنتصر : « هه ! .. وماذا قلت ؟ »

وتوجه جنديان الى القائد ، فاحتجا باسم حامية القلعة ،
فانلبين : « المعتقلون يتناولون من الاغذية قدر ما يتناول الحراس ،
فى حين ان ليس ثمة ما يشبع احدا . فعلى اى اساس نلاطف اعداء
الثورة ؟ »

فاجابهما القائد : « نحن ، يا رفاق ، ثوريون لا قطاع طرق » .
والثفت اليها . فقلنا له ان ثمة شائعة رائجة فى المدينة تزعم ان
المعتقلين من اليونكر يتعرضون للتعذيب واما الوزراء ففى خطر
الموت . افلا يسمح لنا برؤية المعتقلين لكى يكون فى وسعنا فيما
بعد ان نعلن للعالم اجمع ...

فاجاب جندى شاب بغضب : « كلا ! لم يعد في وسمى ارجاع
المعتقلين . فقد اضطرت منذ قليل لايقاظهم فظنوا انهم سيدبحون
جميعا في الحال ... على ان معظم رجال اليونكر قد اطلق سراحهم ،
واما الباقيون فسيفرج عنهم غدا » . والتفت بحدة .

« وفي هذه الحال ، الا يمكن لنا ان نتحدث مع لجنة الدوما ؟ »
فبادر القائد ، وكان في تلك اللحظة يصب الشاي لنفسه ، الى
الموافقة باشارة من راسه . وقال بغير مبالاة : « انهم ما يزالون
هناك ، في القاعة » .

وفي الواقع ، كانوا واقفين خلف الباب في ضوء خفيف من مصباح
كاز ، ملتفين حول رئيس البلدية ، يتحدثون بحرارة في امر ما .
فقلت : « ايها السيد رئيس البلدية ، نحن مراسلون اميركيون .
الا تتفضل باعلامنا رسميا عن نتائج تحقيقاتكم ؟ »

فالتفت الي بوجهه الزاخر بعميق الوقار . وقال بتأن : « ليس
في الاخبار جميعا ادنى قسط من الحقيقة . ان الوزراء يعاملون
احسن معاملة ممكنة ، باستثناء الحوادث التي جرت عند جلبهم الى
هنا . اما اليونكر فليس بينهم احد مصاب باخف جرح ... »

وفي شارع نيفسكى ، خلال سكون الليل وظلمته ، كانت
سير مواكب صامتة لا نهاية لها من الجنود ، زاحفين لمقاولة
كيرنسكى . وفي الشوارع الجانبية المظلمة كانت تجرى سيارات
مطفاة المصابيح . وفي شارع فونتانكا ، المبنى رقم ٦ ، المقر العام
لسوفييت نواب الفلاحين وفي بعض شقق المبنى الضخم بشارع
نيفسكى ، وفي مدرسة المهندسين ، كان يسير عمل خفى نشيط .
وكان مجلس الدوما منارا من اسفله الى اعلاه ...

اما في معهد سمولني فكانت تعمل اللجنة العسكرية الثورية ،
ومنها تنطاي الشرارات ، انطلاقها من بطارية مثقلة بالشحنة
الكهربائية ...

وقد وورى فى الثرى خمسمائة تابوت ، الواحد اثر الآخر .
وحلت ظلمة الغسق ، والاعلام ما تزال تخفق فى الهواء ، والجوقة
تعزف النشيد المأتمى ، والجمهور الغفير يردده ترتيلا . وفوق
المدفن كانت الاكليل معلقة على اغصان الاشجار العارية ، كانها
اراهير غريبة متعددة الالوان . وتناول مئتا رجل المجارف
واخذوا يردمون المدفن . فكان التراب يتساقط على التوابيت
محدثا اصواتا بكاء تسمع بجلاء رغم الترتيل .
واشتعلت المصابيح . وجاءت الاعلام الاخيرة ، ومرت آخر
النساء النائحات تنظرن الى وراء نظرات تنطوى على توتر رهيب .
وانحسرت الموجه البروليتارية ببطء عن الساحة الحمراء ...
وادركت فجأة ان الشعب الروسى المؤمن لم يعد بحاجة الى
كهنة يساعدونه على التوسل لملكوت السماوات . لقد كان هذا
الشعب يبني على الارض ملكوتا اكثر اشراقا من اى ملكوت
تستطيع ان تقدمه السماء ، ملكوتا يعد الموت فى سبيله سعادة ...

« لا علم لى بشئ ... اين كيرنسكى ؟ »
 « يقال انه لا يبعد عن بتروغراد الا مسافة ثمانية فراسخ ...
 وهل صحيح ان البلاشفة التجؤوا الى متن « افرورا » ؟ »
 « يقال ... »

كانت الجدران جميعها مطلية بالاعلانات ، اما الصحف فكانت قليلة . كشف اسرار ، نداءات ، مراسيم .

وكان ثمة لوحة ضخمة تحمل بيانا هستيريا صادرا عن اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا :
 « ... انهم (البلاشفة) يتجاسرون على القول زاعمين انهم يتمتعون بتأييد سوفييتات نواب الفلاحين . ويتكلمون باسم سوفييتات نواب الفلاحين دون ان تكون لهم اية صلاحية لذلك .
 الا فلتعلم روسيا الكادحة جمعاء ان هذا كذب وان جميع الفلاحين الكادحين - بلسان اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا - يابون باستنكار اى اشتراك الفلاحين المنظمين فى هذا الانتهاك الاجرامى لارادة الكادحين جميعا » .

وثمة بيان من الفرع العسكرى لحزب الاشراكيين-الثوريين يقول :

« ... ان محاولة البلاشفة الخرقاء على وشك الانهيار . ففى صفوف الحامية انشقاق وتخاذل . والوزارات معطلة . والخبز يوشك ان ينفد . وقد انسحبت من المؤتمر جميع الكتل ، باستثناء حفنة الماكسيماليين . فحزب البلاشفة فى عزلة .

نهيب بكم ... ان تلتفوا حول لجنة انقاذ الوطن والثورة ...
 وان تكونوا على استعداد للمبادرة فى اللحظة الضرورية الى المقاومة
 النشيطة تلبية لنداء اللجنة المركزية ... »

ويعدد مجلس الجمهورية الاساءات التى نزلت به فى البيان

لتالى :

«... ان المجلس الموقت للجمهورية الروسية قد اضطر في الخامس والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ، رضوخا منه لقوة الحراب ، لأن يحل نفسه ويوقف عمله مؤقتا .

ان مغتصبى السلطة ، وهم يتشدقون بكلمات « الحرية والاشتراكية » يمارسون العنف والاستبداد.. فقد اوقفوا وسجنوا في السرداب القيصري اعضاء الحكومة الموقته ومن جملتهم الوزراء الاشتراكيون . وقد عطلوا الصحف واستولوا على المطابع ...

مثل هذه السلطة يجب ان تعتبر عدوة للشعب والثورة فلا بد من النضال ضدها ، لا بد من الاطاحة بها ...

وبانتظار استئناف اعماله ، يدعو المجلس الموقت للجمهورية مواطنى الجمهورية الروسية للتراس حول اللجان المحلية لانقاذ الوطن والثورة ، العاملة على اسقاط سلطة البلاشفة واقامة حكومة كفوء لتتولى قيادة البلد المعذب حتى قيام الجمعية التأسيسية » .

وكانت صحيفة « ديلو نارودا » (« قضية الشعب ») تقول :

«... الثورة هى انتفاضة الشعب كله ... فمنذا الذى اعترف بـ«الثورة الثانية» ، ثورة السادة لينين وتروتسكى ومن على شاكلتهما ؟ فئات صغيرة من العمال والجنود والبحارة المخدوعين من قبلهم ، ولا احد سواهم ... » .

اما « نارودنويه سلوفو » (« كلمة الشعب ») (لسان حال الاشتراكيين الشعبيين) فكانت تقول :

« حكومة عمال وفلاحين ؟ هراء ! هذه « الحكومة » لا يعترف بها احد لا فى روسيا ، ولا فى البلدان الحليفة ، حتى ولا فى البلدان المعادية !... »

واحتجبت الصحافة البرجوازية كليا الى حين ...

ونشرت « البرافدا » تقريرا عن الجلسة الاولى للتسيك الجديدة ، برلمان الجمهورية الروسية السوفيتية . وفى هذه

الجلسة اشار مفوض الشعب للزراعة مليونين الى ان اللجنة التنفيذية للفلاحين قد دعت لعقد مؤتمر الفلاحين لعامة روسيا في كانون الاول (ديسمبر) . وقال :

«ولكننا لا نستطيع الانتظار . فنحن في حاجة لمساندة الفلاحين . واني لاقتراح ان نجمع مؤتمر الفلاحين وعلى الفور . . . » ووافق الاشتراكيون-الثوريون اليساريون على هذا الاقتراح . وسرعان ما صيغ نداء الى الفلاحين وانتخبت لجنة من خمسة اشخاص لتنفيذ المشروع .

وتاجل النظر في تفاصيل القانون الجديد بشأن توزيع الارض ومسألة رقابة العمال على الانتاج الى حين تقديم تقرير لجنة الخبراء . وتليت واقرث ثلاثة مراسيم ١ : اولا ، « النظام العام للصحافة » ، المقترح من قبل لينين ، ويقضى باغلاق جميع الصحف الداعية الى مقاومة الحكومة الجديدة او عدم الخضوع لها ، والمحرضة على القيام باعمال اجرامية او المتعمدة تحريف الوقائع : ثانيا : مرسوم بشأن تأجيل دفع اجور المساكن ، وثالثا مرسوم عن تشكيل الميليشيا العمالية . وصدرت جملة من الاوامر : وكان احدها يخول مجلس الدوما البلدى حق مصادرة البيوت والمحلات الخالية ، وينص الآخر على تفريغ جميع عربات قطارات البضائع ، الموجودة في المحطات النهائية للسكك الحديدية للتعجيل بذلك في نقل المواد ذات الضرورة الاولى وتحرير وسائل النقل اللازمة جدا . وبعد ساعتين وجهت اللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين البرقية التالية الى سائر ارجاء روسيا :

« اللجنة البلشفية الكيفية التي تسمى نفسها «المكتب التنظيمي لمؤتمر الفلاحين لعامة روسيا» تبث ببرقيات الى جميع سوفياتات الفلاحين للمجىء الى المؤتمر في بتروغراد .
تعلن اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا

انها ما تزال كسابق عهدها ترى ان صرف القوى المحلبة في الوقت الحاضر عن التهيئة لانتخابات الجمعية التأسيسية ، ضار خطر ، اذ انها الآن الوسيلة الوحيدة لانقاذ الفلاحين والبلاد . تؤكد الدعوة لعقد المؤتمر في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) » .

وكان يسود مجلس الدوما نشاط منقطع النظير . ضباط يجيئون ويروحون ، ورئيس البلدية يجتمع مع زعماء لجنة الانقاذ ويقبل احد اعضاء البلدية راكضا يحمل معه نسخة من بيان كيرنسكى . ومثل هذه البيانات كانت تلقى بالمائات من طائرة كانت تطير على ارتفاع منخفض فوق شارع نيفسكى . وقد كانت تهدد جميع المتمردين بالانتقام الرهيب ، وتامر الجنود بالقاء السلاح والتجمع فورا في ساحة مارس .

وقد قيل لنا ان رئيس الوزراء قد استولى على تسارسكويه سبلو ولا يبعد غير بضعة اميال عن بتروغراد . وسيدخل المدينة عدا ، بعد بضع ساعات . والقوات السوفييتية ، بعد اتصالات مع القوزاق ، انضمت الى جانب الحكومة الموقته . وتشيرنوف يدور في مكان ما بين الطرفين محاولا تنظيم وحدات عسكرية «حيادية» لتكون قوة قادرة على وقف الحرب الاهلية .

وكان بداع في مجلس الدوما ان افواج الحامية في المدينة قد انفضت عن البلاشفة . وقد تم التخلي عن سمولنى . . . وتوقفت كل اجهزة الحكم عن العمل . ورفض مستخدمو بنك الدولة العمل تحت رئاسة مفوضى سمولنى وتسليم المال . والمصارف الخاصة مغلقة باجمعها . والوزارات مضرية . ولجنة الدوما تقوم بجولة على جميع المحلات التجارية وتجمع الاموال لتدفع اجور المضربين^٢ . ذهب تروتسكى الى وزارة الخارجية وامر الموظفين بترجمة مرسوم السلام الى اللغات الاجنبية . فما كان من الموظفين الستمة الا ان قذفوا باستقالاتهم في وجهه . . .

امر مفوض العمل شليا بنيكوف جميع مستخدمى وزارته بالعودة الى مراكزهم خلال ٢٤ ساعة ، مهددا فى حال الرفض بان يفقدوا وظائفهم وحقوقهم التقاعدية . فما رضى غير الحجاب ... وفضلت بعض فروع اللجنة الخاصة للتموين ان توقف اعمالها على الخضوع للبلاشفة ... ورفض شغيلة الهاتف خدمة المؤسسات السوفييتية رغم الوعود السخية برفع الاجور وتحسين ظروف العمل ...

وقرر حزب الاشتراكيين-الثوريين طرد جميع اعضائه الباقين فى مؤتمر السوفييتات او المشتركين فى الانتفاضة ... اما اخبار المقاطعات فكانت تقول ان مدينة موغيليف قد اعلنت مناهضتها للبلاشفة . وفى كييف حل القوزاق السوفييتات واعتقلوا جميع الزعماء العصاة . سوفيت لوغا وحاميتها البالغ عددها ثلاثين الفا اتخذوا قرارا بالاخلاص للحكومة الموقتة ، داعين روسيا كلها للنهج على غرارهم . كاليدى حل جميع السوفييتات والاتحادات المهنية فى حوض الدونetz . وقواته تحرف الى الشمال ...

واعلن ممثل لشغيلة السكك الحديدية قائلا : « يوم امس بعثنا ببرقية الى جميع ارجاء روسيا تطالب بوقف الحرب فورا بين الاحزاب السياسية وتاليف حكومة ائتلافية اشتراكية . والا فسنعلن الاضراب غدا فى الليل ... وفى الصباح سيعقد اجتماع لجميع الفروع لبحث هذه المسألة . والبلاشفة ، كما يظهر ، ينشدون الاتفاق ... »

فضحك مهندس البلدية الجسيم ذو الخدين المتوردين وقال : « اللهم اذا ظلوا على قيد الحياة حتى هذا ! »

وحين وصلنا الى سمولنى لم نجده غير مهجور وحسب ، بل وجدناه انشط واوفر عملا مما كان فى اى وقت مضى . كانت جموع

العمال والجنود تدخل اليه وتخرج منه ، وفي كل مكان يقف اثنان من الحرس . وهنا التقينا بمخبرى الصحف البرجوازية والاشتراكية «المعتدلة» . وقد صاح مخبر صحيفة « فوليا نارودا » («ارادة الشعب») قائلا : « لقد طردونا ! جاء بونتش-بروييفيتش الى مكتب الصحافة وطلب منا ان ننصرف ! قال اننا جواسيس ! » وهنا صاح الجميع بصوت واحد : « اهانة ! قسر ! حرية الصحافة !... »

وكانت في الفسحة طاولات طويلة تكدست عليها رزم من النداءات والبيانات والاوامر الصادرة عن اللجنة العسكرية الثورية . وكان الجنود والعمال يترنحون وهم ينقلون هذه الرزم ويضعونها على السيارات المنتظرة . وهاكم مطلع احد هذه النداءات :

« الى منصة التشهير ! »

في اللحظة الفاجعة التي يعيشها الشعب الروسى الكادح اقدم المناشفة المساومون والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون على خيانة الطبقة العاملة . وقد وقفوا الى جانب الكورنيلوفيين ، وكيرنسكى وسافينكوف .

انهم يطبعون اوامر الخائن كيرنسكى ويشيعون الهلع في المدينة، ناشرين اسخف الشائعات عن انتصارات هذا المرتد المزعومة ... ايها المواطنون ! لا تصدقوا هذه الشائعات الخرقاء عن انتصارات وهمية يحزها هذا المرتد ! فما من قوة بقيادة على قهر انتفاضة الشعب . ان كيرنسكى وانصاره لفي انتظارهم العقاب العاجل الذى يستحقون ...

انسا سنسمرهم على منصة التشهير ، ونجعلهم سخرية

لجميع العمال والجنود والبحارة والفلاحين الذين يسعون لتكبيلهم
بالاغلال القديمة . ولن يستطيعوا ابدا ان يزيلوا عن وجوههم لطمخة
احتقار الشعب واستنكاره ...

فالخزى والعار لخونة الشعب !»

كانت اللجنة العسكرية الثورية قد انتقلت الى مقر اوسع
اتخذته لها في الغرفة رقم ١٧ في الطابق العلوى . وقد اقيم على
بابها خفراء من رجال الحرس الاحمر . وفي داخل الغرفة فسحة
ضيقة معزولة بحاجز ، كانت غاصة باناس حسنى الملبس ،
محتفظين بمظهر خارجى جد محترم ، اما في قرارة نفوسهم فحقد
يفور ويغلى . انهم برجوازيون راغبون في الحصول على رخص
للسيارات او اذن بالسفر من المدينة . وكان بينهم كثير من
الاجانب ... كانت اذ ذاك نوبة عضوى اللجنة بيل شاتوف
وبيترس . فتوقفا عن مشاغلهما وقرأ لنا النشرات الاخيرة :

فوج الاحتياط رقم ١٧٩ يعدد بالمساندة الاجماعية . خمسة
آلاف عامل ميناء في رصيف بوتيلوف يحيون الحكومة الجديدة .
اللجنة المركزية للاتحادات المهنية تحيي بحماسة اللجنة العسكرية
الثورية . حامية ريفيل والعمارة البحرية فيها انتخبنا لجنة
عسكرية ثورية وسترسلان قوات . بسكوف ومينسك تديرهما
لجنتان عسكريتان ثوريتان . تحيات من سوفياتات تساريتسين
وروستوف على الدون وبياتيغورسك وسباستوبول ... الفرقة
الفنلندية ولجنتا الجيشين الخامس والثانى عشر المنتخبتان من جديد
تضع نفسها تحت تصرف السلطة الجديدة ...

كانت الاخبار الواردة من موسكو تتسم باللبلية . قوات
اللجنة العسكرية الثورية تحتل النقاط الاستراتيجية الرئيسية ،
وانتقلت الى جانب السوفييتات سريتان كانتا تتوليان حراسة
الكرملين . الا ان الترسانة كانت ما تزال في قبضة العقيد ريباتسيف

ورجاله من اليونكر . وقد طالبت اللجنة العسكرية الثورية بالسلاح للعمال ، وظل هو يتفاوض معها حتى صباح اليوم . ولكنه بعث في الصباح بانذار نهائى مفاجئ الى اللجنة يطالب فيه بان تستسلم القوات السوفييتية وبان تحل اللجنة نفسها . وقد بدأ القتال ... وفى بتروغراد خضعت الازكان فى الحال لمفوضى سمولنى . ورفضت التسنتروفولوت الاذعان ولكنها احتلت من قبل ديبنكو وسرية من بحارة كرونشتادت . وتالفت تسنتروفولوت جديدة مؤيدة من قبل العمارات البحرية فى البلطيق والبحر الاسود ... ولكن هذه الشقة كلها كانت مشوبة بهواجس قائمة . فقد كان المرء يشعر فى الجو بشئ من القلق . كان قوزافى كيرنسكى قد باتوا على مقربة ؛ وكان لديهم مدفعية . وقد اكد لى سكرتير لجان المعامل والمصانع سكرينيك ان فيلقا بكامله يزحف مع كيرنسكى ، وإضاف قائلا فى الوقت نفسه : « لن ياخذونا احياء ! » . كان وجهه شاحبا مهزولا من لياالى السهاد . وتهاتف بتروفسكى قائلا باعياء : « ربما ننام غدا ... وننام لأمد طويل ... » وقال لوزوفسكى النحيل ذو اللحية الصهباء : « ما مقادير حظنا من النجاح ؟ نحن لوحدها ... جمهور مقابل جنود مدرين ! »

الى الجنوب والجنوب الغربى من بتروغراد ، كان السوفييتيون يهربون من كيرنسكى ، اما حاميات غاتشيننا وبافلوفسك وتسارسكويه سيلو فقد انشقت على نفسها : النصف كان يريد البقاء على الحياد ، واما الباقيون فقد انسحبوا الى العاصمة ، بدون ضباط ، اشتاتا تسودها الفوضى .

وكانت قد علقت فى القاعات النشرة التالية :

« من كراسنويه سيلو . ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) * ، الساعة السادسة صباحا .

لا بلاغ رئيس الازكان العامة لدى القائد العام ، والقائد الاعلى

* ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) حسب التقويم الجديد . المحرور .

للجبهة الشمالية ورئيس المواصلات العسكرية للجبهة الشمالية ،
والى الجميع ، الى الجميع ، الى الجميع .

حاول الوزير السابق كيرنسكى ان يدخل فى الاذهان ، عن طريق برقية كاذبة موجهة الى كل مكان والى الجميع ، ان قوات بتروغراد الثورية قد القت السلاح من تلقاء نفسها وانضمت الى قوات الحكومة السابقة ، حكومة الخيانة ، وان اللجنة العسكرية الثورية قد اصدرت امرا الى الجنود بالتراجع . ان قوات شعب حر لا تتراجع ولا تستسلم . لقد غادرت قواتنا غاتشيننا تحاشيا لسفك الدماء بينها وبين اخوتها المخدوعين القوزاق ولكى تحتل خارج المدينة موقعا اكثر ملاءمة هو الآن من المناعة بحيث لا مجال للقلق حتى اذا ضوعفت قوات كيرنسكى وجماعته الاقربين عشرة اضعاف . الحالة النفسية لدى قواتنا ممتازة . وكل شئ فى بتروغراد هادئ .

قائد الدفاع عن بتروغراد ومنطقتها
العقيد مورافيف»

وحين كنا خارجين من مقر اللجنة العسكرية الثورية دخل الغرفة اطنونوف وهو فى صفرة الموت ، وفى يده ورقة . وقد قال :
« ابعثوا بهذه ! »

« الى جميع سوفيينات مندوبى العمال
فى المنطقة ، الى لجان العمال والمصانع
امر

ان عصابات كيرنسكى الكورنيلوفية تهدد تخوم العاصمة .
وقد اعطيت جميع الاوامر اللازمة لسحق هذه المحاولة المعادية
للثورة الموجهة ضد الشعب ومكتسباته سحقا لا يعرف الرحمة .

ان الجيش والحرس الاحمر الثورى بحاجة لدعم فورى من العمال .

نامر سوفييتات الاحياء ولجان المعامل والمصانع :

١ - بارسال اكبر عدد من العمال لحفر الخنادق ، واقامة المتاريس ونصب حواجز الاسلاك الشائكة .

٢ - وقف العمل فورا لهذا الغرض في المعامل والمصانع ، عند الاقتضاء .

٣ - جمع كل ما هو متوفر من الاسلاك الشائكة والعادية وكذلك جميع الادوات اللازمة لحفر الخنادق واقامة المتاريس .

٤ - حيازة كل ما هو متوفر من الاسلحة .

٥ - التقيد بالانضباط الشديد والوقوف على قدم الاستعداد لمساندة جيش الثورة بجميع الوسائل .

رئيس سوفييت نواب العمال والجنود في بتروغراد

مفوض الشعب ليف تروتسكى

رئيس اللجنة العسكرية الثورية القائد الاعلى

للمنطقة نيقولاى بودفويسكى»

وحين خرجنا من سمولفى الى النهار المظلم القاتم ، كانت اصوات صفارات المعامل تزعق فى الآفاق الرمادية حولنا زعيقا حادا ، عصبى التبرة ، زاخرا بالقلق . وكان الشعب العامل - رحالا ونساء - ينزل الى الشارع بعشرات الالوف . والضواحي الهداة تقذف بجموعها المدقعة . بتروغراد الحمراء فى خطر ! الرجال والنساء والاحداث ينتشرون فى الشوارع الموحلة حاملين البنادق والامخال والمعازق ولفافات الاسلاك واحزمة الذخيرة فوق ملابس عملهم ، قاصدين الجنوب والجنوب الغربى ، نحو باب موسكو ... وما سبق قط للمدينة ان شهدت مثيلا لهذا السيل البشرى الهائل

العفوى . فقد كان الناس ينحدرون كالسيل وقد اختلطت معهم مفارز من الجنود ، والمدافع ، وسيارات الشحن ، والعربات . كانت البروليتاريا الثورية ماضية تقدم صدرها للدفاع عن عاصمة جمهورية العمال والفلاحين !

وامام باب سمولنى كانت تقف سيارة يستند على رفرافها رجل نحيل على عينيه المحمرتين نظارتان سميكتان تزيدان من اتساعهما . وقد كان يقول شيئا ما بمجهود ، ويداه مدسوستان في جيبي معطفه المتهزئ . وكان ثمة ايضا بحار ملتج طويل القامة ذو عينين فتييتين مشرقتين ، يروح ويجى مضطربا ، لاعبا في شرود بمسدس ضخيم من الفولاذ الازرق لا يفارقه . وكان هذان انطونوف وديبنكو .

وكان ثمة بضعة جنود يحاولون ربط دراجتين عسكريتين الى جانبي سيارة ، والسائق يحتج بعنف قائلا ان هذا سيخدش دهان السيارة . اكيد انه من البلاشفة والسيارة مصادرة من احد البرجوازيين ؛ واكيد ان هاتين الدراجتين يركبهما المرافقان . ولكن كرامته المهنية قد اهينت .. وظلت الدراجتان في مكانهما ...

كان مفوضا الشعب للحربية والبحرية ذاهبين في جولة تفتيشية على الجبهة الثورية حيثما كانت . «الا يمكن ان نذهب معهما ؟» - «كلا بالتأكيد ! كل ما في السيارة خمسة مقاعد - للمفوضين والمرافقين والسائق» . ومع ذلك فان احد معارفي الروس ، واسميه تروسيشكا («خويف») ، جلس في السيارة ببرودة ولم تستطع اية حجة زحزحته من مكانه ...

ليس لدى اى مبرر للشك بما رواه لى تروسيشكا عن هذه الجولة . حين كانوا في شارع سوفوروف تذكر احدهم الطعام . وكان يمكن للجولة على الجبهة ان تستغرق ثلاثة الى اربعة ايام ،

والمنطقة لا تتوفر فيها المواد الغذائية . فاقفوا السيارة . من يحمل نقودا ؟ ففتش مفوض الحربية جميع جيوبه ، فما ظهر فيها كوبيك واحد . وكذلك تبين ان مفوض البحرية في افلاس . وما كان لدى السائق نقود . فاشترى تروسيشكا زادا .

وحين انعطفوا الى شارع نيفسكى انفجر احد اطارات السيارة . فسأل انطونوف : « ما العمل ؟ »

فاقترح ديبينكو وهو يلوح بالمسدس : « مصادرة سيارة اخرى ! »

فوقف انطونوف وسط الشارع ووقف سيارة مارة وراء مقودها جندي ، وعلن قائلا :
« انا بحاجة لهذه السيارة » .

فاجاب الجندي : « لا اعطيها ! »

« وهل تعرف من انا ؟ » ، قال انطونوف هذا وابرز ورقة تبين انه معين قائدا اعلى لجميع جيوش الجمهورية الروسية وان على الجميع وعلى كل واحد الخضوع له بدون اية مناقشة .

فاجاب الجندي بعنف : « لا يهمنى ولو كنت الشيطان ذاته ! هذه السيارة تابعة لفوج الرشاشات الاول ، ونحن ننقل فيها ذخيرة . لن اسلمك هذه السيارة ... »

وانحلت الصعوبة بوصول سيارة تكسى عتيقة عليها علم ايطالى (ايام الاضطرابات كان اصحاب السيارات الخاصة يسجلونها في القنصليات الاجنبية تفاديا للمصادرة) . فاخرج من سيارة التكسى هذه مواطن سمين يرتدى معطفا فخما من الفراء ، وتابعت القيادة العليا طريقها .

ولدى الوصول الى باب نارفا ، بعد مسير قرابة عشرة اميال ، استفسر انطونوف عن مقر قائد قوى الحرس الاحمر . فاوصلوه الى

طرف المدينة حيث كان عدة مئات من العمال يحفرون الخنادق
وينتظرون القوزاق . فسأل انطونوف :

« كيف الحال عندكم ؟ »

فاجاب القائد : « كل شيء على احسن ما يرام ، يا رفيق .
القوات في حالة نفسية ممتازة ... ثمة امر واحد فقط ، هو
انعدام الذخيرة ... »

فقال له انطونوف : « في سمولني مليارا خزنة . ساسلمكم
الآن امرا ... - واخذ يبحث في جيبه . - أليس مع احد هنا قطعة
ورق ؟ »

لم يكن مع دينكو ورقة . وكذلك لم يكن مع المرافق . فقدم
تروسيشكا دفتره .

وصاح انطونوف : « اف ! ليس معى قلم رصاص ! من يعطى
قلم رصاص ؟ ... » . ولا حاجة للقول ان تروسيشكا كان الوحيد
الذى يحمل قلم رصاص ...

نحن الذين تخلفنا ذهبنا الى محطة تسارسكويه سيلو . وقد
كنا نرى في شارع نيفسكى رجالا من الحرس الاحمر يمرون ومعهم
البنادق . وما كانت الحراب متوفرة لدى الجميع . كان الغسق
الشتوى المبكر يطبق على المدينة ، وهم يسرون مرفوعى الرؤوس
يطئون الطين البارد ، اربعة اربعة بصفوف غير سوية ، وبدون
موسيقى ولا طبول . وفوق رؤوسهم يخفق علم احمر مكتوب عليه
باحرف ذهبية عوجاء : « السلام ! الارض ! » . وكانوا جميعا في
مiece الصبا . وعلى وجوههم ترسم تعابير رجال يسرون بوعى
الى الموت ... وعلى الارصفة جموع تراقبهم بصمت حقود ...
لم يكن احد في المحطة يدرى اين كيرنسكى واين تقع الجبهة .
على ان القطارات كانت لا تتجاوز تسارسكويه سيلو ...

كانت عربتنا في القطار غاصة بالقرويين العائدين الى بيوتهم ، حاملين معهم الرزم والصحف المسائية . وكان الحديث يدور حول ثورة البلاشفة . وفيما عدا ذلك لم يمكن للمرء ان يدرك ان حربا اهلية تشطر روسيا الجبارة الى معسكرين وان القطار يتوجه الى ميدان القتال . واستطعنا ان نرى من خلال النوافذ في عتمة المساء الهابطة بسرعة ، جموعا من الجنود يتقدمون نحو المدينة في الدروب الموحلة . ولقد كانوا يتجادلون فيما بينهم ملوحين بالبنادق . وعلى خط جانبي ، كان يقف قطار شحن محشو بالجنود ، مضاء بشعلات النار . وكان هذا كل شيء . وفي الخلف ، في الافق المستوى ، يتضاءل بريق اضواء المدينة في سواد الليل كنا نرى عربة ترام تزحف في الضاحية البعيدة .

وفي تسارسكويه سيلو ، كان كل شيء في المحطة هادئا ، ولكن زمرا من الجنود كانت ترى هنا وهناك ، وهم يتهامسون باصوات خافتة ويتطلعون بقلق الى الدرب المقفر باتجاه غاتشيننا . وقد سألت بعضهم الى اى جانب يقفون . فقال لي احد الجنود : « اننا لا نعرف بالضبط حقائق الامور . . . اكيد ان كيرنسكى استفزازى ، ولكننا نعتقد ان ليس من الحسن ان يطلق الروس النار على الروس » .

كان يتولى المناوبة في مكتب رئيس المحطة جندى طويل القامة بشوش ملتج على كفه الشريط الاحمر للجنة الفوج . وقد بعثت في نفسه الكثير من الاحترام اوراقنا الشبوتية المأخوذة من سمولني . كان مع السوفييت ، ما في ذلك شك ، الا انه على شيء من الارتباك .

« كان رجال الحرس الاحمر هنا منذ ساعتين ، الا انهم ذهبوا بعد ذلك . في الصباح جاء مفوض ، ولكنه عاد الى بتروغراد حين جاء القوزاق .

« اذن فالقوزاق هنا الآن ؟ »

فهز رأسه باكتئاب . « جرى قتال هنا . جاء القوزاق في الصباح الباكر . اسروا مئتين الى ثلاثمئة من رجالنا وقتلوا خمسة وعشرين رجلا » .

« واين هم الآن ؟ »

« من المستبعد ان يكونوا ذهبوا بعيدا . لا اعرف بالضبط . في مكان ما هناك ... » - قال هذا ملوحا بيده صوب الغرب تلويحا غامضا .

تناولنا طعام الغداء في مطعم المحطة ، وكان غداؤنا ممتازا ، ارخص واحسن كثيرا مما في بتروغراد . وكان يجلس الى جوارنا ضابط فرنسي ، عائد لتوه مشيا على قدميه من غاتشينا . وكان يقول ان كل شيء هناك هادىء . والمدينة في قبضة كيرنسكى . وهتف قائلا : « ايه ، يالهؤلاء الروس ! يالهم نسيج وحدهم ! .. » ويالها حرب اهلية ! ليكن كل شيء ، اللهم الا ان يقتتلوا ... » وذهبنا الى المدينة . كان يقف عند مخرج المحطة جنديان يحملان بندقيتين مشرعتي الحربتين ، ومن حولهما قرابة مئة تاجر وموظف وطالب . وكان هذا الحشد كله يقذفهما بالصياح والشتيمة ، وهما يشعران بالحرج والضيق شان طفلين معاقبين بغير حق .

وكان يتولى قيادة الهجوم شاب طويل القامة بلباس طالب ، على وجهه تعابير متعجرفة . وقد كان يقول بلهجة متحدية : « اعتقد ان من الواضح لديكما انكما برفعكما السلاح ضد اخوتكما انما تصبحان اداة في ايدي الاشقياء والخونة » .

فاجاب احد الجنديين بلهجة جدية :

« كلا ، يا أخ ، انت لا تفهم . فالواقع ان في الدنيا طبقتين البروليتاريا والبرجوازية . أليس كذلك ؟ ونحن ... »
فقاطعه الطالب بفظاظة ، قائلا :

« اعرف هذا اللغو السخيف ! فلاحون جهلة من امثالك لا تكل اذانهم من سماع الشعارات ، اما من يقول هذا وما معنى هذا ، فامر لا يخطر في بالكم . انما انت تردد كالبيغاء ! .. » فانطلق الجمع يضحك ... « انا نفسى ماركسى ! وانى لاقول لك ان ليست الاشتراكية ما تحاربون فى سبيله . انما هو مجرد فوضوية ، وليس فيه من فائدة الا للالمان » .

فاجاب الجندى : « بلى ، انا فاهم - وتصببت قطرات من العرق على جبينه . - انت امرؤ متعلم ، هذا ظاهر ، اما انا فانسان بسيط . ولكن فى اعتقادى ... »

فقاطعه الطالب باحتقار ، قائلا :

« اعتقد ، حقا ، ان لينين هو الصديق الصدوق للبروليتاريا ؟ »

فاجاب الجندى ، وقد ثقل الامر عليه كثيرا : « اجل اعتقد » .
« حسنا ، يا صاحبى ! ولكن هل تعلم ان لينين قد ارسل به من المانيا فى عربة قطار مختومة بالرصاص ؟ هل تعلم ان لينين يقبض الاموال من الالمان ؟ »

فاجاب الجندى معاندا : « هذا ما لا اعرفه . ولكن يبدو لى ان لينين يقول ما انا راغب فى سماعه . والشعب البسيط كله يتكلم هكذا . فالواقع ان ثمة طبقتين : البرجوازية والبروليتاريا ... »

« مغفل ! انا ، يا اخ ، سجنتم عامين فى شليسبرغ فى سبيل الثورة حين كنت انت ما تزال تطلق النار على الثوريين وتنشد « اللهم احفظ القيصر » ! اسمى فاسيل-غيورغيفيتش بانين . اما سمعت عنى قط ؟ »

فاجاب الجندى فى تواضع : « لم اسمع ، المعذرة ... فانا امرؤ غير متعلم . ينبغى ان تكون بطلا كبيرا ... »

فاعلن الطالب قائلًا بلهجة الوانق : « بالضبط . وانا احارب
البلاشفة لانهم يدمرون روسيا وثورتنا الحرة . فما قولك الآن ؟ »
فراح الجندى يحك قذاله . وقال وقد تجهم وجهه من فرط
التفكير : « لست استطيع قول شيء ! فى اعتقادى ان الامر واضح ،
غير انى امرؤ غير متعلم ! .. الخلاصة ان الامر اشبه بان يكون
هكذا : ثمة طبقتان : البروليتاريا والبرجوازية ... »
فصاح الطالب قائلًا : « عدت من جديد الى هذه العبارة
السخيفة ! »

وتابع الجندى يقول بعناد : « طبقتان فقط . ومن ليس مع
احدهما فهذا يعنى انه مع الاخرى ... »
وتحولنا الى اعلى الشارع حيث المصاييح متباعدة تنشر
القليل من النور ، ولا يكاد المرء يصادف المارة . وعلى المدينة
يخيم صمت مندر ، اشبه ما يكون بالمظهر بين الجنة والجحيم ،
والمنطقة حرام سياسيا . وما كان ثمة غير صالونات الحلاقة تسطع
فيها الاضواء وتمتلى بالزبائن ، كما كان ثمة صف انتظار امام
الحمام العام : فقد كان ذلك مساء يوم السبت ، الوقت الذى تستحم
فيه روسيا كلها وتتعطر . وما كنت اشك البتة فى ان الجنود
السوفييت والقوزاق كانوا يلتقون هنا وهناك على سلام .
كانت الشوارع تزداد اقفا را كلما اقتربنا من حديقة القصر
الملكى . وقد دلنا كاهن خائف على المكان الذى يقوم فيه المقر
العام للسوفييت واختفى مهرولا . وكان يقوم فى جناح من قصر
احد الامراء العظام ، مقابل الحديقة . وكانت ابوابه مغلقة والنوافذ
معتمة . وكان ثمة جندى يتمشى قريبا ، فنظر الينا نظرة ارتياب
عابسة من الاعلى الى الاسفل واعلن قائلًا دون ان يسحب يديه من
جيبى بنطاله : « السوفييت رحل منذ يومين » - « الى اين ؟ » -
فشال بكتفيه وقال : « لا اعرف ... » .

وبعد ان مضينا بعيدا بعض الشيء ، واجهتنا بناية كبيرة تسطع فيها الانوار . وكانت تسمع من داخلها ضربات مطرقة . فوقفنا مترددين ، فاذا بجندى وبحار متشابكى الساعدين يقبلان علينا فى تلك اللحظة فابرزت لهما تصریحى من سمولنى . وسألتهما : « انتما مع السوفييت ؟ » فتبادلا نظرات خائفة ولم يجيبا بشئ . وسالت البحار مشيرا الى البناية : « ماذا يجرى هناك ؟ » .

« لست ادرى ... »

مد الجندى يده بتخوف وفتح الباب قليلا . فبدت من خلف الباب قاعة ضخمة مزدانة بالشفاف وباغصان الشوح ، وفيها صفوف من الكراسى ومسرح فى طريق البناء . وخرجت الينا امرأة جسيمة بيدها مطرقة ، وفمها ممتلئ بالمسامير . فسألنا : « ماذا تريدون ؟ »

« هل ستقام حفلة فى المساء ؟ » - وجه البحار هذا السؤال متوتر الاعصاب .

فجابته بخشونة : « مساء الاحد ستقام حفلة هواة . انصرفوا ! »

حاولنا استدراج الجندى والبحار الى الحديث ، الا انهما كانا يبدوان متخوفين تعيسين ، وسرعان ما طوتهما الظلمة . فاتجهنا الى القصر الامبراطورى مارين وسط حدائق شاسعة معتمة . كانت الاجنحة ذات الروعة الاسطورية والجسور التزيينية تلوح للنظر من خلال ظلمة الليل ، ويسمع الخريف الناعم من مياه النوافير . واذا وصلنا الى قرب كهف اصطناعى استقرت فيه بجعة مضحكة من المعدن تنضح من فمها الماء باستمرار ، شعرنا فجأة اننا مراقبون . رفعنا نظرنا فواجهتنا نظرات الريبة من نصف دزينة من الجنود العمالقة المسلحين يتفحصوننا من سطح مفروش بالحشيش . فتوجهت نحوهم وسألتهن : « من انتم ؟ »

فاجاب احد الجنود : « خفراء هذا المكان » . وقد كانوا جميعا يبدون فى رهق شديد ، ولا شك انهم كذلك ، بعد اسابيع واسابيع من النقاش والبحث طوال الليل والنهار .

« انتم مع كيرنسكى ام مع السوفييت ؟ »

فساد صمت قصير تبادل الجنود خلاله نظرات قلقة . واجاب الجندى : « نحن على الحياد » .

ومررنا تحت قوس قصر كاترين الضخم ، ودخلنا فناء ، وسألنا اين مقر الاركان هنا . فقال لنا خفير واقف على باب جناح ابيض دائرى من البناية ان القائد موجود فى مكان ما فى الداخل .

وفى قاعة بيضاء انيقة على طراز الجورجى تقسمها مدفأة مزدوجة الى قسمين غير متساويين ، كانت تقف جماعة من الضباط ، يتحدثون فيما بينهم بقلق . وقد كانوا جميعا شاحبي الوجوه فى شروء ، وكان جليا انهم لم يناموا الليل . فتقدمنا من ادهم ، وهو شيخ اشيب اللحية مزدان الصدر بالاوزمة ؛ وقد قالوا لنا انه العقيد نفسه . ابرزت له اوراقنا الثبوتية البلشفية .

فبدت عليه الدهشة ، وسأل بكياسة : « وكيف وصلتكم الى هنا احياء ؟ الشوارع الآن جد خطيرة . الاهواء السياسية متاجعة فى تسارسكويه سيلو . صباح اليوم جرت معركة ، وغدا صباحا سيستأنف القتال من جديد . سيدخل كيرنسكى المدينة حوالى الساعة الثامنة » .

« واين القوزاق ؟ »

« على بعد ميل من هنا ، هاك ، فى هذا الاتجاه » ، قال هذا ملوحا بيده .

« وستدافعون عن المدينة ضدهم ؟ »

« اوه ، كلا ، يا عزيزى - قال هذا وضحك ضحكة مقتعلة -

اننا نحافظ على المدينة من اجل كيرنسكى » .

فهبطت قلوبنا ، اذ ان تصاريحنا تؤكد ثوريتنا حتى العظام .
وسعل العقيد ، وتابع يقول : « بالمناسبة ، ان التصاريح التي
تحملونها تجعل حياتكم في خطر شديد اذا ما قبض عليكم . ولهذا
فاذا كنتم تريدون مشاهدة القتال فسامر بان يأخذوكم الى غرفة
في فندق الضباط . تعالوا الى غدا في الساعة السابعة صباحا اعطكم
تصاريح جديدة » .

فسألناه قائلين : « اذن انتم مع كيرنسكى ؟ »
« ايوه ، ليس تماما مع كيرنسكى (كان العقيد ، على ما
يظهر ، مترددا) . ان اكثرية جنود حاميتنا من البلاشفة ، اليوم ،
بعد القتال ، ذهبوا الى بتروغراد واخلدوا معهم المدفعية . وفي الوسع
القول ان ليس ثمة جندي واحد مع كيرنسكى . ولكن الكثيرين
منهم لا يريدون القتال بتاتا . اما الضباط ، فهم جميعا تقريبا قد
انتقلوا الى جانب كيرنسكى او ذهبوا ببساطة . واما نحن ... اي
نعم ... اما نحن فموقفنا ، كما ترون ، في منتهى الحرجة ... »
لم نصدق ان قتالا ما سيجرى هنا ... وقد تلطف العقيد
فبعث بمرافقه لايصلنا الى المحطة . وكان المرافق من اهل الجنوب ،
ولد في بيساراييا من ابوين فرنسيين مهاجرين . وقد كان
يردد القول : « ايه ، لست افكر لا بالخطر ولا بالحرمانات . ولكن
كم مضى على من الوقت دون ان ارى امي المسكيننة ... ثلاث
سنوات كاملات ... »

واذ كان القطار يجرى مسرعا نحو بتروغراد وسط البرد
والعتمة ، كنت ابصر من نافذة العربة زمرا من الجنود يتكلمون
مكثرين من الحركات بايديهم في وهج النيران . وفي نقاط تلاقى
الطرق كانت تقف اسراب من السيارات المصفحة ، يتصايح سواقوها
مطلين رؤوسهم من بروجها .

وطول هذه الليلة القلقة كان يرود السهل البارد جنود ورجال

من الحرس الاحمر بدون قواد ، يتلاقون ويختلطون بعضهم ببعض ،
واما مفوضو اللجنة العسكرية الثورية فكانوا يتراکضون من جماعة
لاخرى ساعين لتنظيم الدفاع ...

وفي اعلى شارع نيفسكى وادناه ، كانت الجموع المضطربة
تتحرك كالامواج . ثمة شيء ما مخيم في الجو . وكان في وسع المرء
ان يسمع وهو في محطة وارصو طلقات مدفعية بعيدة . وفي مدارس
اليونكر الحربية كان يسود نشاط محموم . واعضاء الدوما ينتقلون
من ثكنة الى ثكنة ، يستميلون الجنود ويتوسلون اليهم ويحضونهم ،
ويروون لهم الحكايات الرهيبة عن فظائع البلاشفة — عن مجزرة
اليونكر واغتصاب النسوة المجندات في قصر الشتاء ، عن اعدام
فتاة امام بناية الدوما ، عن قتل الامير تومانوف ... اما في قاعة
الكسندر في مبنى الدوما فكانت تعقد جلسة طارئة للجنة الانقاذ ،
والمفوضون يروحون ويعيئون ركضا ... وكان ثمة جميع
الصحفيين المطرودين من سمولني ، وقد ارتفعت معنوياتهم ، فما
صدقوا تقريرنا عن الوضع في تسارسكويه . لماذا ، ففي علم الجميع
ان تسارسكويه في قبضة كيرنسكى ، وان القوزاق قد باتوا في
بولكوفو . وقد انتخبت لجنة خاصة لاستقباله في المحطة . وانهم
لينتظرونه حوالى الصباح ...

وفي تكتم شديد اسر الى احدهم ان الهجوم المضاد للثورة
سيبدأ في منتصف الليل . وقد اراني ندائن ؛ احدهما بتوقيع غوتز
وبولكوفنيكوف ، وهو يأمر جميع مدارس اليونكر الحربية وجميع
الجنود الموجودين في المستشفيات في حالة النقاهاة والحائزين على
وسام القديس جورج ، ان يستعدوا للامال الحربية وينتظروا
الوامر من لجنة الانقاذ . وكان الآخر يحمل توقيع لجنة الانقاذ
نفسها ، وقد جاء فيه ما يلى :

« الى اهالى بتروغراد !

ايها الرفاق العمائ والجنود ، ويا مواطنى بتروغراد الثورية !
ان البلاشفة انداعين الى السلام على الجبهة ، يدعون فى الوقت
نفسه الى حرب فى المؤخرة يقتل فيها الاخ اخاه .

فلا تلبوا دعواتهم الاستفزازية !

لا تحفروا الخنادق !

القوا السلاح !

لتسقط الكمائن الخائنة !

عودوا الى مكنااتكم ، ايها الجنود !

الحرب اذا بدأت فى بتروغراد فهى هلاك حقيقى للثورة .

فباسم الحرية والارض والسلام ، التفوا حول لجنة انقاذ

الوطن والثورة ! »

وحين غادرنا الدوما التقينا بمفرزة من رجال الحرس الاحمر
على وجوههم سيماء من الصرامة والحزم ، يسرون فى الشارع المعتم
المقفر ، مصطحبين معهم اثني عشر اسيرا ، هم اعضاء الفرع المحلى
لمجلس القوات القوزاقية ، وقد اعتقلوا فى مقر هذا المجلس فى
اللحظة التى كانوا فيها يحوكون مؤامرة معادية للثورة .

وكان جندى ، برفقة غلام حامل سطلا من الصمغ ، يلصق

اعلانات ضخمة بياضها يبهز الابصار :

« بموجب الامر الحالى ، تعلن مدينة بتروغراد ومنواحيها

فى حالة الطوارئ . جميع الاجتماعات والحشود فى الشوارع وفى

الهواء الطلق عموما ممنوعة الى حين صدور امر خاص ...

رئيس اللجنة العسكرية الثورية

ن . بودفويسكى»

ومضينا الى منازلنا . كان الجو مفعما باصوات مختلطة .
ابواق سيارات ، وصيحات ، وطلقات نار بعيدة ... كانت
المدينة ساهرة في غضب وقلق ...

وفي الصباح الباكر ، تماما قبل تبديل الخفراء في مركز
الهاتف ، ظهرت سرية من اليونكرز متنكرين بملابس فوج
سيمينوفسكى . كانوا يعرفون كلمة السر البلشفية فحلوا محل
الخفراء دون ان يثيروا الشكوك من حولهم على الاطلاق . وبعد
مضى بضع دقائق ظهر انطونوف ، وهو يقوم بجولة تفتيشية .
فقبض عليه اليونكرز واعتقلوه في غرفة صغيرة . وحين جاءت
نوبة التبديل من الخفراء قوبلت بلعلة طلقات النار . فقتل
بضعة رجال .

وبدأت الثورة المضادة ...

الفصل الثامن

الثورة الهضادة

صباح اليوم التالي ، الاحد في ١١ تشرين الثاني - نوفمبر (٢٩ تشرين الاول - اكتوبر) دخل القوزاق تسارسكويه سيلو تحت قرع نواقيس جميع الكنائس ، واثناء ذلك كان كيرنسكى نفسه يمتطى صهوة جواد ابيض . ومن رأس هضبة غير مرتفعة كان في وسعهم رؤية الاسهم الذهبية والقباب مختلفة الالوان ، وشبح العاصمة الاغبر الجسيم المترامى على السهل الكئيب ، ومن خلفه مياه خليج فنلندا المصطبغة بلون الفولاذ .

م تنشب معركة . ولكن كيرنسكى ارتكب خطيئة مشؤومة . ففى الساعة السابعة صباحا ارسل الى فوج الرماة الثانى فى تسارسكويه سيلو امرا بالبقاء السلاح . فاجاب الجنود بانهم سيلتزمون الحياد ولكنهم يابون لقاء السلاح . فاعطاهم كيرنسكى عشر دقائق لتنفيذ الامر . فامار هذا غيظ الجنود ؛ فقد مضت عليهم ثمانية شهور وهم يتولون ادارة شؤونهم بانفسهم عن طريق لجانهم فى الفوج ، فادا بالنظام القديم تفوح الآن رائحته ... وما هي الا بصع دقائق حتى فتحت المدفعية القوزاقية النار على الثكنات فقلبت ثمانية رجال . واذ ذاك لم يبق فى تسارسكويه سيلو ولا جندي «حيادي» ...

واستيقظت بتروغراد على صوت طلقات نيران البنادق ووقع اقدم المناه الرماة . وبحث السماء الكالحة كانت تهب ريح باردة ،

منبئة بتهاطل الثلج . وعند الفجر كانت قوات كبيرة من اليونكر قد احتلت الفندق العسكري ومركز البرق ، الا انهم طردوا بعد معركة دامية . وكان مركز الهاتف قد طوّق من قبل بحارة متحصنين وراء متاريس اقيمت من البراميل والصناديق وصفائح التئك وسط شارع مورسكيا ، او لاطين خلف منعطف غوروخوفيا وساحة ايساكيفسكيا ، يطلقون النار على اى شىء يتحرك . ومن حين لآخر كانت سيارة ترفع علم الصليب الاحمر تدخل وتخرج وكان البحارة يسمحون بمرورها ...

كان البرت ريس وليامس* فى مركز الهاتف . وقد غادره على سيارة تابعة للصليب الاحمر ملأى ظاهريا بالجرحى . وبعد جولة فى المدينة وصلت السيارة عبر ازقة جانبية الى مدرسة ميخائيلوفسكى الحربية لليونكر ، مقر الاركان العامة للشورة المضادة . وكان فى فناء المدرسة ضابط فرنسى يتولى ، على ما يظهر ، قيادة كل ما يجرى ... وعن هذا السبيل كان مركز الهاتف يتزود بالذخائر والاغذية . فقد كانت عشرات من امثال هذه السيارات تتظاهر انها تابعة للصليب الاحمر ، ولكنها تتخذ اداة ارتباط وتموين لليونكر ...

وكان فى حوزتهم خمس او ست سيارات مصفحة من فرقة الآليات التى شكلها الانكليز والتى جرى تسريحها فيما بعد . وحين كانت لويزا برايان* تسير فى ساحة ايساكيفسكيا ، التقت بواحدة من هذه المصفحات ذاهبة من مقر الاميرالية الى مركز الهاتف.

* البرت ريس، وليامس هو صديق لجون ريد ، سياسى تقدمى وكاتب اميركى بارز ؛ وهو مؤلف بضعة كتب عن نضال شغيلة الاتحاد السوفييتى فى سبيل الاشتراكية . المحرور .

* لويزا برايان كاتبة اميركية ، وهى زوجة جون ريد ورفيقتة فى النضال . المحرور .

وقد توقفت السيارة في زاوية شارع غوغول امام لويزا برايان
بالضبط . وفتح النار بضعة بحارة كانوا كامنين خلف اكوام من
الخشب . فاستدار رشاش المصفحة الى جميع الجهات مطلقا سيلا
من النار بدون تمييز على اكوام الخشب وعلى الجمهور . وتحت
القنطرة ، حيث كانت تقف السيدة برايان قتل سبعة اشخاص
منهم صبيان صغيران . وفجأة انقض البحارة صائحين من خلف
تحصيناتهم واندفعوا الى امام . فحاطوا بالسيارة الجسيمة
واخذوا يغرزون حراهم في جميع ثغراتها غير مكثرئين بالنار
المنطلقة ... وتظاهر سائق المصفحة بأنه جريح فتركه البحارة
وشأنه ، اما هو فمضى سريعا الى الدوما ليكمل الاساطير عن فظائع
البلاشفة ... وكان في عداد القتلى ضابط بريطاني ...

وفيما بعد انباء الصحف ان ضابطا فرنسيا قبض عليه في
مصفحة اليونكر وبعث به الى قلعة بطرس وبولس . وسارعت
السفارة الفرنسية الى تكذيب هذا النباء ، الا ان احد اعضاء الدوما
اخبرني انه توسط شخصا لاطلاق سراحه ... ومهما يكن الموقف
الرسمي لسفارات الحلفاء ، فان ضابطا انكليزي وفرنسيين كانوا
في هذه الايام يقومون بكثير من النشاط الى حد اسداء النصيح في
الجلسات للجنة الانقاذ ...

وطول النهار ظلت تجرى في جميع ارجاء المدينة اصطدامات
بين اليونكر والحرس الاحمر ومعارك بين المصفحات ... ومن بعيد
ومن قرية كانت تسمع زخات رصاص وطلقات نار متقطعة ولعلعة
الرشاشات . وقد كانت الاغلاق الحديدية مرخاة على واجهات
المخازن ، الا ان الاعمال التجارية كانت تتابع مجراها . حتى دور
السينما كانت تعمل وانوارها الخارجية مطفأة ، وهي غاصة
بالنظارة . وعربات الترام كانت تجرى على عادتها . والهاتف
بشتغل . فاذا طلب المرء مركز الهاتف فقد كان بوسعه ان يسمع

بوضوح ببادل اطلاق النار . وكانت هوائف سمولنى معزولة ، الا ان الاتصال الهاتفى كان مستمرا بين الدوما ولجنة الانتقاد وجميع مدارس اليونكر الحربية ومع كيرنسكى فى تسارسكويه سيلو .

وفى الساعة السابعة صباحا جاءت الى مدرسة فلاديمير الحربية لليونكر مفرزة من الجنود والبحارة والحرس الاحمر ، فطلبت من اليونكر القاء السلاح خلال عشرين دقيقة . واجاب اليونكر بالرفض . وبعد ساعة كان اليونكر قد استعدوا فحاولوا الانطلاق ، فصدتهم نيران حامية من منعطف غريبنسكى والجادة الكبرى . وطوقت القوات السوفييتية الداية وشرعت تصليها النيران ، فيها كانت سيارتان مصفحان تتحركان على طول البناية جيئة وذهابا ، مطلقتين النيران من رشاشاتهما . وطلب رجال اليونكر النجدة هاتفيا ، فاجاب القوزاق بانهم لا يجسرون على القدوم اذ ان امام ثكنتهم مجموعة قوية من البحارة مزودة بمدفعين . وطوقت مدرسة بافل الحربية . وكان معظم اليونكر من مدرسة ميخائيل الحربية يحاربون فى الشوارع ...

وفى الساعة الحادية عشره والنصف وصلت ثلاثة مدافع . ومن جديد طلب من رجال اليونكر ان يستسلموا ، فكان جوابهم اطلاق النار ، وقد قتلوا رسولين سوفييتيين وهما سائران تحت العلم الابيض . واذ ذاك بدأ قصف حقيقى بنيران المدفعية . فانفمحت نغرات واسعه فى جدران المدرسة . وكان رجال اليونكر يدافعون بضراوة ؛ وكانت امواج رجال الحرس الاحمر الهدارة ، المطلقة الى الهجوم ، ترد بحت وطاة النيران المشتدة ... واصدر كيرنسكى من تسارسكويه سيلو امرا هاتفيا يقضى بعدم الدخول فى اية مفاوضات مع اللجنة العسكرية الثورية ...

واهاجت الاخفافات والخسائر بالانفس القوات السوفييتية

فصبت على البناية المتداعية اعصارا من الفولاذ والنار . وما كان في وسع قادتهم بالذات ان يوقفوا القصف الرهيب . فقد حاول مفوض سمولني ، وكنيته كيريلوف ، ان يفعل هذا ، فهددوه بالقتل فورا . لقد فار دم الحرس الاحمر .

وفي منتصف الساعة الثالثة رفع رجال اليونكر العلم الابيض : انهم مستعدون للاستسلام اذا ضمنت لهم السلامة . فوعدوا بذلك . ومن جميع النوافذ والابواب والشغرات في الجدران تدفق الالوف من الجنود ورجال الحرس الاحمر وهم يصيحون ويضجون . وقبل التمكن من وقفهم كان خمسة من اليونكر قد طعنوا بالحراپ حتى الموت . واما الباقيون ، وهم قرابة مئتين ، فقد ارسلوا تحت الحراسة الى قلعة بطرس وبولس ، على جماعات مؤلفة من بضعة اشخاص ، تجنباً للفت انظار الجمهور . بيد ان الجمهور انقض اثناء الطريق على احدى هذه الجماعات فقتل ثمانية آخرين من اليونكر ... وقد سقط في المعركة اكثر من مئة قتيل من الجنود ورجال الحرس الاحمر ...

وبعد ساعتين وصل نبا هاتفي الى الدوما يقول ان المنتصرين يرحقون على قصر الهندسة . فبادر الدوما على الفور لارسال اثني عشر من اعضائه ليوزعوا عليهم النداء الاخير الصادر عن لجنة الانقاذ . فلم تكتب لبعض المبعوثين الرجعة ... واستسلمت جميع المدارس الحربية الاخرى يدون مقاومة ، واقتيد اليونكر دون ان يصاب ائدهم باذى الى قلعة بطرس وبولس والى كرونشتادت ... وصمد مركز الهاتف حتى بعد الظهر حين ظهرت مصفحة بلشفية واقتحم البحارة المكان . فراحت شغيلات الهاتف يتراكن في البناية خائفات صائحات . واخذ اليونكر ينزعون عنهم جميع العلامات المميزة ، وبادر ائدهم ، وقد اعتزم التخفي ، فعرض على وليامس كل ما يريد ثمنا لمعطفه ... وكان اليونكر يصيحون :

«سيدبحونا ! سيدبحونا !» ، اذ ان الكثيرين منهم قد سبق لهم في قصر الشتاء ان وعدوا بعدم رفع السلاح على الشعب . وقد عرض عليهم وليامس وساحته شريطة اطلاق سراح انطونوف . فتم تحقيق هذا على الفور . وخطب انطونوف ووليامس بالبحارة المنتصرين ، المحنقين من كثرة الخسائر بالارواح ، ومن جديد امكن لليونكر الانسحاب بحرية . . . ولكن بعضا منهم ، وقد استبد بهم الفزع ، حاولوا الفرار من على السطح او الاختفاء في العلية . فالقى القبض عليهم وقذف بهم الى الشارع .

واقترح البحارة والعمال الطافرون المرهقون المغمورون بالدم غرفة لوحة التحويل ، فما ان رأوا في الحال كم هناك من فتيات حسناوات حتى ارتبكوا واخذوا يراوون في اماكنهم مترددين . ولم تصب اية فتاة باساءة ولا لحقت بواحدة منهن اهانة . استولى عليهن الفرع فاخترن في الزاوية ، وما لبش بعد ذلك ، اذ شعرن انهن في مأمن ، ان اطلقن لشراستهن العنان . «اف ، قدرون ، جهلة حمقى ! . .» وارتبك البحارة ورجال الحرس الاحمر تماما . وكانت الفتيات يصحن باصوات حادة : «وحوش ! خنازير !» وهن يرتدين معاطفن وقبعاتهن باستياء . فكسم كانت مشاعرهن رومانتيكية حين كن يقدمن الذخيرة ويضعن الضمادات لحماتهن الشبان الشجعان ، اليونكر ، وقد كان الكثيرون منهم من ابناء خيرة العائلات الروسية ، وكانوا يحاربون في سبيل عودة القيصر المعبود ! اما هؤلاء فكانوا جميعا عمالا وفلاحين - هم «شعب بهيم» . . . وحاول مفوض اللجنة العسكرية الثورية ، فيشنياك القصير ، ان يقنع الفتيات بالبقاء . وقد كان يفيض تأدبا من الكياسة . وكان يقول لهن : «لقد كنتن موضع معاملة جد سيئة . وكانت شبكة الهاتف في يد مجلس الدوما البلدى . وكانوا يدفعون لكن ستين روبلا في الشهر ، ويجبرونكن على العمل عشر ساعات واكثر في

اليوم ... ومنذ الآن سيتغير كل شيء . فالحكومة ستجعل شبكة الهاتف تابعة لوزارة البريد والبرق . وفي الحال ستزاد رواتبكن الى ١٥٠ روبلا ويخفض يوم العمل . يجب ان يسعدكن الانتماء الى الطبقة العاملة ...»

«**اعضاء الطبقة العاملة !** اتراه يرى ان ثمة ما يجمع بيننا وبين هؤلاء ... هؤلاء البهائم ؟ نبقى ؟ كلا ولو اعطيتمونا راتبا قدره الف روبل !...» وغادرت الفتيات البناية باحتقار بالغ

وما بقى غير المستخدمين والمركبين والعمال . ولكن اجهزة التحويل لا بد ان تشتغل : فقد كان الهاتف ضروريا ضرورة حيوية ... ولم يكن ثمة غير ست من شغليات الهاتف ذوات الخبرة . وقد استدعى المتطوعون ، فلبى النداء قرابة مئة من البحارة والجنود والعمال . وراحت الفتيات الست يدرن هنا وهناك يدرين ويساعدن ويوبخن ... وكان العمل يجرى بصعوبة الا انه كان يجرى ، واخذت الاسلاك تدمدم من جديد . وقد تمت قبل كل شيء اقامة الارتباط بين سمولتي والشكنات والمعامل ، ثم قطع الاتصال مع الدوما ومدارس اليونكر الحربية ... وفي ساعة متأخرة من المساء انتشرت الشائعة عن هذا في جميع ارجاء المدينة ، واخذ المئات من ممثلى البرجوازية يصبحون محنقين في سماعات الهاتف : «حمقى ! ابالسة ! تعتقدون ان هذا سيطول امده ؟ انتظروا ، قريبا سيصل القوزاق !»

وحل الليل . وكان شارع نيفسكى الذى تزمجر فيه ريح صرصر يكاد يكون مقفرا ، اللهم الا جمهور من الناس كان متجمعا امام كاتدرائية قازان يتابع المناقشة التى لا نهاية لها ؛ بضعة عمال وبعض الجنود ، واما الباقون جميعا فاصحاب حوائث وكتبه وما شاكلهم .

كان احدهم يصيح قائلا : « لن يستطيع لينين حمل الالمان على عقد الصلح ! »

فيعترض جندي شاب قائلا بحرارة : « ومن المسؤول عن ذلك ؟ صاحبكم كيرنسكى ، البرجوازي اللعين ! قبحا لكيرنسكى ! لا تريده ! تريد لينين ! .. »

وبالقرب من الدوما كان ضابط على كفه شريطة بيضاء ينزع اعلانات عن الجدران ، مطلقا الشتائم . وقد جاء في احدى هذه الاعلانات :

«من النواب البلاشفة في الدوما البلدى الى اهالى بتروغراد

في الساعة الزاخرة بالقلق ، اذ كان ينبغي على الدوما البلدى بذل جهوده كلها في سبيل تهدئة الاهلين وتأمين الخبز والحاجات الضرورية لهم ، تناسى الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والكاديت واجبهم ، فحولوا مجلس الدوما البلدى الى جمعية مضادة للثورة ، ساعين لاثارة قسم من الاهلين على القسم الآخر بغية ان ييسروا بذلك انتصار كورنييلوف - كيرنسكى . وبدلا من ان يؤدوا واجباتهم المباشرة ، حول الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والكاديت مجلس الدوما الى ميدان للنضال السياسى ضد سوفيات نواب العمال والجنود والفلاحين ، ضد الحكومة الثورية ، حكومة السلم والخبز والحرية .

يا مواطنى بتروغراد ! نحن النواب البلاشفة في الدوما البلدى ، المنتخبين من قبلكم ، نحيطكم علما بان الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والكاديت قد اندفعوا في الصراع المضاد للثورة ، ونسوا واجباتهم المباشرة ، وهم يسيرون بالاهلين الى المجاعة ، والى الحرب الاهلية ، والى سفك الدماء . اننا ، نحن المنتخبين من

قبل ١٨٣ ألفا من السكان ، نرى من واجبنا ابلاغ الناضحين بكل ما يجرى في الدوما البلدى ، ونعلن اننا نتصل من اية مسؤولية عما يحدث في المستقبل من عواقب وخيمة» .
ومن بعيد كانت تسمع طلقات نارية متقطعة ، ولكن المدينة استلقت باردة هادئة كأنما هى منهكة القوى من اثر التشنجات التى هزتها .

وفى قاعة نيقولايفسكى كانت جلسة الدوما نوشك على الانتهاء . حتى الدوما العنيف الشرس بدا على شيء من الدهول . فقد كان المفوضون يتعاقبون فى حمل الانباء : الاستيلاء على مركز الهاتف ، القتال فى الشوارع ، الاستيلاء على مدرسة فلاديمير الحربية ... وكان تروب يقول : «ان الدوما يقف الى جانب الديموقراطية فى نضالها ضد التعسف والاستبداد ؛ وعلى كل حال ، ومهما يكن الجانب الذى ستكون له الغلبة ، فان الدوما سيكون على الدوام ضد اعمال القتل بدون محاكمة وضد التعذيب ...»
فاعلن عضو الكاديت كونوفسكى ، وهو شيخ طويل القامة قاسى الوجه ، قائلا : «حين تدخل قوات الحكومة الشرعية بتروغراد سنعدم العصاة رميا بالرصاص ، ولن يكون هذا قتلًا بدون محاكمة» . فانطلقت صيحات الاحتجاج من جميع اطراف القاعة ، بما فى ذلك جماعة الكاديت ايضا .

وهنا ساد الشك والكآبة الاجتماع . فقد كانت الثورة المضادة تنحسر . وقد حجبت اللجنة المركزية لحزب الاشتراكيين-الثوريين الثقة عن قوادها . وسيطر الجناح اليسارى على الموقف . وقدم افكسنتييف استقالته . وجاء رسول بنبا يقول ان اللجنة التى ارسلت الى المحطة للترحيب بكيرنسكى قد اعتقلت . وكان بسمع فى الشوارع دوى اصم صادر عن طلقات مدفعية بعيدة ، تصل من الجنوب والجنوب الشرقى . ولم يكن كيرنسكى قد وصل ...

لم يصدر في هذا اليوم غير ثلاث صحف : «البرافدا»
 («الحقيقة») ، و«ديلو نارودا» («قضية الشعب») و«نوفاياسا
 جيزن» («الحياة الجديدة») . وكانت جميعا تفسح مجالا واسعا
 جدا لموضوع الحكومة الجديدة «الائتلافية» . كانت صحيفة
 الاشتراكيين-الثوريين تطالب بتشكيل وزارة لا يدخلها لا الكاديت
 ولا البلاشفة . وكان غوركي مفعما بالآمال ؛ وعن سمولني كانت
 تصدر التنازلات . وكانت المراسم تجرى لتشكيل حكومة محض
 اشتراكية ، ممثلة لجميع العناصر ، خلا البرجوازية . اما «البرافدا»
 فقد علقت بسخرية :

« ليس هذا بائتلاف مع «احزاب» يتكون قسم هام منها من
 حفئات صغيرة من الصحافيين الذين ليس لديهم شيء غير
 العطف البرجوازي والسمعة المشبوهة ، ولم يعد يسير وراءهم
 لا عمال ولا فلاحون . وائتلافنا هذا الذي عقدناه نحن انما هو
 ائتلاف حزب البروليتاريا الثوري مع الجيش الثوري والفلاحين
 الفقراء ... »

والصق على الجدران بيان دعى صادر عن الفيكجل يهدد
 بالاضراب اذا لم يصل الطرفان الى اتفاق :

« لن يخرج منتصرين من جميع هذه الفتن والمشاغبات التي
 نمزق الوطن لا البلاشفة ولا لجنة الانقاذ ولا قوات كيرنسكي ،
 بل نحن ، اتحاد شغيلة السكك الحديدية ، الذين سننتصر » .
 « ان رجال الحرس الاحمر لن يتمكنوا من القيام بعمل معقد
 كادارة الخطوط الحديدية ؛ اما الحكومة الموقته فقد اظهرت
 العجز التام عن الاحتفاظ بالسلطة ... »

« اننا نرفض العمل مع اى حزب غير مخول الصلاحية ...
 من قبل حكومة تستند الى ثقة الديموقراطية جمعاء ... »

كان سمولني بأسره يهتز بفعل نشاط لا حد له من القوى البشرية التي لا تنضب .

وفي المقر الرئيسي للاتحادات المهنية عرفني لوزوفسكى بمندوب عمال سكة حديد نيقولايفسكايا ، وقد قال ان اجتماعات حاشدة قد عقدت عندهم وجرى فيها التنديد بزعمائهم . وقد صاح ، ضاربا بقبضته على الطاولة :

« كل السلطة للسوفييتات ! الدفاعيون في اللجنة المركزية يتصرفون لصالح كورنييلوف . حاولوا ارسال وفد الى اركان الحرب ، ولكننا اعتقلناه في مينسك ... طلب فرعنا مؤتمرا لعامة روسيا ، ولكنهم يرفضون الدعوة لانعقاده ... »

وهنا ايضا كانت الحال على ما هي عليه في السوفييتات ولجان الجيش . كانت شتى المنظمات الديمقراطية في روسيا جمعاء تعاني ، الواحدة اثر الاخرى ، التصدع والتغيير . فالتعاونيات كان يتاكلها الصراع الداخلي ؛ واجتماعات اللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين كانت تجرى في جو من المناقشات الضارية ؛ وبدأت الاضطرابات حتى بين القوزاق ...

اما في الطابق العلوى من سمولني فكانت اللجنة العسكرية الثورية تعمل بملء طاقتها ، دون ان يعترها الوهن ، منزلة الضربات . كان الناس يأتون الى هنا منتعشين ممثلين بالقوى ، فيدورون ليل نهار داخل هذه الآلة الرهيبة ويخرجون من هذا المكان خائري القوى وقد اصابهم الارهاق ... وقد بحث اصواتهم واتسخوا ، فيترامون هناك على الارض ويففون ... واعلنت لجنة الانقاذ خارجة على القانون . وكانت تغطي الارض حزم وربطات من البيانات الجديدة ١ :

« ... لقد كان المتآمرون ، المحرومون من اى سند يدعمهم لا لدى الحامية ولا لدى الاهلين العمال ، يبنون آمالهم على الضربة

المفاجئة فقط . ولكن خطتهم قد كشفت في الوقت اللازم من قبل مفوض قلعة بطرس وبولس الملازم بلاغونرافوف بفضل اليقظة الثورية لدى رجل من الحرس الاحمر ، سوف يعلن عن اسمه بعد اثباته . وكانت اللجنة المسماة بـ «لجنة الانقاذ» تقف في الصميم من المؤامرة . وقد اوكلت قيادة القوات الى العقيد بولكوفنيكوف . وكانت اوامره موقعة من قبل غوتز ، العضو السابق في التسيك ، الذي اطلق سراحه بناء على كلمة شرف ...

ان اللجنة العسكرية الثورية ، اذ تحيط اهاى بتروغراد علما بهذا ، تأمر بما يلي :

اعتقال الاشخاص المشتركين في المؤامرة واحالتهم الى المحكمة العسكرية الثورية» .

وجاء نبأ من موسكو ان اليونكر والقوزاق قد طوقوا الكرملين وطلبوا من القوات السوفييتية القاء السلاح . ونفذت القوات السوفييتية الطلب ، ولكنها حين غادرت الكرملين هوجمت واطلق عليها النار ... وطردت المفارز البلشفية الضعيفة من مركز الهاتف ومن دائرة البرق . ومركز المدينة في قبضة اليونكر ... ولكن قوات سوفييتية جديدة اخذت تتجمع من حولهم . معارك الشوارع تحتدم شيئا فشيئا . واخفقت محاولات الاتفاق ... الى جانب السوفييتات عشرة آلاف جندي من الحامية وقليل من رجال الحرس الاحمر . والى جانب الحكومة ستة آلاف من اليونكر والفان وخمسمئة من القوزاق والفان من رجال الحرس الابيض .

كانت جلسة سوفييت بتروغراد منعقدة ، وفي الغرفة المجاورة كانت تعمل التسيك الجديدة ، تدرس المراسيم والوامر الواردة اليها بدون انقطاع من مجلس مفوضى الشعب^٢ ، المجتمع في الطابق الاعلى . وقد كان يدرس هنا : نظام تصديق القوانين واعلانها ، قانون بجعل يوم العمل ثمانى ساعات ، و«اسس نظام التعليم

الشعبى» المقترحة من قبل لوناتشارسكى . ولم يكن يحضر الجلستين كليهما غير بضع مئات من الاشخاص ، معظمهم مسلحون . وكان سمولنى يكاد يكون مقفرا . عدا الخفراء المشغولين بتثبيت الرشاشات على النوافذ لكى تكون البنائتان الجانبيتان فى متناول رمايتها .

وكان مندوب عن الفيكجل يتكلم فى التسيك ، قائلا :
« اننا نرفض نقل قوات هذا الجانب او ذاك على حد سواء .
وقد ارسلنا وفدا الى كيرنسكى ليبلغه اننا سنقطع جميع خطوط مواصلاته اذا كان سيواصل زحفه على بتروغراد ...»
وبعد ذلك اقترح حسب المؤلف الدعوة الى عقد مؤتمر لجميع الاحزاب الاشتراكية من اجل تأليف حكومة جديدة ...
فاجاب كامينيف بكثير من الاحتراس . ان البلاشفة ليسرهم جدا حضور مثل هذا المؤتمر . بيد ان مركز ثقل المسألة يكمن لا فى تركيب الحكومة ، بل فى واقع ما اذا كانت ستبنى يا ترى برنامج مؤتمر السوفييتات ... لقد بحثت التسيك بيان الاشتراكيين- الثوريين اليساريين والاشتراكيين-الديموقراطيين الامميين ، واقترحت الاقتراح المتعلق بالتمثيل النسبى فى المؤتمر ، حتى بما فيه مندوبون عن لجان الجيش وسوفييتات الفلاحين ...
وفى القاعة الكبرى ، كان تروتسكى يقدم تقريرا عن احداث اليوم .

« عرضنا على يونكر مدرسة فلاديمير الاستسلام . فقد كنا نريد تجنب سفك الدماء . ولكن الآن واذا تم سفك الدماء فليس ثمة غير طريق واحدة هى طريق النضال الذى لا رحمة فيه . ومن الطفولة الظن بان فى وسعنا الانتصار باية وسائل اخرى ... لقد حلت اللحظة الحاسمة . فعلى الجميع ان يساعدوا اللجنة العسكرية الثورية ، وان يبلغوها عن جميع المخزونات من الاسلاك الشائكة

والبنزين والاسلحة ... لقد ظفروا بالسلطة وعلينا الآن ان نحفظ بها» .

واراد المنشفى يوفى ان يتلو بياننا باسم حزبه ، الا ان تروتسكى رفض السماح بفتح «نقاش حول المبادئ» . وقد صاح قائلا : «ان مناقشاتنا تحل الآن فى الشوارع ، والخطوة الحاسمة قد تحققت . ونحن جميعا ، وانا شخصا ، نحمل على كاهلنا المسؤولية عن كل ما يجرى ...»

وتكلم جنود قادمون من الجبهة ، من غاتشينا . وقد قال احدهم ، باسم لواء المدفعية الصدامى الواحد والثمانين بعد الاربعمئة : «حين سيطلمون على هذا فى الخنادق سيقولون هناك : هاهى ذى حكومتنا» . وروى احد اليونكر من مدرسة بترغوف الحربية كيف رفض هو واثنان آخران محاربة السوفييتات وكيف انتخبه الرفاق العائدون بعد القتال من قصر الشتاء مفوضا لهم وارسلوه الى سمولنى ليعرض الخدمات على الثورة الحقيقية . وارتقى تروتسكى المنبر من جديد ، ملتهبا لا يكل ، يصدر الاوامر ويرد على الاسئلة .

«ان البرجوازية الصغيرة مستعدة للاتفاق حتى مع الشيطان من اجل تحطيم العمال والجنود والفلاحين» . وقد لوحظ فى اليومين الاخيرين الكثير من حوادث السكر . «لا تشربوا يا رفاق! فبعد الساعة الثامنة مساء لا يخرج الى الشارع الا من هم خفراء فى الدورية . وينبغى تحرى جميع الاماكن التى يمكن ان توجد فيها مخزونات من المشروبات الروحية واتلاف جميع المشروبات الكحولية^٣ . وليس ينبغى ان تكون ثمة اية رحمة حيال من يبيعون الخمرة^٤ ...» واستدعت اللجنة العسكرية الثورية مندوبى منطقة فيبورغ ، ثم مندوبى مصنع بوتيلوف . وسرعان ما اجتمعوا . واعلن تروتسكى قائلا :

«سنقتل خمسة من اعداء الثورة مقابل مقتل كل واحد

من الثوريين» .

وذهبنا من جديد الى المدينة . كان مجلس الدوما يشع بالانوار ، وتتدفق اليه جموع غفيرة من الناس . وقد كانت تسمع في الطابق الارضى اصوات وصيحات ألم ؛ والجمهور يتدافع حول نشرة تحمل قوائم رجال اليونكر الذين قتلوا في المعركة او ، بالاصح ، الذين يزعم انهم قتلوا في المعركة ، ذلك لأن الكثيرين من هؤلاء الموتى سرعان ما ظهر انهم احياء معافون ... وفي قاعة الكسندر من الطابق العلوى ، كانت تجتمع لجنة الانقاذ . كانت ترى كتافيات الضباط الذهبية الموشاة بالاحمر ، والوجوه المألوفة لمشقفين من المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، واصحاب المصارف والديبلوماسيون بنظراتهم القاسية وملابسهم المتأنقة ؛ ورسميو العهد البائد ونسوة ابيقات الملابس ...

كانت موظفات الهاتف يقدمن شهادتهن . فكن يظهرن على المنبر الواحدة اثر الاخرى ، فتيات بملابس صارخة الالوان ، مقلدات مظاهر الطبقات العليا ، ولكنهن منهكات الوجوه مخرفات الاحذية ... وقد كانت وجوههن تحمر انشراحا لدى تصفيق جمهور بنزوغراد «الناعم» ، المؤلف من ضباط واثرياء ومشاهير رجال السياسة ؛ وكن يتحدثن ، الواحدة اثر الاخرى ، عما كابدن من عذاب على يد البروليتاريا ، ويعلنن ولاء هن لكل ما هو قديم ، ثابت وقوى ...

ومن جديد كان الدوما مجتمعا في قاعة نيقولايفسكى . وكان رئيس البلدية يروى بلهجة متفائلة ان افواج بتروغراد اخذت تحس بالخجل مما قامت به من اعمال ؛ والدعاية تعطى مفعولها ... والرسل يجيئون ويروحون على عجل . فقد كانوا يحملون الانباء عن الفضائع واعمال التقتيل البلشفية ، ويحاولون

انقاذ رجال اليونكر ، ويقومون بالتحقيقات ... وكان تروب يقول : « ان البلاشفة ستتم الغلبة عليهم بالقوة المعنوية لا بالحرا ب... »

وفي هذه الاثناء لم يكن كل شىء على ما يرام فى الجبهة الثورية . فقد جلب العدو قطارات مصفحة مزودة بالمدافع . ولم يكن لدى المفارز السوفييتية ، المؤلفة بصورة رئيسية من رجال الحرس الاخضر غير المدربين ، لاضباط ولا خطة مرسومة للعمليات . وقد انضم اليهم خمسة آلاف فقط من الجنود النظاميين . اما الوحدات الباقية من الحامية فقد كانت منشغلة إما بالقضاء على عصيان اليونكر واما بالمحافظة على النظام فى المدينة ، او انها لا تعرف ماذا تصنع . وفى الساعة العاشرة ليلا القى لينن خطابا فى اجتماع مندوبى افواج الحامية ، فقرروا باكثرية الاصوات الساحقة المباشرة بالنضال . وتألقت لجنة من خمسة جنود ، بمثابة هيئة للاركان ، وفى ساعة مبكرة من الصباح خرجت الافواج من الشكنات على اتم الالهة للقتال ... وقد التقيت بها وانا عائد الى المنزل . كالوا يسرون بخطوات متوازنة راسخة ، هى خطوات المحاربين القدامى ، وحرا بهم فى خط منتظم ، فى شوارع المدينة المنتزعة المقفرة ...

وفى ذلك الحين كان يجرى فى مقر الفيكجبل بشارع سادوفايا اجتماع لجميع الاحزاب الاشتراكية من اجل تشكيل حكومة جديدة . وقد اعلن ابراموفيتش ، باسم المناشفة الوسط ، انه لا ينبغى ان يكون ثمة لا غالبون ولا مغلوبون ، وان لا مجال لتذكر الماضى ... وقد اقترته على رآيه جميع الفئات والاحزاب اليسارية . وباسم المناشفة اليمينيين ، اقترح دان على البلاشفة الشروط التالية للهدنة : على الحرس الاحمر ان يلقى السلاح ، اما حامية بتروغراد فيجب ان تكون خاضعة للدوما البلدى ؛

وعلى قوات كيرنسكى ان لا تقوم باى اطلاق للنار ولا تعتقل
 اى شخص ؛ وتؤلف حكومة من ممثلى جميع الاحزاب الاشتراكية ،
 باستثناء البلاشفة . وباسم سمولنى ، اعلن ريزازانوف وكامينيف
 ان الحكومة الائتلافية من جميع الاحزاب الاشتراكية مقبولة ،
 الا انهاما احتجا على اقتراحات دان . وكان الاشتراكيون-الثوريون
 منشقين . اما اللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين والاشتراكيون
 الشعبيون فكانوا يرفضون العمل مع البلاشفة رفضا قاطعا ...
 وبعد مناقشات حادة انتخبت لجنة لاعداد خطة للعمل ...
 واستمر الصراع فى اللجنة طول الليل ، وطول النهار والليل
 التالية . وكانت قد جرت محاولة مماثلة للاتفاق فى ٩ تشرين
 الثانى - نوفمبر (٢٧ تشرين الاول - اكتوبر) ، بمبادرة من
 مارتوف وغوركى . الا ان هذه المحاولة باءت اذ ذاك بالاففاق :
 فقد كان كيرنسكى يقترب ، وكانت لجنة الانقاذ تقوم بنشاط
 واسع ، وعلى نحو مفاجئ امتنع المناشفة اليمينيون وكذلك
 الاشتراكيون-الثوريون والاشتراكيون الشعبيون عن الدخول فى
 المفاوضات . اما الآن فقد كانوا فى هلع من جراء سحق عصيان
 اليونكر ...

ومضى يوم الاثنين ، الموافق ١٢ تشرين الثانى - نوفمبر
 (٣٠ تشرين الاول - اكتوبر) فى ترقب . كانت انظار روسيا كلها
 شاخصة الى السهل الكالج على تخوم بتروغراد ، حيث كان كل ما
 امكن جمعه من قوى العهد البائد يقف وجها لوجه امام سلطة
 النظام الجديد المجهول التى لم تنتظم بعد . وكانت الهدنة قد اعلنت
 فى موسكو . وراح الطرفان يجريان المفاوضات وينتظران ماذا
 ستنتهى اليه الامور فى العاصمة . وفى هذه الاثناء كان مندوبو
 مؤتمر السوفييتات يسافرون على عجل بقطارات سريعة فى جميع
 الاتجاهات حتى مناطق آسيا النائية ، عائددين الى منازلهم ، حاملين

معهم مشاعل الثورة الملهبة . وانتشرت انباء المعجزة بحلقات اخذت تتوسع بسرعة على وجه الارض فايقظت المدن والقرى النائسة الى الحركة والثورة . السوفييتات واللحان العسكرية الثورية ضد مجالس الدوما والزيستفوات ومفوضى الحكومة ... ورجال الحرس الاحمر ضد رجال الحرس الابيض ... معارك شوارع ، وخطب حماسية ... وكانت النتيجة متوقفة على ما سوف تقول بتروغراد ...

كان معهد سمولني شبه مقفر ، اما مجلس الدوما فكان يعج بالناس . وكان رئيس البلدية المعجوز يحتج بوقار حسب عادته على نداء المستشارين البلديين البلاشفة ، قائلا بحرارة :
« ليس الدوما على الاطلاق مركزا للثورة المضادة . والدوما لا يشترك قط في الصراع الجارى بين الاحزاب . ولكن حين لا تكون في البلاد اية سلطة شرعية ، تكون الادارة البلدية هي المركز الوحيد للنظام . وهذا الواقع معترف به من قبل الاهلن المسالمين . والسفارات الاجنبية لا تعترف الا بالوثائق الرسمية التى تحمل توقيع رئيس البلدية . فالاوروبى بطبعه لا يمكن ان يقبل بغير وضع تكون فيه الادارة البلدية هي الهيئة الوحيدة المؤهلة للمحافظة على مصالح المواطنين . والمدينة ملزمة بابداء كرم الضيافة لجميع المنظمات الراغبة فى الاستفادة من هذه الضيافة ، ولهذا فليس يمكن لمجلس الدوما ان يحول دون نشر اية صحف فى بنايته . ان دائرة نشاطنا تتسع ، ويجب منحنا حرية تامة للتصرف فينبغى للطرفين معا ان يعترفا بحقوقنا ... »

اننا محايدون تماما . فعندما احتل رجال اليونكر مركز الهاتف ، امر بولكوفنيكوف بقطع جميع خطوط الهاتف التابعة لسمولني ، ولكنى اعلنت الاحتجاج واستمرت خطوط الهاتف هذه تعمل ... »

فكانت ضحكات ساخرة في مقاعد البلاشفة وصيحات غاضبة من اليمين . وتابع شريدنر يقول :

«ومع ذلك فان البلاشفة يعتبروننا معادين للثورة ووفقا لذلك يصنفوننا امام الاهلين . وهم يحرموننا من وسائل النقل التابعة لنا ، منتزعين منا السيارات الاخيرة . فلن يكون الذنب ذنبنا اذا ما بدأت المجاعة في المدينة نتيجة لذلك . ولا جدوى من اية احتجاجات ...»

واعلن العضو البلشفي في الادارة البلدية كوبوزيف انه يشك في ان تكون اللجنة العسكرية الثورية قد صادرت سيارات البلدية . واذا سلمنا جدلا بان مثل هذه الامور قد وقعت فالارجح ان هذا قد قام به اشخاص غير مفوضين بدافع من الضرورة القصوى . واردف قائلا :

«يقول رئيس البلدية اننا لا نملك الحق في تحويل الدوما الى جمعية سياسية . ولكن كل ما يقوله هنا اى من المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ما هو الا دعاية حزبية ، وهم عند الابواب يوزعون صحفهم الممنوعة - «ايسكرا» («الشرارة») و«سولداتسكى غولوس» («صوت الجندي») و«رابوتشاي غازيتا» («صحيفة العمال») ، المحرصة على العصيان . فماذا لو اخذنا نحن البلاشفة ننشر صحفنا هنا ؟ ولكننا لن نفعل هذا لأننا نحترم الدوما . اننا لا نهاجم ولا نعتزم مهاجمة الادارة البلدية . ولكن لما كنتم قد وجهتهم نداء الى السكان ، فقد بات لنا الحق في ان نفعل الشيء نفسه ...»

وبعد هذا تكلم عضو جماعة الكاديت شنغاريف . فاعلن ان ليس يمكن ان تكون ثمة لغة مشتركة مع اناس ينبغي مجرد احالتهم الى النائب العام ومحاكمتهم بتهمة خيانة الدولة ... ومن جديد اقترح طرد جميع البلاشفة من الدوما . ولكن هذا الاقتراح

لقى الرفض لعدم وجود اتهامات شخصية ضد النواب البلاشفة ، وقد كانوا الى جانب ذلك يعملون بنشاط في المؤسسات البلدية .

واذ ذاك اعلن اثنان من المناشفة الاعميين ان نداء نواب الدوما البلاشفة كان دعوة مباشرة الى احداث المذابح . وقال بنكيفيتش : « اذا كان كل معارض للبلاشفة معاديا للثورة فلست افهم ما هو الفرق بين الثورة والفوضى ... ان البلاشفة ينساقون وراء جميع اهواء الجماهير المنفلتة من عقالها ، واما نحن فليس لدينا غير القوة المعنوية . اننا نحتج على العنف والمذابح سواء أمن هذا الجانب او ذاك . وهدفنا هو ايجاد مخرج سلمى من الوضع القائم ... »

واعلن نازارييف قائلا : « ان الاعلان الصادر بعنوان « الى منصة التشهير » ، الملصق في الشوارع والمحرض للشعب على اباداة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين هي جريمة لن تتمكنوا ابدا ايها البلاشفة ان تتصلوا منها . وما الفئات التي ارنكت بالامس الا تمهيد لما تبنت له امثال هذه النشرات ... وقد كنت انا طول الوقت احاول المصالحة بينكم وبين الاحزاب الاخرى ، اما الآن فاني لا اكن لكم غير الاحتقار ! »

وهب البلاشفة من اماكنهم يصيحون صيحات الغضب . فردت عليهم اصوات بحاء تنطوى على الكراهية ، والقبضات الملوحة ... واذا كنت خارجا من القاعة ، التقيت بالمهندس البلدى المنشفى غومبرغ وثلاثة او اربعة من مراسلى الصحف . وقد كانوا جميعا في حالة نفسية متفائلة . وكانوا يقولون :

« ايوه ! هؤلاء الجبناء يخافون منا . انهم لن يجسروا على توقيف الدوما ! ولجنتهم العسكرية الثورية لا تجسر على ان تبعث بمفوض الى هنا . نعم ! اليوم رأيت في زاوية شارع سادوفيا

كيف كان احد رجال الحرس الاحمر يحاول القبض على صبي يبيع صحيفة «سولداتسكى غولوس» ... ما كان من الصبي الا ان راح يضحك في وجهه ، واما الجمهور فقد كاد ان يجهز على الشقى . وسوف يتقرر الآن كل شيء خلال بضعة ساعات . والامر سواء حتى اذا لم يات كيرنسكى ، فليس لدى البلاشفة رجال قادرون على استلام زمام الحكم . مستحيل ! .. وقد سمعت انهم هناك في سمولني يتشاجرون فيما بينهم !»

واخذني جانبا صديق لى من الاشتراكيين-الثوريين ، فقال لى : «انا اعرف اين تختفى لجنة الانقاذ . فهل تريد التحدث معهم ؟» كانت قد حلت عتمة المساء . ومن جديد كانت الحياة العادية آخذة مجراها في المدينة : المخازن تتماطى التجارة ، والانوار مشتعلة في الشوارع حيث جماهير غفيرة تروح وتجيء وتتناقش ...

واذ وصلنا في شارع نيفسكى الى البيت رقم ٨٦ ، اجتزنا فناء محيط به مبان عالية . وقرع صديقى على باب الشقة رقم ٢٢٩ بطريقة خاصة . فسمعت حركة وصوت باب داخل يفتح ويغلق . وبعد ذلك انشق الباب الخارجى قليلا ، فابصرنا بوجه امرأة . وبعد ان تفحصتنا مدة دقيقة سمحت لنا بالدخول . كانت امرأة متوسطة العمر ، تعابير وجهها هادئة . وقد صاحت : «كيريل ! كل شيء على ما يرام !» كان السماور يغلى في غرفة الطعام ، وعلى الطاولة صحون فيها خبز ورنك مملح . ومن وراء ستارة النافذة خرج رجل يرتدى بزة الضابط ، وظهر رجل آخر خارجا من غرفة جانبية مظلمة ، متنكر بلباس عامل . وقد كلاهما جد مسرورين لرؤية مراسل اميركى ، وصرحا لى بلهجة غير خالية من الارتياح بانهما على الأرجح سيعلمان رميا بالرصاص اذا ما وقعا في

ايدى البلاشفة . ولم يذكر الى اسميهما ، الا انهما كانا كلاهما من الاشتراكيين-الثوريين .

وسألتهما : « لماذا تنشرون في صحفكم مثل هذا الكذب الغير قابل للتصديق ؟ »

فاجاب الضابط دون اى امتعاض : « اجل ، اعرف . ولكن ماذا نعمل ؟ (ورفع كتفيه) . لا بد انك تدرك اننا فى حاجة لأن نوجد لدى الشعب حالة نفسية معينة ... »

فقاطعه الآخر قائلا : « كل هذا من جانب البلاشفة انما هو مغامرة كلية ! فليس لديهم مثقفون . الوزارات لن تشتغل ... ليست روسيا مدينة ، انما هى بلاد بكاملها ... ونحن ندرك انهم لن يستطيعوا الصمود بضعة ايام فلذا قررنا مساندة كيرنسكى ، وهو اضخم القوى المناهضة لهم ، والمساعدة على اعادة النظام » . فلاحظت قائلا : « كل هذا ممتاز . ولكن لماذا انتم متحدون مع الكاديت ؟ »

فابتسم العامل المزعوم ابتسامة ساخرة مكشوفة ، وقال : « بصادق العبارة ، ان الجماهير الشعبية تسير الآن وراء البلاشفة . وليس لدينا الآن انصار . وليس فى وسعنا تعبئة ولا حفنة من الجنود . وليس لدينا سلاح حقيقى ... والبلاشفة على حق الى درجة ما . وكل ما فى روسيا فى الوقت الحاضر حزبان قويان الى حد ما ، حزب البلاشفة وثنائيهما الرجعيون المتخفون تحت جناح الكاديت . والكاديت يعتقدون انهم يستخدموننا ، اما فى الواقع فنحن الذين نستخدمهم . وحين سنتم تحطيم البلاشفة ، سنرتد على الكاديت ... »

« وهل سيسمح للبلاشفة بالاشتراك فى الحكومة الجديدة ؟ » فراح يحك قذاله ، ثم نمتم قائلا : « هذه مسألة معقدة . اكيد انهم ، اذا لم يسمح لهم بالاشتراك ، فالارجح انهم سيبدأون

مجدداً من البداية . على كل حال ستكون لديهم امكانيات ساحة
لتحديد توازن القوى في الجمعية التأسيسية ، اللهم اذا ما انعقدت
الجمعية التأسيسية » .

وقال الضابط مقاطعا : «وعدا ذلك فان هذا سي طرح مسألة
اشراك الكاديت في الحكومة . فالاسباب هي ذاتها . فانت تعلم ان
الكاديت ، عمليا ، لا يريدون عقد الجمعية التأسيسية ، لا يريدون
ذلك طالما ان في الوسع الآن تحطيم البلاشفة » . وقد هز رأسه .
« ليست السياسة بالامر اليسير علينا ، نحن الروس ! انتم ، معشر
الاميركيين ، تولدون سياسيين ، انتم تشتغلون بالسياسة طول
الحياة ، اما عندنا فلم يمض على هذا ، كما تعلم انت نفسك ،
حتى عام واحد ... »

وسالت قائلا : «وما رأيكم في كيرنسكى ؟ »
فاجاب المحدث الآخر : «اوه ، ان كيرنسكى مسؤول عن
جميع آثام الحكومة الموقته . فقد اجرنا على الدخول في ائتلاف
مع البرجوازية . ولو انه نفذ تهديده واستقال لحدثت ازمة
وزارية في وقت لم يبق فيه لانعقاد الجمعية التأسيسية غير ستة
عشر اسبوعا ، وهذا ما كنا نبتغي تجنبه » .

«ولكن أليس هذا ما حدث في آخر الامر ؟ »
«اجل ، ولكن كيف كان بوسعنا ان نعلم هذا ؟ لقد خدعنا
كيرنسكى وافكسنتييف واضرابهما . وكذلك لم يكن غوتز اكثر
منهما راديكالية بكثير . اني اؤيد تشيرنوف لانه ثوري حقيقى ...
وانت تعلم ان لينين قد اوعز اليوم بالابلاغ عن انه لا يعترض على
اشراك تشيرنوف في الحكومة .

وبالطبع ، كنا نحن ايضا راغبين في التخلص من حكومة
كيرنسكى ، ولكن كان يبدو لنا ان من الافضل الانتظار حتى انعقاد
الجمعية التأسيسية ... وحين بدأ هذا كله كنت مؤيدا للبلاشفة ،

ولكن اللجنة المركزية لحزبى وقفت بالاجماع ضد هذا . فماذا كان على ان اعمل ؟ الانضباط الحزبى ...

فى غضون اسبوع ستذهب الحكومة البلشفية شذر مدر . ولو كان فى وسع الاشتراكيين-الثوريين الوقوف جانبا والانتظار لكنت السلطة وقعت فى ايديهم بكل بساطة . ولكن اذا كنا سننظر اسبوعا بكامله فسيحل بالبلاد خراب يجعل الامبرياليين الالمان يحرزون الانتصار التام . ولهذا بدأنا العصيان وليس معنا عبر فوجين من الجود وعدوا بمساندنا ، ولكن هؤلاء ايضا ارندوا علينا ... ولم يبق معنا غير اليونكر ...»

«وما حال القوزاق ؟»

فتنهذ الضابط . «لم يتحركوا من مكانهم . اول الامر قالوا انهم سيتحركون اذا ما ساندتهم المشاة . فضلا عن ذلك كانوا يقولون ، ان لدى كيرنسكى قوات من القوزاق ، وبالتالي فقد قاموا بما عليهم ... وبعد ذلك اخذوا يقولون ان القوزاق يعتبرون على الدوام اعداء بطبيعتهم للديموقراطية ... وفى النهاية «ان البلاشفة ، على ما يقال ، قد وعدوا بعدم مصادرة الارض منا ، فليس لدينا ما نخشاه ، واننا سنلتزم الحياد» .

وانناء هذا الحديث ، كان ثمة اشخاص يدخلون ويخرجون طول الوقت ، معظمهم ضباط منزوعة كتافياتهم . وكنا نتمكّن من رؤيتهم فى غرفة الانتظار وسماع اصواتهم الخافتة الحاده . ومن خلال الستارة نصف المرفوعة المسدلة على غرفة الحمام رأيت مصادفة ، ضابطا بدينا يرتدى بزة عقيد جالسا على كرسى يكتب شيئا ما فى دفتر مسند الى ركبتيه . وقد عرفت فيه حاكم بتروغراد العسكرى السابق العقيد بولكوفنيكوف الذى فى سبيل اعتقاله ، كانت اللجنة العسكرية الثورية مستعدة لدفع ثروة كاملة .

واستطرد الضابط : «برنامجنا ؟ ها هو ذا . تسليم الارض

للجان الزراعية . والعمال يجب ان تتاح لهم كل الامكانية للاشتراك في ادارة الصناعة . سياسة سلمية نشيطة ، ولكن بدون مثل هذا الانذار النهائى الذى توجه البلاشفة به الى جميع البلدان . لن يفلح البلاشفة فى تنفيذ ما وعدوا به الجماهير ، انهم لن يفلحوا فى ذلك حتى داخل البلد ... اننا لا نسمح لهم ... لقد سرقوا منا برنامجنا فى المسألة الزراعية لكى ينالوا مساندة الفلاحين . ليس هذا بالفعل الشريف . الا لو انهم انتظروا حتى انعقاد الجمعية التأسيسية ...»

فقاطعه الضابط الآخر قائلا : « ليست المسألة مسألة جمعية تأسيسية ! فاذا كان البلاشفة يعتزمون ان يقيموا دولة اشتراكية فليس يمكن باية حال ان نعمل معهم ! ان كيرنسكى قد ارتكب خطيئة فاحشة حين اعلن فى مجلس الجمهورية انه قد اصدر امرا باعتقال البلاشفة . كل ما فى الامر انه كشف لهم عن اوراقه ...» فسالت : « وماذا تعتزمون الآن فعله ؟ »

تبادل الرجلان النظرات . « سترى بعد بضعة ايام ... اذا ما وقف الى جانبنا عدد كاف من قوات الجبهة فلن ندخل فى اى اتفاق مع البلاشفة . والا فربما سنضطر الى ذلك ...» وخرجنا الى شارع نيفسكى فقفزنا الى سلم عربة ترام كانت غاصة فى داخلها بالناس وهى تتجرجر على الارض زاحفة ببطء المحتضر الى سمولنى البعيد . *

كان ميشكوفسكى ، الرجل الانيق والنحيل يسير فى الممشى وعلى وجهه سيماء الاهتمام الشديد . وقد انبأنا بان اضراب جميع الوزارات يفعل فعله . فمثلا ، كان مجلس مفوضى الشعب قد وعد بنشر المعاهدات السرية ، الا ان نيراتوف الموظف المسؤول قد توارى عن الانظار آخذا معه الوثائق . وهمة افتراض بانها مخفية فى السفارة الانكليزية ...

الا ان اسوأ ما في الامر هو ان المصارف مضرية . وقد قال منجنيسكى : « اننا ، بدون نقود ، عاجزون كل العجز . فمن الضروري دفع رواتب شغيلة السكك الحديدية ومستخدمى البريد والهاتف ... ان المصارف مغلقة ؛ والمفتاح الرئيسى للوضع ، الا وهو مصرف الدولة ، لا يشتغل هو ايضا . ان مستخدمى المصارف فى روسيا كلها مرتشون مباعون وقد توقفوا عن العمل ... »

ولكن لينين قد امر بنسف اقبية مصرف الدولة بالديناميت . اما فيما يتعلق بالمصارف الخاصة فقد صدر للتو مرسوم يقضى بان تفتح غدا والا فسنتفتحها بانفسنا ! »

كان سوفييت بتروغراد يعمل بكل طاقته ، والقاعة خاصة بالناس المسلحين . وترونسكى يلقى تقريراً :

« القوزاق يتراجعون عن كراسنويه سيلو (تصفيق حماسى شديد) . ولكن المعركة ما تزال فى بدايتها . وفى بولكوفو يدور قتال عنيف . فينبغى ان ترسل الى هناك بسرعة جميع القوات المتوفرة ... »

الاخبار الواردة من موسكو لا تبعث على الاطمئنان . فالكرملين فى قبضة اليونكر ، واما العمال فلديهم القليل جدا من السلاح .

والمصير متوقف على بتروغراد .

وفى الجبهة اثار مرسوما السلام والارض حماسة هائلة . وكيرنسكى يغمز الخنادق باساطير تزعم ان بتروغراد غارقة فى النار والدم وان البلاشفة يذبحون النسوة والاطفال . ولكن لا يصدقه احد ... »

وقد رست الطرادات « اوليغ » و « افرورا » و « ريسبوليكا » فى نهر النيفا وصوبت مدافعها على تخوم المدينة ... »

رصاص احدهم بصوت حاد : «ولماذا انت لست في المكان الذى يقاتل فيه رجال الحرس الاحمر ؟»

فاجاب تروتسكى وهو منصرف عن المنبر : «انى ذاهب في الحال !» كان وجهه اكثر شحوبا بقليل من المعتاد . وقد خرج من الغرفة عن طريق الممر الجانبي ، يحيط به اصدقاؤه المخلصون ، واسرع الى السيارة .

وكان المتكلم الآن كامينيف . فعرض سير مؤتمر الهدنة . وقال : ان شروط الهدنة المقترحة من قبل المناشفة مرفوضة باحتقار . وقد صوتت ضد امثال هذه المقترحات حتى بعض فروع اتحاد شغيلة السكك الحديدية ...

واردف كامينيف قائلا : «والآن اذ تم لنا الاستيلاء على السلطة وجعلنا روسيا كلها تهب ثائرة ، يطالبوننا بالتوافه التالية ليس إلا : اولا ، تسليم السلطة ، ثانيا ، ارغام الجنود على مواصلة الحرب ، وثالثا ، ارغام الفلاحين على نسيان الارض ...»
وظهر لينين لمدة دقيقة . فرد على الاتهامات من جانب الاشتراكيين-الثوريين :

«يتهموننا باننا سرقنا منهم البرنامج الزراعى ... طيب ، اذا كان الامر كذلك ففى وسعنا تقديم الشكر لهم . وهذا كاف منا ...»

هكذا كان يجرى هذا الاجتماع . فقد كان الزعماء يتعاقبون على المنبر موضحين ، محرضين ، مبرهنين . وكان الجندى اثر الجندى والعامل اثر العامل يقفون فيعربون عن كل ما في ادماغهم وما في قلوبهم ... وكان جمهور المستمعين غير ثابت : يتغير طول الوقت ويتجدد . ومن حين لآخر كان يظهر في القاعة اناس يستدعون اعضاء هذه الفصيلة او تلك للالتحاق بالجبهة . ويجى آخرون ،

وقد انهوا نوبتهم ، اوهم جرحى او قادمون لجلب السلاح والعتاد
فيندفعون الى القاعة ...

وحوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكنا منصرفين
عندما ركض غولتسمان ، عضو اللجنة العسكرية الثورية هابطا
السلم ووجهه يتسع . وقد صاح وهو يشد على يدي :
« كل شيء ممتاز ! برقية من الجبهة ! تم تحطيم كيرنسكى !
هاك انظر ... »

ومد لى قطعة ورق مكتوبة على عجل بقلم الرصاص . واذ
رأى اننا لا نستطيع فهم شيء ، راح يقرأ بصوت مسموع :
« قرية بولكوفو . الاركان . الساعة الثانية والدقيقة العشرون
بعد منتصف الليل .

ليلة ٣٠ الى ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ستدخل التاريخ .
محاولة كيرنسكى دفع القوات المعادية للثورة على عاصمة الثورة
تلقت صدا حاسما . كيرنسكى يتراجع ونحن نتقدم . اظهر جنود
بتروغراد وبحارته وعمالها انهم يحسنون ويريدون ترسيخ ارادة
الديموقراطية وسلطتها والسلاح في ايديهم . البرجوازية سعت لعزل
جيش الثورة وكيرنسكى حاول تحطيمه بقوة القوزاق . وقد باء
هذا ونلك بفشل ذريع .

ان الفكرة العظمى ، فكرة سيادة ديموقراطية العمال
والفلاحين ، قد رصت صفوف الجيش ورسخت عزيمته . ومنذ الآن
ستقتنع البلاد جميعاء بان السلطة السوفييتية ليست بظاهرة
عابرة ، بل هى واقع لا يقهر ، واقع سيادة العمال والجنود
والفلاحين . ان صد كيرنسكى هو صد للملاكين العقاريين وللبرجوازية
وللكورنيلوفيين بصورة عامة . ان صد كيرنسكى هو تأكيد لحق
الشعب فى الحياة السلمية الحرة ، وفى الارض والخبز والسلطة .
ان كتيبة بولكوفو تعزز بضربتها الباسلة قضية ثورة العمال

والفلاحين . لا عودة الى الماضى . ما يزال امامنا نضال وعقبات
وتضحيات ! ولكن الدرب مفتوح والنصر مضمون .
من حى روسيا الثورية والسلطة السوفييتية الاعتراز بكتيتها
في بولكوفو العاملة بقيادة العقيد فالدين . الخلود لذكرى الضحايا !
المجد للمحاربين في سبيل الثورة ، للجنود وللضباط المخلصين
للشعب !

عاشت روسيا الثورية الشعبية الاشتراكية !
باسم مجلس مفوضى الشعب لى . تروتسكى » .
وفيما كنا عائدين الى منزلنا عبر ساحة زنامنسكايا ، لاحظنا
حشدا غير عادى مزدحما قرب محطة نيقولايفسكى . وكان ثمة
عدة آلاف من البحارة ترتفع فوقهم غابة من حراب البنادق .
وكان يقف على الدرجة عضو من الفيكجل يقول ملتصقا :
« يا رفاق ، ليس يمكننا نقلكم الى موسكو . نحن حياديون .
اننا لا ننقل اية قوات . لا يمكن ان ننقلكم الى موسكو ، حيث
تجرى حرب اهلية رهيبة ... »

كانت الساحة تغلى وتهدر بالاستنكار . واخذ البحارة
يتحركون الى امام . وفجأة انفتح باب آخر على رحبه فى مبنى
المحطة . وكان يقف فيه اثنان او ثلاثة من قاطعى التذاكر ووقاد
او سواه ايضا . وراحوا يصيحون :

« الى هنا ، يا رفاق ! نحن سننقلكم الى موسكو ، الى
فلاديفوستوك ، الى حيث تشاؤون ! عاشت الثورة ! »

الفصل التاسع

النصر

الامر رقم ١

الى وحدات مفرزة بولكوفو

٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ الساعة ٩ والدقيقة ٣٨ صباحا

« بعد قتال شديد احرزت وحدات مفرزة بولكوفو نصرا تاما على قوى الثورة المضادة التي اندحرت من مواقعها بغير انتظام وهى تتقهقر بحماية تسارسكويه سيلو نحو بافلوفسك الثانية وغاتشينا .

احتلت وحداتنا الزاحفة الشمال الشرقى من تخوم تسارسكويه سيلو ومحطة الكسندروفسك . على جناحنا الايمن كانت مفرزة كولبينو وعلى الايسر مفرزة كراسنويه سيلو .

آمر مفرزة بولكوفو باحتلال تسارسكويه سيلو وتحصين المشارف المؤدية اليها ، ولا سيما من جهة غاتشينا .

وعليها فيما بعد ان تمضى قدما فى زحفها فتحتل بافلوفسكويه وتحصنها من الجانب الجنوبى وتستولى على الخط الحديدى حتى محطة دنو .

وعلى المفرزة ان تتخذ جميع التدابير لتحصين المواقع المحتلة من قبلها مقيمة الخنادق وغير ذلك من المنشآت الدفاعية .

وعليها ان تقيم اتصالا وثيقا مع مفترزي كولبينو وكراسنويه سيلو ، وكذلك مع هيئة اركان القائد الاعلى للدفاع عن مدينة بتروغراد .

القائد الاعلى للقوات العاملة

ضد مفارز كيرنسكى المعادية للثورة ،

المقدم مورافيف»

الثلاثاء ، صباحا . ماذا جرى ؟ منذ يومين فقط كانت تجوب في ضواحي بتروغراد لغير قصد مفارز لا انضباط لها ولا قيادة . وما كانت لديها لا اغذية ولا مدفعية ولا اى خطة للاعمال . فما الذى كان يضم هذه الجموع من رجال الحرس الاحمر والجنود الذين لم يكن لهم لا تنظيم ، ولا مراس على الانضباط العسكرى ، ولا ضباط ، في جيش خاضع لقيادة منتخبة من قبله ، قادر على مجابهة وصد ضربات المدفعية والفرسان القوزاقى ؟

ان الشعب الشائر ينبد على طريقته المقاييس العسكرية المألوفة . ولن يطوى النسيان ابدا جيوش الثورة الفرنسية المهلهلة الشياب ، المنتصرة في فالملى وفيسيمبورغ * . وقد اتحد ضد السوفييتات اليونكر والقوزاق والنبلاء وكبار الملاكين العقاريين وجماعة المئة السوداء ، ومن خلفهم كان قد اخذ يتلامح القيصر والشرطة السرية القيصرية والاعمال الشاقة في المناجم السيبيرية ،

* يقصد الكلاب المعركة التاريخية قرب فالملى في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ ، حين حطمت مفارز المتطوعين في جيش الثورة الفرنسية القوات البروسية الراحفة على باريس وارغمتها على التقهقر . وفي المعركة قرب فيسيمبورغ سنة ١٧٩٤ ، سحقتم القوات الثورية الفرنسية ، تحت قيادة سان جوست العملية ، الجيش النمساوى وصدته عن حدود فرنسا .

المحرر .

واخيرا الخطر الرهيب الذى لا حد له من جانب الالمان ... وقد كان النصر ، على حد تعبير كارليل ، يعنى «عيدا وعصرا ذهبيا لا نهاية له» .

مساء الاحد ، كان مفوضو اللجنة العسكرية الثورية يعودون من الجبهة يائسين كل اليأس ، وحامية بتروغراد انتخبت لجنتها الخماسية ، هيئة اركانها الحربية ، مؤلفة من ثلاثة حنود وضابطين ، لا شك فى سلامتهم من عدوى العداء للثورة . واوكلت القيادة العامة للوطنى السابق العقيد مورافيف ، وهو رجل عملى الا انه يجب ان يكون سحت مراقبة يقظة * . وفى كوليينو واوبوخوفو وبولكوفو وكراسنويه سيلو شكلت مفارز موقتة كانت تتضخم شيئا فشيئا بمن ينضم اليها من الشراذم المتشردة فى الاماكن المحيطة ، وقد اختلط فيها الجنود والبحارة ورجال الحرس الاحمر ، ووحدات منفردة من مختلف افواج المشاة والخيالة ، والمدفعية ، وبضعة مصفحات .

وعند الفجر ظهرت وحدات كيرنسكى القوزاقية . فبدأ تبادل غير منتظم فى اطلاق النار ، مصحوب بالمطالبة بالاستسلام . وقد امتد صوت القتال فى الهواء البارد الصافى فوق السهل الفسيح متراويا الى مسامع الزمر المتشردة المتجمعة فى انتظار حول شعلاتها الصغيرة ... اذن فقد بدأت ! ومضت هذه الزمر الى الجهة التى كان يجرى فيها القتال . وحشت مفارز العمال السائرة على الطريق الرئيسية خطاها ... ونحو جميع النقاط التى تعرضت للهجوم كانت تزحف من تلقاء نفسها فى الطرقات المستقيمة جموع ضخمة

* لم يكن لمورافيف معتقد سياسى راسخ . قبل انتقاله الى جانب السوفييتات ، كان من انصار شعار «الحرب حتى النهاية الظافرة» . وفى ايام فتنة كوريلوف انتقل الى جانب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين .
وفيما بعد خان مورافيف السلطة السوفييتية . **المحرو** .

من الناس المفعمين غضبا . وكان يستعجلهم معوضون يبينون لهم الموقع الذى ينبغي احتلاله وماذا ينبغي ان يعملوا . وقد كانت تلك معركتهم هم فى سبيل عالمهم هم ؛ وكان القواد منتخبين من قبلهم هم انفسهم . وفى تلك اللحظة انسكبت ارادات الكثرة جميعها على اختلاف صورها وتنوع مظاهرها فى ارادة واحدة ...

وقد وصف لى المشتركون فى هذه المعارك كيف كان يقاتل البحارة : بعد ان استنفدوا كل ما لديهم من الذخيرة انطلقوا يقاثلون بالحراپ ؛ وكيف كان العمال غير المدربين ينقضون على حمم القوزاق فينتزعونهم من سروج خيلهم ؛ وكيف كانت جموع الشعب تنشق من الظلام ، دون ان يعرف احد من اين جاءت ، فسقطت فجأة على العدو انقراض الامواج ... ويوم الاثنين ، قبل منتصف الليل ، كان القوزاق قد شتتوا ولاذوا بالفرار ، تاركين المدفعية . وراح جيش البروليتاريا يزحف قدما على جبهة طويلة محطمة ، فافتحم تسارسكويه سيلو غير متفسيح للعدو وقتا لتدمير محطة اللاسلكى الحكومية . واذا ذاك راحت هذه المحطة تبث على العالم نشيد النصر ...

«الى جميع سوفيينات نواب العمال والجنود»

فى الثلاثين من تشرين الاول (اكتوبر) ، اوقسع الجيش الثورى ، فى قتال ضار قرب تسارسكويه سيلو ، هزيمة ماحقة بقوات كيرنسكى وكورنيلوف المعادية للثورة .

باسم الحكومة الثورية ادعو جميع الافواج الموضوعة تحت فبادتى لمقاومة اعداء الديموقراطية الثورية واتخاذ جميع التدابير لالقاء القبض على كيرنسكى ، وكذلك للحيلولة دون امثال هذه المغامرات التى تهدد مكتسبات الثورة وانتصار البروليتاريا . عاش الجيش الثورى !

مورافيف»

انباء من المقاطعات ...

في سباستوبول ، استولى السوفييت المحلي على السلطة الاجتماع الحاشد الهائل الذي عقده بحارة السفن الحربية الراسية في ميناء سباستوبول ، ارغم الضباط على ان يقسموا بصورة احتفالية يمين الاخلاص للحكومة الجديدة . مدينة نيجنى نوفغورود يقوم السوفييت بادارتها . الانباء الواردة من قازان تتحدث عن معارك ناشبة في الشوارع ، حيث يدور القتال بين رجال اليونكر ولواء مدفعية وبين الحامية البلشفية ...

وفي موسكو نشبت من جديد معارك ضارية . رجال اليونكر والحرس الابيض قابضون على الكرملين ومركز المدينة ، ولكنهم يتعرضون من كافة الجهات لهجمات قوات اللجنة العسكرية الثورية . المدفعية السوفييتية تقصف من ساحة سكوبيليف الدوما البلدى ومركز القيادة العسكرية وفندق «متروبول» . وقد نزع كل البلاط من شارعى تفيرسكايا ونيكىتسكايا ، لاقامة الخنادق والمتاريس . وانهال وابل من طلقات المدافع الرشاشة على الاحياء التى توجد فيها المصارف الكبرى والبيوتات التجارية . ليس ثمة انارة كهربائية ، والهاتف لا يشتغل . والسكان البرجوازيون اعتصموا فى الاقبية ... وتقول النشرة الاخيرة ان اللجنة العسكرية الثورية وجهت الى لجنة الامن العام * اندارا نهائيا مطالبا فيه بتسليم الكرملين مهددة بقصفه فى حالة الرفض .

وكان السخفاء يصيحون : «قصف الكرملين ! لن يجرأوا على

ذلك !»

* لجنة السلامة العامة هى المركز الرئيسى للثورة المضادة فى

موسكو فى ايام اكتوبر ١٩١٧ . المحرر .

كانت الحرب الاهلية مشتعلة الاوار من فولوغدا الى تشيتا في سيبيريا النائية ، ومن بسكوف الى سباستوبول على البحر الاسود ، في المدن الضخمة وفي الضياع الصغيرة . ومن الوف المعامل والمصانع ، وجمعيات الفلاحين ، والافواج والجيوش ، والسفن في عرض البحر ، كان يتدفق الترحيب على بتروغراد ، الترحيب بحكومة الشعب .

وقد بعثت حكومة القوزاق في نوفوتشركاسك ببرقية الى كيرنسكى تقول فيها : «الحكومة العسكرية لقوات الدون تدعو الحكومة الموقته واعضاء مجلس الجمهورية الروسية للقدوم اذا امكن ، الى نوفوتشركاسك ، حيث يمكن تنظيم النضال ضد البلاشفة ...»

وكان الوضع في فنلندا ايضا مضطربا . فان سوفيت هلسنكى وتسينتروبال (اللجنة المركزية لاسطول البلطيق) قد فرضا معا حالة الطوارئ واعلنا ان جميع المحاولات لاعاقه عمل المفارز البلشفية وابداء مقاومة مسلحة لاوامر السوفييت ستقمع بشدة . وفي الوقت نفسه اعلن اتحاد شغيلة السكك الحديدية الفنلندي الاضراب العام في فنلندا كلها بغية تنفيذ القوانين التي صدرت في حزيران (يونيو) ١٩١٧ من قبل الدييت الاشتراكي الذي حله كيرنسكى .

في الصباح الباكر ذهبت الى سمولنى . وفيما كنت اجتاز الرصيف الخشبي الطويل ، قادما من البوابة الخارجية ، لاحظت ان النديف الاول من الثلج يتساقط من السماء الرمادية الخالية من الريح . وقد صاح الخقير الواقف عند الباب ، وهو يبتسم بمرح : « الثلج ! عظيم ! » . وفي الداخل كانت الممرات الطويلة المظلمة والقاعات الباردة تبدو مقفرة . وكانما كانت البناية الجسيمة قد

ادركها الموت . ولكن اصواتا غريبة خافتة وصلت اذ ذاك الى سمعى . فرحت اتلفت . كان ثمة اناس نائمون فوق الارض على امتداد الجدران . اناس شعث الشعور ، غير مغتسلين ، عمال وجنود متلطخون ملوثون بالوحل ، مستلقون فرادى وجماعات ، غارقون في نوم ثقيل غير مباليين بشيء . وكان على اجسام الكثيرين منهم ضمادات ممزقة دامية . والى جانبهم بنادق واحزمة الرصاص مطروحة على الارض ... كان ذلك هو جيش البروليتاريا المظفر . وفي الطابق العلوى ، فى البوفيه ، كان ينام اناس بلغ من كثرتهم ان كان المرور من بينهم عسيرا . وقد كان الجو فاسدا كريها . ومن خلال النوافذ المغبشة بالكاد كان ينفذ ضوء شاحب . وكان على المنضدة سماور مهشم وبارد ، وعدة اكواب فيها بقايا شاي . وكان ثمة عدد من النشرة الاخيرة للجنة العسكرية الثورية ، وقد امتلأت صفحتها الاخيرة بالخرابيش . انه احد الجنود قد خط هذه الكلمات تذكارا لرفاقه الذين استشهدوا فى القتال ضد كيرنسكى ، وقد ظل يكتب حتى تهاوى فى ذلك المكان على الارض . وقد كانت القائمة مبقعة بما يشبه الدمع ...

اليكسى فينوغرادوف

د . موسكفين

س . ستولبيكوف

ا . فوسكريسنسكى

د . ليونسكى

د . بريوبراجنسكى

ف . لايدانسكى

م . بيرتشيكوف

انضم هؤلاء الرجال جميعا الى الجيش فى ١٥ تشرين الثانى

(نوفمبر) ١٩١٦ . وبقى منهم ثلاثة على قيد الحياة :

ميخائيل بيرتشيكوف
اليكسي فوسكرينسكى
ديميتري ليونسكى

* * *

نسور الجبال ، ارقدوا
وناموا وانفسكم راضية !
فانتم جديرون ، يا اخوتى ،
بالمجد وبالراحة الابدية ...

كانت اللجنة العسكرية الثورية وحدها ما تزال ساهرة
تشتغل . وقد خرج سكريبنيك من الغرفة النائية فذكر لى ان
غوتز معتقل ، الا انه يعلن بصورة قاطعة انه لم يوقع ، خلافا
لافكسنتييف ، على بيان لجنة الانقاذ . وقد رفضت لجنة الانقاذ
نفسها الدعوى الموجهة الى الحامية . وانبأ سكريبنيك ان الافواج
الموجودة فى المدينة يلاحظ لديها التذمر ؛ وقد رفض فوج
فولينسكى القتال ضد كيرنسكى .

وفى غاتشينا ، كانت توجد بضع مفارز «حيادية» بقيادة
تشيرونوف ؛ وقد حاول اقناع كيرنسكى بوقف الهجوم على بتروغراد .
وضحك سكريبنيك قائلا : « لا يمكن الآن ان يكون ثمة اى
«حياديين» . لقد انتصرنا ! » كان وجهه الحاد الملتحنى يشع
بحبور يكاد يكون دينيا . « لقد جاء من الجبهة اكثر من ستين
وفدا حاملين مقررات تعلن التأييد والمساندة من جميع الجيوش ،
باستثناء وحدات الجبهة الرومانية التى لم ترد بعد اخبار منها .
لجان الجيش لا تسمح بدخول صحف بتروغراد ، ولكننا قد اقمنا
صلة منتظمة عن طريق الرسل ... »

وظهر في الردهة كامينيف ، وقد كان منهكا كل الانهاك من اجتماع المؤتمر المنعقد للبحث في تشكيل الحكومة الجديدة ، الذي استمر طول الليل ، الا انه كان مع ذلك مرتاحا . وقد قال لي : « اصبح الاشتراكيون-الثوريون ميالين لاشراكنا في الحكومة الجديدة . والجماعات اليمينية خائفة من المحاكم الثورية . انهم في هلع ، وهم يطالبون بان نبادر قبل كل شيء الى حل المحاكم ... وافقنا على اقتراح الفيكسل تشكيل وزارة اشتراكية متجانسة والآن يجرى اعداد المشروع هناك ... والواقع ان هذا كله ما هو الا بسبب احرازنا النصر . فحين كانت امورنا سيئة ما كانوا يرتضون مهما كلف الامر اشراكنا في الحكومة ، اما الآن فالجميع يسعون بهذا الشكل او ذاك للتفاهم مع السوفييتات . اننا في حاجة لانتصار نهائي فعلا . ان كيرنسكي يريد الهدنة ، ولكننا سنرغمه على الاستسلام ... »^٢

تلك كانت الحالة النفسية لدى الزعماء البلاشفة * . وقد

* في ٢٩ تشرين الاول - اكتوبر (١١ تشرين الثاني - نوفمبر) اتخذت الفيكسل (اللجنة المركزية للاتحاد المهنى لشغيلة السكك الحديدية لعامة روسيا) ، وقد كانت بعد ثورة اكتوبر احد مراكز النشاط المعادى للسوفييت ، قرارا يطالب بتشكيل حكومة من جميع الاحزاب « الاشتراكية » . وكان ينبغي للمفاوضات مع الفيكسل بتوجيه من لينين واللجنة المركزية ان تكون « تغطية دبلوماسية للاعمال العسكرية » . ولكن كامينيف وسوكولنيكوف ، المشتركين في هذه المفاوضات ، قد عبدا ، خلافا لخط لينين واللجنة المركزية ، الى القبول بمطلب الفيكسل ، اي بان يشترك في الحكومة ، الى جانب البلاشفة ، ممثلون لحزب المناشفة والاشتراكيين -الثوريين المعاديين للثورة .

وفي ٢ (١٥) تشرين الثاني (نوفمبر) اتخذت اللجنة المركزية بناء على اقتراح لينين قرارا برفض الاتفاق المعقود مع هذين الحزبين المعاديين

سأل احد المراسلين الاجانب تروتسكى ما هو النبأ الذى يسود اذاعته على العالم . فاجاب تروتسكى : « النبأ الوحيد الممكن فى الوقت الحاضر هو ما نعلنه بفوهات المدافع » .

ولكن هذه الحماسة المنبعثة من الانتصار كانت كلها مشوبة بقلق جلى . فشمة المشكلة المالية . اذ بدلا من فتح المصارف ، كما كانت تأمر اللجنة العسكرية الثورية ، عقد اتحاد مستخدمى المصارف اجتماعا لاعضائه واطعن الاضراب رسميا . وكان سمولى قد طلب من مصرف الدولة قرابة ٣٥ مليون روبل ، ولكن الخازن اغلق الاقبية ، وما كان يسلم الاموال الا لممثلى الحكومة المؤقتة . وكان المعادون للثورة يستخدمون مصرف الدولة سلاحا سياسيا . فمثلا ، حين طلبت الفيكلال الاموال لدفع رواتب عمال ومستخدمى الخطوط الحديدية التابعة للدولة ، تلقت جوابا يقول لها : « راجعى سمولى ... »

وقد ذهبت الى مصرف الدولة لمقابلة المفوض الجديد ، وهو بلشفى اوكرانى اصهب الشعر ، اسمه بتروفيتش . كان يسعى لادخال ولو شئ من النظام فى شؤون المصرف الذى تركه المستخدمون المضربون فى حالة من الفوضى . وكان يعمل فى جميع اقسام المؤسسة الضخمة متطوعون من العمال والجنود والبحارة . كانت سنتهم متدلية من شدة العياء وهم يحاولون عبثا فهم ما فى دفاتر الحسابات الضخمة ...

لثورة . وكان القرار ينوه بان « لا يمكن ، بدون خيانة شعار السلطة السوفيتية ، التخلل عن الحكومة محض البلشفية » ما دام مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا قد اوكل السلطة لهذه الحكومة . وهكذا فان قول كامينيف المذكور لم يكن يعبر عن راي البلاشفة ، بل عن رأى فئة صغيرة انتهازية ضمن اللجنة المركزية كانت تعتقد بعدم امكانية الثورة الاشتراكية فى روسيا . **المحور .**

كان مبنى الدوما غاصا بالناس . وكانت ما تزال تلاحظ حالات افرادية من التحدى للحكومة الجديدة ، ولكنها كانت في تضائل مطرد . فاللجنة الزراعية المركزية قد وجهت نداء الى الفلاحين تدعوهم فيه لعدم الاعتراف بمرسوم الارض الصادر عن مؤتمر السوفييتات ، بحجة ان هذا المرسوم يؤدى الى الاضطراب والى الحرب الاهلية . واعلن رئيس البلدية شريدر ان الانتخابات للجمعية التأسيسية يقتضى تأجيلها الى اجل غير مسمى ، نتيجة للعصيان البلشفي .

كانت ثمة مسألتان تشغلان المقام الاول في اذهان معظم الناس الذين هزتهم فظائع الحرب الاهلية : اولا ، وقف سفك الدماء ٣ ، وثانيا تأليف حكومة جديدة . ولم يعد ثمة من يتحدث عن «القضاء على البلاشفة» ، بل قليل من كانوا يتحدثون عن استبعادهم من الحكومة ، اللهم الا الاشتراكيين الشعبيين رسوفييت نواب الفلاحين . حتى لجنة الجيش المركزية العاملة في مركز القيادة العليا والتي كانت تبرز ابدا بوصفها العدو للدود لسمولني ، بعثت ببرقية من موغيليف تقول فيها : «اذا كان لا بد من الاتفاق مع البلاشفة من اجل تشكيل وزارة جديدة ، فنحن موافقون على اعطائهم اقلية في الوزارة» .

وقد ردت «البرافدا» بسخرية على مناشدة كيرنسكى «المشاعر الانسانية»* ناشرة نداءه الموجه الى لجنة الانقاذ : «بناء على اقتراح لجنة الانقاذ وجميع المنظمات الديموقراطية الملتفة حولها ، اوقفت العمليات ضد القوات المتمردة وبعثت بالمفوض الممثل ستانكيفيتش عن القائد الاعلى للدخول في المفاوضات . اتخذوا التدابير لوقف احتمال سفك الدماء عثا ...» وبعثت الفيكلج بالبرقية التالية الى جميع انحاء روسيا : «ان مؤتمر اتحاد شغيلة السكك الحديدية لعامة روسيا

مع ممثلى الاطراف والمنظمات المتعادية ، القائلة بوجود الاتفاق ،
اذ يستنكر بصورة قاطعة ممارسة الارهاب، السياسى فى الحرب
الاهلية ، ولا سيما بين فئات معينة من الديموقراطية الثورية ،
يعلن ان ممارسة مثل هذا الارهاب باى شكل كان من قبل احد
الاطراف ضد الطرف الآخر يتناقض فى الوقت الحاضر مع جوهر
المفاوضات ذاته ومع الغاية منها ...»

وبعث المؤتمر* بوفود الى الجبهة ، والى غانشيناس . وفى
المؤتمر نفسه كان يبدو ان المسألة موشكة على الحل النهائى .
بل لقد تقرر انتخاب مجلس شعبى ينبغى ان يشترك فيه حوالى
اربعمئة عضو : ٧٥ من سمولنى ، ومقدار هذا العدد من التسيك
القديمة ، واما الباقون فمن الادارات البلدية والاتحادات المهنية
واللجان الزراعية والاحزاب السياسية . وكان يقدم تشيرنوف
لرئاسة الوزراء . وكان ثمة شائعات تقول ان لينين وتروتسكى
مستبعدان ...

قراءة الظهيرة كنت من جديد واقفا امام سمولنى اتحدث
مع سائق سيارة اسعاف على وشك الذهاب الى الجبهة الثورية .
اليس يمكننى الذهاب معه ؟ ممكن بالتأكيد ! كان هذا السائق
متطوعا ، وهو طالب . واثناء الطريق التفت الى التفاتة خفيفة
وصاح من فوق كتفه بلغة المانية جد سيئة : Also, gut! Wir
nach die Kasernen zu essen gehen! . وقد فهمت من قوله
ان ثمة ثكنة يمكن تناول طعام الفطور فيها .

* يقصد «مؤتمر الهدنة» . المهرور .

* هذه العبارة يمكن ترجمتها هكذا على وجه التقريب : «ايوه ،

ليب ! سندهب لتناول الطعام فى الثكنة» . المهرور .

وفي كيروتشنايا انعطفنا الى فناء كبير محاط بابنية شبيهة بثكنات وصعدنا على درج مظلم الى غرفة منخفضة الارتفاع ، يدخل اليها النور من نافذة واحدة . وكان ثمة قرابة عشرين جنديا جالسين حول مائدة خشبية طويلة ، يتناولون حساء الملفوف بمعالق خشبية من قدر كبيرة من الصفيح ، وهم يتحدثون باصوات عالية ويتمازحون ويتضحكون .

«مرحبا لجنة كتيبة الهندسة الاحتياطية السادسة !» ، هكذا صاح مرافقى وقدمنى في الحال للجالسين بوصفى اشتراكيا اميركيا . فهب الجميع واقفين ومدوا الى ايديهم مصافحين ، وعانقنى جندى شيخ وقبلنى بود وحرارة . وقد قدموا لى ملعقة خشبية واجلسونى حول المائدة . وجاؤوا الى الغرفة بفدر جديدة ملأى « بالكاشا » * ، وقطعة ضخمة من الخبز الاسود ، وبابريق شأى ، وهو امر لا مفر منه طبعاً . واخذ الجميع يطرحون على الاسئلة عن اميركا . هل صحيح ان الناس ، فى بلادكم الحرة ، يبيعون اصواتهم بالمال ؟ واذا صح ذلك فكيف يتوصل الشعب لتحقيق مطالبه ؟ وما هذه « التامانى » ** ؟ صحيح ان فى بلادكم الحرة فئة من بضعة اشخاص تستطيع اللعب على هواها بمدينة كاملة واستخدامها لما فيه منفعتها الشخصية ؟ وكيف يحتمل الشعب هذا ؟ مثل هذه الامور ما كانت تصادف فى روسيا حتى فى ظل القيصر ؛ صحيح ان الرشاوى كانت دائما موجودة ، اما شراء وبيع مدن بكاملها يعيش فيه جمهور الشعب ! . . . وفى بلاد حرة

* طعام روسى من الحبوب المطحونة واللحم والدهن . **المهرب** .

** « تامانى » او « تامانى هول » هو مقر قيادة الحزب الديموقراطى فى نيو يورك ، وقد اصبح مرادفا لجميع المفاسد والجرائم بمناسة الكشف فى ذلك الحين عن كثير من حالات اشتراك الزعماء الديموقراطيين فى نيو يورك فى هذه الجرائم . **المحور** .

ايضا ! أليس لدى الشعب شعور ثورى على الاطلاق ؟ وحاولت افهامهم ان الشعب عندنا يحاول تغيير وضع الامور بطرق قانونية . «طبعا - قال لى صف ضابط شاب ، كنيته باكلانوف ، يتكلم بالفرنسية . - ولكن لديكم طبقة رأسمالية جد متطورة ؟ وفى هذه الحال لا بد ان تخضع الطبقة الرأسمالية لنفسها التشريع والقضاء معاً . فكيف يمكن للشعب ان يغير هذا الوضع ؟ قد تقنعنى بصواب رأيك باعتبار انى اجهل بلادكم ، ولكن هذا ، بالنسبة لى ، امر غير معقول البتة ...»

قلت انى ذاهب الى تسارسكويه سيلو ، فاعلن باكلانوف على نحو مفاجئ : «وانا ايضا» . ثم اذا بجميع من كانوا فى الغرفة يقررون الذهاب الى تسارسكويه سيلو ، قائلين : «وانا ... وأنا ...» . وفى تلك اللحظة قرع احدهم الباب ، فانفتح وظهر فيه العقيد . فما نهض احد واقفا ، ولكن الجميع رحبوا به باصوات عالية ، وسأل العقيد : «أيمكن الدخول ؟» فاجاب الجنود بمودة : «تفضل ! تفضل !»

ودخل العقيد مبتسما ، وهو شخص طويل القامة حسن المظهر ، يعتمر قبعة من فراء الاسترخان . وقال : «يبدو ، يا رفاق ، انكم كنتم تقولون انكم ذاهبون الى تسارسكويه سيلو . ليس يمكن ان اذهب معكم ؟»

ففكر باكلانوف بعض الشيء ، ثم اجاب : «لست اعتقد ان ثمة امورا ذات اهمية خاصة هنا اليوم . هيا بنا يا رفيق . سنكون مسرورين بمرافقتك لنا» . فشكره العقيد ، وجلس وصب لنفسه كأسا من الشاي .

وشرح لى باكلانوف الوضع قائلا بصوت خفيض لكرى يجرح مشاعر العقيد : «انا رئيس اللجنة . ونحن نتولى ادارة الكتيبة بكاملها ، اما العقيد فيتولى عن طريقنا حق القيادة وقت القتال

فقط ، اذ تكون الكتيبة تحت امرته وتكون اوامره ملزمة للجميع .
ولكنه مسؤول امامنا عن كل شيء . وفي الشكناات لا يستطيع فعل
شيء بدون اذن منا ... فيمكن اعتباره مستخدما لدينا ...»

ووزعت علينا مسدسات وبنادق - «فقد نصطدم
بالقوزاق ...» - وركبنا سيارة الاسعاف آخذين معنا ثلاث حزم
كبيرة من الجرائد للجبهة . ومضت السيارة قدما في شارع ليتيني ،
ثم في شارع زاغوردني . وكان يجلس الى جانبي ملازم شاب كان على ما
يبدو يتكلم بجميع اللغات الاوروبية بدرجة واحدة من السهولة .
وقد كان عضوا في لجنة الكتيبة . وكان يؤكد بحرارة ، قائلا :
«انا لست بلشفياء . فانا من اسرة عريقة في النبالة . يمكن

القول اني ، من حيث الجوهر ، من الكاديت ...»

فقلت في دهشة : «وكيف يكون ذلك ...»

«اجل ، اجل ، انا عضو في اللجنة ! لست اخفي آرائي
السياسية ، ولكن احدا لا يكثرث لهذا ، لأن الجميع يعرفون اني
لن اعمل ابدا ضد ارادة الاكثوية ... لقد رفضت الاشتراك في
الحرب الاهلية باية صورة لاني لا اوافق على رفع السلاح على اخواني
الروس ...»

وصاح مرافقونا قائلين له مازحين وهم يربتون على كتفه :
«استفزازي ! كورنيلوفي !»

ومررنا من تمت قوس بوابة موسكو ، وهو نصب ضخيم من
الحجر الرمادي ، مغطى بالكتابات الهيرغليفية الذهبية والنسور
الامبراطورية الجليلة واسماء القياصرة ، وانطلقنا مسرعين في طريق
عريضة مستقيمة مغبرة من اول تساقط للثلج . وقد كانت تغص
برجال من الحرس الاحمر كانوا يمضون سيرا على الاقدام ، يصخبون
ويغنون ، في طريقهم الى الجبهة الثورية . وكان ثمة آخرون ،
شاحبون متسخون ، يعودون من هناك الى المدينة . وكان معظم

رجال الحرس الاحمر يبدون في ميعة الصبا . وكانت تمر ايضا نسوة يحملن المعاول ، وبعضهن يحملن البنادق واحزمة الرصاص او اشرطة الصليب الاحمر حول اذرعهن ؛ انهن نسوة الاحياء الفقيرة باوجه شاحبة ملطخة بالوحل وقد انحنت ظهورهن وارهقهن الكدح . وكانت ثمة جماعات من الجنود ، غير متوازن الخطوات ، يتمازحون بود مع رجال الحرس الاحمر . وكان ثمة بحارة ذوو ملامح قاسية ، واولاد يحملون صرر الطعام لآبائهم وامهاتهم ، وهم جميعا ، بين ذاهب وآيب ، يخوضون بعناد في وحل كثيف يغمر الجادة بعمق يبلغ عدة بوصات . وتخطينا مدافع وعربات الذخيرة ، ماضية بصخب نحو الجنوب محدثة جلبة مرتفعة . والتقينا بشاحنات تسير في كلا الاتجاهين تبرز فيها غابات من حراب المقاتلين ؛ ومن الجبهة كانت تجيء سيارات اسعاف تغص بالجرحى ، والتقينا مرة بعربة فلاحين تسير مطلقة صريها ، وعليها شاب شاحب الوجه مصطبغ بصفرة الموت وقد انطوى على بطنه المبقر يتلوى ويئن انينا رتيا . وفي الحقول ، على جانبي الطريق ، نساء وشيوخ يحفرون الخنادق وينصبون الاسلاك الشائكة . ومن الخلف ، في الشمال ، كانت الشمس تطل شاحبة من خلال فجوة راقعة في السحب . وعلى السهل المستنقى السوى كانت تشع بتروغراد . من اليمين تنتصب القباب والحراب ، بيضاء ومذهبة ومتعددة الالوان ؛ ومن اليسار ترفع المداخل العالية ، مطلقة دخانا اسود ، وخلف هذا كله تترامى السماء منخفضة فوق فنلندا . ومن جميع الجهات كانت تبدو الكنائس والاديرة ... ومن حين لآخر كان يمكن ان تقع العين على ناسك يرقب بصمت اندفاع الجيش البروليتارى ، المالى الدرب .

وفي بولكوفو تشعبت الطريق ، وتوقفت بنا السيارة هنا وسط جمع غفير كان الناس يتدفقون اليه من ثلاث جهات ويلتقى

فيه اصدقاء يتبادلون التهاني باغتباط ويصفون المعركة لبعضهم بعضا عما عانوه في المعارك . وكانت البيوت القائمة على مفترق الطرق تحمل آثار الطلقات النارية ، واما الارض فكانت موطوءة بالاقدام ومتحولة الى وحول على مسافة نصف ميل من حولها . فقد جرى في هذا المكان قتال ضار ... وعلى مقربة من ذلك المكان كانت خيول القوزاق تدور جائعة بدون فرسان تبحث عشا عن طعام : فمئذ وقت بعيد لم يبق للعشب من اثر في السهل . وتماما مقابلنا كان احد رجال الحرس الاحمر تعوزه المهارة يحاول امتطاء احد الاحصنة ، الا انه كان يسقط المرة تلو المرة ، مما يبعث المرح الطفولي لالف تقريبا من الرجال البسطاء .

كان الدرب الى اليسار ، وقد ارتد عليه من تبقى من القوزاق ، يؤدي الى ضيعة صغيرة على رأس رابية صغيرة ينبسط امامها منظر رائع لسهل شاسع رمادي ، كانه البحر الساكن ، ومن فوقه تحوم سحب ثقيلة كثيفة ؛ والمدينة الجلييلة تلفظ الآلاف من سكانها على جميع الطرقات . وبعيدا الى اليسار تقع رابية كراسنويه سيلو غير المرتفعة ، حيث كانت تقوم ساحة عرض المعسكر الصيفي للحرس الامبراطوري والمزرعة الامبراطورية . وما كان يبدل من رتابة السهول المتاخمة غير بضعة اديرة ، محاطة باسوار من الحجر ، وبضعة معامل منعزلة ، وكذلك بضعة مياتم وملاجى ، هي ابنية كبيرة ذات بساتين مهمة ...

وقد قال السائق ونحن نرتقى الهضبة الجرداء : « هنا ، منا توفيت فيرا سلوتسكايا . نعم ، نعم ، تلك ذاتها ، البلشفية وعضو الدوما . حدث ذلك في هذا اليوم ، في الصباح الباكر . كانت في سيارة مع زالكيند ورفيق آخر . وكانت الهدية قائمة ، وهم ذاهبون الى الخنادق الامامية كانوا يتحادثون ويتضحكون ، حين حدث فجأة ان شهد السيارة احدهم من القطار المصفح الذي

كان كيرنسكى نفسه مسافرا فيه ، فاطلق النار من المدفع . فاصابت القذيفة سلوتسكايا فاردتها قتيلا ...»

وهكذا بلغنا تسارسكويه سيلو ، حيث كان ابطال المفارز البروليتارية يتمشون صاخبين . واذا كان القصر ، الذى كان السوفييت يعقد فيه جلساته ، مكانا لنشاط عملى . فى الفسحة يحتشد رجال الحرس الاحمر والبحارة ، وعلى الابواب يقف الخفراء ، والرسل والمفوضون يدخلون ويخرجون بدون انقطاع . وفى قاعة السوفييت سماور يغلى ، ومن حوله يقف اكثر من خمسين عاملا وجنديا وبحارا وضابطا ، يشربون الشاي ويتحدثون بصوات عالية . وفى الزاوية عاملان يحاولان تشغيل آلة ناسخة ، وهما غير معتادين على مثل هذا العمل . وبالقرب من الطاولة ، القائمة وسط القاعة ، كان دينيكو الجسم منحنيا على الخارطة يحدد مواقع القوات بقلم احمر وازرق . وعلى عهده دائما ، كان يحمل بيده الاخرى مسدسا ضخما من الفولاذ الازرق . ثم جلس خلف آلة كاتبة واخذ يضرب عليها باصبع واحدة . وكان اذا توقف عن العمل ، ولو ثانية واحدة ، يعود فيمسك مسدسه من جديد ويدير طاحوته ادارة المولع . وكانت ثمة اريكة لدى الجدار يستلقى عليها عامل شاب ، ينحن عليه اثنان من الحرس الاحمر ، واما الآخرون فما كانوا ليعبرونه اى انتباه . كان مصابا بجرح فى صدره ؛ والدم الصافي ينبثق من ثيابه لدى كل خفقة من خفقات قلبه . كانت عيناه مغمضتين ، وقد بات وجهه الفتى الملتحي خضراويا شاحبا . وكان يتنفس ببطء ومشقة ، ويهمس لدى كل زفرة : « السلام آت ... السلام آت ...»

وتطلع دينيكو الينا ، فقال اذ رأى باكلايوف : « ها ها ! اما تريد ، يا رفيق ، الذهاب الى آمر الموقع وتولى الامور هناك ؟ انتظر ، الآن اكتب لك تفويضا . »

ومضى الى الآلة الكاتبة واخذ يضرب حرفا اثر حرف .
 وذهبت مع آمر تسارسكويه سيلو الجديد الى قصر ايكاترينا
 وقد كان باكلانوف شديد الانفعال مفعما بالشعور باهميته . وفي
 تلك القاعة البيضاء نفسها ، التي سبق لى ان كنت فيها في زيارتي
 السابقة ، وجدنا بضعة افراد من رجال الحرس الاحمر يتطلعون
 الى ما حولهم بفضول ، في حين وقف العقيد وقد تعرفت عليه
 في الماعى ، قرب النافذة يعرض شاربيه . وقد رحب بى ترحيبه
 بأخ انقطعت اخباره . وكان الفرنسى من بساراييا يجلس وراء
 طاولة قرب الباب . فقد امره البلاشفة بالبقاء هنا ومتابعة عمله .
 وقد همس لى قائلا :

« وماذا كان فى وسعى ان اعمل ؟ الناس امثالى ، فى مثل
 هذه الحرب ، لا يستطيعون ان يقاتلوا لا مع هذا الجانب ولا مع
 ذاك ، مهما يكن الاشتمزاز الغريزى الذى يشعر به حيال ديكتاتورية
 الغوغاء ... يؤسفنى فقط انى بعيد هذا البعد عن امى ، الباقية
 فى بساراييا ! »

وتسلم باكلانوف رسميا تسيير الامور من آمر الموقع
 السابق . وقال العقيد بنبرة عصبية : « هاك مفاتيح الطاولة » .
 وقاطعه احد رجال الحرس الاحمر سائلا اياه بحدة : « واين
 الاموال ؟ » فبدت على العقيد الدهشة : « الاموال ؟ الاموال ؟
 ها ها ، تتكلم عن صندوق النقود ... ها هو ذا ، على حاله كما
 استلمته منذ ثلاثة ايام . المفاتيح ؟ - قال العقيد هذا وشال
 بكتفيه . - المفاتيح ليست معى » .

فابتسم رجل الحرس الاحمر ابتسامة خبيثة ، وقال :
 « يا للشطارة ! »

وقال باكلانوف : « فلنفتح الصندوق ! هاتوا بلطة ! هاكم
 ان هنا رفيقا اميركيا . فليكسر القفل وليسجل ما فى الصندوق .

فاهويت بالبلطة ، فاذا بالصندوق الخشبي فارغ .
 وقال رجل الحرس الاحمر محنقا : « ينبغي اعتقاله . انه
 مع كيرنسكى . سرق الاموال وسلمها لكيرنسكى » .
 فما وافق باكلانوف ، واجاب قائلا : « كلا ، فقد كان
 الكورنيلوفيون موجودين هنا قبله انه غير مذنب » .
 فصاح رجل الحرس الاحمر : « اف ! اقول لك انه مع
 كيرنسكى ! فاذا كنت لا تعتقله انت ، فلسوف نعتقله نحن !
 سناخذه الى بتروغراد ونسجنه في قلعة بطرس وبولس . ان سبيله
 الى هناك ! » وايده رجال الحرس الاحمر الآخرون . ونظر العقيد
 اليها نظرة استعطاف ، واقتادوه ...
 وفي الاسفل ، مقابل مقر السوفييت ، كانت سيارة شحن
 على اهبة الذهاب الى الجبهة . وقد تسلق اليها ستة من رجال
 الحرس الاحمر وبضعة بحارة وجندى او اثنان ، كانوا بقيادة عامل
 ضخيم . وقد نادوني عارضين على الذهاب معهم . وخرج من مقر
 السوفييت رجال من الحرس الاحمر منحنيين تحت عبء قنابل
 صغيرة ، معبأة بالغروبيت ، وهو ، كما كانوا يقولون ، اقوى من
 الديناميت بعشر مرات واشد منه حساسية بخمس مرات . والقوا
 بجميع هذه القنابل في الشاحنة . وبعد ذلك قطروا بالسيارة مدفعا من
 عيار ثلاث بوصات ، وقد ربطوه بها بالحبال والاسلاك الحديدية .
 وانطلقنا مشيعين بالصيحات الصاخبة ، سائرين ، بالتأكيد
 باقصى السرعة . وكانت الشاحنة الثقيلة تتمايل من جانب لآخر ،
 والمدفع يتراقص من عجلة لآخرى ، واما قنابل الغروبيت فكانت
 تتدحرج الى الخلف والى الامام تحت اقدامنا مصطدمة اصطداما
 رنانا على جوانب السيارة .
 كان رجل الحرس الاحمر الضخم ، واسمه فلاديمير
 نيقولايفيتش يمطرني بالاسئلة عن اميركا : ولماذا دخلت اميركا

الحرب ؟ هل العمال الاميركيون على استعداد للتخلص من
الرأسماليين ؟ الى اين وصلت الآن دعوى موني * ؟ هل سيسلم
بركمان * * لسان فرانسيسكو ؟ » وهلم جرا . ولم يكن يسيرا
الجواب عن جميع هذه الاسئلة التي كانت تنطلق صياحا وسط
ضجيج السيارة ، واذ نحن نتشبه بعضنا ببعض ، ونراقص وسط
القنابل المتدحرجة .

ومن حين لآخر كانت الدوريات تحاول وقفنا . فكان الجنود
يثبون الى عرض الطريق ويصرخون ، وهم رافعون البنادق :
« قف ! »

ولكننا لم نكن نغيرهم اى انتباه . وكان رجال الحرس الاحمر
يصيحون : « اف لكم ! اترانا سنقف لكل واحد ! نحن حرس
احمر ! . » وكنا نتابع السير مزهوين ، واما فلاديمير نيقولايفيتش
فكان يواصل الصراخ فى اذنى متحدثا باشياء عن تدويل قناة بناما
وما اشبه ذلك . . .

وبعد ان اجتزنا قرابة خمسة اميال ، التقينا بجماعة من
البحارة سائرين الى تسارسكويه سيلو . فابطانا المسير .
« اين الجبهة ، يا اخوان ؟ »

فتوقف البحار السائر فى المقدمة وحك قذاله . « صباحا ،

* **توم موني** ، مناضل نشيط فى الحركة العمالية فى الولايات
المتحدة ، عامل تعدين ، حكم عليه بالاعدام بتهمة باطلة تزعم انه القى
قنبلة اثناء عرض فى سان فرانسيسكو فى ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٦ .
وتحت ضغط الاستنكار الشديد فى اوساط الشغيلة اضطر الرئيس ويلسون
للتدخل ، وعدل الحكم : فحول حكم الاعدام على توم موني الى السجن
المؤبد . ورغم ثبوت براءة توم موني ، ظل فى السجن اكثر من عشرين
عاما ، واطلق سراحه فى عهد الرئيس روزفلت .

* * **بركمان** هو احد شركاء توم موني فى الدعوى . **المحرر** .

كانت هناك ، على بعد نصف فرسخ من الطريق . اما الآن ،
 فالشيطان يعرف اين . لقد ظللنا نسير ، ونسير ، فلم نهتد اليها » .
 وتسلقوا الشاحنة ، وتابعنا المسير . واغلب الظن اننا كنا
 قد قطعنا قرابة ميل آخر حين ارهف فلاديمير نيقولايفيتش
 اذنيه فجأة ، فصاح بالسائق طالبا منه وقف السيارة . وقال :
 « طلقات نار ! اتسمعون ؟ » وحل صمت الموت لحظات ،
 ثم لعلعت من امامنا والى يسارنا ثلاث طلقات سريعة ، الواحدة
 اثر الاخرى . كان الدرب محاطا من جانبيه بغابة كثيفة . وتابعنا
 طريقنا بحذر ونحن في انفعال شديد ، والحديث بيننا يدور همسا ،
 وما توقفنا الا حين وصلت الشاحنة الى مكان يكاد يكون مواجها
 لمكان اطلاق النار . وقفزنا الى الارض ، وانتشرنا بعضنا اثر
 بعض دخلنا الغابة ، على حذر ، وايدينا مشدودة على البنادق .
 واثناء ذلك فك اثنان من الرفاق المدفع واداروه حتى اصبحت
 ماسور ، موجهة خلف ظهورنا تقريبا .
 كان يسود الغابة صمت عميق ، واوراق الاشجار ساقطة ،
 وجذوعها مصطبغة بلون رمادى اغبش تحت اشعة شمس الخريف
 الواطئة المائلة . وكان كل شيء في جمود . وما كان يسمع غير
 تهشيم الجليد تحت اقدامنا ، فوق رامات الغابة . ائمة كمين ؟ ..
 وظللنا نسير قدما من غير عائق الى ان اخذت الاشجار
 تتضاءل عدداً ، وانفتح امامنا منفسح للنور ، واذا ذلك توقفنا ،
 واذا امامنا ، في مرج صغير وسط الغابة ، ثلاثة جنود يثرون
 لا يبالون بشيء حول شعلة صغيرة .
 خطا فلاديمير نيقولايفيتش الى امام . وقال : « مرحبا ،
 يا رفاق ! » وقد بدا ان مدفعنا ، والعشرين بندقية ، والشحنة
 الكاملة من قنابل الغروبيت ، كانت جميعا معلقة على شعرة . وهب
 الجنود واقفين .

« ما هذه الطلقات النارية عندكم ؟ »

فاجاب احد الجنود ، وهو يتنفس الصعداء : « هؤلاء نحن ،
يا رفاق ، اصطدنا ارنبيين ... » .

استأنفت شاحنتنا مسيرها الى رومانوفو ، تشق عباب الهواء
المشرق الصافي . وفي اول نقطة تلاقى للطرق وثب نحونا جديان ،
ملوحين ببندقيتيهما . فباطنا مسيرنا وتوقفنا .

« اوراق المرور ، يا رفاق ! »

فاطلق رجال الحرس الاحمر صياحهم . « نحن حرس احمر .
لسنا ملزمين باية اوراق مرور ... تابع السير ، لا لزوم
لل كلام ! ... »

وهنا تدخل احد البحارة . « هذا لا يجوز ، يا رفاق . ينبغي
التمسك بالانضباط الثوري . فهكذا يمكن لاي عدو للنوره ان
يركب شاحنة ويقول : « لست ملزما باية اوراق مرور ! ... »
فالرفيقان لا يعرفاننا ... »

وبدا جدل . الا ان الجميع وافقوا شيئا فشيئا على رأى
البحار . وسحب رجال الحرس الاحمر اوراقهم المتسخة ، وهم
يدمدون . كانت جميع الاوراق الثبوتية متماثلة ، الا ورقتي
الصادرة عن الاركان الثورية فى سمولنى ، فقد كانت ذات شكل
خاص . فاعلن الخفيران ان على ان اذهب معهما . فاحتج رجال
الحرس الاحمر بشدة ، ولكن ذلك البحار الذى كان اول من تكلم
عن الانضباط ، وقف موقف التأييد للخفيين ، فقال : « نحن
نعرف ان هذا رفيق ، نعرف انه رجل مخلص ، ولكن ثمة اوامر
صادرة عن اللجنة ، وينبغى الخضوع لهذه الاوامر . ذلك هو
الانضباط الثوري ... »

وبغية عدم التسبب في اثاره المشاكل ، ترجلت من الشاحنة
واخذ اراقبها وهـ تبتعد متمائلة وراح جميع الصحاب يلوحون
لى بايديهم مودعين . وتهامس الجنديان دقيقة ، ثم سارا بى الى
جدار فاقفانى هناك . وادركت فجأة كل شيء : كنا يريدان
اعدامى رميا بالرصاص .

وتلفت حولى : ما كان ثمة ولا نسمة بشرية ، اللهم الا علامة
واحدة على وجود مسكن ، هى نفثة من دخان فوق مدخنة منزل
خشبي على بعد ميل تقريبا من الطريق . وابتعد عني الجنديان
الى الطريق . فركضت اليهما فى حالة من اليأس .

«ولكن انظرا ، ايها الرفيقان ! فهذا ختم اللجنة العسكرية
الثورية !»

فتطلعا ببلاهة الى ورقتي ، ثم نظرا احدهما الى الآخر . وقال
احدهما عابس الوجه .

«ليست مثل الاوراق التى لدى الآخرين . نحن ، يا اخ ،
لا نحسن القراءة» .

فامسكت بيده ، وقلت : «هيا نذهب الى ذاك البيت ! فثمة ،
على الأرجح من يعرف القراءة والكتابة» . وتردد الجنديان وقال
احدهما : «كلا» . ولكن الآخر نظر الى مرة اخرى ،
وقال : «ولم لا ؟ قتل البرى ايضا ليس لعبة ...»

ووصلنا باب المنزل الريفى فقرعناه . وفتحت الباب امرأة
قصيرة ممثلة الجسم وارتدت الى وراء صائحة : «لا اعرف عنهم
شيئا ! لا اعرف شيئا !»

ومد اليها احد خفريّ اذن المرور . فانطلقت تصرخ من
جديد . فقال لها احد الجنديين : «ما عليك ، يا رفيقة ، الا
ان تقرئى» . فتناولت الورقة مترددة ، وراحت تقرأ بسرعة
بصوت مسموع :

«هذه الورقة الثبوتية معطاة لممثل الاشتراكية - الديموقراطية الاميركية الاممى الرفيق جون ريد ...»

وثناء العودة الى الطريق اخذ الجنديان يتشاوران فيما بينهما من جديد . وقالا : « ينبغي لنا ان نأخذك الى لجنة الفوج » . فمضينا نسير في درب موحل في عتمة المساء الكثيفة . ومن حين لآخر كنا نلتقى بجماعات من الجنود . وقد كانوا يتوقفون ويحيطون بى فينظرون الى نظرات التهديد ويتناقلون ورقى الثبوتية من يد لأخرى ، وهم يتجادلون بعنف عما اذا كان ينبغي اعدامى رميا بالرصاص ام لا .

وكانت الظلمة قد اطبقت كليا حين وصلنا ثكنات فوج رماة سارسكويه سيلو الثانى ، وهى ابنية منخفضة طويلة ، ممتدة على طول الطريق . وشرع بضعة جنود متسكعين قرب الباب يمطرون مرافقى باسئلة ملحاحة : « جاسوس ؟ استفزازى ؟ » . وصعدنا سلما لولبيا ودخلنا قاعة واسعة جرداء وفي وسطها مدفأة كبيرة ، وعلى طول جدرانها بسطت افرشة عليها جنود يلعبون بالورق او يتحدثون او يغنون او ينامون . كان عددهم يقارب الالف . وكانت فى السقف ثغرة فتحتها مدافع كيرنسكى .

وحين ظهرت فى العتبة ساد الصمت على الفور . وراح الجميع يحدقون بى انظارهم . ثم بدأت حركة ، بطيئة اول الامر ، ثم اشد عنفا ، وانطلقت اصوات محنقة . وصاح احد مرافقى : « يا رفاق ! يا رفاق ! اللجنة ! اللجنة ! » وتوقف الجمهور والتف حولى مدمدا . وشق الطريق بين الجمهور شاب نحيل على كفه شريطة حمراء . فسأل بحدّة :

« من هذا ؟ » . وشرح مرافقى الامر . « هاتوا اوراقه ! » فقرا بانتباه والقى على نظرة متفحصة . ثم ابتسم وردّ الى اذن المرور . « يا رفاق ، هذا رفيق اميركى . انا رئيس اللجنة . اهلا

بك في فوجنا ...» وفجأة تحولت الدمدة الغاضبة الى هدير
نحيات فرحة . وتدافع الجميع الى واخذوا يصافحوني .

«لم تتناول غداءك بعد ؟ عندنا انتهى الغداء . ستذهب الى
نادى الضباط ، فثمة من يتحدث معك بلغتك ...»

واوصلني رئيس اللجنة عبر الفناء الى باب مبنى آخر . وفي
ذلك الوقت بالضبط كان قادما الى هناك شاب ارستوقراطي
المظهر يحمل شارات الملازم . فقدمني رئيس اللجنة اليه وصافحني
وانصرف . وبلغة فرنسية ممتازة ، قال الملازم :

«ستييان غيورغييفيتش موروفسكى ، في خدمتكم» .

كان يؤدى من البهو الفخم الى الطابق العلوى سلم فاخر مضاء
بثريات ساطعة . وفي الطابق الثانى تفتتح على الفسحة قاعة للبيان
وقاعة للعب الورق ومكتبة . وقد دخلنا قاعة الطعام ، حيث كان
يجلس حول مائدة طويلة في الوسط قرابة عشرين ضابطا بحلتهم
الكاملة ، متمنطقين بسيوفهم ذات المقابض الذهبية والفضية ، وعلى
ملابسهم صلبان مختلف الاوسمة الامبراطورية . وحين دخلت ، هب
الجميع واقفين بكياسة ، واجلسوني الى جانب العقيد . وقد كان
هذا رجلا على جانب كبير من المهابة ، عريض المنكبين ، اثيب
اللحية . وكان الجنود الخدم يقدمون الطعام بمهارة . وكان الجو
مماثلا تماما لما هو عليه اى ناد اوروبى للضباط . فاين
الثورة هنا ؟

وسألت موروفسكى : «انت لست بلشفيما ؟»

فابتسم الجالسون حول المائدة ، ولكنى لاحظت اثنين او
ثلاثة ينظرون الى الجنود الخدم خلسة .

وقد اجاب صديقى الجديد قائلا : «كلا . ليس في فوجنا
سوى ضابط واحد بلشفى . ولكنه الآن في بتروغراد . والعقيد من
المناشفة . والنقيب خير لوف من الكاديت . اما انا نفسى فاشتراكى-

نورى يمينى . وينبغى لى ان اقول لك ان اكثريه الضباط فى جيشنا ليست من البلاشفة . ولكنهم مثلى مؤمنون بالديموقراطية ويعتقدون ان من واجبه ان يتبع جمهور الجنود . . . »

وحين انتهى الغداء ، جىء بخرائط ، فبسطها العقيد على الطاولة . وتجمع الباقون حوله .

وقال العقيد مشيرا الى علائم مرسومة على الخارطة بقلم الرصاص : « هنا كانت مواقعنا فى الصباح . فاين مفرتك الآن ، يا فلاديمير كيريلوفيتش ؟ »

فاشار النقيب خيرلوف الى المكان . « بناء على الامر ، احتلنا مواقع على طول هذه الطريق . وقد حل كارسافين مكانى فى الساعة الخامسة . . . »

وهنا انفتح الباب ودخل قاعة الطعام رئيس لجنة الفوج يصحبه احد الجنود . فانضما الى الجماعة المحيطة بالعقيد وانحنيا على الخريطة .

وقال العقيد : « ممتاز . لقد تراجع القوزاق مسافة عشرة كيلومترات فى قطاعنا . ولست ارى ضرورة لنقل مواقعنا الى امام . واليوم ، ليلا ، ستحافظون على هذا الخط ، ايها السادة ، معززين المواقع بواسطة . . . »

فقال رئيس لجنة الفوج مقاطعا : « عفوا ، ان ثمة امرا يقضى بالتحرك قدما باسرع ما يمكن والتأهب للدخول ، غدا صباحا ، فى القتال مع القوزاق الى الشمال من غاتشينسكا . فلا بد من تحطيمهم نهائيا . ففضلوا باصدار التعليمات المقتضاة . . . »

وحل صمت قصير الابد . وعاد العقيد الى الخريطة من جديد . وقال مبدلا لهجة صوته : « حسنا . من فضلك ، يا ستيبان غيورغيفيتش . . . » وفيما كان يجرى قلمه الازرق سريعا راسما الخطوط على الخريطة ، اصدر بضعة اوامر كان يسجلها الرقيب

المختزل الواقف هناك . ثم انصرف الرقيب وعاد بعد عشر دقائق
ومعه الامر جاهزا ، مطبوعا على الآلة الكاتبة بنسختين . واخذ
رئيس اللجنة نسخة من الامر واخذ يطابقه على الخريطة . ثم قال
وهو يقف : « كل شيء على ما يرام » .

وطوى النسخة ودسها في جيبه . ثم وقع على النسخة الاساسية
وختمها بختم مدور اخرجته من جيبه وسلم الامر الموقع للعقيد . . .
اذ ذاك ادركت اين هي الثورة !

عدت بسيارة اركان الفوج الى قصر السوفييت في
تسارسكويه . كان كل شيء هنا ما يزال على حاله : جموع من
العمال والجنود والبحارة تجيء وتروح ، وكانت الباحة غاصة
بسيارات الشحن والمصفحات والمدافع ، والصيحات والضحكات ما
يزال تتعالى ، احتفالا بانتصار خارق للعادة . وشق الزحام ستة
من رجال الحرس الاحمر كان يمشى بينهم كاهن . وقيل انه الاب
ايفان نفسه الذي بارك القوزاق حين دخلوا المدينة . وقد سمعت
فيما بعد ان هذا الكاهن قد اعدم رميا بالرصاص ٤ .

وخرج دبينكو من باب مقر السوفييت ، مصدرا الاوامر
المستعجلة ذات اليمين وذات الشمال . وكان ما يزال يحمل في
يده ذلك المسدس الكبير ذاته . وكانت تقف في الفناء سيارة يدور
محركها . فجلس دبينكو لوحده على المقعد الخلفى وانطلق الى
غاتشيننا للقضاء على كيرنسكى .

وقبيل المساء وصل الى مشارف المدينة فترجل من السيارة
وتابع طريقه سيرا على قدميه . ولا احد يعرف ماذا قال دبينكو
للقوزاق ، ولكن المؤكد هو ان الجنرال كراسنوف قد استسلم مع
اركان حربه وعدة آلاف من القوزاق ، وأشار على كيرنسكى بان
يفعل الشيء نفسه ٥ .

وفيما يتعلق بكيرنسكى اورد فيما يلى مقتطفات من افادة
الجنرال كراسنوف بتاريخ ١٤ تشرين الثانى - نوفمبر (١ نوفمبر) :
« مدينة غاتشيننا ، فى ١ نوفمبر ١٩١٧ .
اليوم ، حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر استدعانى القائد
الاعلى . كان شديد التهيج وعصبيا جدا .
قال لى : « لقد خنتنى ، يا جنرال . جماعتك القوزاق يقولون
انهم سيعتقلوننى ويسلموننى للبحارة » .
« فاجبته : نعم ان الحديث يدور حول هذا ، وانا اعرف
ان لا عطف عليك فى اى مكان » .
« ولكن الضباط ايضا يقولون الشئ نفسه » .
« اجل ، ان الضباط على الخصوص مستأثرون منك » .
« فماذا علىّ ان اعمل ؟ لم يعد امامى الا الانتحار ! »
« لو انك رجل شريف لذهبت الآن الى بتروغراد حاملا راية
بيضاء وتقدمت الى اللجنة الثورية فقامت بالتفاوض بوصفك رئيسا
للحكومة » .
« اجل ، سأفعل هذا ، يا جنرال » .
« سأعطيك حرسا وسألتمس ان يذهب معك بحار » .
« كلا ، بدون بحار على الاخص . فانت تعلم ان ديبنكو هنا ؟ »
« لست اعلم من هو ديبنكو » .
« انه عدوى » .
« وما العمل ؟ ما دمت تلعب لعبة كبيرة فلا بد لك ان تحسن
تحمل المسؤولية ايضا » .
« نعم ، شرط ان اذهب ليلا فقد » .
« ولماذا ؟ سيكون هذا فرارا . سافر بهدوء وعلى المكشوف
لكى يرى الجميع انك غير هارب » .
« نعم ، حسنا . ولكن اعطنى حرسا يركن اليهم » .

« طيب » .

وخرجت فاستدعيت القوزاقى روساكوف من فوج السدون العاشر وامرته بتعيين ثمانية من القوزاق لمواكبة القائد الاعلى . وبعد نصف ساعة جاء القوزاق فقالوا ان كيرنسكى لا وجود له ، وانه قد هرب . فاعلنت الاستنفار وامرت بالبحث عنه ، مفترضا انه لم يكن قد استطاع الفرار من غاتشيننا وانه مختف فى مكان ما هنا » . هكذا هرب كيرنسكى ، لوحده ، متخفيا ، بلباس بحار . لقد هرب فخسر بذلك آخر ما تبقى له من الشعبية التى كان يتمتع بها ذات يوم لدى الجماهير الروسية .

عدت الى بتروغراد جالسا الى جانب السائق العامل فى سيارة شحن ملأى برجال الحرس الاحمر . لم يكن معنا بتروغرادى ، فما امكن اشغال المصاييح . وكان الدرب غاصا بجيش البروليتاريا العائد الى المنازل ، وبالاحتياطيين الجدد الماضين الى الجبهة لاحتلال مكانه . وفى الظلمة كانت تلوح اشباح شاحنات ضخمة من نوع شاحنتنا ، وارتال مدفعية . وعربات ، وجميعها ، على شاكلتنا ، بدون نور . وقد كنا نمضى قدما بعناد ، منعطفين بشدة تارة الى اليمين وتارة الى اليسار ، لتحاشي الاصطدامات التى بدت محتمة . فيتعالى صرير الاطارات ، تعقبه شتائم المشاة وفى الافق كانت تشع انوار العاصمة المتألقة التى لم يبق ليلا ابهى الى حد بعيد منها نهارا ، فكانها اكوام من العاس قد نثرت فوق السهل الاجرد .

كان العامل الشيخ الذى يسوق سيارتنا قد امسك عجلة القيادة بيد واحدة و اشار بالثانية بغبطة صوب العاصمة المشعة بعيدا ، ويصيح والاشعاع فى وجهه :
« انت لى ! انت الآن لى ! يا بتروغرادى ! »

الفصل العاشر

موسكو

تابعت اللجنة العسكرية الثورية انتصارها بجهد لا يعرف الكلل .

« ١٤ تشرين الثاني - نوفمبر (الاول منه) .

الى جميع لجان الجيش والفيالق والافواج ، الى جميع سوفييات نواب العمال والجنود والفلاحين .

الى الجميع ، الى الجميع ، الى الجميع .

بناء على الاتفاق الذى تم بين القوزاق واليونكر والجنود والبحارة والعمال ، تقرر احالة الكسندر فيدوروفيتش كيرنسكى الى محكمة الشعب العلنية . فنطلب اعتقال كيرنسكى وتسليمه لمحكمة الشعب . نطلب اعتقال كيرنسكى ومطالبته باسم المنظمات الالفة الذكر بان يجيء فى الحال الى بتروغراد ويسلم نفسه للقضاء .

التواقيع : قوزاق فرقة الخيالة

القوزاقية فى اوسورى ، لجنة اليونكر لمفرزة

الانصار بمنطقة بتروغراد ، ممثل الجيش الخامس .

مفوض الشعب **ديينكو**

اما لجنة الانقاذ ، ومجلس الدوما واللجنة المركزية لحزب الاشتراكيين-الثوريين ، التى كانت تزعم باعتبار كيرنسكى عضوا فيها ،

فقد اعترضت بحرارة مؤكدة ان كيرنسكى لا يحمل المسؤولية الا امام الجمعية التأسيسية .

ومساء ١٦ (٣) تشرين الثاني (نوفمبر) شهدت الفين من رجال الحرس الاحمر يسير موكبهم في شارع زاغورودنى ، تتقدمه جوقة عسكرية نعزف نشيد «المارسييز» (وكم كان وقعه متلائما مع هذه القوات !) ، والاعلام الحمراء بلون الدم تخفق فوق صفوف كثيفة من العمال الداهبين للترحيب باخونهم العائدين من جبهة الدفاع عن بتروغراد الحمراء . وقد كانوا يسرون في الدغشة الباردة ، رجالا ونساء ، والحراب الطويلة تتمايل فوقهم ، مخترقين شوارع يكاد يلوح فيها النور ، لرجة من الوحل بين جموع صامتة من البرجوازيين الحاقدين والخائفين .

كان الجميع ضدهم : رجال الاعمال ، والمضاربون ، واصحاب المداخل ، والملاكون العقاريون ، وضباط الجيش ، ورجال السياسة ، والاساتذة ، والطلاب ، واصحاب المهن الحرة ، واصحاب الحوانيت ، والموظفون ، والعملاء . وكانت الاحزاب الاشتراكية الاخرى جميعا تكره البلاشفة اشد الكراهية . والى جانب السوفييتات كانت جماهير العمال البسطاء ، والبحارة ، وجميع الجنود غير المفسدين ، والفلاحين الذين لا ارض لهم ، وكذلك حفنة ، حفنة ضئيلة ، من المثقفين .

ومن ابعد زوايا روسيا الواسعة الارزاء التي كانت تجتاحها امواج معارك الشوارع الضارية ، كان نبأ تحطيم كيرنسكى يتردد ارتداد الصدى الراعد لانتصار البروليتاريا ؛ من قازان ، وساراتوف ، ونوفغورود ، وفيينيتسا ، حيث جرت في الشوارع انهار من الدماء ، ومن موسكو ، حيث وجه البلاشفة المدفعية على المعقل الاخير للبرجوازية ، على الكرملين .
« انهم يقصفون الكرملين ! » كان هذا النبأ يتناقل في شوارع

بتروغراد من شفة لشفة بما يقرب من الهلع . وكان المسافرون القادمون من «امنا الحنون موسكو الناصعة البياض» يروون اشياء رهيبة . القتل بالالوف . شارعا تفبرسكيا وكوزنتسكى تلتهمها النيران ، كنيسة فاسيلي البار اصبحت خرابا ينثف الدخان ، كاتدرائية اوسبنسكى ذهبت شذر مذر ، بوابة سباسكى فى الكرملين تتداعى ، مجلس الدوما التهمته النيران فلم تبق منه ولم تذرا . ما من شىء سبق للبلاشفة ان فعلوه يمكن ان يقارن بهذا الانتهاك الفظيع للمقدسات فى قلب روسيا المقدسة . وقد كان يخيل للمؤمنين انهم بسمعون قصف المدافع وهى تطلق قذائفها على وجه الكنيسة الارثوذكسية مباشرة فتحيل قدس اقداس الامة الروسية الى هباء .

وفى ١٥ (٢) تشرين الثانى (نوفمبر) ، فيما كان مجلس مفوضى الشعب مجتمعا ، انفجر مفوضى الشعب للتربية والتعليم لوناتشارسكى باكيا ، وخرج مسرعا من القاعة ، وهو يصيح :
«لا استطيع احتمال هذا ! لا استطيع صبرا على هذا التخريب لكل الجمال والتقاليد ...»

وفى المساء ، ظهر فى الجرائد كتاب استقالته :
«سمعت للتو من شهود عيان عما جرى فى موسكو .
كاتدرائية فاسيلي البار وكاتدرائية اوسبنسكى يجرى تدميرهما . ويقصف الكرملين الذى يحتوى الآن على اهم كنوز بتروغراد وموسكو الفنية .
الضحايا بالالوف .

والصراع يحدثم بالغا درجة الحقد الوحشى .
فماذا سيحدث ايضا ؟ والى اين المصير ؟
لست استطيع احتمال هذا . لقد فرغ صبرى . وانى لعاجز عن وقف هذا الهول .

ليس في الوسع العمل تحت وطأة هذه الافكار التي تطير الصواب .
لهذا اقدم استقالتى من مجلس مفوضى الشعب .

وانى لادرك كل خطورة هذا القرار ، ولكن لم يعد في وسعى
الاحتمال ...»^٢

وفي ذلك اليوم بالذات سلم رجال الحرس الابيض واليونكر
الكرملين . وقد اخلى سبيلهم من غير عائق . ونصت معاهدة الصلح
على ما يلى :

« ١ - حل لجنة الامن العام .

٢ - يجرى تجريد الحرس الابيض من السلاح وتسريحه .
يحتفظ الضباط بسيوفهم . لا يبقى في مدارس اليونكر غير السلاح
الضرورى للتعليم . ويسلم كل ما تبقى من السلاح لدى اليونكر .
وتضمن اللجنة العسكرية الثورية للجميع الحرية والسلامة
الشخصية .

٣ - لحل مسألة تنفيذ نزع السلاح المنصوص عليه في
الفقرة ٢ تؤلف لجنة من ممثلى اللجنة العسكرية الثورية وهيئة
القيادة والمنظمات التي اشتركت في الوساطة .

٤ - فور التوقيع على اتفاقية الصلح يصدر الطرفان الامر
بوقف كل اطلاق للنار وكل اعمال حربية مع اتخاذ التدابير
الحاسمة لتنفيذ هذا الامر تنفيذا دقيقا في كافة الاماكن .

٥ - لدى التوقيع على الاتفاقية يطلق في الحال سراح جميع
الاسرى من الطرفين ...»

وقد كانت المدينة في قبضة البلاشفة منذ يومين قبل هذا .
وكان المواطنون المدعورون يتسللون من اقبيتهم بحشا عن
موتاهم . وكانت المتاريس ترفع من الشوارع . بيد ان الاقاول
عن تدمير موسكو لم تفتز ، وليس هذا وحسب ، بل ظلت

تتزايد ... وكانت هذه الشائعات الرهيبة بالذات هي التي حدث بنا للذهاب الى موسكو .

رغم ان بتروغراد قد مضى عليها مئتا عام وهي مقر للحكومة الروسية ، فقد ظلت في الحقيقة مدينة اصطناعية . فان موسكو هي روسيا الحقيقية ، روسيا كما كانت في الماضي وكما ستكون في المستقبل ؛ وفي موسكو سيكون في وسعنا الشعور بالموقف الحقيقي الذي يقفه الشعب الروسى من الثورة . ولقد كانت الحياة هناك اشد غليانا .

وخلال الاسبوع المنصرم ، كانت اللجنة العسكرية الثورية البنروغرافية قد استولت على محطة نيقولايفسكى بمساعدة شغيلة السكك الحديدية البسطاء وراحت تبعث الى الجنوب الشرقى بقطار حربى اثر الآخر من البحارة ورجال الحرس الاحمر . وقد سلمونا في سمولنى اذونات مرور لا يمكن لاحد بدونها ان يبرح العاصمة ... وما ان دخل القطار المحطة حتى انقض على العربات جمهور من الجنود ممزقى الملابس ، حاملين اكياسا ضخمة من المواد الغذائية ، فحطموا الابواب وكسروا زجاج النوافذ ، وتدفعوا الى جميع المقصورات والممرات ، بل لقد تسلق الكثيرون على سطوح العربات . وبشق النفس استطاع ثلاثة منا الوصول الى مقصورتنا ولكن اقبل علينا اذ ذاك قرابة عشرين جنديا ... وكان المكان مخصصا لاربعة فقط ؛ فرحنا نجادل ونطالب ، وايدنا قاطع التذاكر ، ولكن الجنود كانوا يقتصرون على الضحك . فما الذى يدعوهم للاهتمام براحة حفنة من البرجوازيين ! وابرزنا الاذونات المعطاة من سمولنى ، فاذا بالجنود يغيرون موقفهم في الحال . واذا باحدهم يصيح قائلا :

« هيا بنا نخرج من هنا ، يا رفاق ! هؤلاء رفاق اميركيون ! جاؤوا يرون الى ثورتنا من بعد ثلاثين الف فرسخ ... اكيد انهم متعبون جدا ! »

واخلى الجنود المقصورة معتدلين بكياسة وود . وبعد قليل سمعناهم يحطون باب مقصورة مجاورة يشغلها روسيان سميان حسنا الملبس كانا قد اعطيا رشوة لقاطع التذاكر .

ونحرك بنا القطار حوالى الساعة السابعة مساء . وكانت الفاطرة صغيرة ضعيفة ، وقودها من الحطب ، بالكاد نجر وراءها قطارنا الضخم الغاص بالركاب ، وغالبا ما كانت تتوقف . وكان الجمود المسافرون على السطح ، بقرعون باعقاب احديتهم ويغنون اغاني ريفية حزبة . وفي الممنى المكتظ بالناس الى درجة يستحيل معها المرور فيه ، كانت ندور طول الليل مناقشات سياسية حامية . ومن حين لآخر كان يظهر مفتش التذاكر فيسال ، بحكم العادة ، عن التذاكر . ولكن التذاكر لم يكن يحملها احد تقريبا ، الا نحن ، وهكذا كان قاطع التذاكر بظل قرابة نصف ساعة في سجار وخصام ، ثم يرفع يديه يائسا وينصرف . وكان الحو خائفا مشحونا بدخان التبغ والروائح الكريهة . ولو لم تكن النوافذ محطمة لكننا بدون شك متنا اختناقا في تلك الليلة .

وفي الصباح ، وقد تأخرنا ساعات كثيرة ، اشرفنا على ديا من الشلج . وكان البرد قارصا . وحوالى الظهر جاءت فلاحه تحمل سلة ملأى بقطع من الخبز وايناء كبيرا يحوى ما يزعم انه قهوة فاترة . ومنذ ذلك الحين حتى حلول الليل لم نعد نرى غير قطارنا المترجرج الغاص بالناس والمتوقف كل لحظة ، ومحطات نادرة كان الجمهور النهم يملأ بلمحة عين المقاصف القائمة فيها فليتهم مؤونتها الشحيحة . وفي احدى هذه المحطات رأيت نوعين وربكوف ، المفوضين المنشقين ، وقد كانا هائدين الى موسكو لتقدريم شكواهما امام سوفيتتهما * . ورأيت الى جانبهما بوخارين ،

* انظر الفصل الحادى عشر . ج . ريد .

وهو رجل قصير القامة أصهب اللحية ، له عينا رجل متزمت ويقال عنه انه « اكثر يسارية من لينين » .

ويدق الجرس للمرة الثالثة فنهرع الى القطار نشق لانفسنا الطريق عبر الممر الغاص بجمهور صاحب ... وقد كان ذلك جمهور طيب النفس الى درجة خارقة للعادة يحتمل الحرمانات بصبر مرح ، تراه ابدا منهمكا في نقاش لا نهاية له حول كل شيء في الدنيا ، من الوضع في بتروغراد حتى تنظيم النقابات الانكليزية ، وداخلا في مجادلات صاخبة مع « البرجوازيين » القلائل الذين كانوا في القطار . وقبل وصولنا الى موسكو نظمت في كل عربة تقريرا لجنة لتدبير الطعام وتوزيعه ، وكانت هذه اللجان ايضا قد انقسمت الى فئات سياسية سرعان ما دخلت في مناقشات حول المبادئ الاساسية . كانت المحطة في موسكو مقفرة تماما . وقد ذهبنا الى مكتب المفوض لتأمين بطاقات العودة ، فاذا هو ملازم عبوس في ميعة الشباب . وحين ابرزنا له اذوائنا المعطاة من سمولني احتدم غيظا وعلن انه ليس بلشفيا ، بل ممثل لجنة السلامة العامة . وكان واقعا له دلالة ان الظافرين نسوا المحطة الرئيسية اثناء الغليان العام الذي رافق الاستيلاء على المدينة ...

وما وقعت اعيننا على عجلة نستأجرها . على اننا بعد ان اجتزنا بضعة احياء عثرنا على الشخص الذي كنا ننشده . فقد كان ثمة حوذي متدثر بصورة مضحكة يغط في نومه على مقعد زحافته الضيقة . « كم تريد الى مركز المدينة ؟ »

فراح الحوذي يحك قذاله ، ثم قال :

« هيهات ، يا سادة ، ان تجدوا غرفة في فندق . ولكني آخذكم لقاء مئة روبل ... » وكان ذلك لا يكلف ، قبل الثورة ، غير روبلين ! فاخذنا نساوم ، ولكنه كان يكتفى برفع كتفيه . وقال : « في مثل هذا الوقت لا يذهب اى كان . الامر يحتاج الى شجاعة

ايضا» . ولم نوفق للحصول على تخفيض ما طلب اكثر من خمسين روبلا . وفيما كنا نمر في الشوارع الصامتة المغمورة بالثلوج ، وهى بالكاد منورة ، كان الحوذى يروى لنا مغامراته اثناء الايام الستة التى استمرت، فيها المعارك ، قائلا : «كنت اسير بزحافى او اقف بها فى زاوية . وفجأة - بم ! قذيفة ! بم ! ثانية ! تا - تا - تا ! .. رشاش ... فائنحى مسرعا ، واضرب بالسوط ، ومن حولى يزعق اولئك الشياطين . واصل الى زقاق هادى فأتوقف وأغفو . بم ! قذيفة من جديد . تا - تا - تا ... ها هم الشياطين ، حقا ، شياطين ! ..»

وفى مركز المدينة ، كانت الشوارع المتكدس فيها الثلج قد ركنت الى الهدوء الذى يرافق فترة النقاها . قليل من المصابيح ، وقليل من المشاة يهرولون على الارصفة . والريح الجليدية تهب فتنفذ الى العظام . ودخلنا اول فندق صادفناه ، وفيه شمعتان مشتعلتان .

«نعم ، طبعاً ، لدينا غرف جد مريحة ، سوى ان الزجاج فيها معطم . اذا كان السادة لا يعترضون على الهواء النقى ...» وفى شارع تفيرسكايا ، كانت واجهات المخازن محطمة ، والبجادة المبلطة مبعثرة الحجارة ، وغالبا ما كانت تصادف حفر من امر القذائف . وقد ظللنا ننتقل من فندق لآخر ، ولكن منها ما كانت غاصة بالنزلاء ومنها ما كان اصحابها الخائفون يرددون قولا واحدا : «لا توجد غرف ! لا توجد غرف ! ..» وفى الشوارع الرئيسية ، حيث تتمركز البنوك والبيوتات التجارية الضخمة ، كانت ترى الآثار الفاعرة الناجمة عن فعل مدفعية البلاشفة . وقد قال لى احد الموظفين السوفييتيين : «حين لم يكن يتاح لنا ان نحدد بالضبط اين رجال اليونكر والحرس الابيض ، كنا نوجه نيراننا رأسا الى دفاتر شيكاتهم» .

واخيرا انزلونا في فندق «ناسيونال» الضخم (فقد كنا على كل حال اجانب ، وكانت اللجنة العسكرية النورية فد وعدت بحماية مساكن الاجانب) . وقد ارانا صاحب الفندق ، في الطابق العلوى ، نوافذ محطمة بالمتفجرات . وراح يصيح وهو يهز قبضتيه منذرا البلاشفة المتخيلين له : « بهائم ! طيب ، انتظروا ! سيأتى يوم الحساب ! بعد بضعة ايام ستذهب حكومتهم المضحكة الى الشيطان ! واذا ذاك سنريكم ! .. »

وتناولنا طعام العشاء في مطعم يقدم اطعمة من الخضار جذاب الاسم : «انسا لا آكل احدا» . وقد علقت على جدرانها صور تولستوى . وبعد العشاء خرجنا نتجول في الشوارع .

كان سوفيييت موسكو قد اتخذ قصر المحافظ السابق مقرا له فى بناية بيضاء مهيبة تشرف على ساحة سكوبيليف . وكان ينولى الحراسة على المدخل افراد من الحرس الاحمر . وصعدنا سلما عريضا فخما الصقت على جدرانها اعلانات عن اجتماعات اللجان ، ونداءات من الاحزاب السياسية ، واجتزنا جملة من قاعات الاستقبال الضخمة مزدانة بلوحات ذات اطر ذهبية مغطاة بالاحمر ، ودخلنا صالة رائعة للاحتفالات فيها ثريات فخمة من الكريستال ، وحواشيها مذهبة . وكانت تملأ المكان احاديث خافتة صادرة عن اصوات كثيرة وطققة عدة ماكنات خياطة . وعلى الارض وفوق الطاولات كانت مفروشة قطع طويلة من الاقمشة الحمراء والسوداء ، وقراية خمسين امرأة منصرفات الى قص وخياطة اشرطة واعلام لتشييع ضحايا الثورة . وكانت وجوه هؤلاء النسوة قد نغضت وقست ملامحها فى صراع شديد من اجل الحياة . وقد كن يشتغلن حزينات صارمات ، وكثيرات منهن تغرورق فى عيونهن الدموع ... فقد كانت خسائر الحرس الاحمر فادحة ... وخلف مكتب فى الزاوية كان يجلس روغوف ، وهو رجل

ذكرى الوجه ، على عينيه نظارتان ، يرتدى قميصا اسود من قمصان العمال . وقد دعانا للاشتراك مع اعضاء اللجنة التنفيذية في موكب الجنازة المعين موعده في صباح اليوم التالي . وقد قال بصوت منفعل :

« المناشفة والاشتراكيون-الشيوريون لا يتعظون بشيء ! لقد باتت المساومة عادة مألوفة لديهم ... تصوروا انهم اقترحوا علينا تنظيم موكب الجنازة بالاشتراك مع اليونكر ... ! »
ومر في القاعة رجل يرتدى معطفا عسكريا مهترنا وعلى رأسه قبعة . وبدأ لي ان وجهه معروف لدى : وكان ذلك ملنيتشانسكي الذي اتفق لي ان التقيت به في بايون (بولاية نيو جيرسي) اثناء الاضراب المشهور الذي جرى في مؤسسات شركة « ستاندارد اويل » . وقد كان في ذلك الوقت ساعاتيا يحمل اسم جورج ميلتشير . واما الآن فقد اخبرني انه سكرتير نقابة المعدنين في موسكو ، ومفوض اللجنة العسكرية الثورية اثناء المعارك . وقد صاح وهو يشير الى ملابسه الرثة :

« هاك ، تأمل ! حين استولى اليونكر على الكرملين للمرة الاولى كنت هناك مع فتيانا . وقد القوا بي الى القبو ونزعوا مني المعطف والنقود والساعة ، حتى الخاتم نزعوه من اصبعي . هاك ما انا مضطر لارتدائه الآن ... ! »

وقد روى لي الكثير من تفاصيل المعركة الدامية التي استمرت ستة ايام وشطرت موسكو شطرين . كان مجلس الدوما في موسكو ، خلافا لدوما بتروغراد ، استلم مباشرة قيادة اليونكر والحرس الابيض وكان رئيس البلدية رودنييف ورئيس الدوما مينور يقودان نشاط لجنة السلامة العامة والقوات المسلحة . وكان حاكم المدينة العسكري ريباتسيف ديموقراطي النزعة وقد تردد في الوقوف بوجه اللجنة العسكرية الثورية . وقد ارغمه الدوما بالذات على الدخول

في هذا الصراع . وكان رئيس البلدية هو الذى الح على الاستيلاء على الكرملين . فقد كان يقول : «حين ستكون في الكرملين ، لن يجسر البلاشفة على اطلاق النار عليك» .

وكان الطرفان المتصارعان كلاهما يسعيان لأن يجتذبا الى جانبهما فوجا من الحامية كانت قد ثبتت عزيمته تماما من جراء البقاء وقتا طويلا دون فعالية . وقد عقد هذا الفوج اجتماعا عاما درس فيه الحالة . وفي نهاية الامر قرر الجنود البقاء على الحياد ومتابعة نشاطهم السابق ، اى المتاجرة بحجارة القذاحات وبزر عباد الشمس .

وروى ملنيشانسكى قائلا : «ولكن كان اسوأ شيء اننا كنا مضطرين لتنظيم قواتنا وقت القتال . وقد كان الاعداء يعرفون جيدا ما يبتغون ، اما من جهتنا فقد كان لدى الجنود سوفيتهم ولدى العمال سوفيتهم ... وبدأت محادثات رهيبة حول مسألة من ينبغي أن يكون القائد الاعلى . وقد ظلت بعض الافواج تعقد الاجتماعات العامة عدة ايام قبل ان يتقرر لديها ما ينبغي لها ان تعمل . وحين قرر الضباط فجأة الانصراف عنا ، بتنا بدون اركان حرب ...»

وقد رسم لى كثيرا من الصور الحية الصغيرة . مرة ، واليوم كالح بارد ، كان يقف في ناصية شارع نيكيتسكايا الذى كانت تنهال عليه نيران الرشاشات . وهناك بالذات كان تحتشد عصابة من صبية الشوارع ، وهم عادة يمارسون بيع الصحف . وقد ابتكرو لعبة لهم : اذ كانوا ينتظرون لحظة يهدأ تبادل اطلاق النار بعض الشيء ، فيأخذون بالركض عبر الشارع جيئة وذهابا . وكانت العصابة كلها جد متهيجة ومأخوذة باللعبة . وقد قتل منهم الكثيرون وظل الباقيون يتراكمون من رصيف الى رصيف ، متحدين بعضهم بعضا .

وفي ساعة متأخرة من المساء ذهبت الى منتدى النبلاء ، حيث كان بلاشفة موسكو قد اجتمعوا لبحث تقارير نوغين وريكوف وغيرهما ، الذين انسحبوا من مجلس مفوضي الشعب .

كان الاجتماع منعقدا في قاعة المسرح التي كان الهواة يقدمون فيها الكوميديات الفرنسية ، ايام العهد السابق ، امام جمهور مؤلف من الضباط والسيدات الفاتنات .

كانت القاعة اول الامر ملىء بالمشقفين فقط : فقد كانوا يسكنون بالقرب من مركز المدينة . وتكلم نوغين ، فكانت اكثرية المستمعين الى جانبه كليا . واخذ العمال يفدون في وقت جد متأخر : فقد كانوا يسكنون في اطراف المدينة ، وكانت عربات الترام متوقفة في ذلك اليوم . ولكنهم كانوا ، حوالى منتصف الليل ، قد اخذوا يصعدون السلم جماعات جماعات تتراوح اعدادها بين العشرة والاثني عشرة شخصا . وكان هؤلاء اناسا جساما اشداء غلاظ الملابس ، قادمون لتوهم من خطوط القتال . وقد ظلوا اسبوعا كاملا يقاثلون قتال الشياطين ، وهم يرون رفاقهم يتساقطون حولهم قتلى .

وما ان اعلن افتتاح الجلسة رسميا حتى انهال على نوغين وابل من السخريات والصيحات الغاضبة . وعبثا حاول توضيح موقفه وتبريره ، فما كانوا يريدون الاستماع اليه . لقد ترك مجلس مفوضي الشعب وفر من مركزه في معمعان المعركة ! . . اما الصحافة البرجوازية فكانت هنا ، في موسكو ، قد زالت من الوجود . حتى مجلس الدوما البلدي كان قد حل . وصعد المنبر بوخارين ، مغیظا لاذعا ، وراح صوته يقذف بالضربة تلو الضربة . وكان المجتمعون يستمعون اليه باعين متوقدة . وجمع القرار القاضي بتأييد نشاط مجلس مفوضي الشعب

الاثرية الساحقة من الاصوات . وهكذا قالت موسكو كلمتها ... ٤,٣ .

وفي ساعة متأخرة من الليل مضينا في الشوارع المقفرة ومررنا من بوابة معبد اييريا الى الساحة الحمراء الواسعة ، الى الكرملين . وفي العتمة ، كانت تبدو على نحو غير جلي الملامح العجيبة الرائعة للقباب ذات الالوان المتألقة والاشكال اللولبية والحرشفية ، المنتصبة فوق كنيسة فاسيلي البار ، وما كان يوجد اى اثر للتدمير . وعلى طول احد جوانب الساحة كانت ابراج الكرملين المعتمة واسواره تنتصب في الفضاء . وفوق السور العالي كانت تتوهج انعكاسات حمراء من نيران غير مرئية . وكانت تصل الى مسامعنا عبر الساحة الواسعة اصوات وطرقات معاول ومجارف . واجتزنا الساحة .

على سفح الاسوار كانت تتكدس جبال من الاتربة والحجارة . وتسلقنا الى القمة ونظرنا الى تحت فاذا بنا نرى حفرتين كبيرتين عمق الواحدة منهما ١٠ الى ١٥ قدما وعرضها خمسون ياردة* ، وهناك يشتغل بالمجارف مئات من العمال والجنود على نور نيران كبيرة .

وشرع طالب شاب يتحدث معنا بالالمانية ، فقال : « هذا مدفن مشرك . غدا سنوارى هنا خمسمئة بروليتارى استشهدوا في سبيل الثورة » .

وانزلنا الى الحفرة . كانت المعاول والمجارف تشتغل بسرعة محمومة ، وجبل التراب ينعالى ويتعالى . والجميع فى صمت . والسماء فوق الرؤوس عامرة بالنجوم ، والسور القديم ، سور الكرملين القيصرى ، يشمخ صعدا .

* القدم ٣٠,٥ سم ، والياردة ١١,٥ سم . المحرو .

وقال الطالب : « هنا ، في هذا المكان المقدس ، اقدس مكان في روسيا ، سندفن جماعتنا المقدسين . هنا ، حيث يقوم مدفن القياصرة ، سيرقد قيصرنا - الشعب ... » كان ساعده معصوبا بضماد ، وقد اصابته رصاصة اثناء معارك الشوارع . وراح الطالب يتطلع الى ساعده الجريح ، ثم اردف يقول : « انتم الاجانب تزددروننا ، نحن الروس ، لاننا ظللنا كل هذا الوقت الطويل نتحمل ملكية القرون الوسطى . ولكننا كنا نرى ان القيصر لم يكن الطاغية الوحيد في العالم ؛ فالرأسمالية اشد سوءا ، فهي تتحكم بالعالم كله تحكم امبراطور حقيقي ... ما من تكتيك ثورى افضل من التكتيك الروسى ... »

وحين انصرفنا اخذ العمال يخرجون ببطء من الحفرة وقد اشتد بهم التعب وابتلت اجسامهم بالعرق برغم الصقيع . وكان جمع داكن من الرجال يجتاز الساحة الحمراء مسرعا لحلول محلهم . وقد قفزوا الى الحفرة متناولين المجارف ، وشرعوا يحفرون ويحفرون ويحفرون ، دون ان يفوهوا بكلمة ...

وهكذا ظل المتطوعون من الشعب ، طول هذه الليالي الطويلة ، يحل بعضهم محل بعض ، غير متوقفين دقيقة واحدة عن عملهم المستعجل ، وانتشر نور الصباح البارد ، في الساحة الواسعة المغمورة بالثلج ، على حفرتين فاغرتين سمرابين جاهزتين تماما لمدفن التآخى .

نهضنا قبل شروق الشمس واسرعنا في الشوارع المعتمدة الى ساحة سكوبيليف . وما كان المرء يرى نسمة بشرية في كل المدينة الضخمة . ولكن صوت جلبة خافتة كان يصل الى المسامع من جميع الجهات ، من بعيد ومن قريب ، كأنما هى بداية اعصار . وفي الغبش الشاحب ، غبش الصباح المبكر ، كان يحتشد امام مقر السوفييت جمع صغير من الرجال والنساء يحملون

حزمة كاملة من الاعلام الحمراء عليها كتابات ذهبية ، هى اعلام اللجنة التنفيذية لسوفييت موسكو . واشرق النهار ... وراح الضجة المتحركة الخافتة المسموعة من بعيد تشتد وبعدو اعلى فاعلى ، متحولة الى هدير . كانت المدينة بهب من رفاها . ومضيئا منحدرين فى شارع تفبرسكايا ترفرف فوقها اعلام خفاقة . وكانت الكنائس الصغيرة التى اتفق لنا المرور امامها مغلقة ، وداخلها معتم . وكانت مغلقة ايضا كنيسة عدراء ايبيربا التى يزورها القياصرة قبل التوجه الى الكرملين من اجل التوج فيه والى كانت نطل عادة مفتوحة للجمهور طيلة الاربع والعشرين ساعة ، ننعكس فيها اضواء شموع المؤمنين على الايقونات الذهبية والفضية والمرصعة بالجواهر . ويقال الآن ان هذه هى المرة الاولى التى تطفأ فيها الشموع منذ غزو نابوليون لموسكو . كانت الكنيسة الارثوذكسية المقدسة قد نزعت بركتها عن موسكو ، عن جحر الافاعى الكفرة هذا الذى نجاسر على قصف الكرملين . فكانت الكنائس محاطة بالظلمة ، صامتة باردة ، ولم يبق للكهنة اى . فليس ثمة كهنة للجنازات الحمراء ، ولن يجرى تقديم سر القربان ، ولن تقام اية صلوات على اضرحة المجدفين . وعما قريب سيعلن مطران موسكو نيقون الحرم على السوفييتات . وكانت المخازن ايضا مغلقة ، وممثلو الطبقات المالكة لارموا مساكنهم ولكن لدواع اخرى . فقد كان ذلك اليوم يوم الشعب ، وكانت الاقاويل عن مقدمه تهدر كالموجة العاتية .

وعبر بوابة معبد ايبيريا كان يجرى سيل من الناس ، واما الشعب فكان قد ملأ الساحة الحمراء الرحبة بالالوف . وقد لاحظت ان الناس وهم يمرون امام معبد ايبيريا لم يكن احد منهم يرسم شارة الصليب ، مثلما كان يجرى من قبل ...

وشققنا الطريق لانفسنا عبر الجموع الكثيفة المزدحمة قرب

اسوار الكرملين ووقفنا فوق قمة احد الجبال الترابية . وكان يقف هنا بضعة اشخاص ، وفي عدادهم الجندي مورالوف ، المنتخب حاكما عسكريا على موسكو ، وهو رجل طويل القامة ذو لحية ، انيس النظرة بسيط الوجه .

كانت جموع ضخمة من الناس تتدفق من جميع الشوارع على الساحة الحمراء . وكان ثمة الوف والوف من الخلائق ، وقد ارهقهم الكدح والفقر . وجاءت جوقة عسكرية تعزف «الانترناسيونال» (النشيد الاممي) ، فاذا الجمهور كله يردد النشيد عفويا فيغمر الساحة ببطء ومهابة كأنه موج البحر . ومن فتحات سور الكرملين كانت مسدلة حتى الارض اعلام حمراء ضخمة عليها كتابات بيضاء وذهبية : «الى شهداء طليعة الثورة الاشتراكية العالمية» ، «عاشت الاخوة بين عمال العالم اجمع !» كانت تهب على الساحة ريح شديدة تنشر الاعلام . واذ ذاك كان قد اخذ يقبل عمال المعامل والمصانع القائمة في الاحياء البعيدة من المدينة ؛ وقد كانوا يحملون الى هنا قتلاهم . وكان في وسع المرء ان يرى كيف يمرّون من البوابة تحت اعلام خفاقة ، حاملين ثوابيت حمراء ، بلون الدم . وكانت هذه صناديق خرقاء من اخشاب غير مصقولة مدهونة بصباغ احمر ، يحملها عاليا على الاكتاف اناس بسطاء تغمر وجوههم الدموع . وخلف الثوابيت كانت تسير نسوة نائحات باصوات عالية او صامتات ، وقد تحجرن وبثن في صفرة الموت ؛ وكانت بعض الثوابيت مكشوفة ، وغطينها محمولة وراءها . وكانت ثمة ثوابيت اخرى مغطاة باقمشة من الدياتاج موشاة بالذهب او الفضة ، او مسمرة على غطائها قبعة جندي . وكانت ثمة اكليل كثيرة من الزهور الاصطناعية ...

كان الموكب يتحرك نحونا ببطء عبر ممر متعرج ينفتح

امامه ثم ينطبق من جديد . والآن يجرى تحت البوابة سيل لا نهاية له من الاعلام من جميع تفرعات اللون الاحمر ، عليها كتابات ذهبية وفضية ، معصوبة في اعلاها بالسواد . كما كانت ثمة بضعة اعلام فوضوية ، سوداء مكتوب عليها بالابيض . وكانت الجوقة تعرف نشيدا مأتميا ثوريا ، وكل الحشد الضخم الواقف حاسر الرؤوس ، يردد هذا النشيد . وغالبا ما كان النشيد الحزين يقطع بالنواح ...

وبين عمال المصانع كانت تسير مفارز من الجنود ، حاملين هم ايضا تواييت ترافقها حراسة عسكرية مؤلفة من كواكب من الخيالة وبطاريات من المدفعية جللت مدافعها بالقماش الاحمر والاسود ، وكانما هي مجللة الى الابد . وكان مكتوبا على اعلام الوحدات العسكرية : « عاشت الاممية الثالثة ! » او « نطالب بصلح ديموقراطي عادل شامل ! » ووصل موكب الجنازة الى المدفن شيئا فشيئا ، وراح حملة التواييت ينزلونها الى الحفرة . وكان الكثير منهم نسوة متينات البنية ، بروليتاريات جسيمات . ووراء التواييت كانت تسير نساء اخريات ، شابات قتلهن الحزن والاسى ، او عجائز تملأ التجاعيد وجوههن ، يصرخن صراخ حيوانات جريحة . وقد كانت الكثيرات منهن يلقين بانفسهن الى الضريح خلف ابنائهن او ازواجهن ، ويصحن صياحا رهيبا حين تمسك بهن الايدي المشفقة . هكذا يحب الفقراء بعضهم بعضا ... ظل موكب الجنازة هذا يسير طول النهار حتى المساء . كان يدخل الساحة عن طريق بوابة معبد ايبيريا ويبرحها عن طريق شارع نيقولسكيا ، سبلا من الاعلام الحمراء تحمل كلمات الامل والاخاء والتنبؤات الجريئة . وكانت هذه الاعلام نخفق على مهاد جمهور من خمسين الفا ، واليها يتطلع شغيلة العالم اجمع واحفادهم من الآن والى الابد .

الفصل السابع

الجبهة الثورية

السبت ، ١٠ تشرين الثاني - نوفمبر (٢٨ تشرين الاول -
اكتوبر) ...

«ايها المواطنون !

تعلن اللجنة العسكرية الثورية انها لن تتغاضى عن اية
انتهاكات للنظام الثورى ...

فالسراقات واعمال النهب والسطو ومحاولات القيام بالمذابح
سيعاقب عليها عقابا شديدا ...

واقْتداء بكمونة باريس ستسحق اللجنة دون رحمة من
يقومون باعمال السلب ويخلون بالنظام ...»

كانت المدينة فى هدوء : فلا اعمال اخلال بالنظام ، ولا اعمال
سلب ، بل ولا حوادث شجار ناجمة عن السكر . وفى الشوارع
الساكنة كانت الدوريات المسلحة تجوب ليلا ، اما فى نقاط تلاقى
الشوارع فكان يتولى المناوبة جنود ورجال حرس احمر يضحكون
ويغنون حول شعلات النار . وفى النهار كانت تحتشد على الارصفة
جموع كبيرة متسمعة الى المناقشات الحارة التى لا نهاية لها بين
الطلبة والجنود ، وبين التجار والعمال .

وكان المواطنون يستوقفون بعضهم بعضا فى الشوارع .

«هل القوزاق قادمون ؟»

«كلا ...»

«ما الاخبار ؟»

الفصل الحادى عشر

الاستيلاء على السلطة^١

«بيان حقوق شعوب روسيا»^٢

... لقد اعلن مؤتمر السوفييتات المنعقد في حزيران (يونيو) من السنة الحالية ، حق شعوب روسيا في تقرير مصيرها بحرية .

ان المؤتمر الثانى للسوفييتات المنعقد في تشرين الاول (اكتوبر) من هذه السنة قد أكد هذا الحق الملازم لشعوب روسيا ، تأكيدا اكثر حزما ووضوحا .

وتنفيدا لارادة هذين المؤتمرين ، قرر مجلس مفوضى الشعب ان يجعل المبادئ التالية اساسا لنشاطه فيما يتعلق بقضية القوميات في روسيا :

- ١ - حق المساواة والسيادة لشعوب روسيا .
- ٢ - حق شعوب روسيا في تقرير مصيرها بحرية حتى الانفصال وتشكيل دولة مستقلة .
- ٣ - الغاء مختلف انواع الامتيازات والتقييدات القومية والدينية .
- ٤ - حرية تطوّر الأقليات القومية والفئات العنصرية القاطنة في روسيا .

اما المراسيم المتعلقة بذلك والناجمة عنها مستحق ذكره ،
فسيجرى تحريرها فور تشكيل اللجنة الخاصة بشؤون القوميات .

باسم الجمهورية الروسية

اوليانوف (لينين) رئيس مجلس مفوضى الشعب

يوسف جوغاشفيلي (ستالين) مفوض الشعب لشؤون القوميات » .

ورأسا اعلن مجلس الرادا المركزى فى كييف ، استقلال
جمهورية اوكرانيا ، كما حذت حذوه حكومة فنلندا عن طريق
مجلس الشيوخ فى هلسنكى . وانبثقت «حكومات» مستقلة فى
سيبيريا والقفقاس . وفى بولونيا ، اسرعت اللجنة العسكرية
العليا ، باستدعاء القوات البولونية العاملة فى الجيش الروسى ،
والغت لجانها وفرضت عليها نظاما حديديا ...

كان يجمع بين هذه «الحكومات» و«الحركات» ميزتان
مشتركتان : لقد كانت خاضعة لسيطرة الطبقات المالكة ، وكانت
سخرى البلشفية وتكرها ...

وفى وسط كل هذه الفوضى والتغيرات المذهلة ، كان مجلس
مفوضى الشعب ، يعمل بثبات على تشييد دعائم النظام الاشتراكى .
اصدر المراسيم المتعلقة بالضمان الاجتماعى ، والرقابة العمالية ،
وانظمة اللجان الزراعية فى الاقضية ، والغاء الرتب والالقاب ، والغاء
نظام القضاء القديم وانشاء المحاكم الشعبية ... ٣

وراح الجيش تلو الجيش ، والاسطول تلو الاسطول ،
يرسل الوفود «لتحىي بغبطة حكومة الشعب الجديدة» .

وذات يوم ، رأيت مقابل سمولنى فوجا فى حالة لا يحسد عليها ،
قدم لتوه من الخنادق . كان الجنود مصطفىين امام البوابات
الكبيرة ، نحيلين مغبرى الوجوه ، ينظرون الى البناية وكأن
الله قد حل فيها . وكان البعض يشير الى النور الامبراطورية

الموجودة فوق الباب ويقهقه ضاحكا ... وفي هذه الاثناء جاءت فصيلة من رجال الحرس الاحمر لياخذوا دورهم في الحراسة . والتفت الجنود كلهم بفضول نحوهم ، اذ انهم قد سمعوا عنهم دون ان يشاهدوهم قط . واخذوا يضحكون بطيبة ويغادرون الصفوف ليربتوا على ظهور رجال الحرس الاحمر ، مطلقيين ملاحظات مزجت بالمزاح والاعجاب ...

لم تعد الحكومة الموقتة موجودة . وفي الخامس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) توقف الكهنة عن الصلاة من اجلها في جميع كنائس العاصمة . ولكن ، كما قال لينين نفسه في التسليك ، « ليس هذا سوى بداية الاستيلاء على السلطة » . ان المعارضة قد جردت من السلاح ، الا انها ما زالت تهيمن على حياة البلد الاقتصادية ، فقررت ان تخلق القوضى مستعينة بكل عبقرية الروس للعمل التعاوني - لتعرقل السوفييتات وتعطل عملها وتنزع الثقة عنها .

كان اضراب موظفي الحكومة منظما تنظيما حسنا ، تموله المؤسسات المصرفية والتجارية وكانت كل خطوة يقوم بها البلاشفة للاستيلاء على الجهاز الحكومي ، تلقى المقاومة . ذهب تروتسكى الى وزارة الشؤون الخارجية ، فرفض الموظفون الاعتراف به واعتصموا ضمن مكاتبهم ، وعندما خلعت الابواب قدموا استقالاتهم . وطلب تسليمه مفاتيح المحفوظات ، ولم يحصل عليها الا بعد ان جلب عمالا ليحطموا الاقفال . عندها تبين ان نيراتوف ، المساعد السابق لوزير الخارجية ، قد اختفى حاملا معه المعاهدات السرية ...

حاول شليابينيكوف ان يضع يده على وزارة العمل . كان البرد قارسا ولم يجد احدا هناك ليشعل النار . ومن مئات الموظفين الحاضرين ، لم يجد موظفا واحدا ليدله على مكتب الوزير ...

الكسندرا كولونتاي ، التي عيّنت في ١٣ من تشرين الثاني (نوفمبر) - ٣١ تشرين الاول - اكتوبر - مفوضة الشعب للتأمين الاجتماعي - المؤسسة المسؤولة عن الاعمال الخيرية والمؤسسات العامة - فقد استقبلها موظفو وزارتها باضراب شمل الجميع ما عدا اربعين موظفا فقط . وسرعان ما عمت الحاجة الملحة فقراء المدن الكبرى والمقيمين في الملاجئ والمؤسسات الخيرية ، فاخذت وفود الكسيحبن الجياع والايتام ذوى الوجوه المزرقّة والهزيلة ، تحاصر البناية . فأموت كولونتاي والدموع تنهمر من عينيها ، باعتقال المضربين حتى يسلموها مفاتيح المكنب والخزينة ؛ وعندما حصلت على المفاتيح ، اكتشف ان الوزيرة السابقة الكونيسة بانينا ، هربت حاملة معها المال كله وكانت ترفض تسليمه الاّ بأمر من الجمعية التأسيسية٤ .

جرت حوادث مماثلة في وزارات الزراعة والتموين والمالية . فالموظفون الذين وجهت اليهم الانذارات للعودة الى اعمالهم تحت طائلة خسارة مراكزهم وتقاعدهم ، فان قسما منهم لم يرد عليها والذين عادوا فقد عادوا فقط لممارسة التخريب ... ولما كان المتقفون في معظمهم معادين للبلاشفة فقد كان مستحيلا على الحكومة السوفييتية الحاق موظفين جدد ...

وطلت المصارف الخاصة مقفلة ابوابها بعناد ، فاتحة ابوابها الخلفية للمضاربين . ولدى دخول مفوضى البلاشفة هذه المصارف ، كان الموظفون يغادرونها مخبئين السجلات وناقلين معهم المال . لقد لجأ جميع موظفي مصرف الدولة الى الاضراب ، باستثناء اولئك المسؤولين عن الخزنة وعن سك النقود الذين رفضوا تلبية اى مطلب لسمولنى ، في حين انهم كانوا يدفعون بصفة خاصة المبالغ الضخمة ، للجنة الانقاذ وللدوما البلدى .

ومرتان جاء الى المصرف مفوض ، مصطحبا معه سرية من الحرس الاحمر ليصر على استلام مبالغ ضخمة لنفقات الحكومة . وفى المرة الاولى ، كان اعضاء الدوما البلدى وقادة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين موجودين بعدد هائل ، وقد تكلموا عن عواقب هذا العمل الوخيمة بصورة خوفت المفوض فذهب . وفى المرة الثانية جاء المفوض ومعه أمر اخذ يتلوه على مسمع من الجميع ، الا ان احدهم لفت انتباهه الى واقع ان الامر لا يحمل تاريخا ولا ختما ، فأجبره الاحترام الروسى التقليدى «للوائق» على الانسحاب ...

وأُتلف موظفو مكتب الاعتمادات العامة جميع سجلاتهم ، وفقدت بذلك جميع الوثائق عن العلاقات المالية بين روسيا والبلدان الاجنبية .

اما لجان التموين ، والادارات المسؤولة عن المنافع العامة العائدة للبلدية ، فكانت متوقفة عن العمل او هى موضع تخريب . ولما حاول البلاشفة مساعدة مؤسسات الخدمات العامة او ادارتها ، تدفعهم الى ذلك الحاجات الملحة لسكان المدن ، اضرب الموظفون حالا واغرق الدوما روسبا بأسرها بالبرقيات عن «خرق البلاشفة لحرمة الحكم الدائى البلدى» .

فى مقر قيادات الاركان وفى مكاتب وزارنى الحربية والبحرية ، حيث وافق الموظفون القداماء على العمل كانت لجان الجيش والقيادة العليا تعرقل عمل السوفييت بكافة الوسائل الممكنة ، حتى ولو كانت اعمالها هذه تنعكس على حالة القوات فى الجبهة . كانت الفيكيجل معادية ، ترفض نقل القوات السوفييتية . وكان كل قطار من قطارات نقل الجنود التى كانت تغادر بتروغراد ، يشق طريقا له بالقوة ، وكان من الضرورى اعتقال موظفى سكك الحديد فى كل مرة . واذا ذاك تلجأ الفيكيجل الى التهديد بالاضراب العام الفورى اذا لم يفرج عنهم ...

لقد كانت سمولنى عاجزة تماما . وكانت صحف بتروغراد تردد ان كافة المصانع ستتوقف عن العمل خلال ثلاثة اسابيع لعدم توفر المحروقات ؛ واعلنت الفيكجل انها ستتوقف حركة القطارات ابتداء من ١ كانون الاول (ديسمبر) . والغداء الموجود في بتروغراد يكفيها لثلاثة ايام ، والامدادات قد انقطعت . وعلى الجبهة كان الجيش جائعا ... لقد ارسلت لجنة الانقاذ واللجان المركزية المختلفة التنبيهات الى جميع انحاء البلاد مناشدة المواطنين فيها بان يتجاهلوا مراسيم الحكومة . وكان سفراء دول الحلفاء ، بعضهم غير مال برودة والبعض الآخر معاديا علنا ...

وكانت صحف المعارضة تحتجب يوما ونظير يوما آخر باسماء حديده ، مهاجمة النظام الجديد بوابل من السخرية الحادة . وحتى صحيفة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») وصفت النظام بانه «خليط من الديماغوجية والعجز» . «يوما بعد يوم - كتبت نقول - تخطط حكومة مفوضي الشعب اكثر فاكثر في دوامة الضروريات اليومية الملغونة . ان البلاشفة وقد استولوا على السلطة بسهولة ، يعجزون عمليا عن تسييرها .

انهم بالاضافة الى عجزهم عن الاستيلاء على جهاز الحكومة الموجود ، فانهم لا يستطيعون في الوقت نفسه ان يوجدوا جهازا جديدا يعمل بسهولة وحرية بامر من الاشتراكيين المجريين . وبالفعل ، فمن مدة وجيزة ، لم يكن عند البلاشفة العدد الكافي من الرجال للامعال الدورية في حزبهم الآخذ في النمو - العمل القائم قبل كل شيء على الريشة واللسان ، فاين اذن سيوجد البلاشفة الملاك الضروري لتنفيذ مهم معقدة ومتعددة الوجوه متصلة بحياة الدولة ؟

ان السلطة الجديدة تقدح عيناها شررا ، نغمر البلاد بالمراسيم الواحد منها « اكثر راديكالية واكثر اشراكية من السابق » . ولكن في هذه الاشتراكية الورقية المعدة بصورة اكثر من اجل ادهاش احفادنا ، لا توجد الرغبة ولا المقدرة على حل المشاكل الراهنة الدورية ... »

وفي تلك الاثناء كان المؤتمر الذى عقدته الفيكجل من اجل تشكيل حكومة جديدة ، مستمرا ليلا ونهارا . وكان الجانبان قد انفقا بصورة مبدئية على الاسس التى ستقوم عليها الحكومة ؛ والنقاش يدور حاليا حول مجلس الشعب . وقد اقترح نرشيح وزارة برئاسة تشيرنوف ؛ وقبل البلاشفة فيها كاقليية اما لينين وتروتسكى فقد اقصيا . ان اللجان المركزية للمناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، واللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين قررت انها تواصل بعناد معارضتها « لسياسة البلاشفة الاجراميه » ولكنها ، « بغية تجنب الاقتتال بين الاخوة » لا تمنع في دخول البلاشفة الى مجلس الشعب .

بيد ان فرار كيرنسكى ، والنجاح الباهر الذى احرره السوفييت في كل مكان ، سرعان ما غيرا الوضع . ففي ١٦ (٣) تشرين الثانى (نوفمبر) اثناء اجتماع التسيك ، اصر الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ، على ان يشكل البلاشفة حكومة ائتلافية مع اشتراك الاحزاب الاشتراكية الاخرى ؛ وفي حالة الرفض فانهم سيلجأون الى الانسحاب من اللجنة العسكرية الثورية ومن التسيك . واعلن مالكين : « ان الانباء الاخيرة الواردة من موسكو ، حيث يسقط رفاقنا على جانبى المتاريس ، تجبرنا على اعادة طرح قضية تنظيم السلطة . وان طرح هذه القضية ليس هو مجرد حقنا ، بل هو واجب علينا كذلك ... لقد فزنا بحق الجلوس هنا مع البلاشفة ، بين جدران سمولنى والتكلم من على

هذه المنصة . فاذا رفضتم الاتفاق ، فاننا سنضطر ، بعد الصراع العنيف داخل الحزب ، الى نقل المعركة المكشوفة الى خارجه ... علينا ان نقترح على القوى الديموقراطية شروط وفاق مقبول ...»

وبعد استراحة لمناقشة هذا الانذار من قبل كل كتلة على حدة ، عاد البلاشفة الى القاعة ، بمشروع القرار التالى وقد تلاه كامينيف :

« ان اللجنة التنفيذية المركزية ، تعتبر من المرغوب فيه ، ان يشترك فى الحكومة ممثلون عن كل الاحزاب الاشتراكية الممثلة فى سوفيات نواب العمال والجنود والفلاحين ، والتي تعترف بمكاسب ثورة ٢٤ - ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ، اى بالسلطة السوفييتية ، بمرسومى السلم والارض ، بالرقابة العمالية وتسليح الطبقة العاملة . ان اللجنة التنفيذية المركزية ، تقرر بالتالى ، الاستمرار فى المفاوضات التى شرع بها حول السلطة مع كافة الاحزاب السوفييتية وتصر على ان تكون الشروط التالية اساسا للاتفاق :

الحكومة مسؤولة امام التسيك . ويجرى توسيع عدد اعضاء هذه الاخيرة الى ١٥٠ عضوا . ويضاف الى ممثلى سوفيات العمال والجنود المائة والخمسين ، ٧٥ ممثلا عن سوفيات الفلاحين فى المحافظات و ٨٠ ممثلا عن وحدات الجيش والاسطول و ٤٠ ممثلا عن النقابات (٢٥ ممثلا عن مختلف انحادات النقابات العامة لعموم روسيا بالتناسب مع عدد اعضائها و ١٠ عن الفيكجل و ٥ عن مستخدمى البرق والبريد) و ٥٠ ممثلا عن الجناح الاشتراكى من دوما بتروغراد البلدى . ويجب ان تعطى ما لا يقل عن نصف المقاعد فى الحكومة الى البلاشفة . وزارات الخارجية والداخلية والعمل تمنح بالضرورة الى حزب البلاشفة . تمارس قيادة حاميني بتروغراد وموسكو من قبل ممثلين

عن سوفياتى نواب عمال وجنود بتروغراد وموسكو . وتضع الحكومة نصب اعينها مهمة تسليح العمال فى كافة روسيا بانتظام . اشتراك الرفيقيين لينين وتروتسكى يعتبر لا مندوحة عنه » .

ثم اضاف كامينيف :

« ان ما يسمى بـ «مجلس الشعب» المقترح علينا من قبل الاجتماع ، والذي سيضم حوالى ٤٢٠ عضوا ، منهم ١٥٠ بلشيفيا . وبالإضافة اليها ، ينضم اليه مندوبون عن التسيك القديمة المعادية للثورة ، و ١٠٠ مندوب ، تنتخبهم هيئات التسيير البلدى - كلهم كورنيلوفيون ، و ١٠٠ مندوب من سوفياتات الفلاحين يعينهم آفكسينتيف و ٨٠ مندوبا عن لجان الجيش القديمة التى لم تعد تمثل جماهير الجنود .

اننا نرفض السماح هنا للتسيك القديمة ومندوبى الدومايات البلدية . ان ممثلى سوفياتات الفلاحين يجب ان ينتخبوا من قبل مؤتمر الفلاحين ، الذى سندعو اليه نحن والذى سينتخب فى الوقت نفسه لجنته التنفيذية الجديدة . ان الاقتراح باقصاء لينين وتروتسكى هو اقتراح يرمى الى استئصال شافة حزبنا ، ولن نوافق عليه اطلاقا . واخيرا فنحن لا نرى اطلاقا ضرورة لوجود «مجلس الشعب» . ان سوفياتات نواب العمال والجنود مفتوحة امام جميع الاحزاب الاشتراكية ، اما التسيك فتعكس بصورة دقيقة تماما النسبة الواقعية لشعبية هذه الاحزاب بين الجماهير »

اعلن كاريلين ، باسم الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، ان حزبهم سيصوت الى جانب قرار البلاشفة ، الا انه يحتفظ لنفسه بحق تعديل بعض التفصيلات ، كتمثيل الفلاحين ، والمطالبة

بالاحتفاظ بوزارة الزراعة للاشتراكيين-الثوريين اليساريين
واقدم نمت الموافقة على هذه المطالب ...

وفيما بعد ، في اجتماع سوفيت بتروغراد ، وجه الى
تروتسكى سؤال يتعلق بتشكيل الحكومة الجديدة .

«انى لا اعرف شيئا عن هذا- اجاب تروتسكى- انى لا
اشترك في المحادثات ... ولكنى لا اعتقد انه سيكون لها اهمية
كبيرة ...»

وفي تلك الليلة ، خيم انزعاج شديد على الاجتماع . فانسحب
مندوبو مجلس الدوما البلدى ...

اما في سمولنى نفسها ، فقد بدأت تنمو معارضة عنيفة
لسياسة لينين في صفوف الحزب البلشفى . ففي ليلة ١٧ تشرين
الثانى (نوفمبر) كانت قاعة التسيك الواسعة مزدحمة والجو
متوترا .

اعلن لارين وهو بلشفى ، ان موعد انعقاد الجمعية
التأسيسية قد اقترب ، وان الوقت قد حان للتخلى عن «الارهاب
السياسى» .

«يجب تخفيف الاجراءات التى اتخذت ضد حرية الصحافة .
لقد كانت ضرورية ايام الصراع ، وليس لها الآن اية مبررات .
يجب ان تكون الصحافة حرة ما دامت لا تدعو الى المعازر
والفتن» .

واقترح لارين وسط صراخ وصفير اعضاء حزبه ، مشروع
القرار التالى :

«يعتبر مرسوم مجلس مفوضى الشعب حول الصحافة
لاغيا ... لا يمكن اتخاذ اجراءات القمع السياسى الا بقرار من
محكمة خاصة ينتخبة من قبل التسيك (حسب نسبة الاحزاب

للمثلة فيها *) ويمنح لها الحق في اعادة النظر في جميع الاعتقالات التي تمت سابقا ، وفي اغلاق الصحف وهلم جرا » .

لقد استقبل هذا الاقتراح بعاصفة من التصفيق ليس فقط من قبل الاستراكيين-الثوريين اليساريين فحسب ولكن من بعض مقاعد البلاشفة .

فسارع أفانيسوف الى الاقتراح ، باسم الجناح اللينيني ، بأن يؤجل موضوع الصحافة الى ما بعد الوصول الى نوع من الاتفاق بين الاحزاب السياسية . الا ان هذا الاقتراح سقط باغلبية ساحقة .

« ان الثورة التي تنجز في الوقت الحاضر ، لم تتردد في الهجوم على الملكية الخاصة - قال افانيسوف - ان مسألة الصحافة ، يجب ان تعتبر تماما كمسألة الملكية الخاصة ... »

وبعد ذلك تلا افانيسوف مشروع القرار البلشفي الرسمي : « ان اغلاق الصحف البرجوازية ، لم يجر بدافع من الضروريات القتالية الصرفة وحسب خلال الانتفاضة وقمع المحاولات المعادية للثورة ، بل كان ايضا اجراء انتقاليا ضروريا لاقامة نظام جديد للصحافة ، نظام لا يسمح للرأسماليين مالكي المطابع والورق بان يصبحوا صانعي الرأي العام الوحيدين .

وكاجراء ابعد ، يجب مصادرة المطابع الخاصة واحتياطي الورق وتحويلها الى حوزة السلطة السوفييتية المركزية وفي القاعدة ، بحيث يتسنى للاحزاب والمجموعات استخدام الوسائل الفنية حسب اهميتها الفكرية الفعلية وبتعبير آخر بالتناسب مع عدد انصارها .

* ان الكلمات الواردة بين الهلالين تنعدم في محاضر اللجنة التنفيذية المركزية . المعروف .

ان اعادة ما يسمى بـ «حرية الصحافة» اى مجرد اعادة المطابع والورق الى الرأسماليين - مسمي وعى الشعب - فان ذلك يكون استسلاما مرفوضا لارادة رأس المال ، وتنازلا عن احدى المواقف المهمة لثورة العمال والفلاحين ، وبكلمة اخرى ، اجراء محضا ذا صفة معادية للثورة .

وعليه فان اللجنة المركزية تقترح على الجناح البلشفي في التسيك ، ان يرفض بحزم كل مقترحات ترمى الى اعادة النظام القديم للصحافة ، وان يؤيد في هذه القضية مجلس مفوضي الشعب ، دون تحفظ ، ضد الادعاءات والمساعى التي تمليها اما الاوهام البرجوازية الصغيرة واما الرغبة المباشرة في خدمة مصالح البرجوازية المعادية للثورة .

لقد قوطعت تلاوة هذا القرار بصيحات ساخرة من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين وبانفجارات غضب من البلاشفة المعارضين . فانتصب كاريولين في مكانه محتجا : «منذ ثلاثة اسابيع كان البلاشفة من أشد المدافعين عن حرية الصحافة ... ان الحجج الواردة في هذا القرار ، تشبه بصورة غريبة وجهة نظر جماعة المائة السوداء القديمة وهيئات المراقبة القيصرية . انهم ايضا كانوا يتكلمون عن «تسميم وعى الشعب» » .

وتكلم تروتسكى مطولا مؤيدا القرار . فميز بين وضع الصحافة خلال الحرب الاهلية ووضعها بعد النصر : «خلال الحوب الاهلية ، يكون اللجوء الى العنف من حق المضطهدين فقط ...» (صيحات : «من هم المضطهدون الآن ؟ همجى !»)

« ان انتصارنا على اعدائنا ليس تاما بعد - تابع تروتسكى - وما زالت الصحف سلاحا في يدهم . ان اغلاق الصحف في هذا الظرف ، هو اجراء مشروع للدفاع عن النفس ...» ثم انتقل تروتسكى الى مسألة الصحافة بعد النصر فقال :

« ان موقف الاشتراكيين من مسالة حرية الصحافة يجب ان يعكس تماما موقفهم من مسألة حرية التجارة ... ان السلطة الديموقراطية التي هي قيد التنظيم الآن في روسيا ، تتطلب القضاء التام على سيطرة الملكية الخاصة على الصحافة ، تماما كما في الصناعة ... ان السلطة السوفييتية ، يجب ان تصدر جميع المطابع . (صيحات : «صادروا مطبعة «البرافدا» ! ») يجب الغاء احتكار البرجوازية للصحافة . والا فلا داع لان نستلم السلطة ! يجب ان تكون المطابع والورق في متناول كل جماعة من المواطنين ... ان حق ملكية المطابع والورق يخص قبل كل شيء العمال والفلاحين ، ومن بعدهم فقط الاحزاب البرجوازية التي تشكل الاقلية ... ان انتقال السلطة الى ايدي السوفييتات ، يؤدي الى تغيير جذري في ظروف الحياة الاساسية . وهذا التغيير لا يمكن الا يتناول الصحافة ... اذا كنا لم نتورع عن تأميم المصارف ، فما الداعي الى ان نتسامح مع الصحف التي يمولها رجال المال ؟ ان النظام القديم يجب ان يموت ، وهذا ما يجب ان يفهم نهائيا ... » (تصفيق وصيحات غاضبة) .

واعلن كاريلين انه لا يحق للتسيك ان يقرر هذه المسألة المهمة والتي يجب تركها الى لجنة خاصة . وطلب مجددا وبشغف ، ان تكون الصحافة حرة .

عندئذ خطب لينين ، هادئا ، دون انفعال ، وكان جبينه يتجعد وهو يتكلم ببطء ، مختارا كلماته ، كل جملة منها تنهال وكأنها ضربة مطرقة .

« ان الحرب الاهلية لم تنته بعد ، فالعدو ما يزال يواجهنا ، ولذا يستحيل الغاء اجراءات القمع ضد الصحافة . نحن البلاشفة ، قد صرحنا دائما اننا سنغلق الصحافة

البرجوازية عندما نصل الى الحكم . والتسامح بوجود الصحف البرجوازية - معناه التخلي عن الاشتراكية . عندما يقوم المرء بالثورة ، يستحيل عليه ان يراود في مكانه : فعليه اما ان يسير الى امام او الى وراء . ذاك ، الذي يشكل الآن عن « حرية الصحافة » انما يسير الى الخلف ويعرقل سيرنا الحثيث نحو الاشتراكية .

لقد خلعنا نير الرأسمالية ، كما خلعت الثورة الاولى نير القيصيرية . **واذا كان للثورة الاولى الحق في منع الصحف الملكية ، فلنا ايضا الحق في ان تغلق الصحف البرجوازية .** يستحيل فصل مسألة حرية الصحافة عن مسائل الصراع الطبقي الاخرى . لقد وعدنا باغلاق هذه الصحف وعلينا اغلاقها . ان غالبية الشعب الساحقة تسير خلفنا !

والآن وقد خلفنا الانتفاضة وراءنا ، فاننا لا ننوى على الاطلاق ان نمنع صحف الاحزاب الاشتراكية الاخرى ما دامت لا تدعو الى الانتفاضة المسلحة او الى عصيان الحكومة السوفييتية . الا اننا لن نسمح لها بان تستأثر باحتكار المطابع والورق تحت شعار حرية الصحافة الاشتراكية وبدعم البرجوازية السرى . . . ان معدات الصحافة الفنية يجب ان تصبح ملكا للحكومة السوفييتية وان توزع في الدرجة الاولى بين الاحزاب الاشتراكية بصورة دقيقة متطابقة مع نسبة عدد اتباعها . . . »

جرى التصويت . فهزم اقتراح لارين والاشتراكيين-الثوريين اليساريين بـ ٣١ صوتا مقابل ٢٢ ، ولجحت وجهة نظر لينين بـ ٣٤ صوتا مقابل ٢٤ . * اما البلشفيان ريبازانوف ولوزوفسكى فقد

* هذا خطأ . رفض اقتراح لارين والاشتراكيين-الثوريين اليساريين

٢٥ صوتا مقابل ٢٠ . **المحرر .**

صوتا الى جانب الاقلية ولقد وضحا انه يستحيل عليهما التصويت مع اى حد من حرية الصحافة .

وبعد ذلك ، اعلن الاشتراكيون-الثوربون اليساريون ، انهم لم يعودوا مسؤولين عما يجرى بعد ذلك الوقت ، وانسحبوا من اللجنة العسكرية الثورية ومن جميع المناصب المسؤولة الاخرى .

واستقال خمسة اعضاء من مجلس مفوضى الشعب وهم نوغين ، ريكوف ، ميليوتين ، تيودوروفيتش وشليابنيكوف ، وحول ذلك اصدروا البيان التالى :

« اننا نؤيد وجهة النظر القائلة بتشكيل حكومة اشراكية من جميع الاحزاب السوفييتية . اننا نعتقد ان تشكيل مثل هذه الحكومة فقط يمكن ان يتيح امكانية نوطيد ثمار النضال البطولى الذى خاضته الطبقة العاملة والجيش الثورى فى ايام شهرى تشرين الاول ونشرين الثانى .

نحن نعتقد انه خارج هذا الحل ، ليس سوى طريق واحدة هى : الاحتفاظ بحكومة بلشفية صرفة تعتمد على الارهاب السياسى . وهذه هى الطريق التى سار عليها مجلس مفوضى الشعب . اننا لا نستطيع ولا نريد السير عليها . اننا نرى انها ستؤدى الى اقضاء المنظمات الجماهيرية البروليتارية عن قيادة الحياة السياسية والى قيام نظام غير مسؤول والى تحطيم الثورة والبلاد . نحن لا نستطيع نحمل مسؤولية هذه السياسة ، ولذلك فنحن نتخلى امام التسيك عن مناصبنا كمفوضين للشعب » .

ووقع هذا البيان ايضا مفوضون آخرون ، بيد انهم لم يستقيلوا من مناصبهم : ريزانوف ودوربيتشيف من قسم الصحافة واربوزوف من مطبعة الدولة ويورينييف من الحرس الاحمر

وفيدوروف من مفوضية العمل ولارين امين سر قسم وضع
مشاريع القوانين .

وفي الوقت ذاته ، استقال من عضوية اللجنة المركزية
للحزب البلشفي : كامينيف وريكوف وميليوتين وزينوفييف
ونوغين ، وقد اصدروا بيانا وضحا فيه اسباب هذه الخطوة :
«... اننا نعتبر ان تشكيل مثل هذه الحكومة (التي نضم
كافة الاحزاب السوفييتية) لا غنى عنه للجلولة دون اراقة الدماء
من جديد ولدرء المجاعة المحتممة ، وسحق الثورة من قبل
كاليدين وانصاره ولضمان انعقاد الجمعية التأسيسية في الموعد
المقرر وكذلك لتنفيذ برنامج السلم الذي أقره المؤتمر الثاني
لسوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ...»

نحن لا نستطيع تحمل مسؤولية السياسة التي تؤدي الى
الهلاك والتي تنتهجها اللجنة المركزية ضد ارادة غالبية البروليتاريا
والجنود الساحقة ، الذين يتوقعون الى الاسراع بوضع حد لاراقة
الدماء بين المجموعات الديموقراطية المختلفة .

ولذا فنحن نتخلى عن العضوية في اللجنة المركزية ، كي
يتاح لنا الحق في ان نقول جهارا رأينا الى جماهير العمال
والجنود ...»

نحن ننسحب من اللجنة المركزية في لحظة النصر ، في
اللحظة التي يهيمن فيها حزبنا ، ننسحب لأننا لا نستطيع ان ننظر
بهدوء ، كيف تؤدي سياسة الجماعة القيادية في اللجنة المركزية الى
خسارة حزب العمال لثمار هذا الانتصار والى سحق
البروليتاريا ...»

خيم القلق على العمال وجنود الحامية ، فارسلوا الوفود الى
سمولني والى الاجتماع المنعقد لتشكيل الحكومة الجديدة حيث
استقبل الانشقاق في صفوف البلاشفة بفرح عظيم .

الا ان جواب انصار لينين جاء سريعا لا يرحم . فانصاع تسليابنيكوف ونيودوروفيتش الى الانضباط الحزبي وعادا الى مراكزهما . وعزل كامينيف من منصبه كرئيس للتسيك وانتخب مكانه سفردلوف . وعزل زينوفييف من رئاسة سوفيت بنزوغراد . وفي صباح السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ، صدرت « البرافدا » حاملة نداء حارا الى الشعب الروسى بقلم لينين ، طبعت منه مئات آلاف النسخ والصق على كل الجدران ووزع في كافة انحاء روسيا * :

« ان مؤتمر السوفييتات الثاني لعموم روسيا قد اعطى الاغلبية الى حزب البلاشفة . ان الحكومة التى يشكلها هذا الحزب ، هى اذن حكومة سوفيتية . ومعروف لدى الجميع ان اللجنة المركزية للحزب البلشفى ، استدعت الى اجتماعها ، وذلك ببضع ساعات قبل تشكيل الحكومة الجديدة وقبل تقديم قائمة اعضائها الى المؤتمر الثانى لسوفييتات عموم روسيا ، - استدعت ثلاثة من الاعضاء البارزين من جماعة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، الرفاق كامكوف وسبيرو وكاريلين وعرضت عليهم الاشتراك فى الحكومة الجديدة . نحن نأسف أشد الأسف لرفض الرفاق الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، لأننا نعتبر رفضهم عملا لا يليق بثوريين ونصيرى الكادحين ، نحن على استعداد لاشراك الاشتراكيين-الثوريين اليساريين فى الحكومة فى اى وقت كان ، ولكننا ، نعلن بوصفنا الحزب الذى يتمتع بالاغلبية فى

* المفصود هنا النداء « من اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطى الروسى (البلشفى) الى جميع اعضاء الحزب والى جميع الطقات الكادحة فى روسيا » . لقد ألف النداء لينين فى ١٨-١٩ (٥-٦) تشرين الثانى (نوفمبر) وجرى نشره فى جريدة « البرافدا » فى ٢٠ (٧) تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ . **المحرر .**

المؤتمر الثاني لسوفييتات عموم روسيا ، انه يحق لنا **ويتوجب علينا** تجاه الشعب تشكيل حكومة ...

ايها الرفاق ! ان بعض الاعضاء في اللجنة المركزية لحزبنا وفي مجلس مفوضي الشعب ، كامينيف وزينوفييف ونوغين وريكوف وميليوتن وقليل غيرهم ، قد انسحبوا يوم امس الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) من اللجنة المركزية لحزبنا ، والثلاثة الآخرون - من مجلس مفوضي الشعب ... ان الرفاق المسحوبين قد تصرفوا تصرف الفارين ، لانهم لم يهجروا فقط المناصب التي اسندت اليهم ، ولكنهم انتهكوا كذلك التعليمات الصريحة للجنة المركزية لحزبنا والقاضية بالتمهل على الأقل حتى صدور قرارات منظمتي الحزب في بتروغراد وموسكو . نحن نشجب بحزم هذا الفرار . اننا متيقنون كل اليقين من ان جميع العمال والجنود والفلاحين الواعين المنتمين الى حزبنا او المناصرين له ، سيسحبون بحزم كذلك تصرف الفارين ...

تذكروا ايها الرفاق ، ان اثنين من هؤلاء الفارين ، كامينيف وزينوفييف ، قد تصرفا تصرف الفارين ومخربي الاضراب حتى قبل انتفاضة بتروغراد ، لأنهما لم يصوتا فقط في الاجتماع الحاسم للجنة المركزية يوم ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) ، ضد الانتفاضة ؛ ولكهما واصلا ، حتى بعد قرار اللجنة المركزية ، امام العاملين الحزبيين ، دعايتهما ضد الانتفاضة ... الا ان حماس الجماهير العظيم وبطولة ملايين العمال والجنود والفلاحين في بتروغراد وموسكو ، وفي الجبهة والخنادق والقرى ما لبث ان ازاح بسهولة كلية الفارين مثلما يبعثر القطار قطع القش عن الخط الحديدي .

لنترك ضعيفي الايمان والمترددin والمتشككين يراوحوون في مستنقع عارهم ، اولئك الذين يسمحون لأنفسهم ان يخافوا من

البرجوازية او الذين يستسلمون امام صيحات اذنانها المباشرين او غير المباشرين . **لا يوجد ادنى ظل** من التردد لدى **جماهير** بتروغراد وموسكو **ولا** لدى عمال وجنود الاماكن الاخرى ... اننا لن نرضخ لاية اذارات صادرة عن حفنات من المثقفين ، الذين لا تقف خلفهم الجماهير والذين يقف خلفهم **بالفعل** فقط الكورنيلوفيون والسافينكوفييون واليونكر ومن على شاكلتهم ... »
لقد جاوبت البلاد باستنكار عاصف . لم يتح ادنى حظ للمعارضين بأن « يقولوا علنا رأيهم امام جماهير العمال والجنود » . فانهاالت على التسيك موجة من الشجب الشعبى ضد « الفارين » وبقيت سمولنى طوال ايام تغص بوفود ولجان غاضبة توافدت اليها من الجبهة ، من منطقة الفولغا ومصانع بتروغراد . « كيف يجراؤن على الانسحاب من الحكومة ؟ هل باعوا انفسهم الى البرجوازية وارادوا القضاء على الثورة ؟ عليهم بالعودة والانصياع لقرارات اللجنة المركزية ! » .

وكان موقف حامية بتروغراد وحدها غير واضح . فعقد اجتماع كبير للجنود فى ٢٤ (١١) تشرين الثانى (نوفمبر) تكلم فيه مندوبون عن كافة الاحزاب السياسية . فاقرت سياسة لينين باغلبية ساحقة ودعى الاشتراكيون-الثوريون اليساريون الى الاشتراك فى الحكومة ٦ ...

وجه المناشفة الإنذار الاخير طالبين الافراج عن جميع الوزراء واليونكر ، واعطاء الحرية الكاملة لكل الصحف ، وتجس الحرس الاحمر من السلاح ووضع الحماية تحت قيادة مجلس الدوما . ولقد اجابت سمولنى على ذلك ، بانه قد اطلق سراح الوزراء الاشتراكيين ومعظم اليونكر ، وان الحرية ممنوحة لكافة الصحف باستثناء الصحف البرجوازية ، وان السوفييت سيثابر على الاشراف على القوات المسلحة ... وفى ١٩ (٦) تشرين

الثاني (نوفمبر) تفرق الاجتماع المعقود من اجل تشكيل الحكومة الجديدة ، واتجه افراد المعارضة الواحد اثر الآخر الى موغيليف ، حيث استمروا يشكلون الحكومة تلو الحكومة ، تحت رعاية القيادة العامة حتى قضى عليهم جميعا ...

في تلك الاثناء ، كان البلاشفة يقوضون سلطة الفيكل . فدعا بيان صدر عن سوفيتيت بتروغراد ، عمال سكك الحديد ، الى اجبار الفيكل الى التخلي عن سلطتها . وفي ١٥ (٢) تشرين الثاني (نوفمبر) عينت التسبيك انعقاد مؤتمر عمال سكك الحديد لعامة روسيا في ١ كانون الاول (ديسمبر - ١٨ تشرين الثاني - نوفمبر) . ولجأت التسبيك بالنسبة الى عمال السكك الحديدية الى نفس الاسلوب الذي لجأت اليه بالنسبة الى الفلاحين . فدعت الفيكل حالا الى مؤتمر لها ينعقد بعد اسبوعين من ذلك التاريخ . وفي ١٦ (٣) تشرين الثاني (نوفمبر) احتل اعضاء الفيكل مقاعدهم في التسبيك . وفي ليل ٢ كانون الاول (ديسمبر) في جلسته افتتاح مؤتمر عمال سكك الحديد لعموم روسيا ، عرضت التسبيك رسميا على الفيكل منصب مفوض طرق المواصلات فقبلته هذه ...

وبعد ان انتهى البلاشفة من مسألة السلطة ، وجهوا اهتمامهم الى مسائل الادارة العملية . وقبل كل شيء ، كان يجب اطعام المدينة والبلاد والجيش . فأخذت فرق من البحارة والحرس الاحمر تفتش المخازن ومحطات سكك الحديد وحتى القوارب في الاقنية ، مكتشفة ومصادرة آلاف البودات * من المواد الغذائية التي خبأها المضاربون . وارسل الرسل الى المناطق حيث استولوا على مخازن تجار الحبوب الكبار بمساعدة لجان الارض .

* البود يساوي ١٦,٢٨ كغ . المترجم .

وادسلت بعثات من البحارة المسلحين بالاسلحة الثقيلة في مجموعات تضم كل منها خمسة آلاف رجل ، الى الجنوب وسيبيريا في ماموريات جوالّة بغية اخضاع المدن التي ما تزال في ايدي الحرس الابيض ، وتوطيد الامن **وجلب الطعام** بصورة رئيسية . ووقفت قطارات المسافرين على الخط الحديدي عبر سيبيريا مدة اسبوعين . وفي الوقت نفسه ارسل من بتروغراد ١٣ قطارا محملا بالاقمشة والتياب والقضبان الحديدية التي جمعتها لجان المصانع والمعامل ، وتوجهت هذه القطارات شرقا وعلى رأس كل منها مفوض ليقايضوا بها فلاحي سيبيريا مقابل الحبوب والبطاطا . . .

ولما كان كالدين مسيطرا على مناجم الفحم في حوض الدونيتز ، فقد اصبحت قضية المحروقات قضية ملحة ، فعمدت سمولني الى قطع الكهرباء عن المسارح والمتاجر والمطاعم ، وخفضت عدد عربات الزام وصادرت مستودعات الحطب التي يملكها تجار المحروقات . . . ولما اشرفت مصانع بنروغراد على الاغلاق لافتقارها الى الفحم ، حوّل بحارة اسطول البلطيق مائتي الف بود منه من عنابر الاسطول الى العمال . . .

وحوالى اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) حدثت « فتن الخمر »^٧ -- غزو اقبية الخمر -- مبتدئة بنهب اقبية قصر الشتاء . وخلال اربعة ايام كانت الشوارع تغص بالجنود السكارى . . . وكان واضح ان يد اعداء الثورة كانت وراء هذا كله ، الذين وزّعوا على الافواج خرائط تبين مواقع مستودعات الخمر . بدأ مفوضو سمولني بالمناشدة والنقاش ، فلم يساعد ذلك على وضع حد للفوضى المتزايدة ، وعقب ذلك معارك ضارية بين الجنود والحرس الاحمر . . . واخيرا ارسلت اللجنة العسكرية الثورية فرقا من البحارة مزودة بالرشاشات ، فاطلقوا النار على المشاغبين بدون شفقة وقتلوا العديد منهم . ثم صدرت الاوامر التنفيذية

باجتياح اقبية الخمر من قبل اللجان الخاصة فحطم اعضاء هذه اللجان الزجاجات بفؤوسهم او نسفوا الاقبية بالديناميت ... وكانت سرايا من الحرس الاحمر وهى منضبطة وتتقاضى الاجور المرتفعة ، تحل محل الميليشيا القديمة فى حراسة مراكز السوفييتات ليلا ونهارا . وفى كافة احياء المدينة اقام العمال والجنود محاكم ثورية صغيرة لتتولى النظر فى الجرائم الصغيرة ...

وحاصر الحرس الاحمر-الفنادق الكبيرة حيث يمارس المضاربون اعمالهم وسيق هؤلاء الى السجن^٨ ... وبيقظة وحذر اقامت الطبقة العاملة فى المدينة ، من نفسها ، جهاز تجسس واسع من خلال تجسس الخدم فى منازل البرجوازيين ونقل جميع المعلومات الى اللجنة العسكرية الثورية التى انزلت ضرباتها بيد من حديد وبدون شفقة . وبهذه الطريقة ، جرى اكتشاف المؤامرة الملكية بقيادة عضو الدوما السابق بوريشكيفيتش ومجموعة من النبلاء والضباط وكان مخططها القيام بانقلاب عسكري وكانت قد كتبت رسالة الى كاليدى تدعوه فيها الى بتروغراد^٩ ... وبهذه الطريقة نفسها ، اكتشفت مؤامرة الكاديت الذين كانوا يرسلون المال والمتطوعين الى كاليدى ...

اما نيراتوف وقد فزع من الغضب الشعبية التى اثارها هربه ، فعاد وسلم المعاهدات السرية الى تروتسكى ، الذى شرع فى نشرها على صفحات «البرافدا» ، الامر الذى هز العالم بأسره . وازدادت القيود على لصحافة لدى صدور مرسوم^{١٠} يجعل الاعلانات احتكارا للصحيفة الحكومية الرسمية ، فتوقفت كافة الصحف الاخرى احتجاجا على ذلك او خرقت المرسوم فاغلقت ... ولم ترسخ نهائيا الا بعد ثلاثة اسابيع .

وكان الاضراب ما يزال مستمرا في الوزارات وكذلك التخريب الذى يقوم به الموظفون القدامى الامر الذى كان لايسمح بتنظيم الحياة الاقتصادية . ولم يكن يقف وراء سمولى سوى ارادة الجماهير الشعبية الواسعة غير المنظمة وكان مجلس مفوضى الشعب يعتمد عليها موجها الاعمال الجماهيرية الثورية ضد اعدائه ١١ . وشرع لينين يوضح اهداف الثورة في بيانات بليغة ١٢ مكتوبة بلغة بسيطة انتشرت في كل انحاء روسيا ، مناشدا الشعب استلام السلطة بيديه وسحق مقاومة الطبقات المالكة والاستيلاء على المؤسسات الحكومية بالقوة . النظام الثورى ! الانضباط الثورى ! المحاسبة والمراقبة الدقيقة ! لا اضرابات ! لا تكاسل !

في ٢٠ (٧) تشرين الثانى (نوفمبر) اصدرت اللجنة العسكرية الثورية الانذار التالى :

« ان الطبقات الغنية تقاوم حكومة السوفييتات الجديدة ، حكومة العمال والجنود والفلاحين . وانصارها يوقفون عمل موظفى الحكومة ومستخدمى المدن ، يحرضون مستخدمى المصارف على الاضراب ، يحاولون قطع مواصلات السكك الحديدية والبرق والبريد وهلم جرا ... »

اننا نحذرهم - انهم يلعبون بالنار . البلاد والجيش مهددان بالمجاعة . انه من الضرورى بدون تحفظ ، للانتصار على المجاعة ، تنفيذ العمل بدقة في مؤسسات المواد الغذائية ، في السكك الحديدية ، في البريد وفى المصارف . ان حكومة العمال والفلاحين تتخذ كافة الاجراءات الضرورية لتأمين حاجات البلاد . **ان معارضة هذه الاجراءات - جريمة ضد الشعب . اننا**

ننذر الطبقات الغنية وانصارها : اذا هم لم يقلعوا عن تخريبهم واداءت اعمالهم الى قطع المؤن ، فسيكونون هم انفسهم اول من يتلئم من ذلك . ان الطبقات الغنية واذناها سوف يحرمون

من حق استلام المواد الغذائية وسوف تصادر كل مخزوناتهم كما تصادر ممتلكات المجرمين الرئيسيين منهم .

لقد قمنا بواجبنا - اننا حذرنا اولئك الذين يلعبون بالنار . اننا على يقين انه عندما تصبح هذه الاجراءات الحاسمة ضرورية ، فان جميع العمال ١٢ والجنود والفلاحين سيتمنحوننا الدعم الكامل» .

وفي ٢٢ (٩) تشرين الثاني (نوفمبر) الصق على كافة جدران المدينة «البلاغ الاستثنائي» :

« لقد تلقى مجلس مفوضى الشعب البرقية المستعجلة التالية من قيادة اركان الجبهة الشمالية : «المطالبة مدة اطول مستحيلة : لا تتركونا نموت من الجوع . ان جيش الجبهة الشمالية ليس لديه كسرة من الخبز منذ عدة ايام ، وبعد يومين او ثلاثة سوف لن يكون لديه الخبز المجفف الذى يقدم من المخزون الاحتياطى المحرم . هذا الاحتياطى فى طريق النفاد . لقد وصل مندوبون عن الجيوش ويقولون عن الضرورة الملحة لنقل وحدات الجيوش بصورة منتظمة الى المؤخرة ، استباقا لما قد يحدث بعد بضعة ايام ، اذ ستبدأ عملية هرب جماعية يقوم بها الجنود الذين هم على حافة الموت جوعا والذين انهكت قواهم من جراء مكوثهم ثلاث سنوات فى الخنادق ، مرضى ، بالبسطة بالية ، حفاة ، فاقدى الوعي تحت وطأة حرمانات تفوق طاقة البشر ...»

ان اللجنة العسكرية الثورية تطلع حامية بتروغراد وعمالها على هذا الوضع فى الجبهة الذى يتطلب اسرع الاجراءات واحسمها... وفى الوقت نفسه ، فان الموظفين الكبار فى المؤسسات الحكومية والمصرفية وفى الخزينة وسكك الحديد والبريد والبرق ، يخربون وينسفون عمل الحكومة الرامى الى تزويد

الجهة بالمواد الغذائية . ان كل ساعة تأخر قد تودى بحياة
آلاف الجنود .

ان الموظفين المعادين للثورة ، هم اكثر المجرمين انحطاطا
بالنسبة الى اخوتهم الجائعين والمحتضرين في الجهة .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، توجه الى هؤلاء المجرمين
الانذار الاخير . وفي حال ادنى مقاومة او معارضة تبدر من جانبهم ،
فان قساوة الاجراءات التي ستتخذ ضدهم ، تكون على مستوى
فظاظة جريمتهم » .

اجابت جماهير العمال والجنود بموجة غضب عارمة شملت
روسيا بأسرها . فاصدر موظفو الحكومة والمصارف في العاصمة
مئات من البلاغات والنداءات ١٤ ، محتجين ، مدافعين عن انفسهم .
وهذه واحدة منها :

« الى انظار جميع المواطنين

مصرف الدولة مغلق .

لماذا ؟

لأن العنف الذي مارسه البلاشفة ضد مصرف الدولة قد جعل
الاستمرار في العمل مستحيلا . كانت اول خطوة لمفوضى الشعب ،
انهم طلبوا ١٠ ملايين روبل ، وفي ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر)
طلبوا ٢٥ مليون روبل ايضا ، دون اشارة الى وجهة انفاق هذا
المال ...

نحن ، موظفي مصرف الدولة ، لا نستطيع الاشتراك في نهب
ملكية الشعب . ولهذا توقفنا عن العمل .

ايها المواطنون ، ان المال المودع في مصرف الدولة - انه
مال الشعب ، حصيلة كدحكم ، وعرقكم ودمكم .

ايها المواطنين ، انقذوا ملكية الشعب من النهب ، وانقذونا نحن — من العنف ، فنعود حالا الى العمل .

موظفو مصرف الدولة .

واصدر موظفو وزارتي التموين والمالية ولجنة التمويل الخاصة بلاغات تفيد بان اللجنة العسكرية الثورية قد اوجدت ظروفًا يستحيل عليهم العمل فيها ، كما اصدر الموظفون النداءات الى السكان لدعمهم ضد سمولني . . . غير ان غالبية العمال والجنود لم تصدقهم ، اذ ان الرأي الشعبي العام كان على ثقة من ان الموظفين يقومون بالتخريب وبتجويج الجيش والشعب . . . وفي صفوف الانتظار الطويلة التي كانت كالسابق تتشكل في الشوارع اثناء الشتاء القارس من اجل شراء الخبز ، لم يكونوا يلومون الحكومة كما كان الحال ايام كيونسكي ، وانما كانوا يلومون الموظفين المخربين ؛ ذلك لان الناس في هذه الصفوف كانوا يعلمون ان الحكومة هي حكومتهم ، هي حكومة سوفييناتهم — وان موظفي الوزارات كانوا ضدها . . .

كان مجلس الدوما ومنظمته المقاتلة — لجنة الانقاذ — وسط هذه المعارضة ، محتجا على كافة مراسيم مجلس مفوضي الشعب ومصوتا المرة تلو المرة على عدم الاعتراف بالحكومة السوفييتية ، ومتعاونًا جهارًا مع «الحكومات» الجديدة المعادية للثورة التي تشكلت في مougيليف . . . ففي ١٧ (٤) تشرين الثاني (نوفمبر) مثلاً ، توجهت لجنة الانقاذ الى «كافة هيئات التسيير الذاتي البلدية والزمستفوات والى منظمات الفلاحين والعمال والجنود وسائر المواطنين الديموقراطية الثورية» بهذه الكلمات :

«... (١) لا تعترفوا بحكومة البلاشفة وناضلوا ضدها ؛ (٢) شكلوا اللجان المحلية لانقاذ الوطن والثورة ، بغية توحيد جميع القوى الديموقراطية ، لمساعدة لجنة الانقاذ لعموم روسيا في القيام بمهمتها . . .» .

في تلك الاثناء ، نال البلاشفة اغلبية ساحقة في انتخابات الجمعية التأسيسية في بتروغراد^{١٥} فاضطر حتى المناشفة الامميون على المطالبة باعادة انتخاب مجلس الدوما لأنه لم يعد يمثل الموقف السياسى لسكان بتروغراد ... وفي الوقت ذاته ، تدفق على مجلس الدوما سيل من المقررات الصادرة عن المنظمات العمالية والوحدات العسكرية وحتى عن الفلاحين في الضواحي القريبة ، واصفة اعضاءه بانهم « كورنيلوفيون ، معادون للثورة » ومطالبة باستقالتهم . كانت ايام مجلس الدوما الاخيرة عاصفة اذ طالب عمال البلدية بصرامة باجور تكفى لحياة كريمة ، مهددين بالاضراب ...

وفي ٢٣ (١٠) تشرين الثاني (نوفمبر) اصدرت اللجنة العسكرية الثورية مرسوما رسميا بحل لجنة الانقاذ . وفي ٢٩ (١٦) منه امر مجلس مفوضى الشعب بحل الدوما في مدينة بتروغراد واعادة انتخابه :

« نظرا لأن الدوما المركزى البلدى الذى انتخب في ٢٠ آب (اغسطس) ... قد فقد بصورة صريحة ونهائية ، الحق بتمثيل سكان بتروغراد ، لتعارضه التام مع رغباتهم ... ونظرا لأن غالبية اعضاء الدوما ، لم يعودوا يتمتعون باية ثقة سياسية ولكنهم لا يزالون يستخدمون حقوقهم الصورية ، من اجل معارضة ارادة العمال ، والجنود والفلاحين ، معارضة معادية للثورة ، ومن اجل اعمال التخريب واحباط النشاط المنهجي الاجتماعى ، فان مجلس مفوضى الشعب يعتبر من الضرورى دعوة سكان العاصمة كى يبدوا رأيهم بصدد سياسة هيئة التسيير الذاتى البلدى .

ولهذه الغاية يقرر مجلس مفوضى الشعب :

١ - يحل مجلس الدوما البلدى ابتداء من ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ .

٢ - يبقى جميع الموظفين المعينين من قبل مجلس الدوما الحال في مراكزهم ، ويستمرون في القيام بالمهام الموكولة اليهم ، الى ان يحل محلهم خلفاؤهم الذين يعينهم مجلس الدوما الجديد .

٣ - يستمر جميع مستخدمي البلدية في القيام بمهامهم . والذين يغادرون مراكزهم من تلقاء انفسهم ، يعتبرون مفصولين .

٤ - يحدد يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ موعدا لانتخابات دوما بتروغراد التي ستجرى حسب منطوق «قوار انتخابات اعضاء الدوما البلدى في بتروغراد بتاريخ ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩١٧» الصادر في وقت واحد مع القرار الحال .

٥ - يعقد اول اجتماع للدوما البلدى الجديد في ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩١٧ الساعة الثانية ظهرا .

٦ - يعتقل فورا مخالفو ما ورد في القرار الحال والذين يسيئون عن عمد عن طريق تخريب او هدم ملكية البلدية ، ويقدمون الى المحاكم العسكرية الثورية . . . » .

وصارفا النظر عن هذا المرسوم ، فقد استمر مجلس الدوما في عقد اجتماعاته واصدار قرارات تشعر انه « سيدافع عن مواقعه حتى آخر نقطة من دمه » ومناشدا السكان بياس لينقلوا « هيئة التسيير الذاتى التى انتخبوها بانفسهم » . غير ان السكان كانوا معادين او غير مباليين . وفي ٣٠ (١٧) تشرين الثانى (نوفمبر) اعتقل رئيس البلدية شريدر ومعه عدد من الاعضاء ، فاستجبوا تم افرج عنهم . استمر الدوما في الاجتماع ذلك اليوم واليوم الذى تلاه وكان الحرس الاحمر والبحارة يقاطعونه مرارا طالبين بادب من المجتمعين ان ينصرفوا . وفي اجتماع ٢ كانون الاول (ديسمبر) دخل ضابط وبعض البحارة قاعة نيقولاييفسكى بينما كان احد

الاعضاء يتكلم ، وامر المجتمعين بمغادرة القاعة والا اضطر الى استعمال العنف . ففعلوا ذلك بعد ان احتج كل منهم ، واخيرا «رضخوا للعنف» .

اما مجلس الدوما الجديد ، الذى انتخب بعد عشرة ايام ، فيكاد ان يكون مكونا من البلاشفة وحدهم ١٦ ، ذلك ان الاشتراكيين «المعتدلين» قاطعوا الانتخابات .

لم نزل هناك عدة مراكز معارضة خطيرة «كجمهورية» اوكرانيا وفنلندا ، اللتين كانتا يكتان عداء واضحا للسوفييت . وكانت كلا الحكومتين فى هلسنكى وفى كييف ، تجمعان قوات يمكن الاعتماد عليها وتخوضان المعارك لسحق البلشفية ولتجريد القوات الروسية من اسلحتها وطردها . كان مجلس الرادا الاوكراني مسيطرا على روسيا الجنوبية كلها وكان يمد كاليدين بالامدادات والمؤن . وكانت كلتا الحكومتين قد شرعتا باجراء مفاوضات سرية مع الالمان ، وقد اعترفت حكومات الحلفاء بهما فورا واخذت تمدهما بمبالغ كبيرة من المال للعمل المشترك مع الطبقات المالكة فيهما لانتشاء مراكز معادية للثورة من اجل الهجوم على روسيا السوفييتية . وفى النهاية ، عندما انتصرت البلشفية فى كلا البلدين ، استنجدت البرجوازية المهزومة بالالمان الذين اعادوها الى الحكم . . .

الا ان الخطر الداهم ضد الحكومة السوفييتية كان داخلها وذا رأسين - حركة كاليدين ، والقيادة العامة فى موغيليف ، حيث كانت القيادة بين يدي الجنرال دوخونين .

وعين مورافيفيف الحاضر فى كل مكان قائدا للعمليات ضد القوزاق . وقد جند جيش احمر من عمال المصانع . وارسل مئات الدماء الى منطقة الدون . واصدر مجلس مفوضى الشعب نداء الى القوزاق ١٧ شارحا فيه طبيعة الحكومة السوفييتية ، وكيف، كانت الطبقات المالكة اى الموظفون والملاكون العقاريون واصحاب

المصارف وحلفائهم وامراء القوزاق والجنرالات ، يحاولون تحطيم الثورة ومنع الشعب من مصادرة ثرواتهم .

وفي ٢٧ (١٤) تشرين الثاني (نوفمبر) ، جاء وفد من القوزاق الى سمولني لمقابلة تروتسكي ولينين . فسأل ما اذا كان صحيحا ان الحكومة السوفييتية تنوى توزيع اراضي القوزاق على فلاحى روسيا العظمى ؟ « كلا » - اجاب تروتسكي . وتهامس القوزاق فيما بينهم . « حسنا - سألوا هما - ولكن هل لدى الحكومة السوفييتية النية فى انتزاع اراضى كبار الملاكين العقاريين فى منطقتنا ، وتوزيعها بين الشغيلة القوزاق ؟ » فاجبهم لينين . « ان هذا منوط بكم انتم . اننا سندعم القوزاق الشغيلة فى كافة اعمالهم . . . ان افضل وسيلة للبدء هى تشكيل سوفياتات للقوزاق ، وعندها يصار الى تمثيلكم فى التسيك ، فتصبح الحكومة آنذاك حكومتكم كذلك » .

ذهب القوزاق مشغولى الفكر . وبعد اسبوعين زار الجنرال كالدين وفد من جيشه . « هل تعدنا - سأل الوفد - بتوزيع اراضى الملاكين العقاريين بين كادحى القوزاق ؟ » « لن يكون ذلك الا فوق جثتى » - اجاب كالدين . وبعد شهر من تلك الحادثة ، انتحر كالدين بعد ان رأى جيشه يتخلى عنه . وهكذا انتهت حركة القوزاق . . .

وفى تلك الاثناء كانت التسيك القديمة والقادة الاشتراكيون المعتدلون - من افكسنيتيف الى تشيرنوف - وقادة لجان الجيش القديمة والضباط الرجعيون مجتمعين فى موغيليف . وما تزال قيادة الجيش مصرة على موقفها من عدم الاعتراف بمجلس مفوضى الشعب ، وقد جمعت حولها فيالق الموت وفرسان القديس جورج والقوزاق العاملين فى الجبهة ، وكانت على اتصال سرى مع ملحقى عسكريى الحلفاء ومع حركة كالدين ومجلس الرادا الاوكرانى . . .

ولم تجب حكومات الحلفاء على مرسوم السلم الصادر في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) (٢٦ أكتوبر) والذي يقترح فيه مؤتمر السوفييت هدنة شاملة .

وفي ٢٠ (٧) تشرين الثاني (نوفمبر) وجه تروتسكى المذكرة التالية الى سفراء دول الحلفاء ١٨ :

« اتشرف بان ابلك ، السيد السفير ، ان مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ، قد شكل في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) حكومة جديدة للجمهورية الروسية على هيئة مجلس مفوضى الشعب . ان رئيس هذه الحكومة هو فلاديمير ايليتش لينين . وقد كلفت بادارة شؤون السياسة الخارجية بصفته مفوض الشعب للشؤون الخارجية .

وانى اذ الفت انتباهكم الى النص الذى اقره مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ، حول اقتراح الهدنة والصلح الديموقراطى ، بلا لحاق ولا نعويض ، على اساس حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، اتشرف بان اطلب منكم اعتبار هذه الوثيقة اقتراحا رسميا لتحقيق هدنة فورية على جميع الجبهات والشروع بمفاوضات عاجلة حول الصلح . ان حكومة الجمهورية الروسية وجهت هذا الاقتراح فى الوقت ذاته الى جميع الشعوب المتحاربة وحكوماتها . وتفضل ، يا سيادة السفير ، بقبول احترام الحكومة السوفييتية العميق لشعبكم الذى لا يمكن الا ان يكون راغبا فى السلم ، شأنه شان جميع الشعوب التى اتخنتها الجراح وانهكت قواها هذه المجزرة التى لا مثيل لها ...»

وفى تلك الليلة ذاتها ، ارسل مجلس مفوضى الشعب البرقية التالية الى الجنرال دوخونين :

« ان مجلس مفوضى الشعب يرى من الضرورى اقتراح الهدنة رسميا بلا تأخر على كافة البلدان المتحاربة ، سواء كانت حليفة ام فى حالة حرب معنا . ولقد ارسل مفوض الشؤون الخارجية مذكرة

بهذا الشأن الى ممثلى حكومات البلدان الحليفة فى بتروغراد . ان مجلس مفوضى الشعب يكلفك ، ايها المواطن القائد الاعلى ، بان توجه ، منذ استلامك هذه البرقية ، الى السلطات العسكرية العدو ، اقتراحا بوقف العمليات الحربية فورا بغية الشروع فى مفاوضات للصلح .

ان مجلس مفوضى الشعب ، اذ يكلفك بالقيام بهذه المحادثات الاولى (يامرك : ١) ان تبلغ المجلس باستمرار وبواسطة الاتصال المباشر ، بسير محادثاتك مع ممثلى جيوش العدو ؛ ٢) الا توقع عقد الهدنة الا بعد ان يصدق عليه مجلس مفوضى الشعب
استقبل سفراء الدول الحليفة مذكرة تروتسكى بصمت مزدور ، رافقته مقالات مغفلة فى الصحف تنضح بالحق والاستهزاء . ونعت الامر الصادر الى دوخوين علنا بانه خيانة

اما بالنسبة الى دوخوين ، فلم يرد على المذكرة . وفى ليلة ٢٢ (٩) تشرين الثانى (نوفمبر) اجرى معه اتصال هاتفى ، وردا على سؤال ما اذا كان ينوى اطاعة الامر ، اجاب انه لا يستطيع ذلك الا اذا صدر الامر عن «حكومة يؤيدها الجيش والبلد بأسره» . فاقبل على الفور برقيا من منصبه كقائد عام ، وعين كريلنكو مكانه . وتمشيا مع سياسته فى التوجه الى الجماهير ، ارسل لينين اذاعة الى لجان كافة الفرق والالوية والافواج والى جميع جنود وبحارة الجيش والاسطول ، يطلعهم فيها على رفض دوخوين ، ويامر «الافواج الموجودة فى المواقع ، ان تنتخب فورا مندوبين عنها ، للشروع رسميا فى مفاوضات حول الهدنة مع العدو»
وفى ٢٣ (١٠) تشرين الثانى (نوفمبر) سلم الملحقون العسكريون للامم الحليفة ، بناء على تعليمات وردت اليهم من حكوماتهم ، مذكرة الى دوخوين ، يحذرونه فيها رسميا « بعدم خرق شروط المعاهدات التى وقعت بين دول الحلفاء » . وجاء فى

المذكورة ايضا ان روسيا «ستجر على نفسها اضخم العواقب» اذا وقعت هدنة منفردة مع الالمان . ولقد ارسل دوخونين في الحال هذه المذكرة الى كافة لجان الجنود ...

وفي صباح اليوم التالي ، اذاع تروتسكى نداء آخر الى القوات ، واصفا مذكرة ممثلى الحلفاء بانها تدخل سافر في شؤون روسيا الداخلية ومحاولة خرقاء «لجبار الجيش الروسى والشعب الروسى ، بالتهديد على المضى في الحرب تنفيذا لمعاهدات عقدها القيصر ...» .

من سمولنى اخذ البلاغ يتدفق تلو البلاغ ١٩ فاضحا دوخونين والضباط المعادين للثورة الملتفين حوله ، ومشهرا بالسياسيين الرجعيين المجتمعين في موغيليف ، مشيرا ملايين الجنود الغاضبين ، والمتشككين من طرف جبهة طولها الف ميل الى طرفها الثانى . وفي الوقت ذاته توجه كريلنكو برفقة ثلاث وحدات من البحارة المتحمسين الى مقر قيادة الجيش العليا يتوق متوعدا بالثار ٢٠ ، فكان الجنود يستقبلونه في كل مكان بعواصف من الهتافات - وكان هذا انتصارا عظيما . وعندما اصدرت اللجنة المركزية للجيش بلاغا لصالح دوخونين ، تحرك عشرة آلاف جندى في الحال نحو موغيليف ...

وفي ٢ كانون الاول (ديسمبر) ثارت حامية موغيليف وسيطرت على المدينة ، معتقلة دوخونين ولجنة الجيش وخرجت لاستقبال القائد العام الجديد حاملة رايات النصر الحمراء . وفي صباح اليوم التالي ، دخل كريلنكو موغيليف ، فوجد جمعا غاضبا مجتمعما حول عربة سكة الحديد حيث سجن دوخونين . والقى كريلنكو خطابا ناشد فيه الجنود بالا يلحقوا الاذى بدوخونين ، لأنه سيؤخذ الى بتروغراد ليحاكم امام محكمة ثورية . وما ان انتهى من خطابه ، حتى اطل دوخونين فجأة من النافذة وكأنه يريد ان يتوجه الى الجمع . الا ان الشعب اندفع الى العربة اندفاعا

وحشياً وجر الجنرال العجوز الى الخارج وانهال عليه ضرباً على الرصيف حتى الموت .

وهكذا انتهى تمرد القيادة العليا . . .

وما ان قويت الحكومة السوفييتية للغاية من جراء انهيار آخر معقل هام للقوى العسكرية المعادية لها في روسيا ، حتى بدأت تنظم الدولة بثقة . فانضوى العديد من الموظفين القدامى تحت رايتها ، والتحق عدد كبير من اعضاء الاحزاب الاخرى بالجهاز الحكومى . الا ان مرسوم رواتب مستخدمى الدولة ، الذى حدد راتب مفوض الشعب - وهو اعلى راتب - بخمسمائة روبل في الشهر (حوالى خمسين دولاراً) خيب آمال الطامعين بالكسب المالى . . . اما اضراب موظفى الدولة الذى كان يقوده اتحاد الاتحادات ، فقد انهيار ، بعد ان تخلت عنه المصالح المالية والتجارية التى كانت تموله . وعاد موظفو المصارف الى اعمالهم . . . ومع مرسوم تأميم المصارف ، وانشاء المجلس الاعلى للاقتصاد الوطنى ، ووضع مرسوم الارض فى القرى موضع التنفيذ ، واعادة تنظيم الجيش على اسس ديموقراطية والتغييرات فى كافة القطاعات الحكومية والحياتية - مع هذه الاجراءات كلها ، التى استمدت فعاليتها من ارادة جماهير العمال والجنود والفلاحين ، بدأت ببطء ، وباخطاء وعقبات عديدة ، عملية سبك روسيا البروليتارية . لم يستلم البلاشفة السلطة نتيجة مساومة مع الطبقات المالكة او مع القادة السياسيين الآخرين ، ولا يارضاه جهاز الحكومة القديم ، ولا عن طريق عنف منظم مارسه فئة قليلة العدد . فلو لم تكن الجماهير فى كافة انحاء روسيا مستعدة للانتفاضة لاختفت محاولتهم . ان السبب الوحيد لنجاح البلاشفة يكمن فى انجازهم اوسع الرغبات وابسطها لطبقات الشعب الدنيا ، داعين الشعب الى العمل لهدم القديم وتدميره ، ومن ثم التعاون معه لاقامة بنية للعالم الجديد وسط عجاج الخرائب المتهالكة . . .

الفصل الثاني عشر

المؤتمر الفلاحى

لقد بدأ الثلج بالسقوط فى ١٨ (٥) تشرين الثانى .
ولدى استيقاظنا صباحا ، كانت طبقة بيضاء تغطى اطاريـف
النوافذ . وسبائـخ الثلج تتطاير بكثافة لا يرى معها الى ابعـد من
عشرة اقدم . لقد اختفى الوحل ، وفجأة اصبـحت المدينة العابسة
القائمة ، فاتنة البياض . وتحولت العربات الى زحافات تقفز على
الشوارع الوعرة بسرعة مذهشة وقد قست لـحى سائقيها
وتجمدت ... استولى الفرع على المدينة مع مجىء الثلج ، ورغم
الثورة ، والوثبة الشاهقة التى كانت تشبها روسيا بأسرها نحو غد
رهيب مجهول ، كان الجميع يبتسم وقد اخذ الناس يركضون فى
الشوارع ، يمدون ايديهم ليتلقفوا السبائـخ المخملية ، ضاحكين .
اختفى اللون الرمادى ، وبقيت القباب الذهبية بجرايها الملونة
وحدها تتلألأ وسط الثلج الابيض الذى زاد من روعتها الاصيلـة
البداية .

حتى الشمس طلعت عند الظهر شاحبة وباهتة اللون . اختفى
الزكام وآلام العصبى التى كانت سائدة طوال الاشهر الممطرة .
ودبّت الحياة فى المدينة ، وأخذت الثورة نفسها تغذّ فى السير ...
كنت جالسا ذات مساء فى مقهى مقابل مدخل سمولنى . كان
مكانا يعجّ بالضجيج ، ذا سقف واطى يسمى «وخ العم توم»

وكان براده العديد من رجال الحرس الاحمر . وهذه المرة ايضا ،
 كانوا يحشدون فيه حول مناضد صغيرة مغطاة باغطية مبقعة امام
 اواني الشاي الفخارية الكرشاء ، مائتين القاعة بدخان لفائفهم
 الخانى ، بينما كان الندل يركضون يمنا ويسرة صارخين : « حالا ،
 حالا ! » .

وفي زاوية جلس رجل يرتدى بزة نقيب ، يخاطب الحضور
 الذى كان يقاطعه دائما . صاح :

« لستم احسن من القنلة ! انكم تطلقون الرصاص فى الشوارع
 على اخوانكم الروس ! »

وسأله عامل : « متى فعلنا ذلك ؟ واين ؟ »

« الأحد الماضى عندما اليونكر ... »

« وهؤلاء ، ألم يطلقوا النار علينا ؟ (وقد رفع احد الرجال

يده المضادة) لقد ترك لى هؤلاء الشياطين تذكارا ! »

فصاح النقيب بملء رئتيه . « عليكم ان تلتزموا الحياد !
 عليكم ان تلتزموا الحياد ! باى حق تقضون انتم على الحكومة
 الشرعية ؟ ومن هو لينينكم هذا ؟ المانى ... »

وانطلقت الصيحات من جميع النواحي : « وانت ، من انت ؟ !
 انك عدو الثورة ! استفزازى ! »

وعندما قل الضجيج بعض الشيء ، نهض النقيب قائلا :
 « حسنا ، انكم تسمون انفسكم الشعب الروسى ، ولكن الشعب
 الروسى - ليسى انتم ! الشعب الروسى - انه الفلاحون ! انتظروا
 الفلاحين حتى ... »

« نعم ، ننتظر - صرخ مخاصموه - وننظر ماذا يقول
 الفلاحون ! نحن نعلم ما سيقولونه ! اليسوا هم شغيلة مثلنا ؟ »
 كل شىء كان يتوقف فى آخر المطاف على الفلاحين . وبالرغم
 من انهم كانوا متأخرين سياسيا ، فلقد كانت لهم افكارهم الخاصة ،

فضلا عن انهم كانوا يؤلفون اكثر من ٨٠% من سكان روسيا . وكان اتباع البلاشفة قليلين نسبيا بينهم ، وقيام ديكتاتورية ثابتة على عمال الصناعة وحدهم كان امرا مستحيلا في روسيا ... كان حزب الاشتراكيين-الثوريين ممثل الفلاحين التقليدى ، وعليه فان قيادة الفلاحين كانت تعود ، بشكل طبيعى ، الى الاشتراكيين-الثوريين اليساريين وليس الى اى حزب آخر من الاحزاب التى تؤيد الحكومة السوفييتية . ونظرا لوقوع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، تحت رحمة البروليتاريا المنظمة فى المدن ، فقد كانوا بأمس الحاجة الى تأييد الفلاحين ...

اما سمولنى فلم تكن تهمل الفلاحين من جهتها . فبعد اصدار مرسوم الارض ، كان احد الاعمال الاولى للتسيك الجديدة ، الدعوة الى مؤتمر للفلاحين ، من وراء ظهر اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين . وبعد بضعة ايام صدرت تعليمات مفصلة تتعلق بنظام لجان الارض فى الاقضية ، وقد عقبته رسائل^١ لينين للفلاحين وهى تشرح بعبارات بسيطة امر الثورة البلشفية والحكومة الجديدة . وفى ١٦ (٣) تشرين الثانى (نوفمبر) اصدر لينين وميلوتين «التعليمات الى مبعوثى الاقاليم» وتولت الحكومة السوفييتية ارسال الالوف من هؤلاء المبعوثين الى القرى :

«اولا : على المبعوث حال وصوله الى الاقليم المحدد له ، ان يجمع اللجنة التنفيذية لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين وان يعرض قانون الارض ، ويطلب دعوة مجلس عام لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين فى النواحي والمقاطعات .

ثانيا : ان يستوضح وضع مسألة الارض فى المقاطعة :

١) هل اجرى تسجيل اراضى الملاكين العقاريين ، واين وفى اية مقاطعات ؟

ب) من يتصرف باراضى الملاكين العقاريين : اللجان الزراعية
 ام الملاكون العقاريون كسابق عهدهم ؟
 ج) ماذا حلّ بالعتاد الزراعى ؟
 ثالثا : هل ازدادت مساحة الاراضى التى زرعها الفلاحون ؟
 رابعا : ما هى الكمية التى تم شحنها من الحصة المقررة
 للمقاطعة المعنية ؟

خامسا : على المبعوث ان يشرح ما يلى : طالما ان الفلاحين
 قد حصلوا على الارض ، فمن الضروري جدا زيادة شحن الحبوب
 الى اقصى حد والاسراع فى تزويد المدن بالقمح لكون ذلك
 الوسيلة الوحيدة لابعاد شبح المجاعة .

سادسا : ما هى الاجراءات التى اتخذت والمنوى اتخاذها
 لانجاز عملية انتقال ملكية الاراضى الى اللجان الزراعية ولجان
 الاقضية والى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ؟
 سابعا : يوصى بوضع العقارات المنظمة والمجهزة بصورة
 جيدة ، تحت تصرف سوفييتات العمال الزراعيين الاجراء وبإشراف
 خبراء زراعيين اكفاء ...» .

وبدأت فى الريف حركة تبشر بالتغيرات ، وذلك
 ليس نتيجة مرسوم الارض الصاعق فحسب ، بل ايضا نتيجة
 رجوع الالوف من الجنود الفلاحين من الجبهة والذين كانوا يحملون
 معهم الروح الثورية ... وهؤلاء الرجال هم انفسهم ، بشكل خاص ،
 الذين حيوا بحماس الدعوة الى مؤتمر فلاحى .

وكما فعلت التسيك السابقة بشأن المؤتمر الثانى لسوفييتات
 العمال والجنود ، فان اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ،
 حاولت منع انعقاد المؤتمر الفلاحى الذى دعت اليه سمولنى ،
 وعندما رأت - شأنها فى ذلك شان التسيك السابقة - ان محاولتها
 محكوم عليها بالفشل ، ارسلت بسرعة محمولة الى كل مكان برقيات

شديدة اللهجة ، أمرة بانتخاب مندوبين محافظين ، حتى ان الاشاعة قد انتشرت ايضا بين الفلاحين بان المؤتمر سينعقد في موغيليف ، وبالفعل فان بعض المندوبين قد قصد الى هناك . بيد انه في يوم ٢٣ (١٠) تشرين الثاني (نوفمبر) ، وصل حوالى اربعمائة مندوب الى بتروغراد ، حيث بدأت بالفعل ، الاجتماعات الاولى للحزب لقد جرى الاجتماع الاول للمؤتمر في قاعة الكسندر في الدوما البلدى . وظهر التصويت الاول بان اكثر من نصف المندوبين من الاشتراكيين-الشوريين اليساريين ، وبان البلاشفة كانوا يتمثلون تماما بنسبة الخمس ، وبان الاشتراكيين-الشوريين اليمينيين يتمثلون بالربع ؛ اما الباقيون فلم يكن يوحد بينهم سوى عدااء مشترك تجاه اللجنة التنفيذية السابقة ، المهيمن عليها افكسنينيف وتشايكوفسكى وييشيخونوف

وكانت القاعة الكبرى تموج بالحضور ، تدوى فيها صبحات متواصلة . ان عداوة عميقة ، عنيدة ، تقسم المندوبين الى جماعات متعادية . الى اليمين كانت ترى كثافات الضباط ، وتتميز لحي الفلاحين المسنين والميسورين ؛ وفي الوسط كان يوجد قليل من الفلاحين ، وصف الضباط وبعض الجنود ؛ وفي اليسار كان جميع المندوبين تقريبا يرتدون بزة الجنود البسطاء : انه الجيل الساب الذى كان يخدم في الجيوش كانت الشرفات تزدهم بالعمل - الذين يحنون في روسيا دائما الى منشئهم الريفى

وخلافا للتسيك السابقة ، فان اللجنة التنفيذية لم تعترف بالمؤتمر رسميا لدى افتتاح جلسته : فان افتتاح المؤتمر الرسمى كان معنا في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) . وفي جو عاصف من التصفيق والاحتجاجات الصاخبة ، اعلن خطيب اللجنة التنفيذية بان الاجتماع الحالى لم يكن سوى «اجتماع غير عادى» غير ان «الاجتماع غير العادى» هذا سرعان ما اظهر بعد ذلك شعوره تجاه

اللجنة التنفيذية عندما انتخب ماريا سبيريدونوفا ، قائدة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، رئيسة له .

لقد ساد اليوم الاول كله تقريبا جدل عاصف : أيفوضون مندوبى الاقضية ام يقتصر الامر على مندوبى الاقاليم فقط ؟ وكما جرى فى مؤتمر العمال والجنود ، فقد اعلنت الاكثرية الساحقة ناييدها لاوسع تمثيل ممكن ، وعلى اثر ذلك ، غادرت اللجنة التنفيذية السابقة القاعة ...

كان واضحا منذ البدء بان معظم المندوبين كانوا اعداء لحكومة مفوضى الشعب . ولقد سخر من زينوفيف عندما حاول التكلم باسم البلاشفة ، ولدى مغادرته المنصة وسط عاصفة من الضحك ، سمع احدهم يصرخ : « انتهى امر مفوض الشعب ! » . « نحن الاشتراكيين-الثوريين اليساريين » - صرخ نازاريف وهو مندوب مقاطعة ، - نرفض الاعتراف بحكومة العمال والفلاحين المزعومة ، طالما ان الفلاحين لم يتمثلوا فيها . فى الوقت الحاضر ليست هذه سوى ديكتاتورية العمال ... نحن نلج فى تشكيل حكومة جديدة تمثل الديمقراطية بمجموعها ! »

لقد ساند مندوبو الرجعية هذه المشاعر بكل قواهم زاعمين وسط احتجاجات البلاشفة ، بان مجلس مفوضى الشعب يتوخى ان يفرض ارادته على المؤتمر ، او ان يحلله بقوة السلاح ، فقابل الفلاحون هذا التصريح بالاستهزاء والاستهجان . وفى اليوم الثالث ظهر لينين فجأة على المنصة . وخلال عشر دقائق ساد القاعة جو جنونى : « ليسقط ! - كانوا يصرخون - نحن لن نستمع الى مفوضى الشعب العائدين لك ! نحن لا نعترف بحكومتك ! »

كان لينين واقفا ، هادئا تماما ، ممسكا حافى المنصة

بكلتا يديه ، وعيناه الصغيرتان تراقبان بانتباه الضجيج ، واخيرا
اخذ الهيجان يهدأ ، عدا مقاعد الناحية اليمنى .

«لم آت هنا بوصفى عضوا في مجلس مفوضى الشعب - قال
لينين ، متوقفا لكى يترك مجالا للضجة ان تهدأ ، - ولكن بوصفى
عضوا في الجناح البلشفى ، مندوبا حسب الاصول الى هذا
المؤتمر» . ورفع عاليا فوق رأسه ورقة اعتماده كى يتسنى للجميع
رؤيتها .

«ولكن - واصل لينين بصوت هادى تماما - لا ينكر احد بان
الحكومة الروسية الحالية قد شكلت من قبل حزب البلاشفة ... -
ومن جديد انتظر ثوان ... - بحيث ان الامر نفسه من الوجهة
العملية ...» لدى سماع هذه الكلمات ، خرج من مقاعد اليمين
صراخ مصم ، اما الوسط واليسار ، وقد استيقظ فيهم الفضول ،
فقد فرضوا السكوت .

لقد كانت حجج لينين بسيطة . «قولوا لى بصراحة ، انتم
ايها الفلاحون ، الذين اعطيناكم اراضى الملاكين العقاريين : اذا اردتم
الآن منع العمال من ممارسة الاشراف على الصناعة ؟ ان هذا صراع
طبقى . فالملكون العقاريون كما هو واضح ، يصارعون الفلاحين ،
والصناعيون يصارعون العمال . هل تريدون انتم ان تصاب صفوف
البروليتاريا بالانشقاق ؟ والى اية جهة ستقفون ؟

نحن البلاشفة ، نحن حزب البروليتاريا ، - بروليتاريا الريف
كما نحن حزب بروليتاريا الصناعة . نحن البلاشفة حماة
السوفييتات ، - سوفييتات الفلاحين ، وسوفييتات العمال والجنود .
ان الحكومة الحالية هى حكومة السوفييتات - نحن لم ندع
سوفييتات الفلاحين للمساهمة فى الحكم فحسب ، بل نحن دعونا
ايضا ممثلى الاشتراكيين-الثوريين اليساريين للاشتراك فى مجلس
مفوضى الشعب ...

ان السوفييتات هي التمثيل الاكمل للشعب ، للشعب الذى يشتغل فى المعامل والمناجم والذى يكدح فى الحقول . وكل من يحاول نسف السوفييتات يقترب عملا غير ديموقراطى ومعاذيا للثورة . وانى لأسمح لنفسى بان اقول لكم ، ايها الرفاق الاشتراكيون- الثوريون اليمينيون ، وانتم ايها السادة الكاديت ، بانه ، اذا حاولت الجمعية التأسيسية هدم السوفييتات ، فنحن لن نسمح لها بذلك !»

بعد ظهر يوم ٢٥ (١٢) تشرين الثانى (نوفمبر) وصل تشيرنوف على وجه السرعة من موغيليف ، اذ استدعته اللجنة التنفيذية . لقد كان معتبرا قبل ذلك بشهرين ، كثرى متطرف ويحظى بشعبية كبيرة لدى الفلاحين ، واليه الآن وجه النداء كي يعيق انزلاق المؤتمر الخطير نحو اليسار . ولدى وصول تشيرنوف الى بتروغراد ، اوقف وسيق الى سمولنى ، ثم بعد محادثة قصيرة ، اطلق سراحه .

ان اول عمل قام به هو التنديد باعضاء المجلس التنفيذى لكونهم تركوا المؤتمر . لقد وافقوا على ان يعودوا اليه . ولدى دخول تشيرنوف القاعة ، استقبل بتصفيق من الاكثريه وبصيحات الاستنكار والقدح من البلاشفة .

«ايها الرفاق ، لقد كنت متغيبا . لقد اشتركت فى اجتماع الجيش الثانى عشر للدعوة الى مؤتمر لجميع مندوبى الفلاحين لجيوش الجبهة الغربية . ولهذا فاني على معرفة يسيرة بالانتفاضة التى جرت هنا ...»

وقف زينوفييف ، متصديا له ، وقاذفا اياه بالعبارة التالية :
 « نعم ، كنت متغيبا - لبضع دقائق ! » . ضوؤا صاخبة . صراخ :
 « ليسقط البلاشفة ! » .

واصل تشيرنوف الكلام : « ان التهمة بانى ساعدت على قيادة جيش ضد بتروغراد تهمة دون اساس ، انها تهمة كاذبة كليا . من اين هذه التهمة ؟ اعطوني مصادركم ! » .

زينوفيف : «الارستيا» و«دילו نارودا» («الابر»
و«قضية الشعب») ، صحافتكم الخاصة ، هذه هي المصادر !
احمر وجه تشيرنوف العريض ، مع شعره المسترسل ولحيته
الرمادية ، من الغضب ، واخذت عيناه تقدحان شررا ، ولكنه
تحامل على نفسه واستطرد : «اكرر بانى لا اعرف تقريبا شيئا عما
جرى وانى لم اقد جيشا سوى هذا ، (واشار بحركة الى مندوبى
الفلاحين) ، وانى آخذ كليا على عاتقى مسؤولية قيادتى هذا الجيش
الى هذه القاعة» . ضحك وصراخ : «برافو ، أحسنت !» .
«ولدى عودتى ذهبت الى سمولنى . لم يقدم ضدى اى اتهام
من هذا النوع ... وبعد محادثة قصيرة ، تركت وهذا كل ما جرى .
ليات احد الآن ليعيد هذه التهمة !»
وهنا تعالت ضجة منطلقة العنان . البلاشفة وبعض
الاشتراكيين-الشوريين اليساريين كانوا وقوفا ، يزمجرون ويتوعدون
بقبضاتهم ، فى حين ان بقية المجلس حاولت جاهدة ان تغطى على
اصواتهم .
«هذه قضية ، وليست هذه جلسة !» - صرخ تشيرنوف
وغادر القاعة ، وارجى الاجتماع بسبب الضجة وعدم الانضباط
والفوضى ...

فى اثناء ذلك كانت قضية شرعية اللجنة التنفيذية تهيج
الافكار . وبمجرد الاعلان بان المؤتمر هو «اجتماع غير عادى»
كانوا يأملون منع اعادة انتخاب اللجنة التنفيذية ، لكن هذا كان
سلاحا ذا حدين . ان الاشتراكيين-الشوريين اليساريين اعلنوا بالفعل
انه اذا لم يكن للمؤتمر اية سلطة على اللجنة التنفيذية ، فلا يمكن
لهذه ان تتمتع باية سلطة على المؤتمر . وفى ٢٥ (١٢) تشرين
الثانى (نوفمبر) ، قرر المؤتمر بان سلطات اللجنة التنفيذية
سيمارسها الاجتماع غير العادى وان اعضاء اللجنة التنفيذية الذين

انتخبوا بصورة قانونية كمندوبين سيشتكون وحدهم بالتصويت ...

وفي اليوم التالي ، بالرغم من معارضة البلاشفة ، فان تعديلا طرأ على هذا الحل ، يحق بموجبه لكافة اعضاء اللجنة التنفيذية سواء اكانوا مندوبين ام لا ، ان يصوتوا في المجلس .

في ٢٧ (١٤) تشرين الثاني (نوفمبر) ، جرى التصويت على القضية الزراعية ، الذي اظهر الخلافات التي تفرقت بين برنامج البلاشفة وبرنامج الاشتراكيين-الثوريين اليساريين .

رسم كاتشينسكى الذي تكلم باسم الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، تاريخ القضية الزراعية خلال الثورة . ان اول مؤتمر لسوفييتات الفلاحين ، قال ، قد صوت على قرار واضح يقضى بتسليم الملكيات الكبيرة فورا الى اللجان الزراعية . غير ان قواد الثورة وبرجوازيى الحكومة قد عارضوا حل القضية قبل اجتماع الجمعية التأسيسية ... والمرحلة الثانية من الثورة ، وهى «مرحلة المساومات» ، اتسمت بدخول تشيرنوف الوزارة . لقد كان الفلاحون يعتقدون اعتقادا حازما بان الحل العملى لقضية الارض يقترب ، غير انه بالرغم من القرار الذى الصفة الآمرة لمؤتمر الفلاحين الاول ، فان الرجعيين و«المساومين» فى اللجنة التنفيذية كانوا قد منعوا كل عمل . وهذه السياسة قد اثارت سلسلة من الفوضى فى الارياف ، وكانت هى التعبير المنطقى لنفاد صبر الفلاحين ولمطامحهم المكبوتة . لقد فهم الفلاحون المعنى الحقيقى للثورة ، ولقد كانوا يحاولون الانتقال من الكلام الى الاعمال ...

«ان الاحداث الاخيرة - قال الخطيب - ليست هى تمردا بسيطا ، ولا «مغامرة بلشفية» ، ولكنها انتفاضة شعبية حقيقية ، استقبلت بعطف فى البلاد كلها ...

وعلى كل حال ، فقد وقف البلاشفة من قضية الارض الموقف

الصحيح ، ولكنهم بتوصيتهم الفلاحين بالاستيلاء على الارض بالقوة ، قد ارتكبوا خطأ جسيما ... لقد اعلن البلاشفة منذ الايام الاولى بان على الفلاحين ان يستولوا على الارض « بعمل ثورى جماهيرى » . انها الفوضى ، ان الاستيلاء على الارض يمكن ان يتم بصورة منظمة ... اما بالنسبة للبلاشفة ، فالمهم ان تحل كل قضايا الثورة بأسرع ما يمكن ، اما **طرق** حل هذه القضايا فلم يكن البلاشفة مهتمين بها ...

ان مرسوم الارض الصادر عن مؤتمر السوفييتات يتفق تماما من حيث الجوهر ومقررات مؤتمر الفلاحين الاول . فلماذا اذن ، تأبى الحكومة الجديدة ان تسلك ذلك التاكتيك الذى رسمه هذا المؤتمر ؟ لأن مجلس مفوضى الشعب ، توخى من الاسراع بحل هذه القضية على هذا النحو ، ألا يتيح للجمعية التأسيسية اية امكانية للعمل ...

لكن الحكومة رأت ان الاجراءات العملية ضرورية ايضا ، ولذا فانها اقرت ، بدون تبصر ، القواعد من اجل اللجان الزراعية ، موجدة بالتالى وضعها غريبا : ذلك ان مجلس مفوضى الشعب قد اغى الملكية الخاصة للارض ، فى حين ان القواعد التى اقامتها اللجان الزراعية كانت تقوم على مبدأ الملكية الخاصة ... ولكن ليس فى ذلك مصيبة ، لأن اللجان الزراعية ، لن تأخذ بعين الاعتبار ابداء مراسيم السلطة السوفييتية ، فهى تطبق فقط مقرراتها الخاصة ، هذه المقررات التى تستند على ارادة اكثرية الفلاحين العظمى ... ان هذه اللجان الزراعية لا تحاول حل قضية الارض عن طريق التشايع ، وهذا من مهمة الجمعية التأسيسية وحدها ... ولكن هل سترغب الجمعية التأسيسية" تلبية ارادة الفلاحين الروس ؟ ان هذا ما لا نستطيع تأكيده ... ان كل ما نثق به ، هو ان الحزم الثورى قد ازداد كثيرا لدى الفلاحين ، وان الجمعية التأسيسية ستكون

مضطرة الى ان تحل قضية الارض حسب رغبة الفلاحين ... ان الجمعية التأسيسية لن تجرؤ على القطيعة مع ارادة الشعب ، وقد عبر عنها بكل وضوح ...»

وبعد كاتشينسكى شرع لينين بالكلام ، وقد اصى اليه الآن بانتباه شديد :

« في هذه الآونة ، نحن لا نسعى لحل قضية الارض فحسب ، بل كل قضية الثورة الاجتماعية ، — وليس فقط هنا في روسيا ، بل في العالم كله . ان قضية الارض لا يمكن حلها بصورة مستقلة عن قضايا الثورة الاجتماعية الاخرى . ان مصادرة الاراضى لا تثير مثلاً مقاومة الملاكين العقاريين الروس وحدهم ، بل تثير ايضا مقاومة الرأسمال الاجنبى الذى ارتبط به الملاكون العقاريون الكبار بواسطة المصارف ...»

ان نظام الملكية الخاصة العقارية في روسيا هو اساس لاستثمار مخيف ، وعليه فان مصادرة الاراضى من قبل الفلاحين هى من اهم خطوات ثورتنا . لكن هذا العمل لا يمكن ان ينفصل عن الخطوات الاخرى ، وهذا ما يتضح تماما في كل المراحل التى اجتازتها ثورتنا . ان خطأ الاشتراكيين-الثوريين اليساريين كان يقوم في ذلك الوقت على انهم لم يقاوموا سياسة التسامح ، اذ كانوا يتمسكون بالنظرية القائلة بان وعى الجماهير لم يتطور بعد بصورة كافية ...»

اذا كان تطبيق الاشتراكية ممكنا فقط عندما تسمح بذلك درجة تطور اذهان الجماهير الشعبية ، فاننا لن نرى الاشتراكية بالتالى حتى بعد خمسمائة سنة ... ان الحزب السياسى الاشتراكى — هو طليعة الطبقة العاملة ، وعليه لا يجوز ان يوقفه المستوى المتدنئ لتطور الجماهير ، بل عليه ان يجر الجماهير ورائه ، مساعدا السوفييتات كهيئات تشجيع على المبادرة

الثورية ... ولأجل جر المترددين ، يجب على الرفاق الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ان يحجموا هم انفسهم عن التردد... ان الجماهير الشعبية ، بدأت تبعد عن المساومين منذ شهر تموز (يوليو) الماضي ، ولكن الاشتراكيين-الثوريين اليساريين لا يزالون حتى الآن ، في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) يمدون ايديهم الى افكسنتيف الذي يتشبث بقايا حقيرة من شعبيته السابقة ... و اذا استمرت المساومة ، فان الثورة ستهلك . لا مجال للمساومات مع البرجوازية ، يجب الاطاحة بسلطتها نهائيا .

نحن ، البلاشفة ، لم نغير برنامجنا الزراعي ، لم نعدل وليس في نيتنا ان نعدل عن القضاء على الملكية الخاصة للارض . لقد تبيننا «القواعد من اجل اللجان الزراعية» - وهي لا تقوم **ابدا** على مبدأ الملكية الخاصة - لأننا رغبنا في ان ننفذ ارادة الشعب بذات الطريقة التي اختارها الشعب نفسه من اجل ذلك ، كي نرص بالتالي بصورة امتن ، تحالف جميع العناصر المناضلة في سبيل الثورة الاشتراكية . نحن ندعو الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الى الانضمام الى هذا التحالف ، ولكننا نلح عليهم مع ذلك ان ينقطعوا عن النظر الى خلف وان يقطعوا صلاتهم مع جناح المساومين في حزبهم ...

واما بالنسبة الى الجمعية التأسيسية ، فانه من الصحيح تماما ، كما قال الخطيب السابق ، بان نتيجة اعمالها رهن بالحزم الثوري لدى الجماهير . ولكني اقول : ثقوا بهذا الحزم الثوري ، ولكن لا تبعدوا بنادقكم عن متناول ايديكم !

ثم تلا لينين قرار البلاشفة :

« ان المؤتمر الفلاحي يؤيد تماما وكلية قانون (مرسوم) الارض الصادر في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) - ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) - ١٩١٧ ، الذي اقره المؤتمر الثاني لسوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ، والذي اعلنه مجلس مفوضي

الشعب بوصفه حكومة مؤقتة لعمال وفلاحى الجمهورية الروسية .
ان المؤتمر الفلاحى يعرب عن حزمه الراسخ والثابت بان يؤيد بكل
قواه تطبيق هذا المرسوم ، انه يدعو كافة الفلاحين الى ان يمنحوه
تأييدهم بالاجماع وان يضعوه هم انفسهم قيد التنفيذ دون اية
مهلة ؛ كما يدعو الفلاحين ايضا الى عدم الانتخاب الى جميع
المراكز الهامة ، سوى الاشخاص الذين اثبتوا بالافعال لا بالاقوال ،
اخلاصهم المطلق لمصالح الشغيلة والفلاحين المستثمرين
واستعدادهم وقدرتهم على الذود عن هذه المصالح ضد كل مقاومة
يديرها الملاكون الكبار والرأسماليون وكل انصارهم واتباعهم .

ان المؤتمر الفلاحى يعرب بالاضافة الى ذلك عن ثقته بان
التنفيذ الكامل لكافة الاجراءات التى ينص عليها مرسوم الارض ،
ليس ممكنا الا بشرط نجاح الثورة الاشتراكية العمالية التى بدأت
فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) - ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ؛ اذ ان
الثورة الاشتراكية قادرة وحدها بالفعل ان تؤمن نقل الارض بصورة
محاينة للفلاحين الشغيلة ، ومصادرة الاعتدة الزراعية العائدة الى
الدلاكن العقاريين وتأمين الحماية التامة لمصالح العمال الزراعيين
المأجورين الى جانب الشروع بالقضاء النهائى والفورى على كل نظام
العبودية الرأسمالى ، والتوزيع الصائب والمنهجى للمحاصيل الزراعية
والمنتجات الصناعية فيما بين مناطق البلاد وسكانها وتأمين السيطرة
على المصارف (التى بدونها لا تكون سيطرة الشعب على الارض
ممكنة رغم الغاء الملكية الخاصة للارض) وتأمين مساعدة الدولة
الشاملة للكادحين والمستثمرين بالضبط ، الخ . .

ولذا فان المؤتمر الفلاحى اذ يؤيد تمام التأييد ثورة ٢٥
نشرين الاول (اكتوبر) - ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) - بوصفها ثورة
اشتراكية ، يعرب عن تصميمه الراسخ لتحقيق التدابير الرامية الى

تحويل الجمهورية الروسية تحويلا اشتراكيا ، وذلك بالتدريج المناسب ، ولكن دون ان يخالطه اى تردد .

ان الشرط الذى لا غنى عنه لانتصار الثورة الاشتراكية التى هى وحدها تؤمن النجاح الراسخ والتنفيذ الكلى لمرسوم الارص ، هو التحالف الكامل بين الفلاحين الكادحين المستثمرين والطبقة العاملة - البروليتاريا - على نطاق كافة البلدان المتقدمة . ومن الآن وصاعدا ، يجب ان يقوم كل تركيب وكل ادارة لجهاز الدولة فى الجمهورية الروسية ، ابتداء من الاعلى الى الادنى ، على هذا التحالف . ان تحالفا كهذا ، اذ يرد كل المحاولات المباشرة او غير المباشرة ، المكشوفة والمستترة ، الرامية الى المساومة مع البرجوازية ومنفذى سياستها ، المساومة التى قضت عليها الحياة ، ان هذا التحالف قادر وحده على تأمين انتصار الاشتراكية فى العالم .

لم يجرو رجعيو اللجنة التنفيذية ان يظهروا على المكشوف . وفى اثناء ذلك ، تكلم تشيرنوف مرات عديدة ، بتجرد ملؤه البساطة ، متكلفا عدم المحاباة . فدعى الى الجلوس على مقعد فى هيئة الرئاسة . . . وفى الليلة الثانية لانعقاد المؤتمر ، ورد الى الرئاسة مكتوب مغفل يطالب اعتبار تشيرنوف رئيسا فخريا . قرأ اوستينوف المكتوب بصوت عال . فانتصب زينوفييف فجأة مزمجرا ان هذا فخ من قبل اللجنة التنفيذية السابقة للسيطرة على المؤتمر . وبلحظة تحولت القاعة من جهتها الى كتلة هادرة من الايدى المتحركة والوجوه المهتاجة ، ومع ذلك . . . فقد بقيت لتشيرنوف شعبية كبيرة .

وخلال المناقشة العاصفة على القضية الزراعية والقرار الذى قدمه لينين ، كان البلاشفة ، على رشح ، ان يتركوا المجلس ، لكن رؤساءهم كانوا يبقونهم كل مرة . . . كان لدى (الباء تعود لريد) الشعور آنذاك بان المجلس يمر فى مازق . ولم يكن احد منا ليعرف بان محادثات سرية كانت تجرى فى

سمولنى بين الاشتراكيين-الثوريين اليساريين والبلاشفة . فى البدء طالب الاشتراكيون-الثوريون اليساريون بحكومة تضم جميع الاحزاب الاشتراكية ، الممثلة او غير الممثلة فى السوفييتات ، ومسؤولة امام مجلس الشعب الذى سيتألف من عدد متساوى من مندوبى منظمات العمال والجنود ومنظمات الفلاحين ويملا شواغره مندوبون عن دوما البلديات والزييمستفوات . ويستبعد لينين وتروتسكى ، وتحل اللجنة العسكرية الثورية ومنظمات القمع الاخرى .

وفى صباح الاربعاء ، الواقع فى ٢٨ (١٥) تشرين الثانى (نوفمبر) ، وبعد معركة حامية استمرت طوال الليل ، عقد اتفاق . فالتيك ، التى تضم ١٠٨ اعضاء ، قد زيدت بـ ١٠٨ اعضاء آخرين منتخبين حسب التمثيل النسبى من قبل المؤتمر الفلاحى ، وبـ ١٠٠ مندوب منتخب بالتصويت المباشر من قبل الجيش والبحرية وبـ ٥٠ ممثلا عن النقابات (٣٥ عن نقابات سائر روسيا ، ١٠ عن سكك الحديد و٥ عن البريد والبرق والهاتف) . ورفض اشتراك الدوما والزييمستفوات . وبقي لينين وتروتسكى فى الحكومة واستمر عمل اللجنة العسكرية الثورية . ان جلسات المؤتمر قد نقلت بعد ذلك الى مدرسة الحقوق الامبراطورية ، فى البناء رقم ٦ شارع فونتانكا ، مركز اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين . وبعد ظهر يوم الاربعاء ، اجتمع المندوبون فى قاعة الاجتماعات الكبيرة . وقد انسحبت اللجنة التنفيذية السابقة وعقدت بنفس الوقت فى قاعة اخرى جلسة غير رسمية اشترك فيها المندوبون المستأوون وممثلون عن لجان الجيش .

كان تشيرنوف يذهب من مجلس الى آخر ، يراقب بانتباه سير المناقشة . لقد علم بان اتفاقا مع البلاشفة قيد البحث ، ولكنه كان يجهل بانه قد تم .

«والآن لما كان الجميع يؤيدون قيام حكومة تضم سائر الاشتراكيين ، - قال في اجتماع المنشقين ، - ينسى الكثيرون الحكومة الاولى التي لم تكن حكومة اتحاد ولا تضم سوى اشتراكي واحد - يدعى كيرنسكى . كانت هذه الحكومة آنذاك تتمتع بشعبية كبيرة ، واليوم يتهمون كيرنسكى ، ولقد نسوا انه حمل الى الحكم ليس من قبل السوفييتات وحدها ، بل من قبل الجماهير الشعبية ايضا ...

فلماذا اذن تبدل الراى العام بالنسبة الى كيرنسكى ؟ ان المتوحشين يقيمون لانفسهم اربابا يقدمون اليها الصلوات ويعاقبونها عندما لا تحقق واحدا من آمالهم . وهذا ما يجرى الآن تماما ... فى الامس كيرنسكى واليوم لينين وتروتسكى وغدا واحد آخر ...

لقد اقترحنا على كيرنسكى والبلاشفة فى نفس الوقت ان يتخلو عن السلطة . لقد وافق كيرنسكى على ذلك - واليوم ابلغ وهو فى مخبئه ، انه يتنازل عن منصب رئاسة الوزارة . اما البلاشفة فانهم يرغبون فى الاحتفاظ بالسلطة رغم انهم لا يعرفون كيف يتصرفون بها ...

ان مصير روسيا لن يتغير سواء احتفظ البلاشفة بالسلطة ام لا . ان القرية الروسية تعرف تماما ما تريد . وهى تتخذ التدابير الخاصة بها . ان هذه القرية بالذات هى التى ستنتقدنا فى آخر الامر ...»

فى تلك الاثناء ، اعلن اوستينوف فى القاعة الكبرى الاتفاق المعقود بين المؤتمر الفلاحى وسمولنى ، ولقد غمر المندوبين سرور لا يوصف . وفجأة ظهر تشيرنوف وطلب الكلام :

«انى ارى انه يجرى عقد اتفاق بين المؤتمر الفلاحى وسمولنى . ان اتفاقا كهذا سيكون غير شرعى ، لأن مؤتمر سوفييتات الفلاحين الحقيقى لن ينعقد الا فى الاسبوع القادم ...

وفضلا عن ذلك ، فاني ارغب ان ابهكم بان البلاشفة لن
ينفذوا ابدا مطالبكم ... » .

عاصفة واسعة من الضحك قطعت عليه كلامه . وادرك بسرعة
الموقف ، فقد غادر المنصة والقاعة آخذا معه شعبيته ...

وفي ساعة متأخرة من بعد ظهر يوم الخميس الواقع في ٢٩
(١٦) تشرين الثاني (نوفمبر) ، انعقد المؤتمر في جلسة فوق
العادة . وقد ساد جو العيد ، وكانت كل الوجود مبثمة ...
صفت بسرعة الاعمال قيد الدراسة ، وبصوت مرتجف وعيون
تملؤها الدموع ، قرأ ناناسون ذو اللحية البيضاء عميد
الاشتراكيين-الثوريين اليساريين « عقد الزواج » بين سوفيات
الفلاحين وسوفيات العمال والجنود . وفي كل مرة كانت تتردد فيها
كلمة « اتحاد » كان يدوي تصفيق عاصف ... وعند النهاية
اعلن اوستينوف مجيء وفد من سمولني بسحبة ممثلين عن
الجيش الاحمر . جرى للوفد استقبال حافل ، واحدا اثر آخر ،
اعتلى المنصة عامل ، فجندي فبحار ليحيوا المؤتمر .

ثم اخذ الكلام بورييس راينشتاين مندوب حزب العمال
الاشتراكي الاميركي : « ان يوم اتحاد مؤتمر الفلاحين مع سوفيات
نواب العمال والجنود هو يوم كبير من ايام الثورة . سيكون له
في كل العالم صدى مدو في باريس ، في لندن وفي الطرف الثاني من
المحيط ، في نيويورك . ان هذا الاتحاد سيدخل السرور الى قلوب
جميع الكادحين !

لقد انتصرت فكرة كبيرة . ان الغرب واميركا كانا ينتظران
من روسيا ، من البروليتاريا الروسية ، شيئا ما عظيما ... ان
عيرن البروليتاريا العالمية تشخص بابصارها نحو الثورة الروسية ،
ابها تنتظر من زمان العمل الكبير الذي ما فتئت تحققه الثورة ... »

وجاء سفردلوف ، رئيس التسيك ، ليحيى المؤتمر ايضا ،
 ثم ، على اصوات : «عاشت نهاية الحرب الاهلية ! عاشت
 الديمقراطية الموحدة !» غادر الفلاحون المبنى .

لقد جن الليل ، وعلى الثلج المتجمد كان يتلأأ ضياء القمر
 والنجوم . وعلى ضفة القناة ، كان فوج بولس مصطفى بشياب
 الميدان ، مع موسيقاه التي تعرف «المارسييز» . وعلى هتافات
 الجنود المدوية ، انتظم الفلاحون في مواكب احتفالية ورفعوا الراية
 الكبيرة الحمراء ، راية اللجنة التنفيذية للسوفييتات الفلاحية لسائر
 روسيا ، وقد طرزت حديثا باحرف من ذهب تحمل الشعار : «عاش
 الاتحاد بين جماهير الشغيلة الثورية !» . وتبعها رايات اخرى ،
 رايات سوفييتات الاحياء ، راية معمل بوتيلوف مع الشعار : «نحن
 نحني امام هذا العلم ، كى نحقق الاخوة بين كل الشعوب !» .

اضيئت المشاعل ، مبددة ظلمة الليل بنورها البرتقالي ، الذى
 انعكس الوف المرات على الزجاج ، باسطة سحائب من الدخان فوق
 الموكب الذى كان يتقدم منشدا على امتداد فونتانكا ، بين الجموع
 المدهوشة والصامتة .

«عاش الجيش الثورى ! عاش الحرس الاحمر ! عاش
 الفلاحون !»

اجتازت المسيرة الواسعة المدينة ، فتزايدت اثناء الطريق ،
 وكانت تضاف اليها دائما رايات حمراء جديدة بحروف ذهبية .
 وفلاحان مسنان ، احنى الكدح ظهريهما ، يسيران متشابكى الايدى ،
 تضىء وجهيهما غبطة طفولية .

«حسنا ، قال احدهما مهددا ، - اود ان اراهم ياخذون
 الارض منا الآن !..»

وبالقرب من سمولنى ، كان الحرس الاحمر مصطفى على جانبي
 الشارع .

وقال الفلاح المسن لرفيقه :

« انى لست تعباً ، يبدو لى انى اجتزت الطريق كلها طائرا فى الهواء ... » .

وعلى سلّم سمولنى مائة تقريبا من نواب العمال والجنود مع اعلامهم التى تبدو قاتمة تحت نور الضوء المنبعث من الداخل من خلال النوافذ . وكالموجة ، اسرعوا نحو الفلاحين ، معانقينهم وضامينهم الى صدورهم ، وتدفق الموكب الى المدخل الكبير ، فصعد الدرجات بقرقعة مدوية ...

فى القاعة الكبيرة البيضاء كانت التسيك تنتظر مع سوفيت بتروغراد بكامل اعضائه والوف من المشاهدين . وكان الجو مهيبا وحافلا ، وادرك الجميع سمو هذا اللحظة الهامة من التاريخ . اعلن زينوفييف الاتفاق المعقود مع المؤتمر الفلاحى وسط صيحات الحضور الحماسية والتى طغت كالصاعقة ، عندما ترددت اصوات الموسيقى فى الممشى ودخلت مقدمة الموكب القاعة . نهض اعضاء هيئة الرئاسة لكى يتركوا مكانا على المنصة الى اعضاء هيئة الرئاسة للمؤتمر الفلاحى وقد تبادلوا العناق . ووراءهم تصالب العلمان على الجدار الابيض فوق الاطار الفارغ الذى نرعت منه صورة القيصر ...

ثم افتتحت الجلسة الظافرة . وبعد بضع كلمات ترحيب نطق بها سفردلوف ، صعدت المنصة ماريا سبيريدونوفا ، النحيلة ، الشاحبة بنظارتيتها وشعرها الاملس ، وعليها مسحة مدرسة انكليزية ، احب النساء واكثرهن سلطة فى روسيا :

« ... تنفتح الان امام عمال روسيا آفاق لم يعرفها التاريخ من قبل ... ان كل حركات العمال فى الماضى كانت تنتهى دائما الى الفشل ، واما الحركة الحالية فهى اممية ولهذا فهى لا

تقهر . ولا توجد قوة في العالم تستطيع اطفاء جذوة الثورة ! ان العالم القديم يتداعى والعالم الجديد يولد ...»

وقد جاء بعدها تروتسكى المتوقد نارا : « اهلا وسهلا بكم ايها الرفاق الفلاحون ! انكم لستم الضيوف هنا ، لكنكم اسيااد هذا المكان حيث يخفق قلب الثورة . ان ارادة ملايين العمال متمركزة الآن في هذه القاعة . ومن الآن فصاعدا سوف لا تعرف ارض روسيا سوى سيد واحد ، هو التحالف بين العمال والجنود والفلاحين ...»

ثم بصوت لاذع متهمك تكلم عن الديبلوماسيين الحلفاء الذين ما يزالون يحتقرون الاقتراح الروسى للهدنة الذى قبلت به الدول المركزية .

في هذه الحرب تولد انسانية جديدة ...» وفي هذه القاعة ، نقسم اليمين لشغيلة كل البلاد ان تبقى دون ضعف في مركزنا الثورى . واذا منبنا بالهزيمة فاننا سنموت مدافعين عن علمنا ...»

ثم عرض كريلنكو الاوضاع في الجبهة حيث كان دوخونين يهـُـم المقاومة ضد مجلس مفوضى الشعب . « ليعلم دوخونين واضرابه جيدا اننا سنعامل بدون شفقة اولئك الذين يريدون ان يقطعوا علينا طريق السلام ! »

ثم حيا دينكو المجلس باسم الاسطول واعلن كروشينسكى ، عضو الفيكيجل :

« الآن وقد تحقق اتفاق جميع الاشتراكيين الحقيقيين ، فان كل جيش عمال السكك الحديدية يضع نفسه تحت اوامر الديموقراطية الثورية » .

ثم جاء دور لوناتشارسكى ، وكانت الدموع تجول في عينيه ، ثم دور بروشيان الذى تكلم باسم الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ،

واخيرا دور ساخاراشفيلي الذي اعلن باسم جماعة الاشتراكيين-
الديموقراطيين الامميين الموحدين ، آلتى تشكلت من جماعة مارتوف
وغوركي :

« لقد انسحبنا من التسيك احتجاجا على سياسة البلاشفة
المتزمتة واكى نجبرهم على التنازلات الضرورية لتحقيق وحدة جميع
القوى الديمقراطية الثورية . والآن وقد تم تحقيق هذا الاتفاق ،
فنحن نعتبر واجبا مقدسا علينا ان نأخذ اماكننا في التسيك
جديد ... ونعلن بان جميع الذين قد انسحبوا من التسيك يجب
ان يعودوا اليها ! »

ثم جاء ستاشكوف ، وهو فلاح مسن محترم ، عضو هيئة
رئاسة المؤتمر الفلاحى ، فالحنى نحو زوايا القاعة الاربع وقال :
« انى اتوجه اليكم ايها الرفاق بتحياتى بمناسبة عمادة الحياة
والحرية الجديدتين في روسيا ! »

ثم تتابع على المنصة برونسكى - باسم الاشتراكيين-
الديموقراطيين البولويين ، وسكريينيك باسم لجان المعامل
والمصانع ، وتريفونوف - باسم الجيوش الروسية في سالونيك ،
وعدد آخر غيرهم . وقد تركوا قلوبهم تتكلم ببلاغة فياضة عن آمال
قد حققت .

وفي ساعة متأخرة من الليل صوت بالاجماع على القرار
التالى :

« ان اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا لسوفييتات
نواب الفلاحين والعمال والجنود بالاشتراك مع المؤتمر الاستثنائى
لفلاحى عموم روسيا والمجالس التنفيذية تصدق مرسومى الارض
والسلام اللذين اقرهما المؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال
والجنود ، وكذلك المرسوم حول الرقابة العمالية الذى اقرته
اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات عموم روسيا .
ان الجلسة المشتركة للتسيك والمؤتمر الفلاحى لعموم روسيا
تعرب عن ثقتها الراسخة بان تحالف العمال والجنود والفلاحين ،

هذا التحالف الاخوى لسائر الشغيلة وجميع المستثمرين ، سيوطد السلطة التي ظفروا بها وسيتخذ من جانبه جميع الاجراءات الثورية التي من شأنها التعجيل بانتقال السلطة الى ايدى الشغيلة في البلدان الاخرى الاكثر تقدما ، ويؤمن بالتالى الانتصار الراسخ لقضية الصلح العادل وقضية الاشتراكية ...»

ملاحظات من جون ريد

* هذه الملاحظات التي حررها وجمعها جون ريد عبارة عن جزء
مكوّن لا ينفصم عن كتابه . فهي تضيف اشياء كثيرة جوهريّة الى نص المؤلف
الأصلي . ان كل المواد والوثائق التي نشرها جون ريد مترجمة
الى اللغة الانكليزية اما ننشرها استنادا الى النصوص الروسية . المحرور .

الفصل الاول

١

الدفاعيون . اسم اطلقته على نفسها الجماعات الاشتراكية «المعتدلة» واطلقه عليها الآخرون لأنها قبلت ان تستمر في الحرب حتى نهايتها بقيادة الحلفاء متذرة بان القضية هى قضية حرب للدفاع عن الوطن .

٢

الاجور وتكاليف الحياة قبل الثورة واثنائها

لقد وضعت الجداول التالية في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٧ من قبل لجنة تتألف من ممثلين عن غرفة تجارة موسكو ودائرة وزارة العمل الموسكوفية ، ونشرت في ٢٦ (١٣) تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٧ في جريدة «نوفايا جيزن» (الحياة الجديدة)

خلافا لعدد من التاكيدات القائلة بان الاجور قد زيدت في نسب عظيمة رأسا عقب ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، يلاحظ في هذه الارقام التى نشرتها وزارة العمل باعتبارها صالحة لسائر انحاء روسيا بان الاجور لم ترتفع بسرعة بعد الثورة ، ولكنها ارتفعت تدريجيا . وكانت الزيادة لا تتعدى ٥٠٠ ٪ ونيف . .

الاجرة اليومية (بالروبلات والكوبيكات)

المهن	تموز (يوليو) ١٩١٤	تموز (يوليو) ١٩١٦	آب (اغسطس) ١٩١٧
نجار ، موبيليا	٢-١,٦٠	٦-٤	٨,٥
حفار	١,٥٠-١,٣٠	٣,٥٠-٣	-
بناء ، مجصص	٢,٣٥-١,٧٠	٦-٤	٨
دهان ، فراش	٢,٢٠-١,٨٠	٣,٥٠-٣	٨
حداد	٢,٢٥-١	٥-٤	٨,٥٠
منظف مداخن	٢-١,٥٠	٥,٥٠-٤	٧,٥٠
غالاني (صانع أقفال)	٢-٠,٩٠	٦-٣,٥٠	٩
عسيف	١,٥٠-١	٤,٥٠-٢,٥٠	٨

اسعار المون

(بالروبلات والكوبيكات)

آب (اغسطس) ١٩١٤	آب (اغسطس) ١٩١٧	الزيادة المئوية
٠,٠٢١/٢	٠,١٢	٣٣٠
٠,٠٥	٠,٢٠	٣٠٠
٠,٢٢	١,١٠	٤٠٠
٠,٢٦	٢,١٥	٧٢٧
٠,٢٣	٢	٧٧٠
٠,٠٦	٠,٥٢	٧٦٧
٠,٤٠	٣,٥٠	٧٥٤
٠,٤٨	٣,٢٠	٥٥٧
٠,٣٠	١,٦٠	٤٤٣
٠,٠٧	٠,٤٠	٤٧١

خبز اسود (الفونت-١٠ غ)

خبز ابيض

لحم بقر

لحم عجل

لحم خنزير

سمك هارائغ

جبن

زبدة

بيض (العشرة)

حليب (٥) لتر

وبالمقابل فان قيمة الروبل قد هبطت على الاقل الى ثلث ما كانت عليه وازدادت تكاليف المعيشة زيادة فظيعة .
ان اللائحة الواردة اعلاه نظمت من قبل دوما بلدية موسكو ،
حيث كانت المواد الغذائية ارخص واكثر وفرة مما كانت عليه في
بتروغراد .
اذن وصلت زيادة اسعار المواد الغذائية وسطيا ٥٥٦% الى
زيادة ٥١% عن الزيادة الوسطية للاجور .

الاسعار لسلع الاستهلاك الداخ (بالروبلات والكوبيكات)

آب (اغسطس) - آب (اغسطس) الزيادة المئوية		١٩١٧	١٩١٤
قماش قطنى (الذراع ١,١-٧سم)	٠,١١	١,٤٠	١١٧٣
نسيج قطنى	٠,١٥	٢	١٢٣٣
قماش للملبوسات	٢	٤٠	١٩٠٠
جوخ	٦	٨٠	١٢٣٣
احذية رجالية (الزوج)	١٢	١٤٤	١٠٩٧
نعل	٢٠	٤٠٠	١٩٠٠
احذية كاوتشوك (الزوج)	٢,٥٠	١٥	٥٠٠
بدلة رجالية	٤٠	٤٥٠-٤٥٠	١١٠٩-٩٠٠
شاي (الفونت - ٤١٠ غ)	٤,٥٠	١٨	٣٠٠
كبريت (اللسته)	٠,١٠	٠,٥٠	٤٠٠
صابون (البود ١٦,٣٨ كغ)	٤,٥٠	٤٠	٧٨٠
كاز (الصفحة - ١٢,٣ ل)	١,٨٠	١١	٥٤٧
سكاكر (البود)	٨,٥٠	١٠٠	١٠٧٦
كاراميل (الفونت)	٠,٣٠	٤,٥٠	١٤٠٠
خشب تدفئة (الحمل)	١٠	١٢٠	١١٠٠
فحم خشبى	٠,٨٠	١٣	١٥٢٥
سلع معدنية مختلفة	١	٢٠	١٩٠٠

اما بالنسبة للمواد الاخرى فقد طرأت عليها زيادة هائلة .
هذه لائحة منظمة من قبل الدائرة الاقتصادية لسوفييت نواب
العمال في موسكو ووافقت على صحتها وزارة التموين في الحكومة
الموقته .

وقد وصلت زيادة اسعار المنتجات المشار اليها اعلاه
وسطيا حوالى ١١٠٩٪ اى ما يزيد مرتين على زيادة الاجور .
وهذا الفرق بالطبع ذهب الى جيوب المضاربين والتجار .
وقد كانت الاجرة اليومية الوسطية للعامل الكفو في
الصناعة ، مثلا في صناعة الفولاذ في مصنع بوتيلوف ، في ايلول
(سبتمبر) ١٩١٧ ، حوالى ثمانية روبلات . وفي نفس الفترة كانت
ارباح ارباب العمل عظيمة جدا . وقد حدثنى صاحب معمل النسيج
تورنتون ، المؤسسة الانكليزية في ضاحية بتروغراد ، بان ارباحه
ازدادت ٩٠٠٪ وثيف في حين ان الاجور في هذا المعمل لم
تزد الا ٣٠٠٪ .

٣

الوزراء الاشتراكيون

ان الحديث عن الجهود التى بذلها الاعضاء الاشتراكيون في
حكومة تموز الموقته من اجل تحقيق برنامجهم بالتعاون مع
الوزراء البرجوازيين ، يعطى مثالا ساطعا عن الصراع الطبقي في
الحقل السياسى . وقد كتب لينين في هذا الموضوع : «... حين
رأى الرأسماليون ان وضع الحكومة غير متماسك ، لجأوا الى اسلوب
طالما استخدمه عشرات السنين ، منذ عام ١٨٤٨ ، الرأسماليون
في بلدان اخرى بغية خداع وتقسيم العمال واضعافهم . وهذا
الاسلوب هو تشكيل وزارة يقال عنها «ائتلافية» اى تجمع
ممثلين عن البرجوازية والمرتدين عن الاشتراكية .

وفي البلدان حيث الحرية والديموقراطية تمارسان منذ امد
اطول الى جانب الحركة العمالية الثورية ، في انكلترا وفرنسا ،
نرى ان الرأسماليين قد استخدموا مرات عديدة هذا الاسلوب
بنجاح كبير . ان القادة «الاشتراكيين» بدخلهم في وزارة برجوازية
ما كانوا يتورعون عن ان يجعلوا من انفسهم رجالا من القش ،
ودمى ، يقومون بدور الواجهة لصالح الرأسماليين كاداة خداع ضد
العمال . والرأسماليون «الديموقراطيون والجمهوريون» قد لجأوا
في روسيا الى مثل هذا الاسلوب . والاشتراكيون-الثوريون
والمناشفة استخدموا حالا ليقوموا بهذا الدور ؛ وفي السادس من
ايسار (مايو) شكلت وزارة «ائتلافية» ضمت تشيرنوف
وتسيريتيلي* وشركاه ، واصبحت امرا واقعا .

٤

انتخابات ايلول (سبتمبر) الى الدوما البلدى في موسكو

نشرت جريدة «نوفيا جيزن» («الحياة الجديدة») في اواخر
ايلول (سبتمبر) - اوائل تشرين الاول (اكتوبر) - ١٩١٧ ،
لائحة لنتائج الانتخابات الى دوما موسكو البلدى مشيرة في تعليقها
الى ان افلاس سياسة الائتلاف مع الطبقات المالكة ، قد انعكس
بوضوح تام في نتائج الانتخابات . «واذا استطيع تفادى الحرب
الاعلية حتى الآن فذلك ليس الا بفضل الجبهة الموحدة للديموقراطية
الثورية كلها» .

* يورد جون ريد في كتابه بعد هذا : «سكوبيلف وافكسينتيف
وسافنكوف وزارودنى ونيكيتين . . .» **المحرر** .

اليكم هذه اللائحة :
انتخابات النوما (في المركز والحياء) في موسكو

حزيران	ايلول
(يونيو)	(سبتمبر)
١٩١٧	١٩١٧
٥٨	١٤
١٧	٣٠
١٢	٤
١١	٤٧
الاشتراكيون-الشيوعيون	
الكاديت	
المناشفة	
البلاشفة	

٥

غطوسة الرجعيين المتزايدة

١٨ (٩٥) ايلول (سبتمبر) . كتب عضو الكاديت شولفين في صحيفة تصدر في مدينة كييف ان الحكومة الموقته ، باعلانها الجمهورية في روسيا ، قد تجاوزت صلاحيتها . «نحن لا نقبل بالنظام الجمهوري ، ولا بالحكومة الجمهورية الحالية ... نحن لسنا واثقين اطلاقا اننا نريد ان نرى روسيا جمهورية» .

٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) . خلال انعقاد اجتماع الكاديت في ريزان ، اعلن م . دوخونين : «علينا ان نقيم في آذار (مارس) ملكية دستورية . علينا ألا نرفض ولي العهد الشرعي ، ميخائيل الكسندروفيتش ...» .

٢٧ (١٤) تشرين الاول (اكتوبر) . القرار الذي تبناه اجتماع «الرجال المتنفذين» في موسكو :

«ان اجتماع الرجال المتنفذين في موسكو ، يكلف اعضاءه ذوى

المقاعد في المجلس الموقت للدولة الروسية بالالاحاح لدى الحكومة الموقته على تطبيق المبادئ التالية في الجيش فورا * :

منع كل دعاية سياسية في الجيش مع اعلان مشروط بان يكون الجيش بعيدا عن الاحزاب وعن التأثيرات الحزبية .
الدعاية للافكار المعادية للدولة والمعادية للوطن ، وكذا المذاهب التي تنكر ضرورة وجود الجيش نفسه والانضباط العسكري ، يجب ان تمنع وتسحق بحزم .

ان الاجتماع يعترف بان وجود اللجان هو ، مبدئيا ، مضاد للنظم العسكرية المألوفة ، وهذا ما تؤكده تجربة كافة الجيوش في العالم ، ولكنه يتساهل بوجودها موقتا شريطة ان يحدد نشاطها في القضايا الاقتصادية والغذائية حصرا ، مع العلم ان كل مقررات اللجان يجب ان تخضع لتصديق قائد الوحدة التي تعود اليها هذه اللجنة ولا يمكن تطبيقها قبل هذا التصديق . وفي حالة عدم موافقة قائد الوحدة على هذه المقررات ، يصار الى البت فيها من قبل قائد اعلى مباشر .

وفي حالة خرق اللجنة لحقوقها وواجباتها بصورة سافرة ، فان القائد المباشر ، الذي يمارس حقوقا متساوية لحقوق قائد الوحدة المستقلة ، له الحق ان يحل هذه اللجنة وان يحدد موعدا لانتخابات جديدة .

يتوجب على الفور اعادة اداء التحية العسكرية بوصفها التحية المتبادلة بين ذوي الرتب المتساوية ، وتحية ذوي الرتب الدنيا الى ذوي الرتب العليا .

* يورد جون ويد البنود التالية بصورة غير كاملة وبصيغة غير دقيقة . فضلا عن ذلك ينسب هذا القرار كله الى « Business men » ، اجتماع رجال التجارة والصناعة » . **المحرر** .

اعادة الحقوق النظامية الى القادة من مختلف الرتب في حدود معينة ودقيقة مع فرض مسؤولية قاسية . وفي حالة تجاوز السلطة ، تضمن كافة الامكانيات للمراتب الدنيا لان تتقدم بالشكوى ضد تجاوز المراتب العليا على حقوقها .

حماية فعلية لكافة حقوق الضباط المدنية ومنظمات الضباط من كل تطاول عليها .

اعتبار كافة انواع المراقبة ، والاشراف والتحقيق السياسيين ، التي يمارسها حاليا المفوضون والمنظمات العسكرية ، امر غير مسموح به .

اقامة نظام لترقية الضباط وفق كفاءاتهم القتالية ومؤهلاتهم في الخدمة ، تبعا للتقديرات الصادرة حصرا عن مجالس الضباط على مستوى درجة اعلى مباشرة من درجة الضابط موضوع التقدير . من الضروري تطهير ملاك الضباط من العناصر التي تسبب الى سمعته ، والتي تشترك في الآونة الاخيرة في كافة حركات جماهير الجنود ، والرامية الى عدم الانصياع وعدم تادية واجبها في الخدمة ، الامر الذي يمكن تحقيقه عن طريق اعادة انشاء محاكم الشرف .

اعادة تشكيل اتحاد ضباط الجيش والاسطول على نطاقه كله ، بوصفه مؤسسة ضرورية جدا من اجل اعادة القدرة القتالية لدى القوات المسلحة في روسيا ، ومنح هذا الاتحاد حقوق مؤسسة من مؤسسات الدولة .

ان تحقق الحكومة الموقته اجراءات من شأنها ان تتيح امكانية عودة جميع الجنرالات والضباط الى صفوف الجيش الذين رحوا منه بصورة غير عادلة وبضغط منظمات تعسفية غير سؤولة » .

الفصل الثاني

١

ان عصيان كورنيلوف قد عولج في مؤلفي : « من كورنيلوف الى بريست - ليتوفسك » . ان نصيب كيرنسكى من المسؤولية في اتاحة الظرف الذى مكّن كورنيلوف من القيام بمحاولته لم يتوضّح بشكل جلى حتى الآن . يقول المدافعون عن كيرنسكى بانه وقد علم بخطط كورنيلوف ، وقد حثه بحيلة وعن عمد على العمل قبل ساعة الصفر ، وبعد ذلك فقد سحقه . ولكن ا . ج . ساك كتب في كتابه « ولادة الديموقراطية الروسية » : « وقائع عديدة ... هي شبه مؤكدة . اولها ان كيرنسكى لم يكن يجهل تحركات عدد من فرق الجبهة نحو بتروغراد ، ومن الممكن انه ، وقد ادرك ازدياد خطر البلاشفة ، يكون هو الذى دعا تلك الفرق بوصفه رئيسا للوزارة ووزيرا للحربية ... » . ان ضعف هذه الحجة يقوم على عدم وجود « خطر بلشفى » آنذاك ، فالبلاشفة لم يكونوا ليشكلوا سوى اقلية غير ذات نفوذ في السوفييتات ، وكان زعمائهم اما في السجون او مجبرين على الاختباء .

٢

الاجتماع الديموقراطى

عندما اقترح عقد الاجتماع الديموقراطى على كيرنسكى ، اراد ان يتشكل المجلس من كافة عناصر الامة - « كافة قوى البلد الحية » كما كان يقول - بما فيها اصحاب المصارف ، ورجال الصناعة ،

والملاكون العقاريون الكبار وممثلون عن حزب الكاديت . لقد رفض
السوفييت ذلك واقترح التمثيل التالي ، الذي منحه كيرنسكى
موافقته :

مندوب	١٠٠	سوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا
"	١٠٠	سوفييت نواب الفلاحين لعموم روسيا
"	٥٠	سوفييتات المقاطعات لنواب العمال والجنود
"	٥٠	اللجان الزراعية الفلاحية
"	١٠٠	النقابات
"	٨٤	لجان الجيش فى الجبهة
"	١٥٠	التعاونيات العمالية والفلاحية
"	٢٠	نقابة سكك الحديد
"	١٠	نقابة البريد والبرق والهاتف
"	٢٠	نقابة مستخدمي التجارة والصناعة
"	١٥	مهن حرة (اطباء ، محامون ، صحفيون الخ.)
"	٥٠	زيمستفوات الاقاليم
"	٥٩	منظمات قومية (بولونية ، اوكرانية ، الخ.)

لقد عدل هذا المخطط بمناسبتين او ثلاث ، وكان تشكيله

النهائى كما يلى :

		سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين
مندوب	٣٠٠	لعموم روسيا
"	٣٠٠	تعاونيات
"	٣٠٠	بلديات
"	١٥٠	لجان الجيش فى الجبهة
"	١٥٠	زيمستفوات الاقاليم
"	٢٠٠	نقابات
"	١٠٠	منظمات قومية
"	٢٠٠	جماعات مختلفة صغيرة

نهاية مهمة السوفييتات

نشرت صحيفة «الازفستيا»، لسان حال التسيك ، في ٢٨ (١٥) ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ، مقالا عن الحكومة الاخيرة ، جاء فيه :

«واخيرا تشكلت حكومة ديموقراطية حقيقية ، ولدت من ارادة جميع طبقات الشعب الروسى ، هى الشكل الاول غير المتكامل لنظام برلمانى حر مقبل . وبعد ذلك ستأتى الجمعية التأسيسية التى ستحل كل القضايا المتصلة بالقوانين الاساسية وستسن هذه القوانين باقصى ما يمكن من الروح الديموقراطية . ان مهمة السوفييتات اوشكت على الانتهاء ، ويقترب الوقت الذى يتوجب عليها فيه ، ان نترك مع تنظيمات الجهاز الثورى الاخرى ، المسرح السياسى لشعب حر ظافر لا يستخدم من الآن فصاعدا سوى وسائل سلمية » .

وصدرت افتتاحية «الازفستيا» فى ٢٥ (١٢) تشرين الاول (اكتوبر) تحت العنوان التالى : «ازمة التنظيمات السوفييتية» . لاحظت الافتتاحية فى بدايتها ان «جميع القادمين من المقاطعات ، وخاصة من اكثرها بعدا ...» يشاهدون انكماشاً فى نشاط جميع السوفييتات المحلية . «وهذا امر طبيعى - يتابع الكاتب - اذ ان الشعب يبدى اهتماما اكبر نحو الاجهزة التشريعية ذات الطابع الاكثر دواما - اى مجالس الدوما البلدى والزييمستفوات » .

«ولكنه حتى فى اكثر المراكز اهمية فى بتروغراد وموسكو » حيث السوفييتات الاوفر تنظيما ، فانها لا تضم جميع العناصر الديموقراطية . ان طبقة المثقفين الوافرة العدد لا تشترك فيها ، كما لا يشترك فيها العمال جميعهم ، فالبعض بسبب تخلفهم

السياسي ، والبعض الآخر ، على العكس ، لأنهم ينقلون مركز الثقل الى المنظمات المهنية الصرفة . ولا يمكن ان ننكر واقع ان هذه المنظمات مرتبطة ارتباطا وثيق بالجمهير وتلبى بصورة افضل حاجاتها اليومية .

وثمة واقع ذو اهمية كبيرة جدا هو ان اشكالا ديموقراطية راسخة للادارة المحلية اخذت تتشكل شيئا فشيئا . ان مجالس الدوما البلدى المنتخبة على اساس الاقتراع العام ، تتمتع في الامور المحلية الصرفة بنفوذ اكبر من نفوذ السوفييتات . ولا يوجد ديموقراطي واحد يرى في ذلك شيئا غير مرغوب فيه ، ولو بسبب واحد ، هو ان الانتخابات الى مجالس الدوما البلدى انما تجرى على اساس قانون الانتخابات الافضل والاكثر اتقانا-والامر الرئيسى - ان الانتخابات تجرى استنادا لقانون اكثر ديموقراطية من ذلك الذى بموجبه جرت الانتخابات الى السوفييتات . وبقدر ما تعمق هيئات الادارة الذاتية المحلية نشاطها وتنظم الحياة في القاعدة ، ينخفض بالطبع دور السوفييتات المحلية . . .

هناك عاملان اديا الى انحطاط التنظيم السوفييتى : العامل الاول - تدنى الاهتمام السياسى ، والثانى - الانصراف الى عمليات البناء الاجتماعى وبناء الدولة في روسيا الجديدة الحرة .

وكلما سار هذا البناء بصورة اسرع ، كلما انخفضت بالطبع اهمية السوفييتات . . . اننا نحن بالذات حفارو قبر منظمنا ، اننا مساهمون فعالون في انشاء نظام جديد للدولة . عندما سقطت الاوتوقراطية وكل نظامها البيروقراطى ، بنينا السوفييتات بوصفها براكات مؤقتة يمكن للديموقراطية كلها ان تجد لها ملجأ فيها . والآن يجرى تشييد صرح حجرى دائم للنظام الجديد محل البركات . وطبيعى ان الناس يغادرون البركات بالتدريج الى اماكن اوفر راحة كلما انتهى بناء طابق اثر آخر» .

« بيان جناح البلاشفة الهذاع قبل مغادرتهم جلسة مجلس الجمهورية امس * »

كانت اهداف الاجتماع الديموقراطى الذى دعت اليه تسليك
سوفييتات نواب العمال والجنود والمعلن عنها رسميا ، تتلخص فى
الغاء النظام الشخصى غير المسؤول الذى كان يغذى حركة
كورنييلوف ، وفى اقامة حكومة مسؤولة قادرة على ان تضع حدا
للحرب وتؤمن انعقاد الجمعية التأسيسية فى الموعد المحدد .
بيد ان صفقات تمت فى الكواليس وراء ظهر الاجتماع
الديموقراطى بين السيد كيرنسكى والكاديت والقادة الاشتراكيين-
الثوريين والمناشفة ، انتهوا فيها الى نتائج مغايرة تماما للاهداف
المعلن عنها رسميا .

لقد اقيمت سلطة يلعب فيها ومن حولها الكورنييلوفيون
السافرون والمستترون ، الدور القيادى . وقد تقرر واعلن صراحة
عدم مسؤولية هذه السلطة منذ انشائها .
واعلن «مجلس الجمهورية الروسية» مؤسسة استشارية ،
ولقد اوجدت السلطة غير المسؤولة ، فى الشهر الثامن من الثورة ،
ستارا لها من طبعة جديدة عن دوما بوليغين * * .

* فى كتاب جون ريد يرد عنوان هذا البيان على النحو التالى :
«خطاب تروتسكى امام مجلس الجمهورية» . تلى تروتسكى هذا البيان فى ٧
(٢٠) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . **المحرور** .
* * دوما بوليغين (اطلق عليه هذا الاسم بالاستناد الى كنية احد وزراء
القيصر ، صاحب مشروع الدوما) - كانت النية فى ان يكون هيئة استشارية
لدى القيصر وكان عليه ان يكون سبابة عن جمعية الملاكين العقاريين
والراسماليين وحفنة ضئيلة من الفلاحين الاغنياء . **المحرور** .

وقد دخلت العناصر المالكة في المجلس الموقت ، بنسبة ليس لها الحق فيها ، كما ندل على ذلك بوضوح الانتخابات التي جرت في كافة انحاء البلاد . ورغم ذلك ، فان حزب الكاديت هو الذي كان يسعى وقد توصل الى عدم مسؤولية السلطة حتى امام البرلمان المشوه ، لمصلحة البرجوازية المالكة .

ان حزب الكاديت نفسه ، الذي كان يصبر حتى يوم امس على ان يخضع الحكومة الموقته الى دوما السيد رودزيانكو ، هو الذي اصبحت الحكومة الموقته ، بفضل جهوده ، مستقلة عن مجلس الجمهورية .

وسيكون للعناصر المالكة في الجمعية التأسيسية مركز اقل ملائمة اذا ما قورن بمركزهم في المجلس الموقت ، اذ لا تستطيع السلطة ان تكون غير مسؤولة امام الجمعية التأسيسية . ولو كانت العناصر المالكة تتهاى بالفعل لانعقاد الجمعية التأسيسية بعد شهر نصف الشهر ، لما كان لديها اي مبرر لجعل الحكومة غير مسؤولة لأن . ان الحقيقة كلها تكمن في ان الطبقات البرجوازية الى سير سياسة الحكومة الموقته ، قد وضعت هدفا لها **احباط الجمعية التأسيسية** . وهذا هو في الوقت الحاضر الهدف الرئيسي الذي تخضع له العناصر المالكة كل سياستها الداخلية والخارجية .

ففي مجال الصناعة ، وفي ميدان الزراعة والتموين ، نوجه سياسة الحكومة والطبقات المالكة ، نحو زيادة الفوضى الطبيعية التي احدثتها الحرب . ان الطبقات المالكة التي كانت تعمل على اناره نمرد الفلاحين ، تنتقل حاليا الى سحق هذا التمرد وتسعى علنا لاستخدام « بد الجوع الهزيلة » ، التي يتوجب عليها ان تخنق الثورة والجمعية التأسيسية في المقام الاول .

وليست السياسة الخارجية للبرجوازية وحكومتها اقل اجراما . ان خطرا مميتا يهدد العاصمة بعد اربعين شهرا من الحرب .

وردا على ذلك يقترحون مخطط نقل الحكومة الى موسكو . ان فكوة تسليم العاصمة الثائرة الى الجيوش الالمانية لا تثير ابدا غضب الطبقات البرجوازية ، بل على العكس ، فانها ترحب بها كحلقة طبيعية من سياسة عامة غايتها تقوية إلتأمر المعادى للثورة . وعوضا عن الاعتراف بان سلامة البلاد تكمن في عقد معاهدة للصلح ، وعوضا عن ان تقترح علنا ، من فوق رؤوس جميع الدول الامبريالية والدواوين الدبلوماسية ، الصلح الفورى على جميع الشعوب المنهوكه ، جاعلة بالتالى استمرار الحرب امرا غير ممكن عمليا - فان الحكومة الموقته ، بناء على توجيه من اعداء الثورة الكاديت والحلفاء الامبرياليين ، تداوم على خوض الحرب المميتة خلافا للعقل السليم وبلا قوة ولا خطة وتحكم بالتالى على مئات الوف جديدة من الجنود والبحارة بالموت عبثا وتهى تسليم بتروغراد وخنق الثورة . وفي الوقت الذى يموت فيه الجنود والبحارة البلاشفة مع جنود وبحارة آخرين ، نتيجة اخطاء الغير وجرائمهم ، يستمر القائد الاعلى المزعوم في تحطيم الصحافة البلشفية . . .

ان الاحزاب القائدة للمجلس الموقت ، تضطلع بدور الستار الطوعى لهذه السياسة كلها .

نحن ، جناح الاشتراكيين-الديموقراطيين البلاشفة ، نصح : اننا لا نمت بصلة الى هذه الحكومة ، حكومة الخيانة الوطنية ، ولا الى هذا المجلس ، مجلس الاغضاء البهادى للثورة * . نحن لا نريد ان نستر ولو يوما واحدا بصورة مباشرة او غير مباشرة ، هذا العمل المميت بالنسبة للشعب الذى يجرى وراء الكواليس الرسمية . ان الثورة في خطر ! وفي الوقت الذى تهدد فيه جيوش غليوم بتروغراد ، تنتهى حكومة كيرسكى - كونوفالوف الى الهرب من بتروغراد لتجول موسكو الى حصن للثورة المعاكسة

* الكلمات الغليظة تنعدم في نص جون ريد . المحرور .

نحن نتوجه الى يقظة عمال موسكو وجنودها !
اننا نتوجه ، ونحن نترك المجلس الموقت ، الى يقظة العمال
والجنود والفلاحين في سائر انحاء روسيا والى رجولتهم .
ان بتروغراد في خطر ! ان الثورة في خطر ! ان الشعب
في خطر !
ان الحكومة تفاقم هذا الخطر ، وتساعدها على ذلك الاحزاب
الحاكمة .
ان الشعب وحده يمكن ان ينقذ نفسه ، وينقذ البلاد . نحن
نتوجه الى الشعب .

كل السلطة للسوفييتات !
كل الارض للشعب !
عاش الصلح الفوري ، الديموقراطي ، الشريف !
عاشت الجمعية التأسيسية !

•

«التوصيات» المعلقة الى سكوبيليف (مقتطفات)

لقد وافقت التسيك على هذه التوصيات وسلمتها الى سكوبيليف
بوصفه ممثلا للديموقراطية الثورية الروسية في مؤتمر باريس .

«تعليمات الى مندوب التسيك

المنتخب للاشتراك في مؤتمر باريس

ان المعاهدة الجديدة يجب ان تكون علنية فيما يتعلق بمسألة
اهداف الحرب * . ويجب ان تستند المعاهدة الى المبادئ التالية :
«الصلح بلا الحاقات ولا تعويضات ، وعلى اساس حق الشعوب في
تقرير مصيرها»

* الكلمات الغليظة تنعدم في نص جون ريد . المحرز .

القضايا الاقليمية

اولا : ان جلاء الجيوش الالمانية عن المناطق المحتلة في روسيا هو الشرط الالزامى للصلح . وستمنح روسيا حق تقرير المصير الكامل الى بولونيا وليتوانيا ولافيا .

ثانيا : تنال ارمينيا التركية الاستقلال الذاتي التام ، ثم الحق المطلق في تقرير مصيرها بعد ان يتم قيام سلطات محلية فيها ، وقرار الضمانات الدولية .

ثالثا : حل قضية الالزاس - اللورين على اساس استفتاء السكان شرط تأمين حرية التصويت الكاملة ، وينبغى اجراء الاستفتاء بعد جلاء قوات الائتلافين عن هذا الاقليم .

رابعا : يجب بعث بلجيكا في حدودها السابقة . اما التعويض عن الخسائر فينبغى استيفاؤه من الارصدة الدولية .

خامسا : بعث صربيا والجبل الاسود ومساعدتهما من قبل مؤسسة مالية دولية . ويجب ان تمنح صربيا منفذا على البحر الادرياتيكي ، وتصبح البوسنة والهرسك ذوا استقلال ذاتي .

سادسا : تمنح المناطق موضوع النزاع في البلقان حكما ذاتيا مؤقتا ، يعقبه استفتاء فيها .

سابعا : بعث رومانيا في حدودها السابقة واجبارها على ان تمنح دوبرودجا الحق الكامل لتقرير المصير . وتجبر رومانيا على تنفيذ بنود معاهد برلين فيما يتعلق بالاعتراف باليهود كدواطين رومانيين .

ثامنا : تمنح الاقاليم الايطالية في النمسا حكما ذاتيا يعقبه استفتاء لتقرير قضية مستقبل هذه الاقاليم السياسي .

تاسعا : اعادة المستعمرات الالمانية .

عاشر : بعث كيان ايران واليونان .

حرية البحار

حياد كافة المضائق المؤدية الى بحار داخلية بما فيها قناة السويس وباناما . حرية الملاحة التجارية . الغناء حق الاستيلاء على السفن التجارية ومنع نسفها .

التعويضات

تعادل جميع الاطراف المتحاربة بصورة دائمة عن كل تعويض مباشر او غير مباشر (نفقات الحفاظ على الاسرى) . تعاد التعويضات والتبرعات التي جمعت خلال الحرب الى اصحابها .

شروط اقتصادية

لا تكون الاتفاقات التجارية جزءا من شروط الصلح . على كل دولة ان تكون مستقلة في سياستها التجارية ، وليس من حق معاهدة الصلح ، فرض او منع اية دولة من عقد اتفاقية اقتصادية . بيد انه يجب على كافة البلدان ، ان تلتزم ، وفق معاهدة الصلح ، بعدم اللجوء الى الحصار الاقتصادي بعد الحرب ، وبعد عقد اتفاقات جمركية منفصلة . ان حقوق الدولة الاكثر رعاية يجب ان تمنح لكافة البلدان دون تمييز .

ضمانات الصلح

سيعقد الصلح في مؤتمر الصلح بواسطة المندوبين المنتخبين من قبل المؤسسات الوطنية . ويجب ان تصدق البرلمانات على شروط الصلح .

تلغى الديبلوماسية السرية ، وتتعهد جميع الاطراف بعدم عقد اتفاقات سرية . يعلن كل اتفاق من هذا النوع ، متناقضا مع القانون الدولي ، ويعتبر بالتالى باطلا . تعتبر كافة المعاهدات باطلة الى ان يصار الى تصديقها من قبل المجالس النيابية .

ينزع السلاح تدريجيا في البر والبحر ويصار الى ادخال نظام الميليشيا .

ان «جمعية الامم» التي اقترحها الرئيس ويلسون ، يمكن ان تصبح مساعدا قيما للحقوق الدولية بشرط : (١) ان تجبر كافة الدول على الانتساب اليها ، مع منحها حقوقا متساوية . (٢) ان تكون السياسة الدولية ديموقراطية .

الطريق الى الصلح

مهما صيغت اهداف الحرب بصورة دقيقة ، فيجب ان تبين المعاهدة وتعلن بان الحلفاء مستعدون للشروع بمفاوضات الصلح حالما يعلن الطرف العدو قبوله القيام بمفاوضات الصلح ، بشرط ان تعلن جميع الاطراف تخليها عن اى ضم قسرى .

على الحلفاء ان يلزموا انفسهم بالآى شرعوا بمفاوضات صلح سرية ، والا يعقدوا معاهدة باية طريقة ، الا في مؤتمر تشترك فيه كافة البلدان الحيادية .

وبالاضافة الى ذلك ، اعطى المندوب التعليمات التالية :

تزال كافة العقوبات التي تمنع عقد المؤتمر الاشتراكي في استوكهولم ، وتمنح جوازات السفر فورا الى جميع مندوبى الاحزاب والمنظمات التي تريد الاشتراك في المؤتمر .

(كما اصدرت اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، توصيات لا تكاد تختلف عن التوصيات السابقة .)

٦

الصلح على حساب روسيا

ان فضح ريبو * لعرض الصلح الذى تقدمت به النمسا الى فرنسا ، و« مؤتمر الصلح » المزعوم في برن ، في سويسرا ، خلال صيف ١٩١٧ ، الذى اشترك فيه مندوبون عن كافة البلدان المتحاربة كانوا يمثلون المصالح المالية الكبرى فيها ؛ ومحاولة التفاوض بين عميل انكليزى واحبار الكنيسة البلغارية - كل هذه الوقائع انما تدل على وجود تيارات قوية في كلا المعسكرين ، كانت تسعى الى عقد الصلح على حساب روسيا . انى عازم على معالجة هذه القضية باسهاب في كتابى المقبل : « من كورنيلوف الى بريست - ليتوفسك » ، وعلى نشر بعض الوثائق السرية بهذا الخصوص التى وجدت في وزارة الخارجية . في بتروغراد .

٧

الجنود الروس في فرنسا بلاغ الحكومة *

ما ان وصل نبأ الثورة الى باريس حتى انشء فيها عدد من الصحف الروسية ذات نزعة متطرفة . ولقد شرعت هذه الصحف بالاضافة الى بعض الاشخاص الذين تجولوا بحرية بين جماهير

* ريبو الكسندر فيليكس جوزيف - سياسى فرنسى برجوازى . في عام ١٩١٧ كان يتراس حكومة فرنسا . **المحرور** .

* اورد جون ريد هذا النبأ مع مقتطفات وانحرافات ، عن النص الاصلى .

اما نحن فنورده بكامل نصه . **المحرور** .

الجنود ، يقومون بدعاية بلشفية ، ناشرين في معظم الاحيان انباء خاطئة مستقاة من برقيات مجزأة ومن صحف فرنسية . ونظرا لعدم وجود انباء وتعليمات رسمية ، فقد اثارت هذه الحملة اضطرابا بين الجنود . وقد تجلى ذلك في الرغبة بالعودة الفورية الى روسيا وبعدها تجاه الضباط بصورة عامة . وفي الثامن عشر من ايار (مايو) انطلق المهاجر رآب ، بالنيابة عن وزير الدفاع كيرنسكى ، الى الجيش ، فزار بعض الوحدات وحدث فيها منظمات جديدة وفقا للامر رقم ٢١٣ . بيد ان الاضطراب لم يهدأ . لقد كانت تقود هذا الاضطراب اللجنة التنفيذية للفوج الاول التي بدأت باصدار نشرة ذات ميول لينينية . ونزولا عند رغبة الجنود في الثامن عشر من حزيران (يونيو) ، جمعت الوحدات المرابطة في قرى مختلفة ، في معسكر « لاورتين » . بدأت الاجتماعات تجرى هنا ، وقد اجتهد خلالها الفوج الاول وقواده في ان يلعبوا دورا رئيسيا . غير ان لجنة الفرقة التي شكلت حديثا من الجنود الاكثر يقظة ووعيا ، بدلت جهودها كي تشل ، بقدر الامكان ، النشاط الهدام الذي قام به الفوج الاول وزعمائه ، مهدئة الاضطراب وداعية الجنود الى العودة الى حياة طبيعية تقوم على المبادئ الديموقراطية التي ارسيت في الجيش في الوقت الحاضر . وخوفا من تعاضم نفوذ لجنة الفرقة ، فقد نظم زعماء الفوج الاول ، اجتماعا حاشدا في ليل ٢٣ الى ٢٤ ، اشترك فيه بالاضافة الى الفوج الاول ، الفوج الثانى بكامله تقريبا ، ووحدات صغيرة من الفوجين الخامس والسادس . وخلال هذا الاجتماع الحاشد اعلن الغاء لجنة الفرقة رغم انه لم يمض على انتخابها سوى اسبوعين . وفي نفس الوقت ، فان اوامر مغادرة المحسكر التي اصدرها قائد الفرقة لم ينفذها جنود اللواء الاول . كما ان النداء الذى اصدره هؤلاء ، يوضح انه لا معنى للتمارين طالما انه قد تقرر عدم القتال . وفي هذه الاثناء ، اخذ العداء بين اللواء الاول

واللواء الثاني يهدد بان يتحول الى نزاع حاد . لقد طلب جنود اللواء الثاني انفسهم بالحاح ، فصلهم عن اللواء الاول المتمرد مهديين بانهم سيفقدون المعسكر بدون امر ، اذا لم يستجب الى طلبهم . ولهذا السبب جاء الى المعسكر الجنرال زانكيفيتش بصحبة مندوب وزير الحربية رآب ، وبالاتفاق مع هذا الاخير ، فقد اعطى الامر بان يغادر الجنود الذين ما زالوا على ولائهم للحكومة الموقته ، معسكر لاکورتين ، ناقلين معهم كل الذخائر . وفي ٢٥ حزيران (يونيو) نفذ هذا الامر وبقي في المعسكر فقط الجنود الذين اعلنوا خضوعهم للحكومة الموقته ولكن « بصورة مشروطة فقط » . ان موقف الجنود المتطرف في العداء لضباطهم والذي وصل الى درجة القيام باعمال العنف ضدهم ، قد حمل الجنرال زانكيفيتش على ابعاد الضباط من معسكر لاکورتين مبقيا فقط بعض الضباط لادارة شؤون التموين . وبمبادرة من مندوب وزير الحربية المواطن رآب ، فقد قام وبصحبه عدد من اللاجئين السياسيين ، بزيارة جنود معسكر لاکورتين ، محاولين اقناع الجنود بتغيير رأيهم ، غير ان هذه المحاولات لم تثمر . ثم اصدر المواطن رآب الذي عين مفوضا امرا طلب فيه من الجنود اعلان الخضوع الفوري وغير المشروط للحكومة الموقته . وفي ٢٢ تموز (يوليو) ، قام المفوض رآب برفقة مندوبى اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب العمال والجنود ، روسانوف ، غولدنبرغ ، ايرليخ وسميرنوف ، وكانوا يمرون بباريس ، بزيارة معسكر لاکورتين بغية القيام بمحاولة جديدة كى يبدل العصاة رأيهم . بيد ان هذه المحاولة باءت ايضا بالفشل ، وقد استقبل مندوبو سوفييت نواب العمال والجنود بعداء صريح . كما ان زيارة سفاتيوكوف وهو مفوض الحكومة الموقته وموجود موقتا في فرنسا ، الى معسكر لاکورتين ، لم تعط اية فائدة . ولما كان الجنرال زانكيفيتش قد استلم

ايضاحات من الحكومة الموقتة تفيد ان عودة الجيوش الروسية المرابطة في فرنسا ، غير واردة ، وتطلب اخضاع العصاة بصورة حازمة ولو اقتضى الامر اللجوء الى القوة ، وبعد محاولات متكررة وغير مثمرة قام بها المفوض رآب واللاجئون السياسيون لاقناع العصاة بالخضوع ، طلب الجنرال زانكيفيتش من العصاة تسليم السلاح والذهاب بانتظام تام الى قرية كلورافو كدليل على الخضوع . بيد ان هذا الامر لم ينفذ بكامله ، ففي اول الامر خرج خمسمائة رجل تقريبا ، اعتقل منهم اثنان وعشرون شخصا ، ثم تبعهم ستة آلاف بعد اربع وعشرين ساعة ، اما الباقون وعددهم يربو على الالفين ، فقد تركوا هناك عمدا ، بغية المحافظة على السلاح الذي رفضوا تسليمه .

رضى العصاة بالامر الذي اعطاه الجنرال آنذاك والقاضى بالقاء السلاح لدى عودتهم الى المعسكر ، بيد انهم لم ينفذوا هذا الامر . ان ابقاء السلاح في ايدي جمهور لا انضباط فيه ، تختبئ في صفوفه عناصر استفزازية دون شك ، كان امرا على جانب كبير من الخطورة . وكان نزع السلاح يشكل الشرط الاساسى لاستتباب النظام لدى هذا الجمهور . ففي هذه الظروف ، ومع الاخذ بعين الاعتبار وجود عدد من الوحدات التي ما زالت موالية للحكومة الموقتة في حالة معنوية غير مستقرة ، الامر الذى ولد شكوكا في امكانية استخدام هذه الوحدات كقوة مسلحة لاعادة العصاة الى التعقل ، فقد تقرر اللجوء الى ضغط طويل الامد على العصاة : فخصصت جرايات ناقصة للعصاة ، والغى دفع رواتبهم ، كما ان الخروج من المعسكر الى مدينة لاكورمين المجاورة قد اغلق بواسطة مخافر فرنسية . لقد اضعفت هذه الاجراءات معنويات جمهور العصاة ، ولكنها في نفس الوقت زادت من نفوذ الزعماء عليهم ، هؤلاء الزعماء الذين كانوا يسعون للتستر وراء الجمهور بقصد

اخفاء مسؤوليتهم . وفي نفس الوقت ، بدأ الجنود العصاة بالقيام بأعمال العنف ازاء ممثلي الجيش الفرنسي . وهكذا اوقفوا ضابطا فرنسيا واثنين من صف الضباط الفرنسيين واحتفظوا بهم مدة ست ساعات ، وكان هؤلاء قد علقوا في المعسكر ، بناء على امر القائد الفرنسي ، برقية من القائد الاعلى . وفي ٩ آب (اغسطس) ، زار الجنرال زانكيفيتش معسكر لاكورتين في محاولة اخيرة لاقتناع العصاة بتسليم السلاح . وردا على امره بحضور ممثلي السرايا اليه ، اجابت لجنة المعسكر بالرفض . ولما عرف الجنرال بان لواء من المدفعية يسوده النظام الكامل ، سيمر بفرنسا ، فقد قرر بموافقة المفوض رآب استخدام هذه الوحدة لاختضاع العصاة بقوة السلاح . فكلف قائد هذا اللواء بتشكيل وقيادة مفرزة مختلطة مؤلفة من وحدات من لواء المدفعية هذا ومن فرقة من المشاة . في السابع والعشرين من آب (اغسطس) بلغ قرار الحكومة الموقته المتعلق بسحب جيوشنا من فرنسا الى جنود معسكر لاكورتين ، غير انه مع ذلك ايضا ، رفض العصاة بعناد القاء السلاح . وبناء على طلب رجال المدفعية ، فقد انتخب هؤلاء مندوبين ، ارسلوا الى العصاة . وبعد مرور بضعة ايام ، رجع المندوبون مقتنعين بعدم جدوى المفاوضات . وجميع المناشدات التي قام بها الاشخاص الذين انتخبهم فرقة المشاة ، اعطت كلها نتائج سلبية . وفي مساء الاول من ايلول (سبتمبر) ، اوقف تزويد المعسكر الشائر بالمواد الغذائية ، الا ان هذا الاجراء لم يكن له سوى صفة معنوية ، اذ انه كانت تحت تصرف العصاة احتياطات كبيرة من المواد الغذائية ؛ احتلت الفرق المراكز المعينة لها . وفي نفس اليوم ، وجه الجنرال زانكيفيتش انذارا الى اعضاء لجنة معسكر لاكورتين ولجسمهم العصاة . اذ كان على هؤلاء ان يلقوا السلاح ، واذا لم ينفذ الامر حتى الساعة العاشرة من اول ايلول (سبتمبر) ، فان المدفعية

ستفتح النار على المعسكر . وبعد انذارات متكررة في ٣ ايلول (سبتمبر) في الساعة العاشرة صباحا ، فتحت نار المدفعية بصورة خفيفة على المعسكر . اطلقت ثماني عشرة قنبلة واندر العصاة بان القصف سيكون اكثر شدة . ولما كان قد استسلم في ليل ٣ - ٤ ، زهاء ١٦٠ رجلا ، فان القصف تجدد ثانية في ٤ ايلول (سبتمبر) ، في الساعة الحادية عشرة صباحا ، وبعد اطلاق ثلاثين قنبلة ، رفع العصاة الاعلام البيضاء ، وبدأوا بالخروج عزلا من المعسكر . وفي المساء استسلم زهاء ثمانية آلاف وثلاثمائة رجل . وقد استلمتهم القوات الفرنسية . لم يجر اطلاق المدفعية هذا اليوم . وفي الليل ، فتح الرجال المتبقون في المعسكر وعددهم مائة وخمسون ، نارا حامية من الرشاشات . ارسل طبيب يساعد اربعة ممرضين الى المعسكر للعناية بالجرحى . وفي ٥ ايلول (سبتمبر) وبغية تصفية القضية ، فتحت على المعسكر نار حامية ، واخذت وحدتنا تحتله شيئا فشيئا . اجاب العصاة بعناد باطلاق نار المدافع الرشاشة . وفي ٦ ايلول (سبتمبر) في الساعة التاسعة ، كان المعسكر محتلا بكامله . وقد سجل في المجموع ثمانية آلاف وخمسمائة وخمسة عشر جنديا خرجوا من المعسكر . خسارة وحدتنا ، قتيلا واحد وخمسة جرحى . خسارة العصاة ، ثمانية قتلى واربعة واربعون جريحا . خسارة الفرنسيين ، ضحيتان ، قتيلا وجريح سقطا صدفة ، كان الامر يتعلق باثنين من سعاة البريد ضلّا الطريق فمرا في منطقة رماية العصاة . وهكذا فان عصيان عسكر لاكورتين ، قد سحق من قبل قواتنا ، دون اية مساهمة فعالة من قبل القوات الفرنسية . وبعد تجريد العصاة من السلاح ، جرى واحد وثمانون اعتقالا ، ولما كان المعتقلون قد فصلوا عن جمهور العصاة ، فقد شكلت من هؤلاء الاخيرين سرايا خاصة مجردة من السلاح ، منها اثنتان شكلتا من عناصر ثائرة بصورة خاصة وارسلتا الى بورد -

لاوتيه ، وسرية اخرى ازسلت الى جزيرة اكس . اما ما تبقى من السرايا فقد ابقيت في معسكر لاكورتين بحثا عن المجرمين لتعيين درجة مسؤولياتهم . وبناء على قرار ممثل الحكومة الموقته ، شكل المفوض العسكرى لجنة تحقيق خاصة » .

وبعد هذه الوفائع ، رمى المنتصرون بالرصاص بدون اية مبالاة اكثر من مائتين من العصاة .

٨

خطاب تيريشنكو

(مقتطفات)

«... ان قضايا السياسة الخارجية متصلة اتصالا وثيقا بقضية الدفاع الوطنى ... وهكذا فاذا رأيتم انه من الضرورى بحث قضايا الدفاع الوطنى فى جلسات سرية ، فاننا مضطرون احيانا الى ان نراعى السرية نفسها فى قضايا سياستنا الخارجية ...

ان مساعى الديبلوماسية الالمانية ترمى بصورة اكيدة الى التأثير على الرأى العام ... ولهذا فان تصريحات رؤساء المنظمات الديموقراطية الكبيرة ، الذين يتكلمون عن امكانية ميثاق ثورى او الاقتراب منه ، وعن عدم امكانية خوض حملة شتوية ، هى خطرة للغاية ... اذ انها تكلف ارواحا بشرية .

اريد ان اتكلم انطلاقا من وجهة نظر معقولة بالنسبة للدولة ، دون ان امس قضايا شرف دولتنا وكرامتها . من وجهة نظر معقولة ، فان سياسة روسيا الخارجية يجب ان تسترشد بتفهم صحيح لمصالح روسيا كدولة ... تقول لنا هذه المصالح ، انه من غير الممكن ان يبقى وطننا معزولا ، وان كتلة القوى التى تشكلت فى

الوقت الحاضر، هي في مصلحتنا ... ان الانسانيه جمعاء تعطى للصلح ، ولكن احدا في روسيا لن يوافق على صلح مهين لها ، ويتعارض مع مصالح وطننا كدولة ...»

واشار الخطيب بعد ذلك الى ان صلحا كهذا يؤخر لسنوات طويلة وربما لقرون ، انتصار مبادئ الديموقراطية في العالم ، ويسبب بصورة حتمية حروبا جديدة .

« كل الناس يتذكرون ايام نيسان (ابريل) وايار (مايو) حيث هدأت حركة التأخر على جبهتنا بوضع حد للحرب وذلك بوقف العمليات الحربية بكل بساطة والسير ببلدنا الى صلح مهين ومنفصل . . تذكرون الجهود التي بذلت لفهام جنود الجبهة ان هذه الطريقة ليست تلك التي يجب على الدولة الروسية سلوكها بغية انهاء الحرب وضممان مصالحها ...»

وتكلم عن التأثير المدهش الذي تركه هجوم تموز ، وعن الورى الذي اصفاه على كل كلمة ادلى بها السفراء الروس في الخارج ، وعن اليأس الذي خلقتة في المانيا الانتصارات الروسية . ونوه ايضا الى خيبة الآمال التي اثارها في البلدان الحليفة هزيمة الجيش الروسى . « اما الحكومة الروسية فنتمسك بثبات بالصيغة التي تقدمت بها في شهر نيسان (ابريل) والقائلة : «الصلح بلا تعويضات ولا الحاقات» . ونحن نعتبر انه ليس من الضروري ان ننادى بحق الشعوب في تقرير مصيرها فحسب ، بل ايضا ان نعلن امتناعنا عن الاهداف الاستعمارية ...»

تقوم المانيا باستمرار بمحاولات لعقد الصلح . ولا يدور الكلام في المانيا الا حول قضية الصلح . ذلك لأن الالمان يعرفون انه ليس في وسعهم احراز النصر .

« انى ارفض اللوم الموجه الى الحكومة والقاتل ان سياسة روسيا الخارجية لا تنوه باهداف الحرب بوضوح كاف ...»

واذا ظهر ثمة سؤال حول الاهداف التى يبتغيها الحلفاء ،
فمن الضرورى قبل كل شىء معرفة تلك التى اتفقت عليها الدول
المركزية ...

غالبا ما يعبرون عن الرغبة فى ان ننشر كافة تفاصيل المعاهدات
التى تربط بين الحلفاء ، ولكن الجميع ينسون اننا نجهل حتى اليوم
المعاهدات التى تربط بين الدول المركزية ...»

ويزعم تيريشنكو ان المانيا تسعى بكل جلاء الى فصل روسيا
عن الغرب وذلك عن طريق اقامة سلسلة من الدول الحاجزة .

«علينا ان نعبر اشد انتباهنا الى هذا الميل الهادف الى تسديد
الضربة الى اكثر مصالح روسيا حيوية ...

هل ستوافق الديموقراطية الروسية التى نقشت على علمها حق
الشعوب فى تقرير مصيرها - على استمرار اضطهاد اكثر شعوب
العالم ثقافة من قبل النمسا - المجر ؟ !

ان الذين يخشون من ان يحاول الحلفاء استغلال وضعنا
البحر ليجعلونا عبئا اكبر فى الحرب وان يحلوا قضايا الصلح على
حسابنا ، ان هؤلاء وقعوا فى ضلال شديد ... ان عدونا يرى فى
روسيا سوقا لتصريف بضائعه . وقد يكون وضعنا بعد نهاية
الحرب ضعيفا جدا ؛ اذ ان حدودنا قد تكون مفتوحة امام تدفق
البضائع الالمانية ، وهذا من شأنه ان يؤخر تطور صناعتنا لسنوات
طويلة . علينا ان نتخذ اجراءات حازمة ضد احتمال كهذا ...

انى اؤكد جهارا وبكل اخلاص بان ميزان القوى الذى يربطنا
بالحلفاء ملائم لمصالح روسيا . وعليه فمن المهم جدا ان تكون
نظرتنا حول السلم والحرب منسجمة الى اقصى حد من الوضوح
والدقة مع وجهة نظر الحلفاء حول هاتين القضيتين ... ولكى
نتحاشى كل سوء تفاهم ، يتوجب على ان اعلن بصراحة بان على
روسيا ان تعبر فى اجتماع باريس عن وجهة نظر موحدة ...»

لم يشأ الحطيب ان يعلى على ' سر . عطاه الى سكوبيليم .
ولكنه اشار الى بيان اللجنة الالمانية السكنديناوية ، الذى نشر
مؤخرا فى استوكهولم ، والذى طالب باستقلال الداتى الليتوانيا
ولاتفيا ، وقال : « ولكن هذا غير ممكن اطلاقا لان روسيا لا
تستطيع الاستغناء عن المرافىء الموجودة على بحر البلطيق ، والى لا
تتجنب مياها طوال السنة ... »

ان قضايا السياسة الخارجية مرتبطة فى هذه الامر مع قضايا
السياسة الداخلية ارتباطا وثيقا ، لأنه اذا وجد عندنا شعور قوى
بوحدة روسيا الكبرى جمعاء ، فلا نساھد المظاهرات المتكررة فى
جميع انحاء روسيا التى تدل على رغبة مختلف الاقوام فى الانفصال
عن الحكومة المركزية ... ان هذه النزعة الانفصالية معارضة
لمصلحة روسيا ، ولا يستطيع النواب الروس ان يقيدوها ... »

٩

الاسطول البريطانى (والخ .)

لم يعتقد البلاشفة وحدهم اثناء معركة خليج ريغا البحرية ،
بل ووزراء الحكومة الموقته انفسهم ، اعتقدوا بان الاسطول
البريطانى قد غادر نهائيا بحر البلطيق لغرض معين ، وان نصره
هذا انما كان تعبيرا عن الرأى التالى الذى اعربت عنه الصحافة
الانكليزية مرارا عديدة : « بصورة علنية والذى ادلى به ممثلو
بريطانيا فى روسيا بصورة شبه رسمية : « انهيينا من روسيا ، ولا
لزم لبذل الجهود من اجلها ... » .

راجع حديث كيرنسكى (الملحق رقم ١٣ ص ٤٤٤-٤٤٥)
لقد كان الجنرال غوركو رئيسا لاركان الجيش الروسى ايا
القيصر ، وشغل مركزا مرموقا فى القصر الامبراطورى الفاسد .

وكان بعد الثورة احدى الشخصيات القلائل المنفية بسبب ماضيها السياسي والخاص . وصدف ان الهزيمة التي منى بها الاسطول الروسى فى خليج ريغا انما حدثت فى الوقت الذى جرى فيه الاستقبال الرسمى الذى اقامه الملك جورج فى لندن للجنرال غوركو ، الرجل الذى تعتبره الحكومة الروسية الموقته بانه شديد الخطورة من حيث ميله لالمانيا ورجعيته !

١٠

نداءات ضد العصيان

« الى العمال والجنود .

ايها الرفاق ! ان قوى الظلام اخذت تضاعف نشاطها بغية اثارة الفوضى والمجازر فى الايام القريبة فى بتروغراد وفى المدن الاخرى . انها بحاجة الى الفوضى التى توفر لها فرصة اغراق الحركة الثورية كلها بالدم . انها تأمل بذريعة اعادة النظام المنتهك وحماية حياة السكان ، ان تقيم انظمة كورنييلوف نفسها ، التى افلح الشعب الشائر فى سحقها مؤخرا . ويل للشعب اذا تحققت هذه الآمال ! ان الثورة المعادية المنتصرة ستقضى على السوفييتات وعلى لجان الجيش وتخنق الجمعية التأسيسية ، وتوقف تسليم الاراضى للفلاحين ، وتضع حدا لكل امل فى الصلح السريع وتملى السجون بالجنود والعمال الثوريين .

ان اعداء الثورة ورجال «المائة السوداء» يعتمدون فى حساباتهم على التذمر العفوى بين الفئات غير المتنورة من الشعب والناجم عن الفوضى فى التموين ، واستمرار الحرب ، ومصاعب الحياة بشكل عام . انهم يأملون ان يحولوا كل مظاهرة للعمال والجنود الى مجزرة تفزع السكان المسالمين وترمى بهم الى احضان باعشى النظام .

ففى مثل هذه الظروف ، ستكون كل محاولة لتنظيم عصيان او مظاهرة الآن ، حتى ولو كانت لاكثر الاهداف ثورية ، رعونة مجرمة . ان جميع العمال والجنود الواعين ، غير الراضين عن سياسة الحكومة ، لن يسيثوا بالتالى الا الى انفسهم والى الثورة ، اذا سمحوا لانفسهم القيام بمثل هذه الاعمال . اذ ستكون اعمالهم هذه فى مصلحة الثورة المضادة .

ولهذا السبب ، فان التسبيك تطلب من جميع العمال والجنود علم تلبية اية دعوة للعصيان .

ايها العمال والجنود ! لا تستجيبوا للاستفزازات ! تذكروا واجبك نحو بلدكم والثورة ! لا تشقوا وحدة الجبهة الثورية بالقيام باعمال لا يمكنها ان تتوج بالنجاح !

اللجنة المركزية التنفيذية لسوفييتات نواب
العمال والجنود . «

«حزب العمال الاشتراكى الديموقراطى الروسى .

الخطر يقترب .

الى جميع العمال والجنود

(اقرأ هذا العدد وروّجه)

ايها الرفاق العمال والجنود ! الوطن فى خطر . ان حريتنا وثورنا تواجهان اياما عصيبة . العدو على ابواب بتروغراد . والخراب يتزايد ساعة بعد اخرى . وحصول بتروغراد على الخبز يصبح اصعب فأصعب . الجميع ، الجميع من الاصغر حتى الاكبر مطالبون بان يضاعفوا جهودهم ، عليهم ان يعملوا لتحسين الوضع . . . السلاح والمؤن - للجيش ! الخبز - للمدن الكبيرة ! الأمن والنظام - للبلد اجمع !

في هذه الايام الخطرة الحاسمة يروجون اشاعات بان انتفاضة
تتهيا في مكان ما وان احدهم يحث الجنود والعمال على قطع حبل
السلام والنظام الثوريين ... ان صحيفة « طريق العمال » لسان
حال البلاشفة ، تصب الزيت على النار ، انها تتملق العناصر غير
المتنورة وغير الواعية ، انها تجهد لارضائهم ، انها تغوى العمال
والجنود محرضة اياهم ضد الحكومة ومبالغة معهم في الوعود
الذهبية ... فيؤمن بها سريعو التصديق والجاهلون دون ان
يفكروا ... ومن جهة اخرى ، تصل شائعات تقول بان قوى
الظلام ، وخدم القيصر ، وجواسيس الالمان ، يفركون ايديهم فرحين .
انهم على استعداد للانضمام الى البلاشفة لتحويل الفوضى الى حرب
اهلية .

ان البلاشفة مع العمال والجنود الذين ضللوهم يصرخون بحمق :
« لتسقط الحكومة ! كل السلطة للسوفييتات ! » اما خدم القيصر
الجهلة وجواسيس غليوم فيسرددون بعدهم : « اضربوا اليهود !
اضربوا التجار ! انهبوا الاسواق والمحلات ! دمروا المصانع
والمخازن ! انهبوا مستودعات الخمر ! اقتلوا ، واحرقوا
واسرقوا ! » .

وستنجم عن هذا فوضى مرعبة ، بين نصف الشعب ونصفه
الآخر ، وسيزداد الخراب اكثر فاكثر ، ومن المتوقع ان يسفك الدم
مرة اخرى في شوارع العاصمة . وماذا سيجرى بعد ذلك ؟
بعد ذلك ، ستكون طريق بتروغراد مفتوحة امام غليوم .
وبعد ذلك لا يصل الخبز الى بتروغراد اطلاقا ، فيموت الاطفال
جوعا . وبعد ذلك لا تلقى جيوش الجبهة الدعم ، وسيصبح اخواننا
في الخنادق عرضة لنيران العدو . وآنذاك تخسر روسيا كل اعتبار
لها لدى البلدان الاخرى ، ويخسر نقدنا قيمته ، ويصبح كل شيء
باهظ الثمن ، بحيث تغدو الحياة مستحيلة . ويؤجل انعقاد الجمعية

التأسيسية لمدة طويلة ، لاستحالة انعقادها في موعدها . وذلك
يعنى فناء الثورة وفناء حريتنا ...

اهذا ما تريدونه ايها العمال والجنود ؟ بالطبع لا ! اذن ،
فاذا لم يكن هذا ما تريدون ، فروحوا وفتشوا عن الجبهة الذين غرر
بهم الخداعون وقولوا لهم كل الحقيقة التي قلناها لكم !
ليعرف الجميع ان كل من يدعوكم في هذه الايام العصيبة
للخروج الى الشوارع ضد الحكومة ، لا بد ان يكون اما عميلا سوريا
للقصر ، استغزازيا ، واما مساعدا من دون وعى لاعداء الشعب ،
واما جاسوسا قد رشاه غليوم .

ان جميع العمال النوريين الواعين ، وجميع الفلاحين الواعين ،
وجميع الجنود الثوريين ، وجميع الدين يدركون مدى المحنة الى
يمكن ان تسببها للشعب اعمال وانتفاضة معادية للحكومة ، مدعوون
الى الاتحاد لكي يمنعوا اعداء الشعب من القضاء على حريتنا !

اللجنة الانتخابية في بتزوغراد للمناشفة (الدفاعيين) .

١١

«رسالة الى الرفاق» للينين

ان هذه هي السلسلة من المقالات المنشورة في اعداد متوالية من
صحيفة «رابوتشى بوت» («طريق العمال») في النصف الثانى من
شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . انى اورد هنا مقتطفات
من مقالتين فقط .

«...» ليس لدينا الاكثرية بين الشعب ، وبدون هذا
الشرط ، فان الثورة محكوم عليها بالفشل» ...

ان القادرين على هذا الكلام ، اما انهم يشوهون الحقيقة ، او
انهم ادعاء يريدون ، مهما كلف الامر ودون ان يأخذوا بالحسبان
ظروف الثورة الحقيقية ، ان يحصلوا مسبقا على الضمانات بان

للحزب البلشفي في كافة البلاد تماما ، نصف الاصوات زائد صوت واحد ...

واخيرا ، فان اكثر الوقائع اهمية في حياة روسيا الحالية هي **انتفاضة الفلاحين** ... ان حركة الفلاحين في مقاطعة تامبوف كانت انتفاضة بالمعنى المادى والسياسى للكلمة ، انتفاضة اعطت نتائج سياسية ممتازة ، في المقام الاول مثلا ، القبول بتسليم الارض للفلاحين . وليس عشا ان جميع حثالة الاشتراكيين-الثوريين بما في ذلك صحيفة «ديلو نارودا» («قضية الشعب») اخذوا ، وقد روعتهم الانتفاضة ، **يزمجرون** الآن بانه من الضروري كل الضرورة تسليم الارض للفلاحين ! ..

وهناك نتيجة سياسية وثورية رائعة اخرى لانتفاضة الفلاحين ... هي - وصول الحبوب الى محطات السكك الحديدية في مقاطعة تامبوف ...

والثمار الرائعة لحل قضية الخبز هذا (وهو الحل الواقعى الوحيد) ، ان الصحافة **البرجوازية** اضطرت الى الاعتراف بها ، ومن ضمنها صحيفة «الارادة الروسية» («روسكيا فوليا») التى نشرت خبرا مفاده ان محطات سكة الحديد في مقاطعة تامبوف ، تطفح بالحبوب ... **بعد ان قام الفلاحون بانتفاضتهم !!!**

... «نحن لسنا اقوياء لدرجة نستطيع معها الاستيلاء على السلطة ، ولكن البرجوازية ليست من القوة لدرجة تستطيع معها احباط الجمعية التأسيسية» ...

ليس القسم الاول من هذه الحجة سوى ترديد بسيط للاجبة السابقة ، فهى لا تصبح اكثر قوة واقناعا اذا ما عبروا عن ارتباكهم من البرجوازية وخوفهم منها ، بالتشاؤم تجاه العمال ، والتفاؤل تجاه البرجوازية . واذا كان طلاب المدارس الحربية والقوزاق

يقولون انهم سيقاتلون البلاشفة حتى آخر نقطة من دمائهم ، فار
هذا يستحق الثقة التامة ؛ ولكن اذا كان العمال والجنود يعبرون
عن ثقتهم التامة بالبلاشفة خلال مئات الاجتماعات ويؤكدون
استعدادهم بان يضحوا بانفسهم فى سبيل نقل السلطة الى
السوفييتات فانه «من المناسب» الا ننسى بان التصويت شى
والقتال شىء آخر !

ان تفكيرا مثل هذا معناه بالطبع ان الثورة «قد تم دحضها»
غير اننا نتساءل ، ماذا يميز هذا «التشاؤم» الموجه بصورة
غريبة ، عن الانحياز السياسى الى البرجوازية ؟ ..
وماذا اكدت مغامرة كورنيلوف ؟ لقد اكدت ان السوفييتات
هى قوة حقيقية ...

كيف يمكن التاكيد بان البرجوازية ليست قوية الى درجة
تستطيع معها احباط انعقاد الجمعية التأسيسية ؟
اذا كانت السوفييتات عاجزة عن قلب البرجوازية ، فان ذلك
يعنى ان البرجوازية قوية لدرجة كافية لاحباط انعقاد الجمعية
التأسيسية ، لأنه لا احد يستطيع منعها فى ذلك . هل تصديق وعود
كيرنسكى وشركائه ، وتصديق قرارات البرلمان التمهيدى المتعلق ،
جدير بعضو فى حزب بروفيتارى وثورى ؟

ليس للبرجوازية فقط القدرة على احباط انعقاد الجمعية
التأسيسية ، اذا لم تقلب الحكومة الحالية ولكنها تستطيع الوصول
الى هذه النتيجة ايضا بصورة غير مباشرة ، وذلك بتسليمها بتروغراد
الى الالمان ، وبفتحها الجبهة ، وبمضاعفتها اغلاق المعامل ،
وبعرقلتها نقل الحبوب ...

... «ان السوفييتات يجب ان تكون بمثابة مسدس ضاغط
على صدغ الحكومة بغية مطالبتها بدعوة الجمعية التأسيسية

والعدول عن مغامرات كورنيلوف» ... العدول عن الانتفاضة
معناه العدول عن شعار : « كل السلطة للسوفييتات » ... منذ
شهر ايلول (سبتمبر) والحزب يناقش قضية الانتفاضة ...
العدول عن الانتفاضة معناه التخلي عن تسليم السلطة الى
السوفييتات ومعناه « التنازل » عن كل آمالنا ، عن كل امانينا الى
هذه البرجوازية الطيبة التي « وعدت » بدعوة الجمعية التأسيسية ...
فاذا وضعت السلطة بايدى السوفييتات ، عندها تصبح دعوة
الجمعية التأسيسية **مضمونة** ونجاحها مضمونا ...
(العدول عن الانتفاضة) معناه الانتقال السافر الى جانب
ليبر ودان ...

فاما الانتقال الى جانب ليبر ودان والعدول **الصريح** عن الشعار
« كل السلطة للسوفييتات » واما الانتفاضة . ولا وسط بينهما .

... « لا نستطيع البرجوازية تسليم بتروغراد للالمان ، رغم
ان رودزيانكو يريد ذلك ، لأنه ليست البرجوازية هي التي تحارب ،
وانما بحارتنا الابطال » ... لم يجر تجديد رئاسة الاركان
العليا ... والقادة هم من انصار كورنيلوف ...

اذا **اراد** الكورنيلوفيون (وعلى رأسهم كيرنسكى ، لأنه
كورنيلوفى ايضا) تسليم بتروغراد ، فالهم يستطيعون ذلك عن
طريقين وحتى عن « ثلاث » طرق .

اولا : انهم يستطيعون فتح القطاع الشمالى من الجبهة البرية
نتيجة خيانة القادة الكورنيلوفيين .

ثانيا : انهم يستطيعون ان « يتواطؤوا » مع الاستعمارين
الانكليز والالمان باتاحة حرية العمل للاسطول الالمانى بكامله وهو
اقوى من اسطولنا . وبالإضافة الى ذلك يستطيع « الاميرالات
الهاربون » كذلك ، تسليم **الخطط** الى الالمان .

ثالثا : انهم يستطيعون عن طريق اللجوء الى اغلاق المعامل وعرفلة وصول الحبوب ، ايصال جيوشنا الى آخر درجة من الياس وانعدام القوة .

يجب الا نستبعد اية من هذه الطرى الثلاث . لقد برهنت الحقائق على ان الحزب القوزاقى البرجوازى الروسى ، سبق وفرع هذه الابواب الثلاثة كلها ، وسبق انه حاول فتحها ... ليس لنا الحق بالانتظار حتى تخنق البرجوازية الثورة ... ان رودزيانكو رجل عمل ... وخلال عشرات السنين طبق بوفاء واخلاص سياسة رأس المال .

وماذا اذن ؟ ان التردد اذن فى قضية الانتفاضة بوصفها السبيل الوحيد لامقاذ الثورة ، يعنى الارتماء فى هذه الثقة الخسيسة نصف اللبردانية ، والاستراكية-التوربة المنشفية ونصف الفلاحية الساذجة تجاه البرجوازية ، اى الثقة التى ناضل البلاشفة ضدها اكثر من غيرها .

... «نحن نقوى كل يوم ، نحن نستطيع دخول الجمعية التأسيسية كقوة معارضة شديدة ، فلماذا نخاطر بكل شيء على ورق اللعب» ...

حجة المتزمت ، الذى «قرأ» بان الجمعية التأسيسية ستعقد والذى بطمئن الاطمئنان التام الى السبيل الدستورى المفرط فى الشرعية وفى الاخلاص .

من المؤسف فقط ان لا يحل انتظار الجمعية التأسيسية ، لاقضية المجاعة ولا قضية تسليم بتروغراد. ولا ينسى هذا «التفصيل الباف» سوى السذح والحائرين او الذين استسلموا للخوف . الجوع لا ينتظر . انتفاضة الفلاحين لم تكن لتنتظر . الحرب لا تنتظر الاميرالات الهاربون لم ينتظروا ...

والعميان يدهشون بعد ذلك ، كيف لا يبالي بالانتخابات الشعب
الجائع والجنود الذين خانهم الجنرالات والاميرالات ! يا للحكماء !

... « لو بدأ الكورنيلوفيون من جديد لأريناهم عندئذ !
اما ان نبدأ نحن انفسنا ، فما نفع المخاطرة » ؟ .. التاريخ لا
يعيد نفسه ، ولكن اذا نحن ادرنا له **الظهور** ، واذا رددنا ونحن
متأملين مغامرة كورنيلوف الاولى : « اه ، لو يبدأ الكورنيلوفيون » ؟
اذا فعلنا ذلك ، كم ستكون رائعة هذه الاستراتيجية الثورية ! ..
واى تحليل جدى هذا للسياسة البروليتارية ؟
واذا حدثت فتن الجياع وخرقت الجبهة وسلمت بتروغراد ،
قبل ان يبدأ الكورنيلوفيون ؟ فماذا بعد ذلك ؟
يطلبون الينا ان نقيم تكتيك الحزب البروليتارى على تكرار
محتمل لاحدى خطيئات الكورنيلوفيين السابقة !
لننس كل ما اثبتته البلاشفة واكدوه مئات المرات ، ما اكده
تاريخ ثورتنا خلال ستة اشهر ، اى انه لا يوجد موضوعا مخرج
آخر ، ولا يمكن ان يكون ثمة مخرج غير ديكتاتورية الكورنيلوفيين
او ديكتاتورية البروليتاريا ، لننس هذا ، لنعدل عن كل هذا ،
ولنتنظر ! نتنظر ماذا ؟ نتنظر اعجوبة ... »

خطاب ميليوكوف

(مقتطفات)

« .. ان الجميع على ما يبدو ، يعترفون بان مهمتنا الاساسية
الحالية هى الدفاع عن دولتنا ولا بد لانجاح هذه المهمة من قيام

الانضباط في الجيش والنظام في البلد كله . ومن الضروري لتأمين هذه الشروط ان تتوفر لدينا سلطة قادرة على العمل ليس فقط عن طريق الاقتناع ، بل عن طريق القوة ايضا ... ان مصدر آلامنا جميعها هو وجهة نظر اصيلة وروسية محضة تتعلق بقضية السياسة الخارجية يطلق عليها عادة وجهة نظر اممية .

عندما يظن السيد لينين ان عالما جديدا يولد في روسيا ، وانه هو الذى سيجدد الغرب الطاعن في السن ايضا ، وان العالم الجديد هذا سيسستعيز عن الراية الاشتراكية العقائدية القديمة ، بعمل جديد مباشر تقوم به الجماهير الجائعة ، عندما يظن ان هذا سيقدم الانسانية فورا الى امام ويفتح لها الابواب التى تفسلنا عن الجنة الاشتراكية ، فانه في ذلك لا يفعل بالتالى سوى ان يقلد كيرلسكى ...

ان هؤلاء الرجال اعتقدوا باخلاص بان تفكك روسيا سيودى الى تفكك العالم البرجوازي . وانطلاقا من وجهة نظرهم هذه ، فانهم قادرون على خيانة الدولة خيانة لا واعية زمن الحرب ، او على الايحاء الى الجنود ، بدون مبالاة ، ان يغادروا الخنادق وعوضا عن محاربة العدو ان يشعلوا نيران الحرب الاهلية في الداخل ، وان يهاجموا الملاكين والرأسماليين ...»

هنا قاطع اليسار ميليوكوف بعنف . وطالب النواب بان يذكر اسماء الاشتراكيين الذين دعوا الى مثل هذه الاعمال .

« يقول مارتوف ان ضغط البروليتاريا الثورى باستطاعته وحده ان يقمع ارادة الزمر الامبريالية الشريرة ويهزمها وان يقضى على ديكتاتوريتها ... وان هذه النتيجة لا يمكن الحصول عليها باتفاق بين الحكومات يتناول تحديد التسليح ، ولكن بتجريد هذه الحكومات نفسها من السلاح وتحويل الجهاز العسكرى تحويلا ديموقراطيا بصورة جذرية ...»

وبعدما هاجم ميليوكوف مارتوف هجوما شرسا وجائرا ،
 انتقل الى بهام المناشفة والاشراكيين-الثوريين بانهم ما اشتركوا
 في الحكومة الا لغرض واحد ، هو خوض النضال الطبقي في داخلها .
 « ان اشراكىي المانبا والدول الحبلمة ينظرون الى هؤلاء
 الساده نظرة احتقار مكتسوف تقريبا ؛ غير انهم قرروا ان هذا شأن
 روسيا ، ولذا ففد ارسلوا لنا بعض دعاة الحريقه العالميه .
 ان شعار ديموقراطيينا الثوريين بسيط جدا : لا سياسة
 خارجيه ولا مهاره ديبلوماسيه ، صلح ديموقراطى فورى ثم توجيه
 النداء الى الحلفاء : « نحن لا نريد شيئا ، ليس لدينا غرض نقائل
 في سبيله » . وسيدلى اعداؤنا على الفور بنفس التصريح بدورهم ،
 وهكذا يتحقق الاخاء بين الشعوب » .

وسخر ميليوكوف من بيان زيميرفالد واعلن بان كيرنسكى
 نفسه لم يستطع التخلص من تاثير هذه « الوثيقيه المشؤومه التى
 ستبقى الى الابد وثيقيه اتهام ضدنا » . وبعد ذلك هاجم سكوبيليف ،
 زاعما ان موقفه كمندوب للحكومة في مؤتمر باريس وبين
 الديبلوماسيين الاجانب سيكون معارضا للسياسة الخارجيه التى
 تنتهجها حكومته وفي هذا ما فمه من الغرابه بحيث ان الجميع
 سيقولون : « ما يريد هذا السيد ، وبما نستطيع ان نحدث معه ؟ » . اما
 فيما يتعلق بالنوصيات ، فقد اعلن ميليوكوف ، انه هو نفسه مسالم ،
 وانه يؤمن بضرورة انشاء محكمة دولية للتحكيم وبضرورة تحديد
 الاسلحه والاشراف البرلمانى على الديبلوماسيه السريه ، الا انه
 لا يؤيد نتيجة لذلك ، القضاء التام على الديبلوماسيه السريه .

اما بالنسبة الى افكار التوصيات الاشتراكية - « افكار
 استوكهولم » كما سماها (الصلح بدون انتصار ، حق الشعوب في
 تقرير مصبرها ، العدول عن الحرب الاقتصادية) ، فقد صرح
 ميليوكوف ما يلى :

« ان نجاحات المانيا متناسبة طرديا مع نجاحات اولئك الذين يسمون انفسهم الديموقراطية الثورية . لا اريد ان اقول مع «نجاحات الثورة» لأنى اعتقد ان هزائم الديموقراطية الثورية ، هي انتصارات للثورة بالذات ... »

ليس تأخير القادة السوفييت على ما حولنا ضعيفا كما قد يبدو . اذ يكفى للمرء ان يسمع خطاب وزير الخارجية حتى يقتنع بان تأخير الديموقراطية الثورية على السياسة الخارجية ، هو على درجة من القوة في هذه القاعة ، بحيث ان الوزير لا يجروء امامها وجها لوجه ان يتكلم عن شرف روسيا وكرامتها .

نحن نستطيع ان نرى من توصيات السوفييتات ان صياغة افكار بيان استوكهولم كانت تجرى في اتجاهين : اتجاه طوباوى واتجاه يمثل المصالح الالمانية» .

قاطع اليسار الخطيب بصرحات من الغضب ، واستدعاه رئيس المجلس لاختيار العبارات ، الا ان ميليكوف ظل مصرا على ان اقتراح الصلح المقدم من المجالس الشعبية وليس من الدبلوماسيين وكذلك اقتراح الدخول في مفاوضات منذ ان يعلن العدو عدوله عن الالحاقات انما يخدمان المصالح الالمانية . منذ وقت قريب قال كولمان ان تصريحها شخصيا لا يربط سوى الشخص الذى ادلى به ... «وعلى كل حال ، فنحن من الافضل ان نقلد الالمان من ان نقلد سوفييتات نواب العمال والجنود» ...

« اما بالنسبة الى الفقرات المتعلقة باستقلال ليتوانيا ولاتفيا ، فهي دليل على الدعاية للتعصب القومى التى يروجونها في كافة انحاء البلاد والتي يدعمها المال الالمانى ... »

وبصرف النظر عن الضجيج المصم والصيحات المنطلقة من مقاعد اليسار ، فقد شرع الخطيب بالمقارنة بين شروط التوصيات المتعلقة بالانزاس - اللورين ، ورومانيا ، وصربيا وبين تلك المتعلقة

بالاقلية القومية في المانيا والنمسا . ولخص ميلوكوف قائلا ان التوصيات تدود عن وجهة نظر النمسا والمانيا . وانتقل ميلوكوف الى خطاب تيريشنكو ، فاتهمه بمسئله بانه لم يجروء على ان يفصح عما كان يفكر به ، وحتى على ان يفكر في التعابير التي تناسب عظمة روسيا . ان مضيق الداردانيل يجب ان يكون ملكا لروسيا ...

« انكم ترددون دائما ان الجندي لا يعرف لماذا هو يحارب ، وانه لو عرف ذلك لحارب ... صحيح ان الجندي لا يعرف لماذا هو يحارب ، ولكنكم قد قلتم له ان ليس ثمة اهداف يحارب في سبيلها ، وانه ليس لدينا مصالح وطنية في الحرب واننا نقاتل في سبيل الآخرين ... »

وبعد ان قدم ميلوكوف الاجلال للحلفاء الذين بمساعدة امريكا ، على حد قوله ، « ينقذون الآن قضية الانسانية المشتركة » ، ختم كلامه بقوله : « عاش ضياء الانسانية - اى الديموقراطيات الغربية المتقدمة التي قطعت منذ زمن بعيد قسما من الطريق التي نخطو عليها اليوم فقط خطى مزودة وغير ثابتة ! عاش حلفاؤنا الشجعان ! » .

١٣

حديث كيرنسكى

لقد جرب مراسل « الاسوشيتيد پريس » حظه فبدأ قائلا : « سيد كيرنسكى ، في انكلترا وفرنسا خاب ظن الناس بالثورة ... »

« نعم ، - قاطعه كيرنسكى بلهجة ساخرة ، - انى اعرف ذلك ، ولم تعد الثورة مالوفة في الخارج » .

« ما هو سبب توقف روسيا عن القتال ؟ »

« سؤال سخيف ! - اجاب كيرنسكى متبرما - ان روسيا دخلت الحرب قبل سائر الحلفاء وتحملت وحدها كل اعبائها مدة

طويلة . وكانت خسائرها اضخم بكثير من خسائر جميع الشعوب مجتمعة . ويحق لها الآن ان تطلب من الحلفاء ان يبذلوا قصارى جهدهم » . وتوقف لحظة محدقا بمحدثه : « انك تسأل لماذا توقف الروس عن القتال ؟ اما الروس فيتساءلون اين الاسطول البريطانى ، فى حين ان البوارج الالمانية تتجول فى خليج ريغا ؟ » ومن جديد توقف قليلا وانفجر فجأة قائلا : « لم تهزم الثورة الروسية ، لم يهزم الجيش الثورى . ليست الثورة هى التى سببت تفسخ الجيش ، لقد حدث هذا التفسخ منذ وقت بعيد ، فى ظل النظام القديم ؛ لماذا لا يقاتل الروس ؟ انى سأقوله لك . لأن الجماهير الشعبية قد املقت اقتصاديا ولأن الحلفاء قد خيبوا آمالها ! » .

لقد ارسل الحديث الذى اوردنا هنا مقتطفات منه ، برقيا الى الولايات المتحدة ، الا ان وزارة الخارجية الاميركية اعادته بعد بضعة ايام طالبة « تعديله » فرفض كيرنسكى ذلك ، غير ان امين سره الدكتور دافيد سوسكيس ، اجرى هذا التعديل وبهذا الشكل الجديد جرى نقله الى الصحافة العالمية بعد ان حذفت منه العبارات التى لم تطب للحلفاء .

الفصل الثالث

١

« قرار الكتلة البلشفية الذى اتخذته مؤتمر عامة روسيا للجان

المصانع والمعامل بعد استماعه الى تقرير الرفيق لارين

١

١ - ان الطبقة العاملة تسعى ، بعد ان اطاحت بالنظام القيصرى ، الى ان تنتصر المبادئ الديمقراطية فى ميدان نشاطها الانتاجى . وهى تعبر عن سعيها هذا ، فى فكرة رقابة العمال على

الانتاج ، هذه الفكرة التي ظهرت بصورة طبيعية تماما ، في ظروف الخراب الاقتصادي الذي خلقته الطبقات المسيطرة بسياساتها المجرمة .

٢ - ان تنظيم الرقابة العمالية هو التعبير السليم عن مبادرة العمال في ميدان الانتاج شأنه شأن تنظيم النشاط الحزبي في الميدان السياسي ، وتنظيم النقابات في ميدان علاقات العمل والاجور ، وتنظيم التعاونيات في الميدان الاستهلاكي ، وتنظيم الاندييه في الميدان الثقافي .

٣ - ان للعمال مصلحة أكبر في تنظيم عمل المؤسسات تنظيمًا صحيحًا وبصورة متواصلة مما لاصحاب هذه المؤسسات . فوجود الرقابة العمالية يؤمن من هذه الناحية مصالح المجتمع الحديث بأكمله ، مصالح الشعب اجمع ، بصورة افضل مما كانت تؤمنها ارادة اصحاب هذه المؤسسات التعسفية وحدها ، المنطلقين من فائدتهم المفرضة المادية . وعليه ، فان اشراف العمال ليس مجرد مطلب للبروليتاريا ، بل يشكل مصلحة البلد كافة ، ويجب بالتالي ان يؤيده الفلاحون الثوريون والجيش الثورى .

٢

٤ - نظرا للموقف السلبي الذي وقفته اغلبيه الرأسماليين من الثورة يكون توزيع المواد والوقود الصائب ، وادارة الاعمال الطبيعية امرا مستحيلا بدون الرقابة العمالية ، كما دلّت عليه الخبرة المتوفرة .

٥ - ان رقابة العمال على المؤسسات الرأسمالية وحدها ، اذ تثبت الموقف الواعى من وظائف العمل وتوضح اهميته الاجتماعية ، قادرة على نهضة الظروف الملائمة لوجود الانضباط الذاتى الراسخ فيما بين العمال ، ولتطوير انتاجية العمل الممكنة .

٦ - ان الانتقال الوشيك للاقتصاد الى الحالة السلمية واعادة توزيع القوى العاملة من جديد لهذا السبب بين المؤسسات ، على نطاق البلد كله ، لا يمكن القيام بهما بدون هزات خطيرة الا مع وجود التسيير الدائى الديموقراطى من جانب العمال انفسهم فيما يتعلق بمعاملتهم كاشخاص فى اعادة توزيع القوى العاملة .
وعليه ، فان تحقيق الرقابة العمالية هو احد الشروط التمهيدية الاكثر الزامية من اجل نقل الصناعة الى العمل السلمى .

٣

٧ - ان شعار « الرقابة العمالية على نطاق الدولة كلها » ، الذى يقدم به حزب البروليتاريا الروسيه السياسى ، حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى (اللشفي) ، يعنى ان هذه الرقابة العمالية يجب ان تكون شاملة لجميع المؤسسات الرأسمالية وغير عرضية ، ان تكون منظمه وليست عفوية ، وان تكون منهجية وغير منفصلة عن حياة البلد الاقتصادية ككل .

٨ - ويجب ان تخضع حياة البلد الاقتصادية : الزراعة ، الصناعة ، التجارة والنقل على السواء ، لخطة واحدة جرى وضعها لتلبية الحاجات الشخصية والاقتصادية لجماهير الشعب الواسعة ، وتم اقرارها من قبل ممثليها المنتخبين ، ومنفذة باشراف هؤلاء الممثلين فى شخص مؤسسات الدولة والمؤسسات المحلية المناسبة المكلّفة بتنفيذ هذه الخطة الاقتصادية .

٩ - ان القسم من الخطة المتعلق بالزراعة يجرى تحقيقه باشراف منظمات الفلاحين والعمال الزراعيين ، اما قسمها المتعلق بالمؤسسات القائمة على العمل المأجور فى الصناعة والتجارة والنقل فيتحقق باشراف العمال ، مع العلم ان هيئات الرقابة العمالية الطبيعية داخل المؤسسات هى لجان المصانع والمعامل

وغيرها من اللجان المناسبة لها ، كما تقوم النقابات بهذه الرقابة في سوق العمل .

٤

١٠ - ان العقود الجماعية حول التعريفات التي تبرمها النقابات من اجل القسم الاكبر من عمال فرع من الفروع الانتاجية يجب ان يتقيد بها جميع ارباب العمل في هذا الفرع في المنطقة المعنية .
١١ - تنتقل بورصات العمل تحت اشراف النقابات ، كمنظمات طبقية للبروليتاريا تعمل في حدود الخطة الاقتصادية العلامة وبانسجام مع هذه الخطة .

١٢ - يجب اعطاء النقابات الحق في اثارة القضايا امام المحاكم اذا رأت ذلك ضروريا فيما يتعلق بكل انتهاك لعقد العمل والتشريع العمالي تجاه اى عامل كان في فرع العمل المعنى .

١٣ - وبخصوص جميع المشاكل المتعلقة بالرقابة العمالية على الانتاج والتوزيع وسوق العمل يتوجب على النقابات ان تتصل بالعمال المشتغلين في مؤسسة معينة عن طريق اللجنة النقابية في هذه المؤسسة .

١٤ - ان النظام الداخلى ومسائل قبول وتسريح العمال ومنح الاجازات وتحديد التعريفات وتقدير جودة المنتجات ودرجة المهارة والقدرة على العمل ووجود الاسباب المعللة لالغاء عقد العمل والمجادلات مع الادارة وغيرها من المشاكل الخاصة بالحياة الداخلية في المؤسسات ، يجب حلها بعد اقامة الرقابة العمالية بالاتفاق مع لجنة المؤسسة ، وبموجب قراراتها التي يجب اعطاؤها كذلك حق الطعن بجميع افراد ادارة المؤسسة .

١٥ - وتشكل لجنة المصنع او المعمل لجنة المراقبة بغية الاشراف على صحة تزويد المؤسسة بالمواد والوقود والطلبات

وتأمين العمال والقوى التكنيكية لها (بما في ذلك التجهيزات الضرورية) وتزويدها بما تحتاج اليه من الادوات وعلى اتخاذ التدابير الضرورية ، وكذلك بغية الرقابة على انسجام نشاط المؤسسة كله والخطة الاقتصادية العامة . وعلى ادارة المؤسسة ان تحيط المراقبين من العمال علما بجميع المعطيات ، وان تقدم لهم امكانية مراقبة هذه المعطيات ، وان تضع تحت تصرفهم جميع اضبارات المؤسسة .

١٦ - وفيما اذا اكتشفت الرقابة العمالية اشياء غير صالحة او مشكوك فيها ولا يمكن تصحيحها او استيضاحها بقوى ووسائل عمال مؤسسة على حدة لجأت لجنة المصنع او العمل الى مساعدة اجتماع لجان جميع المصانع والمعامل في الفرع الانتاجي المعين في المنطقة المعنية ، الذي يثير قضية اتخاذ كل التدابير الضرورية حتى حجز المؤسسة التام ضمنا ، وذلك امام الهيئات المكلفة بمهمة تنفيذ الخطة الاقتصادية .

١٧ - ان اتحاد لجان المصانع والمعامل يجب ان يتحقق حسب الفروع الانتاجية بقصد تسهيل الرقابة على فرع صناعي بأكمله ، بمعنى تنسيق عمل هذا الفرع مع الخطة الصناعية العامة ، وبمعنى الاصولية العملية لتوزيع الطلبات والمواد والوقود والقوى التكنيكية والعمالة ، وكذلك من اجل تسهيل النشاط المشترك مع النقابات التي تنظم حسب الفروع الانتاجية .

١٨ - ان مجالس المدن العامة للنقابات ، ولجان المصانع والمعامل تمثل البروليتاريا في مؤسسات الدولة والمؤسسات المحلية الخاصة بوضع وتنفيذ الخطة الاقتصادية وتنظيم التبادل بين المدينة والريف وتقوم بوظيفة الادارة العليا تجاه لجان المصانع والمعامل والنقابات فيما يتعلق بالرقابة العمالية في المنطقة المعنية ، وتصدر القواعد الالزامية حول الانضباط العمال في ميدان الانتاج التي يتم اقرارها باقتراع العمال العام .

١٩ - فالمؤتمر اذ يطالب بالرقابة العمالية على نطاق الدولة ، يدعو الرفاق الى تحقيقها منذ الآن بالقدر الذى يتيح ذلك ميزان القوى فى الاماكن ، ويعلن كذلك استئثار العمال ببعض المؤسسات امرا لا يتفق واهداف الرقابة العمالية» * .

٢

اقوال الصحافة البرجوازية حول البلاشفة

«روسكيا فوليا» («ارادة روسيا») فى ٢٨ (١٥) تشرين الاول (اكتوبر) : «ان اللحظة الحرجة تقترب . الحرجة بالنسبة للبلاشفة . فاما ان يقدموا لنا ... نسخة ثانية عن احداث ٣-٥ تموز (يوليو) ، واما ان يضطروا الى الاعتراف بانهم قد منوا بالهزيمة التامة فيما يخص مخططاتهم ومساعدتهم وسياساتهم الوقحة ، سياسة القطيعة مع جميع العناصر الوطنية الواعية .

وما هو نصيب البلاشفة فى النجاح ؟
من الصعب الاجابة عن هذا السؤال اذ ان اهم ما يعتمد عليه البلاشفة هو ... جهل جماهير الشعب . فهم يضاربون بهذا الجهل ويستغلونه فى ديماغوجيتهم اللامتناهية ...
وعلى الحكومة ان تتدخل فى هذا الامر . فبالاستناد الى التأييد المعنوى من قبل مجلس الجمهورية يجب ان تقف موقفا مناهضا للبلاشفة ...

واذا اثار البلاشفة تمرّدا على السلطة الشرعية ، مما يهيج امكانية الغزو الالماني ، فمن الضرورى معاملتهم معاملة الخونة والمتمردين ...» .

* الفقرة التاسعة عشرة غير واردة فى كتاب جون ريد . المحرور .

« بيرجيفيه فيلوموسنى » (« انباء البورصة ») فى ٢٨ (١٥)

اكتوبر : « الآن وقد عزل البلاشفة انفسهم عن سائر القوى الديموقراطية اصبح النضال ضدهم امرا اسهل بكثير ، وليس من الحكمة ، بالنسبة لهذا النضال ، انتظار نشاط من جانبهم . بل بالعكس ، يجب على الحكومة ان لا تتيح الفرصة لمثل هذا النشاط ... »

ان دعوات البلاشفة للانتفاضة والفوضى هى اعمال تعاقب عليها محاكم الجنايات . وحتى فى اكثر البلدان حرية ، يعاقب اصحاب هذه الدعوات اشد عقاب . اذ أن ما يفعله البلاشفة ليس نضالا سياسيا ضد الحكومة او من اجل السلطة ، بل هو دعوة للفوضى والمجازر والحرب الاهلية . فيجب القضاء على مثل هذه الدعوة من جذورها ؛ ومن الغريب انتظار بداية المجازر الفعلية ، بغية بدء النضال ضد الدعوة للمجازر ... »

« نوفوييه فريمبيا » (« الازمنة الحديثة ») فى ١ تشرين الثانى (نوفمبر) (١٩ اكتوبر) : « ... لماذا يقلق بال الحكومة تاريخ ٢٠ اكتوبر فقط ، ولا يقلقها ٢٠ ايلول (سبتمبر) او ٣٠ آب (اغسطس) . وتحترق روسيا وتتهدم منذ حين ويكوى الدخان المتصاعد من هذا الحريق الرهيب عيون حلفائنا منذ وقت بعيد . وهل اصدرت حكومتنا خلال هذه الفترة ولو توجيهها واحدا يهدف الى وضع حد للفوضى ، وهل حاول أحدهم اطفاء الحريق الذى شمل روسيا قاطبة ؟ »

وهل انتبه أحدهم الى ذلك ؟

لقد اخترعت الحكومة لنفسها مهمة اكثر الحاحا . فكانت تقمع العصيان (عصيان كورنيلوف) الذى يتساءلون حوله حتى الآن قائلين : « ترى هل كان هذا العصيان ام لا ؟ » ... »

اقوال الصحافة الاشتراكية المعتدلة حول البلاشفة

« ديلو نارودا » (« قضية الشعب ») (صحيفة الاشتراكيين - الثوريين) في ٢٨ (١٥) تشرين الاول (اكتوبر) : « ان اشنع جريمة ارتكبتها البلاشفة بحق الثورة هي انهم ينسبون جميع المصائب القاسية التي تعانيها الجماهير الى محض سوء نوايا الحكومة الثورية ، مع العلم بان لهذه المصائب اسبابا موضوعية . يعد البلاشفة الجماهير بجبال من ذهب مدركين انهم لن يستطيعوا تحقيق ولو وعد واحد من وعودهم ؛ انهم يقودون الجماهير على طريق مضلة ، ويخدعونها فيما يتعلق باسباب جميع الصعوبات ... »

ان البلاشفة هم أكثر اعداء الثورة خطرا ... » .

« دينين » (« اليوم ») (الصحيفة المنشقية) في ٣٠ (١٧) اكتوبر : « هل هذا هو « حرية الصحافة » ؟ تدعو « نوافيا روس » (« روسيا الجديدة ») و « رابوتشى بوت » (« طريق العمال ») كل يوم وبشكل سافر الى العصيان . وترتكب ، كل يوم ، هاتان الصحيفتان جرائم حقيقية على صفحاتها . وتدعوان ، كل يوم ، الى المذابح ... أهذا هو « حرية الصحافة » ؟ يجب ان تدافع الحكومة عن نفسها وعننا . ويحق لنا ان نطالب بالآي يظل الجهاز الحكومى عاطلا في الوقت الذى تتهدد فيه حياة المواطنين بخطر المذابح الدامية » .

« يدينستفو » (« الوحدة »)

كفت صحيفة بليخانوف « يدينستفو » عن الصدور بعد بضعة اسابيع منذ استيلاء البلاشفة على السلطة . وخلافا للشائعات

الرائجة لم تلغ الحكومة السوفييتية هذه الصحيفة : ففي عددها
الاخير نشر بلاغ يقول : ان الصحيفة تكف عن الصدور بسبب قلة
المشتركين ...

٥

هل كان البلاشفة متآمريين ؟

نشرت الصحيفة الفرنسية « Entente » (« الوفاق ») الصادرة
في بتروغراد مقالا في ١٥ (٢) تشرين الثاني (نوفمبر) جاء فيه :
« ان حكومة كيرنسكى نتشدد وتتردد . اما حكومة لينين
وترونسكى فتعمل وتهاجم .
يسمون هذه الاخيرة بحكومة المتآمريين . ولكن هذا خطأ .
حكومة مغتصبين ، طبعاً ، شأنها شأن كل حكومة تورية انتصرت
على خصومها وليست حكومة متآمريين !
كلا ! فليس هؤلاء متآمريين . انهم لا يعملون في الخفاء .
بل على العكس ، يعملون بجرأة وبشكل سافر ودون أن يمسغوا
الكلمات وان يخفوا نواياهم . انهم يقومون بالدعاية السافرة ،
التي تعززها الدعاية في المصانع والشركات والجهة وفي جميع انحاء
البلاد - في كل مكان ، حتى انهم حددوا سلفا وعلى المكشوف يوم
الانتفاضة المسلحة ، يوم استيلائهم على السلطة ...
وهم متآمرون ؟ ابدا ! » .

٦

نداء اللجنة المركزية للجيش ضد الانتفاضة

« .. اننا نصر قبل كل شيء على التنفيذ الدائب لارادة اغلبية
الشعب المنظمة التي تعبر عنها هيئة السلطة الشعبية الا وهي الحكومة
الموقته ، بالاتفاق مع مجلس الجمهورية والتسيك ...

وكل محاولة للاطاحة بهذه السلطة عن طريق العنف ، في الوقت الذي ستسفر الازمة الحكومية فيه لا محالة عن التشويش والخراب والحرب الاهلية في البلد ، سيقف الجيش منها موقفه من العمل المضاد للثورة وسيقمعها بقوة السلاح ...

ان مصالح جميع الفئات والطبقات على حدة يجب ان تخضع لمصلحة واحدة مشتركة هي رفع انتاجية صناعتنا وتوزيع جميع المواد الضرورية الاولى توزيعا عادلا ...

وجميع الذين يميلون الى اعمال التخريب والفوضى ، وجميع الهاربين من الجبهة وجميع قطاع الطرق والمستهترين يجب اجبارهم على القيام باعمال صعبة في مؤخرة الجيش ...

ونقترح على الحكومة الموقته انشاء فصائل العمل الخاصة من منتهكى ارادة الشعب واعداء الثورة هؤلاء واجبارهم على العمل في المؤخرة وفي الجبهة وفي الخنادق تحت رصاص العدو ...»

٧

احداث ليلة ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر)

بدأت ، في المساء ، فصائل من الحرس الاحمر باحتلال مطابع الصحافة البرجوازية ، حيث طبعوا بعد ذلك مئات آلاف من نسخ «رابوتشى بوت» («طريق العمال») و«سولدات» («الجندي») ومختلف البلاغات . وصدرت الاوامر الى ميليشيا البلدية باخلاء ابنية المطابع من رجال الحرس الاحمر ولكنها وجدتتها محصنة بالمتاريس ومحمية من قبل رجال مسلحين . والقوات التي تلقت الامر بالهجوم على المطابع رفضت تنفيذه .

وحوالى منتصف الليل ، تقدم عقيد مع فصيلة من اليونكر الى نادى «ذوى الافكار الحرة» لاعتقال محرر «رابوتشى بوت» .

وفي الحال تجمعت جماهير غفيرة في الشارع وهددت بمعاque اليونكر اعتباطا . لم يكن امام العقيد سوى وسيلة ، هي ان يرجو اعتقاله واعتقال اليونكر معه وان يساقوا لغرض سلامتهم الى قلعة بطرس وبولس ، وقد حققت رغبته .

وفي الساعة الواحدة ليلا ، احتلت فصيلة من الجنود والبحارة مركز البرق * . وفي الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة احتلت دار البريد ، وعند الصباح الفندق العسكري ، وفي الخامسة صباحا مركز التلفون * * . وفي الساعة العاشرة صباحا تم تطويق قصر الشتاء .

الفصل الرابع

١

احداث ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) اى ٢٥ اكتوبر

منذ الساعة الرابعة ليلا وحتى الصباح مكث كيرنسكى في يتروغراد ، في بناية اركان الجيش العامة التي كان يوجه منها اوامره الى وحدات القوزاق والمدارس العسكرية الموجودة في المدينة وضواحيها . غير ان جميع هذه الوحدات اجابت بانها لا تستطيع ان تقوم باى عمل .

وكان العقيد بولكوفنيكوف ، آمر الموقع ، يتنقل كالمكوك بين اركان الجيش العامة وقصر الشتاء ، وكان ، على ما يبدو ، لا يحمل

* تم الاستيلاء على مركز البرق في الساعة الثانية ليلا . المحرر .
 * * تم الاستيلاء على مركز التلفون في الساعة السابعة صباحا .
 المحرر .

اية خطة للعمل . واصدر كيرنسكى امرا بفتح الجسور * ؛ وخلال ثلاث ساعات لم يتخذ اى تدبير تنفيذاً لأمره ، ثم ذهب ضابط واحد بميلادرتيه الخاصة ، وبرفقة خمسة جنود الى جسر نيقولايفسكى ، وطرد فصيلة من الحرس الاحمر كانت تحمى الجسر وفتحه . ولكنه ما ان توجه الى جسر آخر حتى جاء نفر من البحارة واغلق الجسر من جديد .

واصدر كيرنسكى امرا باحتلال بناية مطبعة صحيفة «رابوتشى بوت» . ووعدا الضابط المكلف بتنفيذ هذا الامر بوضع فصيلة من الجنود تحت امرته ، وبعد ساعتين وعدوه بفصيلة من اليونكر ثم نسوا الامر كليا .

وجرت محاولة استرجاع دار البريد والبرق من ايدى البلاشفة ؛ ولكن ما ان دوت عدة طلقات نارية حتى اعلن جنود الفصيلة التابعة للحكومة عن عدم رغبتهم فى مقاومة السوفييتات . فقد صرّح كيرنسكى لوفد اليونكر : « بصفى رئيس الحكومة الموقته والقائد الاعلى ، فاننى لا اعرف شيئا ولا استطيع ان انصحكم شيئا . الا اننى بوصفى ثوريا قديما ، ادعوكم ايها الثوريون الشباب ، الى ان تبقوا فى مراكزكم وان تدافعوا عن مكاسب الثورة » .

امر كيشكين المؤرخ فى ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر)

« ينص المرسوم الصادر عن الحكومة الموقته على ما يلى : عهدت الى عضو الحكومة الموقته كيشكين صلاحيات استثنائية لاعادة النظام الى العاصمة وللدفاع عن بتروغراد ضد جميع الاعمال

* تفتح الجسور فى بتروغراد عموديا قسمين من اجل السماح بمرور المراكب على نهر نيفا . المحرور ،

الفوضوية بغض النظر عن مصدرها ، مع اخضاع السلطات العسكرية والمدنية له .

«استنادا الى الصلاحيات المعهودة الى من الحكومة الموقته اعلن تجريد العقيد بولكوفنيكوف ، قائد منطقة بتروغراد العسكرية ، من وظائفه » .

نداء الى المواطنين

من نائب رئيس الحكومة الموقته كونوفالوف
المؤرخ في ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر)

«ايها المواطنون ! انقذوا الوطن والجمهورية والحرية ! لقد نظم المجانين انتفاضة ضد سلطة الدولة الوحيدة التي اقامها الشعب حتى انعقاد الجمعية التأسيسية ، اى ضد الحكومة الموقته . ان اعضاء الحكومة الموقته يقومون بواجبهم باقين في مراكزهم ، وسيواصلون عملهم لخير الوطن ومن اجل استتباب النظام وعقد الجمعية التأسيسية في الوقت المعين ، التي هى السيد المقبل للارض الروسية ولجميع الشعوب القاطنة فيها .

ايها المواطنون ، عليكم ان تقدموا مساعدتكم للحكومة الموقته ، وان تدعموا سلطتها . ويجب ان تعارضوا المجانين الذين انضم اليهم جميع اعداء الحرية والنظام وانصار نظام الحكم القديم ، في سعيهم الى احباط الجمعية التأسيسية ، والى القضاء على جميع مكاسب الثورة وكل مستقبل وطننا العزيز .

ايها المواطنون ! التفوا حول الحكومة الموقته دفاعا عن سلطتها الموقته باسم النظام وسعادة جميع شعوب وطننا العظيم .

٢٥ اكتوبر ١٩١٧ «

برقية الحكومة الموقته

«... أعلن سوفيت بتروغراد لنواب العمال والجنود ان الحكومة الموقته قد اسقطت ، وعليه فقد طالبها بتسليمه السلطة الحكومية باكملها مهدداً بقصف قصر الشتاء بمدافع قلعة بطرس وبولس والطراة «افرورا» الراسية في مياه نهر نيفا .
ان الحكومة لا تستطيع ان تتخلى عن سلطتها الا الى الجمعية التأسيسية ، وعليه فقد قررت عدم الاستسلام ، واللجوء الى حماية الشعب والجيش ، وافادت مقر القيادة العليا عن ذلك برقبا . وردا على هذا ، اخبرت القيادة العليا عن ارسال فصيلة عسكرية .
فليرد البلد والشعب على محاولة البلاشفة الحمقاء في ائارة تمرّد في مؤخرة الجيش المحارب !
٢٥ اكتوبر . الساعة التاسعة ليلا .»

حوالى الساعة التاسعة صباحا توجه كيرنسكى الى الجبهة ... *
عند المساء ، تقدم جنديان جاءا على دراجتين ، الى مقر الاركان العامة للجيش واعلنا عن نفسيهما بانهما مندوبان عن قلعة بطرس وبولس . ودخلا قاعة الاجتماعات حيث يجتمع كيشكين وروتنبيرغ وبالتشينسكى والجنرال باغراتونى والعقيد باراديلوف والكونت تولستوى وطلبا استسلام الاركان فورا مهددين بقصف مقر الاركان فى حالة الرفض ... وبعد اجتماعين عقدا فى جو من الدعر انسحبت الاركان العامة الى قصر الشتاء . فاستولى الحرس الاحمر على مقر الاركان ...

وفى ساعة متأخرة من بعد الظهر ، كانت عدة سيارات مصفحة

* فى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ صباحا ، غادر كيرنسكى بتروغراد الى الجبهة «ليستقبل» القوات التى استدعاها . المحرر .

تابعة للبلاشفة تطوف في ساحة القصر ، وحاول الجنود الموالون للسوفييتات التفاوض مع اليونكر ، ولكن بدون جدوى ...
بدأ اطلاق النار على القصر حوالى الساعة السابعة مساء ...
وعند الساعة العاشرة مساء ، بدأ قصف المدفعية ، غير ان معظم القنابل كانت فارغة ، ولقد اصابت ثلاث قنابل ذات عيار صغير ، واجهة القصر .

٢

نهب قصر الشتاء

انى لا ادعى بان قصر الشتاء لم يتعرض للنهب . غير انه نجدد الاشارة الى ان سرقات عديدة وقعت قبل سقوط القصر ، لا بعده فقط . الا ان مزاعم صحيفة الاشتراكيين-الثوريين «نارود» («الشعب») وبعض اعضاء مجلس الدوما البلدى القائلة بان الاشياء الثمينة التى سرقت تقدر قيمتها ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ (خمسمائة مليون) من الروبلات ، مبالغ فيها كثيرا .
كانت اهم كنوز القصر الفنية - لوحات ، تماثيل ، سجاد ، اوانى صينية ، مجموعات سلاح قديم - قد ارسلت الى موسكو في شهر ايلول (سبتمبر) ، وكانت ما تزال محفوظة في حالة جيدة في اقبية قصر الكرملين الكبير عندما شاهدها بام عيني وذلك بعد استيلاء البلاشفة على الكرملين بعشرة ايام ...
غير ان بعض الاشخاص وهم من المواطنين بشكل عام الذين سمح لهم بالتجول بحرية في قصر الشتاء خلال عدة ايام بعد سقوطه ، سرقوا بعض الاوانى الفضية والساعات واغطية الاسرة والمرايا وبعض الاوانى الصينية والاحجار ذات قيمة متوسطة ، وتقدر قيمة مجموع ما سرق بـ ٥٠٠٠٠٠ روبل تقريبا .

لقد شكلت الحكومة السوفيتية في الحال لجنة من الفنانين وعلماء الآثار عهدت اليها بالبحث عن الاشياء المسروقة بغية ارجاعها . ولذا فقد اصدرت اللجنة في ١٤ (١) تشرين الثاني (نوفمبر) الندائين التاليين :

«الى مواطني بتروغراد !

نرجو بالحاح من كافة المواطنين بذل جهودهم في البحث عن الاشياء المسروقة من قصر الشتاء ليل ٢٥ الى ٢٦ تشرين الاول - اكتوبر (٧ الى ٨ تشرين الثاني - نوفمبر) وارسالها الى قيم قصر الشتاء .

ان الذين يشترون هذه المسروقات وكذلك اصحاب محلات الآثار الذين توجد في حوزتهم ، يعتبرون مسؤولين تحت طائلة القانون وسيعاقبون بقساوة .

المفوضان المسؤولان عن حماية المتاحف والقيم الفنية

غ . ياتهانوف وب . ماندلباوم .

«الى كافة لجان الجيش والاسطول

في ليل ٢٥ الى ٢٦ تشرين الاول - اكتوبر (٧ الى ٨ تشرين الثاني - نوفمبر) ، سرقت تحف فنية ثمينة من قصر الشتاء ، الذي هو ملك الشعب الروسي .

اننا ننشدكم جميعا بذل كل المجهودات اللازمة بغية اعادة الاشياء المسروقة الى القصر .

المفوضان - غ . ياتهانوف وب . ماندلباوم .

جرت استعادة نصف المسروقات تقريبا ، ووجد بعضها بين امتمعة اشخاص من الاجانب وهم يغادرون روسيا .

عقد اجتماع من الفنيين وعلماء الآثار ، بدعوة من سمولني ،
وكلفت لجنة بجرد كنوز قصر الشتاء وكافة مجموعات بتروغراد
الفنية ومتاحف الدولة .

وفي ١٦ (٣) تشرين الثاني (نوفمبر) منع الجمهور من دخول
القصر ، فيما كانت اللجنة تقوم بجرد محتوياته .

وفي منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) ، صدر مرسوم خاص
عن مجلس مفوضي الشعب محولا اسم قصر الشتاء الى «متحف
الشعب» وواضعا اياه تحت اشراف لجنة من الفنيين وعلماء الآثار
ومانعا كل نشاط حكومي او سياسي فيه .

٣

حول الاعتداء على الكتيبة النسائية

ما ان جرى الاستيلاء على قصر الشتاء ، حتى بدأت الصحافة
المعادية للبلاشفة تنشر انواعا من القصص المثيرة وقد رويت كذلك
في اجتماعات مجلس الدوما البلدي حول الكتيبة النسائية التي
ساهمت في الدفاع عن القصر . قيل ان عددا من الفتيات الجنديات
قد القى بهن الى الشارع من خلال النوافذ ، وان معظمهن قد اغتصبن ،
وان العديدا قد انتحرن اذ لم يحتملن الفظائع التي
يعرضن لها .

لقد عين مجلس الدوما البلدي لجنة تحقيق خاصة ، توجهت
الى ليفاشوفو ، المقر العام للكتيبة النسائية ، وعادت هذه اللجنة
من هنالك في ١٦ (٣) تشرين الثاني (نوفمبر) . فروت السيدة
تيركوفنا ان الفتيات قد اخذن في بادئ الامر الى ثكنات فوج بولس ،
حيث عوملت بعضهن معاملة سيئة ، وجميعهن تقريبا موجودات
حاليا في معسكر ليفاشوفو ، وما تبقى منهن فيقمن في المنازل

الخاصة في بزوغراد . كما ان الدكتور ماندلباوم ، وهو عضو في اللجنة ذاتها ايضا ، اجرى تصريحاً مقتضباً ، اكد فيه^١ انه لم تلق من نوافذ قصر الشتاء ولا امرأة واحدة ، كما انه لم تصب واحدة منهم بجراح ، وان ثلاثاً فقط قد سلبن عقافهن ، وواحدة انتحرت تاركة كلمة تقول فيها بان « املها قد خاب في مثلها الاعلى » .

وفي شهر تشرين الثانى (نوفمبر) حلت اللجنة العسكرية الثورية الكتيبة النسائية رسمياً بناء على طلب الفتيات انفسهن ، ومنذ ذلك الوقت ارتدت الجنديات اللباس المدنى .

ان كتاب لويزا بريان « ستة اشهر حمراء في روسيا » يحوى وصفاً طريفاً لاولئك النساء الجنديات .

الفصل الخامس

١

نداءات وبلاغات

من اللجنة العسكرية الثورية في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) «الى جميع لجان الجيش في الجبهة والى جميع سوفيينات نواب الجنود .

لقد اطاحت بروليتاريا بتروغراد وحاميتها بحكومة كيرنسكى التى وقفت ضد الثورة والشعب ...

ان اللجنة العسكرية الثورية ، اذ تبلغ الجيش في الجبهة وفي المؤخرة عن هذا الحدث ، فانها تدعو جميع الجنود الثوريين ان يراقبوا بيقظة سلوك الضباط . ان الضباط الذين لا يعلنون تأييدهم العلنى والصريح للثورة ، يجب اعتقالهم فوراً كاعداء . ان سوفيت بتروغراد يعتقد ان برنامج الحكومة الجديدة

يجب ان يقوم على : الاقتراح الفوري لعقد صلح ديموقراطي ،
وتسليم اراضي الملاكين العقاريين الى الفلاحين فوراً ، واستلام
السوفييتات لكافة السلطات ، والقيام بصدق بدعوة الجمعية
التأسيسية للانعقاد . ان جيش الشعب الثوري يجب الا يسمح
بارسال الوحدات المشكوك في ولائها الى بتروغراد . حاولوا اقناع
هذه الوحدات بالحجج ، واذا لم تنجح هذه الوسيلة ، فيجب منع
ارسالها باستخدام القوة بلا رحمة .

ومن الضروري تلاوة هذا الامر فوراً على جميع القوات
المسلحة . وسيعتبر اخفاء مضمون هذا الامر عن الجنود ، جريمة
خطيرة معادية للثورة ويعاقب عليها بكل قساوة القانون الثوري .
ايها الجنود ! ناضلوا في سبيل السلم ، والخبز ، والارض ،
والحكومة الشعبية !

اللجنة العسكرية الثورية»

«الى جميع لجان الجيش والفرق والفيالق والالوية في الجبهة والبلوخرة
الى جميع سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين .

ايها الجنود والضباط الثوريون !

ان اللجنة العسكرية الثورية قررت بالاتفاق مع ارادة اغلبية
العمال ، والجنود ، والفلاحين ، ان يؤخذ الجنرال كورنييلوف
وجميع المشتركين المفضوحين في مؤامرتهم ، الى بتروغراد فوراً ،
بوصفهم اعداء للشعب والثورة ، ليصار الى سجنهم في قلعة
بطرس وبولس والى محاكمتهم امام المحكمة العسكرية الثورية
الصارمة . وتعلن اللجنة ان كل من يعارض تنفيذ هذا المرسوم ،
يعتبر خائناً للثورة واوامره باطلة لا تنفذ .

اللجنة العسكرية الثورية لسوفييتات نواب

العمال والجنود في بتروغراد»

«الى جميع سوفيات نواب العمال والجنود والفلاحين في المقاطعات والاقضية .

ان مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، قرر ان تطلق فوراً حرية اعضاء اللجان الزراعية الموقوفين وان يسجن المفوضون الذين امروا باعتقالهم . ومن الآن فصاعداً ، تعود كل السلطة للسوفييتات . ان مفوضى الحكومة الموقته قد اقبلوا . وعلى رؤساء مختلف السوفييتات المحلية ، الاتصال مباشرة مع الحكومه الثورية » .

٢

احتجاج مجلس الدوما البلدى

ان مجلس الدوما البلدى ، فى جلسته المنعقدة فى ٨ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٦ تشرين الاول - اكتوبر) ، اقر نشر النداء التالى :

«ان مجلس الدوما البلدى المركزى ، المنتخب بالاستناد الى اكثر الاسس ديموقراطية ، اخذ على عاتقه فى ظرف بلغت فيه الفوضى الاقتصادية **اوجها** ، عبء تسيير الخدمات البلدية وضمان التموين . ففى الوقت الراهن ، وقبل ثلاثة اسابيع من الانتخابات للجمعية التأسيسية ، ورغم تهديد العدو الخارجى ، يعتدى الحزب البلشفى ، بعد ان قلب السلطة الثورية الشرعية الوحيدة بقوة السلاح ، على حقوق الادارة البلدية الذاتية واستقلالها ، طالبا منها الخضوع الى مفوضيه والى السلطة الجديدة غير الشرعية .

ففى هذا الظرف المفجع العصيب ، يعلن مجلس دوما البلدى لبتروغراد عالياً ، متوجها الى ناخبيه والى روسيا بأسرها ، انه لا يتساهل مع اى تناول على حقوقه واستقلاله ، وانه سيبقى

في مركزه ذى المسؤولية الجسيمة ، حيث دعتة اليه ارادة سكان العاصمة .

ان مجلس الدوما البلدى المركزى لمدينة بتروغراد يدعو مجالس الدوما وكافة الزيمستفوات فى الجمهورية الروسية ، للدفاع عن واحد من اعظم مكاسب الثورة الروسية - عن حرية الادارة الذاتية الاجتماعية واستقلالها .

٣

«الوصية الفلاحية بصادد الارض»

ان الجمعية التأسيسية التى تمثل الشعب بأسره هى وحدها التى تستطيع حل المسألة الزراعية بكل مداها .

واعدل حل للمسألة الزراعية ، ينبغى ان يكون الحل التالى :

١ - يلغى الى الابد حق الملكية الخاصة للارض . ولا يمكن بيع الارض وشرائها ، ولا تأجيرها او رهنها ، ولا التنازل عنها للغير باى شكل آخر .

تؤخذ جميع الاراضى دون اى تعويض - اراضى الدولة ، والعائلة القيصرية ، والتاج ، والاديرة ، والكنائس ، والمخصصات واوقاف النبلاء ، والاملاك الخاصة ، والشعاعات ، والفلاحين ، الخ . - وتصبح ملكا وطنيا وتعطى من اجل التمتع بها لجميع الذين يحرمونها .

ولا يعترف للأشخاص الذين تضرروا بفعل هذا الانقلاب فى نظام الملكية باى حق غير حق الافادة من معونة المجتمع خلال الفترة الضرورية لهم لكى يكيفوا انفسهم على اوضاع الحياة الجديدة .

٢ - جميع ثروات باطن الارض ، من فلزات معدنية ، وبترول ، وفحم ، وملح ، وغير ذلك ، وكذلك الغابات والمياه ذات

الاهمية الوطنية ، تنتقل الى حوزة الدولة ، وتغدو تحت تصرفها وحدها بلا منازع . ان التمتع بجميع مجارى المياه الصغيرة ، والبحيرات الصغيرة ، والاحراج الصغيرة ، وغير ذلك ، ينتقل الى المشاعلات ، شرط ان تؤمن ادارتها هيئات الادارة الذاتية المحلية .

٣- لا توزع الاراضى الى تشتمل على استثمارات عالية المستوى ، من بساتين ، ومزارع ، ومشاتل ، ومشاتل لتطعيم الاغراس ، ومنابت مدفاة ، وغير ذلك ، بل تحول الى استثمارات نموذجية ، وتبعا لمساحتها واهميتها ، توضع تحت تصرف الدولة او تحت تصرف المشاعلات للتمتع بها بلا منازع .

الاراضى الملاصقة للبيوت ، فى المدن والارياف ، مع بساتينها ومنابت خضرواتها ، تترك لواضعى ايديهم عليها الحاليين للتمتع بها . يحدد القانون مساحة هذه الاراضى والضريبة الواجب دفعها من اجل التمتع بها .

٤- تصدر مرائب تجويد نسل الخيل ومؤسسات تربية الماشية الاصلية والطيور الداجنة ، وغير ذلك ، التى تملكها الدولة والافراد ، وتحول الى ملكية وطنية ، وتسلم ، تبعا لحجمها واهميتها ، اما الى الدولة واما الى المشاعلات ، من اجل التمتع بها بلا منازع .

اما مسألة التعويض ، فينبغى على الجمعية التأسيسية ان تحلها .

٥- تنتقل كل الماشية والعتاد فى الاراضى المصادرة ، دون اى تعويض ، وتبعا لحجمها واهميتها ، اما الى الدولة واما الى المشاعلات من اجل التمتع بها بلا منازع .

لا يخضع للمصادرة ما يخص صغار الزراع من ماشية وعتاد .

- ٦ - جميع مواطنى الدولة الروسية (دون تمييز فى الجنس) ، ممن يرغبون فى حراثة الارض بانفسهم ، مع عائلاتهم او مجتمعين فى جمعيات ، لهم الحق فى التمتع بالارض ، ولكن فقط طالما هم قادرون على زراعتها . العمل المأجور ممنوع .
- إذا اصاب احد افراد المشاعة بالعجز خلال سنتين ، تتعهد المشاعة باسداء المعونة له ، خلال هذه الفترة ، وذلك بزراعة الارض بصورة جماعية ، الى ان يستعيد قدرته على العمل .
- اما الزراع الذين فقدوا نهائيا القدرة على حراثة الارض ، بسبب الشيخوخة او العجز ، فانهم يفقدون حق التمتع بالارض ، ولكنهم عوضا عن ذلك ، يتلقون معاشا تقاعديا من الدولة .
- ٧ - ينبغى ان يكون التمتع بالارض متساويا ، اى ان يصار الى توزيع الارض بين الشغيلة على اساس الاوضاع المحلية ، وتبعا لمعدل العمل او الاستهلاك .
- وينبغى ان تكون اشكال التمتع بالارض حرة تماما ؛ بشكل عائلات ، او مزارع ، او مشاعات ، او ارييلات ، كما تقرر ذلك الضيع والقزى .
- ٨ - تحول جميع الاراضى بعد مصادرتها الى صندوق اراضى الشعب بأسره . والادارات الذاتية المحلية والمركزية ، ابتداء من ادارات القرى والمدن المنظمة بصورة ديموقراطية ، دون اى تقسيم الى فئات اجتماعية ، حتى المؤسسات المنطقية المركزية ، هى تؤمن توزيع الارض على الشغيلة .
- ويخضع صندوق الاراضى لتوزيعات دورية ، بقدر ما ينمو عدد السكان وبقدر ما يتحقق من تقدم فى الاقتصاد الزراعى من حيث المردود واساليب الزراعة .
- فى حال تعديل حدود قطع الاراضى ، تظل النواة الاصلية لقطعة الارض المعنية ، على حالها ، دون اى مساس بها .

تعود اراضى الاعضاء النازحين الى صندوق الاراضى ؛ ويتمتع اقارب الاعضاء النازحين والاشخاص الذين يعينونهم بحق الافضلية على قطع الارض هذه .

ينبغى التعويض عن قيمة الاسمدة واعمال التحسين (التحسينات الاساسية) الموظفة فى الارض ، حال عدم الافادة منها ، عند عودة الارض الى صندوق الاراضى .

اذا كان صندوق الاراضى الموجود فى بعض الاماكن لا يكفى لسد حاجات جميع السكان المحليين ، فينقل فائض السكان الى اراض اخرى .

تأخذ الدولة على عاتقها تنظيم هذا الانتقال وكذلك نفقاته ، وتقديم الماشية والعتاد ، الخ . .

يجرى الانتقال على النحو التالى : اولاً الفلاحون الذين لا ارض عندهم ويرغبون فى النزوح ؛ ثم افراد المشاعة الفاسدون ، والهاربون وغيرهم ؛ واخيراً ، بالقرعة او بالاتفاق .

ان مضمون هذه الوصية الذى يعبر عن الارادة المطلقة لدى اغلبية الفلاحين الواعين فى عموم روسيا ، انما نعلنه ، حتى انعقاد الجمعية التأسيسية ، قانوناً مؤقتاً يصار الى تطبيقه فوراً قدر الامكان كما يصار الى تطبيق بعض اقسامه حسب التدرج الضرورى الذى ستقره سوفييتات نواب الفلاحين فى الاقضية .

٤

الهاربون والارض

لم تتخذ الحكومة اى قرار يتعلق بالهاربين وحققهم فى الارض ، لأن انتهاء الحرب وتسريح الجيش قد حلاً هذه القضية بصورة اوتوماتيكية .

مجلس مفوضى الشعب

كان مجلس مفوضى الشعب يتألف فى بادى الامر بكامل اعضائه من البلاشفة . وليس هؤلاء وحدهم مسؤولين عن ذلك :
فى ٨ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٦ تشرين الاول - اكتوبر) ،
عرض البلاشفة حقائب وزارية على الاشتراكيين - الثوريين اليساريين ،
الا ان هؤلاء رفضوا العرض .

الفصل السادس

نداءات وإعلانات

«الى كافة المنظمات الهدنية والعسكرية

لحزب الاشتراكيين الثوريين .

ان محاولة البلاشفة الخرقاء - على عتبة هزيمة تامة . فى
الحامية - يأس وانقسام . إلوزارات لا تعمل . الخبز سينفد .
كل الكتل ، مسا عدا قبضة من الماكسيماليين ، قد غادرت
المؤتمر . الحزب البلشفى فى عزلة . اعمال القمع ضد مطابع
اللجنة المركزية ، اعتقال الرفاق ماسلوف وتسيون واعضاء
اخرين من الحزب ، اعمال السطو والعنف التى رافقت الاستيلاء
على قصر الشتاء تزعج اكثر فاكثر فئات اوسع من البحارة
والجنود . التسنتروقلوت يدعو الى عدم الخضوع للبلاشفة !
نحن نقترح : اولاً ، ان تقدم المساعدة الكاملة الى المنظمات
العسكرية والى المفوضين وهيئة القيادة بغية تصفية المجازفة

الخرقاء تصفية نهائية وللالتفاف حول لجنة انقاذ الوطن والثورة ،
المدعوة الى ايجاد سلطة ثورية ديموقراطية منسجمة مع
البرنامج التالى : تسليم الارض فورا الى اللجان الخاصة بشؤون
الارض ، اقتراح فوري لصالح ديموقراطى عام على جميع البلدان
المحاربة ؛

ثانيا ، ان تؤخذ تدابير خاصة لحماية مراكز الحزب ؛
ثالثا ، ان تكون على اهبة الاستعداد فى الوقت الضرورى لتلبية
نداء اللجنة المركزية ، وان نصد بمقاومة فعالة محاولات العناصر
المعادية للثورة التى تريد الاستفادة من مجازفة البلاشفة للقضاء
على مكتسبات الثورة ، ورابعا ، ان نضاعف اليقظة لصد العدو
الذى يمكن ان يستفيد من ضعف الجبهة .

اللجنة المركزية واللجنة العسكرية الثابعتان
للجنة المركزية لحزب الاشتراكيين-الثوريين .

٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .

مقتطف من صحيفة «البرافدا»

«... من هو كيرنسكى اذن ؟ مقتضب ، يجب ان يوضع
فى سجن بطرس وبولس مع كورنيلوف وكيشكين . مجرم ، تنكر
لثقة الجنود والفلاحين والعمال .
كيرنسكى هو قاتل الجنود .
كيرنسكى هو جلاد الفلاحين .
كيرنسكى هو خائن العمال .
هذا هو كورنيلوف الثانى ، الذى يامل عبثا اغتيال انحرية
التي فاز بها العمال والجنود والفلاحون !»

الفصل السابع

١

مرسومان

مرسوم حول الصحافة

« في الساعة الحرجة الحاسمة التي مرت بها الثورة ، وفي الايام التي تليها ، اضطرت اللجنة الموقته للثورة الى ان تتخذ سلسلة من الاجراءات ضد الصحافة المعادية للثورة بكل الوانها . ومن كافة الاطراف ، ارتفعت حالا الصيحات بأن السلطة الاشتراكية الجديدة تتجاوز بهذا المبادئ الاساسية في برنامجها ، اذ تناولت على حرية الصحافة .

ان حكومة العمال والفلاحين ، تلفت انتباه السكان الى انه وراء ستار حماية الحرية ، تختبئ في مجتمعنا الامكانية للطبقات الغنية بان تستأثر بحصة الاسد في الصحافة ، فتسمم بلا عقاب الرأي العام وتخلق الفوضى في وعي الجماهير .

يعلم الجميع ان الصحافة البرجوازية هي من اقوى اسلحة البرجوازية تأثيرا . وخصوصا في هذه اللحظة الحاسمة بالذات ، التي لا تزال فيها السلطة الجديدة للعمال والفلاحين في مرحلة التوطد ، فانه من المستحيل ان نترك هذا السلاح الذي لا تقل خطورته عن القنابل والرشاشات ، بين يدي العدو . ولهذا السبب فقد اتخذت اجراءات موقته وسريعة لايقاف سيل القذارة والافتراء الذي يحلو للصحافة الصفراء وللصحافة الخضراء ، اغراق الانتصار الشعبي الفتي فيه .

وما ان يترسخ النظام الجديد ، حتى تلغى كافة الاجراءات الادارية ضد الصحافة ، فتعطى الحرية الكاملة ضمن حدود

المسؤولية امام المحكمة وفقا لأكثر القوانين سعة وتقدمية في هذا المجال .

ان مجلس مفوضي الشعب ،دون ان يغرب عن باله بان اى تقييد لحرية الصحافة ، حتى في المراحل الحرجة ، بمقبول ضمن اطار الضرورة فقط ، يقرر ما يلي :

١- تتعرض للمنع عن الصدور الصحف التالية : أ- تلك التي تحرّض على المقاومة العلنية او على عصيان حكومة العمال والفلاحين . ب- تلك التي تخلق الفوضى والتشويش في العقول عن طريق تزيف الاخبار عمدا . ج- تلك التي تحرّض على اعمال ذات طابع اجرامى يقع تحت طائلة قانون الجنايات . ٢- لا يتم الاغلاق الدائم او الموقت لأية صحيفة الا بمرسوم يصدر عن مجلس مفوضي الشعب .

٣- للمرسوم الحالى صفة مؤقتة ، وسوف يلغى بمرسوم خاص عندما تعود الاوضاع العامة الى حالتها الطبيعية .

رئيس مجلس مفوضي الشعب

فلاديمير اوليانوف (لينين) .

مرسوم حول الميليشيا العمالية

١- تنشئ جميع سوفيات نواب العمال والجنود ميليشيا عمالية .

٢- تكون هذه الميليشيا العمالية تحت امرة سوفيات نواب العمال والجنود حصرا وبصورة تامة .

٣- على السلطات العسكرية والمدنية ان تقدم كل مساعدة لتسليح الميليشيا العمالية وتجهيزها بالوسائل التقنية حتى وتجهيزها بالاسلحة الحكومية .

٤ - يصبح هذا المرسوم ساري المفعول برقيا .
مفوض الشعب للشؤون الداخلية
١ . ٢ . ريكوف .

بتروغراد في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .
لقد مهد هذا المرسوم الى تشكيل مفارز من الحرس الاحمر
في سائر انحاء روسيا ، وقد اصبحت فيما بعد القوة الاساسية
بيد الحكومة السوفييتية خلال الحرب الاهلية .

٢

صندوق الاضراب

ساهمت المصارف والبيوتات التجارية في بتروغراد والمدن
ال اخرى وكذلك الشركات الاجنبية العاملة في روسيا ، في تمويل
صندوق الاضراب لدعم موظفي الحكومة ومستخدمى المصارف
المضربين . ان جميع الاشخاص الذين وافقوا على الاضراب ضد
البلاشفة ، كانوا يتقاضون اجورهم كاملة ، وقد زيدت هذه
الاجر بعض الاحيان . وعندما تاكد مولو صندوق الاضراب
من مناعة سيطرة البلاشفة على السلطة ، رفضوا الاستمرار في
الدفع الى المضربين ؛ وهذا ما وضع حدا للاضراب .

الفصل الثامن

١

نداءات من اللجنة العسكرية الثورية

« ان مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا يقرر :
تلغى عقوبة الاعدام على الجبهة التي اقامها كيرنسكى من
جديد . حرية الدعاية اقيمت كاملة على الجبهة . يطلق سراح

جميع الجنود والضباط الثوريين المعتقلين لجرائم «سياسية» مزعومة ، فوراً» .

«الى جميع السكان

ان كيرنسكى رئيس الوزراء السابق الذى اطاح به الشعب ، يرفض الخضوع لقرار مؤتمر السوفييتات ويحاول مقاومة الحكومة الشرعية المنتخبة من قبل مؤتمر عموم روسيا الا وهى - مجلس مفوضى الشعب . لقد رفضت الجبهة تأييد كيرنسكى . وانحازت موسكو الى جانب الحكومة الجديدة . وفى سلسلة كبيرة من المدن الاخرى (مينسك ، موغيليف ، خاركوف) انتقلت السلطة الى السوفييتات . ولم تقبل اية وحدة من المشاة ان تتحرك ضد حكومة العمال والفلاحين التى شرعت ، وفقا لارادة الجيش والشعب الصلبة ، فى مفاوضات الصلح واعطت الارض الى الفلاحين ...

اننا نعلن امام الملا : انه اذا لم يلقى القوزاق القبض على كيرنسكى الذى خدعهم ، واذا زحفوا على بتروغراد ، فان جيوش الثورة ستذهب بكل ما لديها من سلاح قوى ، للدفاع عن المكسبين الثوريين الثمينين - الصلح والارض .

يا مواطنى بتروغراد ! لقد هرب كيرنسكى من العاصمة تاركا اياكم الى كيشكين - الذى اراد تسليم المدينة الى الالمان ، والى روتنبرغ - الذى هو من منظمة المائة السوداء والذى خرب التموين البلدى ، والى بالتشينسكى المكروه من جميع الديموقراطيين . لقد هرب كيرنسكى ، تاركا اياكم الى الالمان ، والى الجوع والمذابح الدموية . لقد اوقف الشعب الثائر وزراء كيرنسكى ، ولقد رأيتم كيف تحسن النظام والتموين فى الحال . ان كيرنسكى ، بناء على طلب الملاكين الارستقراطيين ، والرأسماليين ، والتجار المضاربين ، يتحرك ضدكم بغية ارجاع الارض الى الاسياد العقاريين ومواصلة الحرب الفتاكة البغيضة .

يا مواطني بتروغراد ! نحن نعلم بان غالبيتكم العظمية تؤيد سلطة الشعب الثورية ضد الكورنيلوفيين الذين يقودهم كيرنسكى . لا تخدعوا بالتصريحات الكاذبة التى يطلقها المتآمرون البرجوازيون العاجزون الذين سيسحقون بلا رحمة .
ايها العمال ، ايها الجنود ، ايها الفلاحون ! اننا نطلب منكم الاستعداد الثورى والانضباط الثورى .
ان ملايين الفلاحين وملايين الجنود معنا .
ان انتصار ثورة الشعب وطيد .
اللجنة العسكرية الثورية لسوفييت نواب العمال والجنود فى بتروغراد .
بتروغراد فى ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ » .

٢

مراسيم مجلس مفوضى الشعب

انى لا اورد فى هذا الكتاب سوى المراسيم التى هى ، حسب رأى ، تتعلق بشكل مباشر باستيلاء البلاشفة على السلطة . اما تلك التى تتناول بناء الدولة السوفييتية ، فليس لها مكان هنا ، انى سأحدث عنها مفصلا فى كتابى التالى « من كورنيلوف الى بريست - ليتوفسك » .

حول تسليم المساكن الى الهيئات الادارية فى المدن

١ - يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ان تصدر كل المساكن الشاغرة والصالحة للسكن .
٢ - يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ان تسكن فى المساكن المتوفرة ، وفقا للنظم والقواعد التى تقررها ، المواطنين

الذين بدون مسكن او الذين يعيشون في مساكن مزدحمة او غير صحية .

٣- يحق لهيئات الادارة الذاتية في المدن ، ان تنشئ جهازا مكلفا بشؤون المساكن وان تنظم عمله وتحدد صلاحياته .

٤- يحق لهيئات الادارة الذاتية في المدن ، ان تصدر قرارات الزامية حول تكوين لجان المساكن وان تنظمها وتحدد صلاحياتها وتمنحها حقوق الشخصية القانونية .

٥- يحق لهيئات الادارة الذاتية في المدن ، ان تقيم محاكم للمساكن ، وان تحدد صلاحياتها وتركيبها .

٦- يصبح هذا القرار سارى المفعول برقيا .

مفوض الشعب للشؤون الداخلية

آ . ا . ريكوف» .

بيان الحكومة حول التأمين الاجتماعى

ولقد سجلت البروليتاريا الروسية على رايها شعار التأمين الاجتماعى الكامل للعمال المأجورين ولفقراء المدن والارياف كذلك . ان الحكومة القيصرية المألفة من الملاكين العقاريين والرأسماليين ، شأنها شأن حكومة الائتلاف والمساومة ، لم تنفذ مطالب العمال فيما يتعلق بالتأمين الاجتماعى .

ان حكومة العمال والفلاحين ، المعتمدة على سوفياتيات نواب العمال والجنود والفلاحين ، تحيط الطبقة العاملة الروسية وكذلك فقراء المدن والقرى ، علما بانها تشرع فورا فى اصدار المراسيم المتعلقة بالتأمين الاجتماعى الكامل القائم على شعارات العمال حول التأمين :

١- سريان التأمين على جميع العمال المأجورين بدون استثناء وكذلك على جميع الفقراء فى المدن والارياف .

- ٢ - سريان التأمين على كافة حالات فقدان القدرة على العمل : مرض ، عجز ، شيخوخة ، حمل ، ترمّل ، يتم ، بطالة
- ٣ - يتحمل ارباب العمل كافة تكاليف التأمين .
- ٤ - في حالة فقدان القدرة على العمل والبطالة يكون التعويض مساويا للأجر الكامل على الاقل .
- ٥ - منح جميع الذين سرى عليهم التأمين ، حق التسيير الذاتي الكامل في جميع مؤسسات التأمين .
- باسم حكومة الجمهورية الروسية ، مفوض الشعب لشؤون العمل

الكسندر شليابينيكوف .

من مفوض الشعب لشؤون التعليم العام

« يا مواطني روسيا !

بفضل ثورة ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) ، توصلت جماهير الشغيلة للمرة الاولى الى السلطة الحقة .

ان مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، قد وضع هذه السلطة مؤقتا بيد لجنته التنفيذية ومجلس مفوضي الشعب .

وعملا بارادة الشعب الثائر ، فقد سميت مفوضا للشعب للتعليم العام .

وبما ان الادارة العامة للتعليم العام ، تبقى ضمن صلاحية سلطة الدولة المركزية ، فان هذه قد اوكلت بها ، وذلك الى حين انعقاد الجمعية التأسيسية ، الى لجنة الدولة للتعليم العام التي يرأسها وينفذ مقرراتها مفوض الشعب .

فعلى اية مبادئ اساسية ستعتمد لجنة الدولة هذه ؟ وكيف حددت دائرة صلاحيتها ؟

الاتجاه العام للنشاط التعليمي

في ميدان الثقافة ، يتوجب على كل سلطة ديموقراطية شرعية ، في بلد يسوده الامية والجهل ، ان تضع على رأس اهدافها النضال ضد هذه الافات . وعليها ، في اقصر مهلة ، القضاء التام على الامية ، وذلك بتنظيم شبكة من المدارس نستجيب لمتطلبات علم التربية الحديث ، وباقامة التعليم العام الاجباري والمجاني ، وعليها في الوقت نفسه انشاء مجموعة كاملة من دور المعلمين والمؤسسات التي تستطيع بالسرعة المطلوبة تشكيل جيش لجب من المعلمين الشعبيين ، لتعليم جميع السكان في روسيا الواسعة الاطراف

التعليم والتربية

من الضرورة بمكان ، ان نشير الى الفارق بين التعليم والتربية .

فالتعليم هو عملية نقل المعرفة الجاهزة من المعلم الى التلميذ . بينما التربية هي عملية خلاقة . ان شخصية الانسان «تتكون» ، تنمو ، تفتنى ، تقوى وتكتمل طوال حياته .

ان الجماهير الشعبية - العمال والجنود والفلاحين - متعطشون للتعليم الابتدائي والعالي ، انهم متعطشون لتعلم سائر العلوم . ولكنهم يتوخون ايضا الثقافة . هذه الثقافة التي لا تستطيع منحها اياهم ، لا الدولة ، ولا المثقفون ولا اية قوة اخرى مهما كانت ، خارج انفسهم هم . وفي هذا الميدان ، فان المدرسة ، والكتاب ، والمسرح والمتحف ، الخ . ، ليست سوى عوامل مساعدة . ان الجماهير الشعبية تعد بنفسها ثقافتها عن وعى او عن غير وعى . فان لها افكارها التي كونتها اوضاعها الاجتماعية ، والتي تختلف

كلية عن اوضاع ممثلى الطبقات المسيطرة والمثقفين الذين خلقوا الثقافة حتى الآن . انهم يملكون افكارهم الخاصة ، ومشاعرهم الخاصة ، وطريقتهم الخاصة فى معالجة كافة مشاكل الفرد والجماعة . كل يعمل حسب طريقته ، العامل فى المدينة ، والشغل فى الريف ، لبناء مفهومهما الخاص النير عن العالم ، المشبع بالفكرة الطبقيّة العملية . وليس من ظاهرة اروع واعظم من تلك التى ستشهدا وستسهم فيها الاجيال القادمة ، الا وهى قيام جماعات الشغيلة بتشكيل روحها الجماعية الغنية والحرّة .

وعند ذلك سيكون التعليم العامل الهام ، وليس الحاسم فى الموضوع . والامر الاكثر اهمية فى هذا المجال ، هو الانتقاد والابداع اللذان تقوم بهما الجماهير نفسها ، لأنه ليس للعلوم والفنون من قيمة عامة للانسانية الا فى بعض نواحيها فقط . انها تكون بالفعل عرضة لتغييرات جذرية لدى كل انقلاب طبقي عميق .

فى كل مكان فى روسيا ، وخاصة بين عمال المدن وبين الفلاحين ايضا ، تتصاعد موجة كبيرة من حركة تشقيفية تربية ، ان عدد المنظمات من هذا النوع يتزايد دون حصر بين العمال والجنود : ان اول واجب ملقى على كاهل حكومة شعبية ثورية فى ميدان التعليم العام ، هو ان تلتقى بهذه المنظمات وان تدعمها بكل الوسائل ، وان تمهد الطريق امامها .

اللامركزية

ان لجنة الدولة للتعليم العام ليست ابدا سلطة مركزية لادارة مؤسسات التعليم والتشقيف ، بل على العكس ، فان كل نشاط مدرسى يجب ان يعهد به الى اجهزة الادارة المحلية . ان المبادرة المستقلة التى يقوم بها العمال والجنود والفلاحون لتأسيس منظمات تعليمية وثقافية ، يجب ان تتمتع باستقلال

ذاتي تام وكامل سواء في موقفها تجاه الدولة المركزية او في موقفها تجاه البلديات .

ان عمل لجنة الدولة هو عمل اتصال ومساعدة ، وعليها ان تنظم على الصعيد الوطني ، مصادر الدعم المادي والفكري والمعنوي لمؤسسات التعليم البلدية والخاصة ، ولا سيما للمؤسسات التثقيفية الطبقية والعملية .

مجلس الدولة للتعليم الشعبي

ان مشاريع قوانين عديدة وقيمة قد وضعها مجلس الدولة للتعليم الشعبي منذ بداية الثورة ، وهو من حيث تركيبه ، ديموقراطي الى حد كبير وغني بالاختصاصيين ذوي التجارب . ان لجنة الدولة ترغب باخلاص في التعاون المنظم مع هذا المجلس . انها تتوجه الى مكتب المجلس ، طالبة اليه دعوة المجلس فوراً لدورة استثنائية بغية تنفيذ البرنامج التالي :

١ - النظر في اصول التمثيل في المجلس ، بغية اشاعة المبادئ الديموقراطية فيه على نطاق اوسع .

٢ - اعادة النظر في حقوق المجلس بغية توسيعها ، وتحويل المجلس الى مؤسسة رئيسية للدولة ، تعمل على اعداد مشاريع القوانين التي تهدف الى اعادة تنظيم التعليم والتثقيف في روسيا تنظيمياً كلياً وجديداً قائماً على اسس ديموقراطية .

٣ - اعادة النظر بالاشتراك مع اللجنة الحكومية الجديدة ، في مشاريع القوانين التي سبق ان صدرت عن المجلس . ان اعادة النظر هذه ، يملها اضطراب المجلس الى ان يأخذ بعين الاعتبار الروح البرجوازية السائدة لدى الوزراء السابقين ، الذين قد اعاقوا مع ذلك تنفيذ مشاريع القوانين هذه ، حتى في شكلها المبتور .

وبعد مراجعة مشاريع القوانين هذه ، فانها ستوضع قيد التنفيذ دون اية ماطلة بيروقراطية ، اى حسب الاصول الثورية .

المعلمون والمجتمع

ان لجنة الدولة تحيى المعلمين لقيامهم بعملهم النبيل المشرف ، عمل تثقيف الشعب ، سيد البلاد .

لا يمكن اتخاذ اى اجراء فى ميدان التعليم العام من قبل اى جهاز للسلطة دون دراسة رأى ممثل الجهاز التعليمى دراسة وافية .

ومن جهة اخرى ، لا يجوز اتخاذ اى قرار من قبل الاخصائيين وحدهم ، وهذا يتعلق كذلك باصلاح مؤسسات التعليم العام .

تعاون المعلمين مع القوى الاجتماعية ، ذلك هو المبدأ الذى ستعتمد عليه اللجنة سواء لدى تنظيمها نفسها وفى مجلس الدولة ، وفى سائر نشاطها .

وتعتبر اللجنة ان اولى مهامها هى تحسين اوضاع المعلمين ، وبشكل خاص اولئك الاكثر حرمانا منهم ، والذين يقومون بدور هام فى ميدان التثقيف ونعنى بهم معلمى المدارس الابتدائية فى الريف . يجب تلبية مطالب هؤلاء العادلة مهما كلف الامر وبدون تأخير . ان بروتيتاريا التعليم قد طالبت عبثا ، بزيادة اجورها الى مائة روبل فى الشهر ، وسيكون من العار ابقاء معلمى الغالبية الساحقة للاولاد فى روسيا مدة اطول فى التعاسة .

الجمعية التأسيسية

لا شك فى ان الجمعية التأسيسية ستبدأ اعمالها عن قريب ، وهى وحدها التى ستكيف لمدة طويلة ، نظام الحياة الاجتماعية

والسياسية في وطننا ، وتحدد بما في ذلك ، الصفة العامة لنظام التعليم العام .

اما الآن ، ومع انتقال السلطة الى السوفييتات ، فان الطابع الشعبى الحقيقى للجمعية التأسيسية اصبح مضمونا . ان الخط الذى ستعتمده لجنة الدولة بالاستناد الى مجلس الدولة ، قد لا يعدل الى حد كبير تحت تأثير الجمعية التأسيسية . ان الحكومة الشعبية الجديدة ، دون ان تحدد هذا الخط بشكل مسبق ، تعتبر انه من حقها ان تتخذ ، في هذا الميدان ، عددا من الاجراءات التى ترمى الى اغناء وتنوير حياة البلاد الفكرية بأسرع ما يمكن .

الوزارة

على وزارة التعليم العام ان تستمر في تسيير الاعمال الجارية . ان لجنة الدولة المنتخبة من قبل مجلس السوفييتات التنفيذى ، ستقدم مع مجلس الدولة الملاحظات حول كافة التعديلات الضرورية المباشرة في تركيب الوزارة وصيغتها . ان الكيفيات النهائية لادارة الدولة في ميدان التعليم العام ستوضع بالطبع من قبل الجمعية التأسيسية . والى ان يتم ذلك ، فعلى الوزارة ان تلعب دور جهاز تنفيذى لدى لجنة الدولة للتعليم العام ، ومجلس الدولة للتعليم العام .

ان ضمان انقاذ الوطن يقوم على التعاون بين جميع قواه الحية والديموقراطية الحققة .

اننا نؤمن بان تضافر جهود الشعب الكادح والمثقفين الواعين الشرفاء سيخرج الوطن من هذه الازمة الاليمة ويسير به بفضل سلطة الشعب التامة ، الى حكم الاشتراكية والتآخى بين الشعوب . مفوض الشعب للتعليم العام ا . ف . لوفاتشارسكى .
بتروغراد ، في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .

«طريقة تصديق القوانين واعلانها

- ١ - بانتظار اجتماع الجمعية التأسيسية ، فان اصدار القوانين واعلانها سيجريان حسب الاصول المحددة في هذا القرار من قبل حكومة العمال والفلاحين الموقته التي انتخبها مؤتمر عموم روسيا لنواب العمال والجنود والفلاحين .
 - ٢ - يحول كل مشروع قانون من قبل الوزارة المختصة الى الحكومة لاجراء البحث فيه ، ويحمل توقيع مفوض الشعب ، او انه يعرض من قبل دائرة المقترحات التشريعية الحكومية ، ويحمل توقيع رئيس هذه الدائرة .
 - ٣ - بعد تصديق الحكومة ، يوقع النص في شكله النهائي ، باسم الجمهورية الروسية ، من قبل رئيس مجلس مفوضي الشعب او بالتفويض من قبل المفوض الذي عرضه ثم ينشر .
 - ٤ - تصبح القوانين سارية المفعول منذ تاريخ نشرها في «الجريدة الرسمية لحكومة العمال والفلاحين الموقته» .
 - ٥ - يمكن ان يلحظ في النص المنشور تاريخ ، غير تاريخ نشره رسميا والذي يصبح بموجبه ساري المفعول . ويمكن ان ينشر النص ايضا برقيا : وفي هذه الحالة ، فانه يأخذ قوة القانون في كل مركز منذ نشر البرقية فيه .
 - ٦ - يلغى اعلان النصوص التشريعية الحكومية من قبل مجلس الشيوخ ، وتذيع دائرة المقترحات التشريعية لدى مجلس مفوضي الشعب ، بصورة دورية ، مجموعات الاوامر الحكومية التي لها قوة القانون .
 - ٧ - يحق للجنة المركزية التنفيذية لسوفييتات نواب العمال والفلاحين والجنود ، في كل وقت ، ايقاف مفعول كل قرار حكومي او تعديله او الغاءه .
- باسم الجمهورية الروسية رئيس مجلس مفوضي الشعب
- ف . اوليانوف - لينين .

«امر صادر عن اللجنة العسكرية الثورية»

١ - يمنع صنع الكحول وكافة المشروبات الكحولية حتى اشعار آخر .

٢ - يطلب من جميع الذين في حوزتهم الكحول والنيبيد ، وصانعي الكحول والمشروبات الروحية ، ان يعلنوا قبل تاريخ ٢٧ الجارى على ابعد حد ، عن مكان وجود مستودعاتهم .

٣ - يقدم جميع الذين يخالفون هذا الامر الى المحكمة العسكرية الثورية .

اللجنة العسكرية الثورية» .

«امر رقم ٢»

من لجنة فوج الحرس الفنلندى الاحتياطى الى
جميع لجان المساكن والى مواطنى جزيرة فاسيلفسكى

لقد اختارت البرجوازية وسيلة قذرة لمكافحة البروليتاريا ، فانشأت في احياء كثيرة من المدينة مستودعات كبيرة للمشروبات ، آملّة ان تغرى الجنود على نهبها ومحاولة القضاء بواسطة الكحول على وحدة الجيش الثورى .

تؤمر جميع لجان المساكن بان تعلن ، في الساعات الثلاث التى تلى نشر هذا الامر ، بصورة مباشرة وسرية ، الى رئيس لجنة فوج الحرس الفنلندى ، عن مستودعات الكحول الموجودة لديها . وان الاشخاص الذين يخالفون هذا الامر ، يعتقلون ويقدمون الى محكمة لا هوادة فيها ، وتصادر ممتلكاتهم ، وينسف المخزون

من الكحول بعد مضي ساعتين من ابلاغ ذلك إذ ان التجربة قد بينت عدم فعالية الاجراءات المتسامحة .
 نعلن انه لن يوجه انذار خاص قبل النسف .
 لجنة فوج الحرس الفنلندي » .

الفصل التاسع

١

«نشرة اللجنة العسكرية الثورية رقم ٢

في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) - ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) - ،
 خلال المساء ، عرض كيرنسكى على الجيوش الثورية اللقاء السلاح .
 فتحت عصابة كيرنسكى نيران مدفعيتها . تدخلت مدفعيتنا واسكتت
 العدو . هاجم القوزاق ، فاجبروا على التراجع مهزومين تحت وطأة
 نار الحرس الاحمر والجنود المميّنة . عندئذ اخترقت سياراتنا
 المصفحة صفوف العدو ، فتراجع هارباً وجيلوشنا تلاحقه . اعطى
 الامر باعتقال كيرنسكى . لقد احتلت الجيوش الثورية تسارسكويه
 سيلو .

الرماة اللاتفيون . - لقد ابلغت اللجنة العسكرية الثورية من
 مصدر موثوق بأن الرماة البواسل اللاتفيون ، وصلوا من الجبهة ،
 واتخذوا مواقع لهم في مؤخرة عصابات كيرنسكى » .

بلاغ اركان حرب اللجنة العسكرية الثورية

«استيلاء قوات كيرنسكى على غاتشيننا وتسا رسكويه سيلو ،
 يفسّر بانعدام المدفعية والرشاشات كلياً في هذين المكانين ، في
 حين ان خيالة كيرنسكى كانت مجهزة بالمدفعية منذ البدء .
 وقد كرسست اركان حربنا اليومين الاخيرين لتزويد القوات

الثورية بالمدافع ، والرشاشات ، واجهزة هاتف الميدان ، الخ . . وما ان تم هذا التزويد - بالمساعدة الفعالة التي قدمتها سوفيات الاحياء والمعامل (بوتيلوف ، اوبوخوف وغيرهما) - حتى اصبحت نتيجة الاصطدام المرتقب مضمونة لا شك فيها ؛ فلم تتمتع القوات الثورية بالتفوق العددي وبوجود قاعدة بتروغراد المادية القوية فحسب ، ولكنها كانت تتمتع ايضا بافضلية معنوية كبيرة . جميع افواج بتروغراد شرعت في السير الى مواقعها بحماس مفرد . وانتخب مجلس الحامية لجنة للاشراف من خمسة جنود ، مهمتها تأمين الوحدة التامة بين القائد الاعلى والحامية . وقد قرر المجلس بالاجماع الاقدام على العمليات الحاسمة .

وكانت نيران المدفعية ، حوالى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) - ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) - ، قد بلغت من الغزارة درجة لم تعرف من قبل . انهارت معنويات القوزاق تماما ، فارسلوا الى اركان حرب كراسنويه سيلو مندوبا ، هدد بتدابير « حاسمة » ، اذا لم يتوقف قذف النيران . فكان الجواب بان المدفعية تتوقف عن القذف عندما يلقي كيرنسكى السلاح .

وفى الاشتباك الذى جرى بعد ذلك ، ابدت جميع القوات - البحارة ، والجنود والحرس الاحمر - جراحة متفانية . لقد مستمر البحارة يتقدمون حتى الرصاصة الاخيرة . لم يحص عدد القتلى بعد ، الا انه اوفر من جانب القوات المناهضة للثورة ، التى كبدها احدى سيارتنا المصفحة خسائر جسيمة .

وخوفا من الوقوع فى التطويق ، فان اركان حرب كيرنسكى اعطت الامر بالتراجع ، وقد تحول هذا التراجع بسرعة الى تشتت . وبين الساعة الحادية عشرة ومنتصف الليل ، كانت تسارسكويه سيلو مع محطة الاذاعة والبرق بيد القوات السوفيتية . انسحب القوزاق باتجاه غاتشينو وكولبينو .

كانت معنويات قوائنا فوق كل ثناء . اعطى الامر بملاحقة القوزاق المتراجعين . ارسلت حالا برقية من محطة تسارسكويه سيلو الى الجبهة والى جميع السوفييتات المحلية فى روسيا . (وستنشر تفاصيل الاحداث المقبلة فورا .)

٢

احداث يوم ١٣ تشرين الثانى (نوفمبر) - ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) - فى بتروغراد

قال زينوفييف فى جلسة سوفييت بتروغراد :
«... لا يمكن قهر العدو الا فى معركة ، ان الخطر يقوم عندما نخدر انفسنا بالاوهام بان المعركة قد انتهت . ان عدولنا ولو عن محاولة عامة لاستمالة القوزاق الى جانبنا ، سيكون جريمة . ان كافة المحاولات ستبدل ، ولكن من جهة ثانية ، فان تخدير رجال الحرس الاحمر والجنود ، بالفكرة القائلة بان الوفود ستقوم بكل شئ سيكون جريمة ايضا . واذا كانت المدينة هادئة يوم امس ، فذلك بفضل الانتصار العسكرى وسحق انتفاضة اليونكر ليس الا...»

ان النبأ بان الهدنة قد عقدت ، غير صحيح . ستكون اركان حرب الثورة مستعدة تماما لعقد الهدنة ، عندما يصبح الاعداء فى حالة لا يستطيعون معها القيام باى اذى . ويجرى الآن ، تحت تاثير انتصار الجيوش الثورية ، تقديم شروط اخرى ، تختلف عن شروط يوم امس ، عندما اقترح علينا - دان نزع السلاح والسماح بدخول كيرنسكى الى المدينة . وكان عضو الحزب الاشتراكى - الثورى ، راكيتنيكوف ، باسم اللجنة المركزية

للحزب الاشتراكي-الثوري ، قد وافق عن طيب خاطر ، على اشراك بعض البلاشفة ، اولئك الذين يعجبون بهم ، بالوزارة . ان هذا صدى لانتصارات الليل . وتوجد مجموعات تنتظر لتري : من سينتصر في المعركة ، كيرنسكى او الثورة ، هذه المجموعات تتأرجح بين هذه الجبهة او تلك ، حسب نوسة الميزان . انها تتردد طالما انها لا تعرف بان كيرنسكى قد سحق » .

وفي الدوما البلدى ، كان الاهتمام منصبا كله على تشكيل الحكومة الجديدة .

واعلن شينغاريوف ، عضو حزب الكاديت ، انه يتوجب على البلدية الا تدخل في اى اتفاق مع البلاشفة ... « ان اى اتفاق مع هؤلاء المتهوسين يستحيل ، طالما انهم لم يلقوا سلاحهم ولم يعترفوا بسلطة المؤسسات القضائية المستقلة » .

واعلن يارتسييف ، باسم جماعة ايدينستفو ، بان اى اتفاق مع البلاشفة ، هو بمثابة انتصار لهم .

واعلن رئيس البلدية شريدر ، باسم الاشتراكيين الثوريين ، عن معارضته لأى اتفاق يعقد مع البلاشفة ... « اما بالنسبة الى الحكومة ، فيجب ان تنطلق من ارادة الشعب ، ولما كانت الارادة الشعبية ، قد عبرت عن نفسها في الانتخابات البلدية ، فان الارادة الشعبية كلها القادرة على تشكيل حكومة ، متركزة حاليا في الدوما البلدى » .

وتوالى عدد من الخطباء ، وكان ممثلو المناشفة الاميين ، هم الوحيدين الذين وافقوا على بحث قضية قبول البلاشفة في الحكومة الجديدة ، وقرر الدوما ان يستمر في تمثيله في اجتماع الفيكل ، مع الاصرار على اعادة تشكيل الحكومة المؤقتة كمهمة اولى وعلى عدم السماح للبلاشفة بالاشترك في الحكومة الجديدة » .

٣

جواب كراسنوف الى لجنة انقاذ الوطن والثورة

«جوابا على برقيتكم حول اقتراح الهدنة الفورية ، فان القائد الاعلى ، رغبة منه في تجنب سفك دماء الاخوة ، قد وافق على اجراء المفاوضات واقامة علاقات طبيعية بين جيوش الحكومة والعصاة ، وعليه ، فانه يقترح على اركان حرب العصاة ، بان تستدعى جيوشها الى بتروغراد ، وان تعلن حياد خط ليغوفو - بولكوفو - كوليينو ، وان تسمح لمفارز الخيالة الامامية العائدة لجيوش الحكومة ، بالدخول الى تسارسكويه سيلو ، بغية تأمين النظام فيها . ان الجواب على هذه الاقتراحات ، يجب ان يسلم بواسطة رسول صباح غد بوقت لا يتجاوز الساعة الثامنة .

اللواء كراسنوف ،

قائد فيلق الخيالة الثالث » .

٤

حوادث تسارسكويه سيلو

في مساء اليوم الذى انسحبت فيه قوات كيرنسكى من تسارسكويه سيلو ، نظم بعض الكهنة مسيرة في شوارع المدينة ، موجهين الخطاب الى المواطنين ، داعين الشعب لدعم السلطة الشرعية ، الحكومة الموقته . لقد حاول الكهنة بعد انسحاب القوزاق وظهور طلائع الحرس الاحمر في المدينة ، استنادا لروايات الشهود ، اثارة الشعب ضد السوفييت واخذوا يرتلون الصلوات على قبر راسبوتين الكائن خلف القصر الامبراطورى . اوقف الحرس الاحمر الهائج ، احد الكهنة ، الاب ايفان كوتشوروف ورمى بالرصاص ...

لدى وصول الحرس الاحمر الى المدينة ، قطعت الكهرباء على يد احدهم وغرقت الشوارع في الظلام اوقفت القوات السوفيتية ليوبوفيتش ، مدير محطة الكهرباء وسئل : أليس هو الذى قطع الكهرباء . وقد وجد بعد وقت من ذلك ، في الغرفة التى اعتقل فيها ، وفي يده مسدس وقد اطلق رصاصة منه على صدغه .

وفي اليوم التالى ، صدرت صحف بتروغراد المعادية للبلاشفة حاملة العنوان التالى : «حرارة بليخانوف ترتفع الى ٣٩ درجة» . لقد كان بليخانوف يقطن في تسارسكويه سيلو وكان طريق الفراش . جاء اليه عدد من الحرس الاحمر ليسألوه فيما اذا كان في حوزته سلاح .

سأل احدهم الرجل العجوز :

— الى اية طبقة اجتماعية تنتمون ؟

— انى ثورى منذ اربعين عاما ،— اجاب بليخانوف ،—

وقد كرس حياتى للنضال في سبيل الحرية !

— ولكن ،— اعلن احد العمال ،— لقد بعث نفسك الان

الى البرجوازية .

لم يكن العمال ليعرفوا. بليخانوف رائد الاشتراكية الديموقراطية الروسية !

٥

نداء من الحكومة السوفيتية

«ان مفارز غاتشينا ، التى خدعها كيرنسكى قد اقلت السلاح وقررت اعتقاله . لجا ، قائد الحملة المعادية للثورة ، الى الهرب . واعلن الجيش بغالبيته العظمى ، تاييده لمقررات مؤتمر السوفيات

الثاني لعموم روسيا وللسلطة التي شكلها . جاءت العشرات من وفود جنود الجبهة الى بتروغراد لتعرب عن ولاء الجيش للحكومة السوفييتية . لم يساعد اى تزيف للوقائع وای افتراء على ثورية العمال والجنود والبحارة ، اعداء الشعب . فقد انتصرت ثورة العمال والجنود .

ان اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييت نواب العمال والجنود ، تتوجه الى افراد المفارز العسكرية المعزولة التي تسير وراء المتمردين المعادين للثورة ، طالبة اليهم : القوا السلاح فورا ، ولا تسفكوا دماء اخوانكم دفاعا عن مصلحة قبضة من الملاكين والرأسماليين . ان مسؤولية اراقة نقطة جديدة من دم الشعب ستقع عليكم . ان روسيا العمال والجنود والفلاحين تلعن اولئك الذين سيقون ولو لحظة واحدة اخرى تحت راية اعداء الشعب . ايها القوزاق ! انضموا الى صفوف الشعب المنتصر ! يا عمال السكك الحديدية ومستخدمى البرق والبريد ، هبوا جميعا كشخص واحد وأيدوا حكومة الشعب الجديدة» .

الفصل العاشر

١

اضرار الكرملين

استطعت ان اقف شخصا على الاضرار التي اصابته الكرملين عندما زرته بعد القصف مباشرة . ان قصر نقولا الصغير ، بناء ليس له اهمية خاصة ، كان يستعمل بالمناسبات لاستقبالات احدى الاميرات الكبيرات ، وقد اصبح ثكنة لطلاب المدارس الحربية .

لم يقصف هذا القصر فحسب ولكنه نهب تماما تقريبا ، الا انه لحسن الحظ لم يكن يحوى شيئا ذا اهمية تاريخية .

اصيبت كاتدرائية اوسبنسكى بفجوة من جراء قذيفة اخترقت احدى قبابها ، وباستثناء بضعة اقدام من الموزاييك سقطت من السقف ، فانها لم تصب بأذى . اطارييف بوابة كاتدرائية الصعود ، اصيبت بعطب نتيجة قذيفة اصابتها ، كما اصابت قذيفة ايضا زاوية برج جرس ايفان الكبير . وقصف دير تشودوف ، ثلاثين مرة تقريبا ، الا ان قذيفة واحدة دخلته من النافذة ، بينما هدمت قذائف اخرى قوالب النوافذ الاجرية واطناف السقف .

وتضعضعت الساعة الموجودة فوق بوابة المخلص . واصيبت بوابة برج الثلاثة اقانيم لكن الاضرار كانت سهلة التصليح . وفقد احد الابراج الصغار قمته المصنوعة من الحجر .
لم تمس: كنيسة فاسيلي البار ، وكذا القصر الكبير الذى يحوى فى اقييته على كافة كنوز موسكو وبتروغراد ، ومجموعة نفائس التاج ولم يدخل احد الى هذا او تلك .

٢

عن مفوض الشعب لشؤون التعليم

وايها الرفاق !

... انكم انتم السيد الفتى لهذا البلد ، وبالرغم من ان لديكم الآن عددا من الموضوعات للتفكير فيها والاهتمام بها ، فاني اراكم قادرين على الدفاع عن ثرواتكم الفنية والعلمية .

ايها الرفاق ! ان مصابا فادحا لا يمكن اصلاحه قد حل بموسكو . لقد سببت الحرب الاهلية قصف احياء عديدة في المدينة . ولقد اندلعت الحرائق . وحدثت الخرائب . انى لا اجد الكلام للتعبير عن الرعب الذى يستولى على المرء وهو مفوض لشؤون التعليم فى هذه الايام ، ايام الحرب الشرسة ، العديمة الرحمة والهدامة ، وايام التهديم الفوضى . فى هذه الايام العصيبة ، فان الامل بانتصار الاشتراكية التى هى معين ثقافة جديدة اسمى ، والتى ستكافئنا على كل شيء ، هو وحده عزاؤنا . ولكن مسؤولية حماية ثروة الشعب الفنية تقع على عاتقى ...

لا يمكن للانسان ان يشغل مركزا وهو عاجز عن القيام باى شيء . ولهذا السبب فانى قدمت استقالتي * .

ولكنى اتوسل اليكم ايها الرفاق ان تؤيدونى وتساعدونى . حافظوا على جمال بلدكم من اجلكم ومن اجل ابنائكم . كونوا حراسا على كل ما فى حوزة الشعب .

وعما قريب سيتثقف اجهل الناس ، الذين ابقاهم ظلم الاستثمار زمنا طويلا فى الجهل وسيتفهمون الى اى مدى يمكن للفن ان يكون مصدر غبطة وقوة وحكمة .

ايها الشعب الروسى الكادح ، كنّ السيد والحارس لكل ما فى بلدك !

ايها المواطنون ، جميعا ، جميع المواطنين ، حافظوا على ثرواتنا المشتركة .

مفوض الشعب لشؤون التعليم العام لوناتشارسكى .

٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ » .

* لقد بقى لوناتشارسكى يشغل مركز مفوض الشعب . المحرر .

قسيمة للبرجوازية

الحى	الكنية	لجنة المسكن
رقم	الاسم	رقم
المنوان	البيت رقم	الشقة رقم
شارع اوزقاق		

الموجودات			العمر	الجنس
المدد	الالبسة الجاهزة	الكمية	النسيج	
	معاطف (شتوية وصيفية وخريفية) بدلات وفساتين ثياب داخلية		الملبوسات الداخلية	الوسطى الشهرى
			البذلات	المصروف
	ثياب داخلية		الملبوسات السميكة (للمعاطف)	الايجار الشهرى
	احذية			الشقة
	جزومات مطاط		انواع اخرى	الغرفة

انا الموقع ادناه ، اعلن ان المعلومات المبينة صحيحة ، وانى لم
استلم هذه البطاقة من مكان آخر

موسكو ، ١٩١
التوقيع

خاتم لجنة المسكن

توقيع المستأجر*

* تنشر طبقا للصورة الفوتوغرافية للوثيقة الواردة في كتاب جون ريد .
ويشير جون ريد اذ يورد هذه الوثيقة ، الى ان الموجودات المصادرة
من البرجوازية وفقا للامر الصادر من لجنة موسكو العسكرية الثورية ، يجب
ان تكون الرصيد المعد للتوزيع على فقراء العمال والجنود . **المحرر .**

الاجراءات الثورية في المجال المالي امر

- « عملا بالصلاحيات التي خولتني اياها اللجنة العسكرية الثورية لسوفييت موسكو لنواب العمال والجنود ، ارسم ما يلي :
- ١ - كافة المصارف وفروعها ، صندوق توفير الدولة المركزى وفروعه وكذلك صناديق التوفير لدى مكاتب البريد ، ستفتح ابوابها ابتداء من ٢٢ (٩) تشرين الثانى (نوفمبر) وحتى اشعار آخر من الساعة الحادية عشرة صباحا حتى الواحدة بعد الظهر .
 - ٢ - التسديدات التي تقوم بها المؤسسات المنوه عنها اعلاه عن الحسابات الجارية وبطاقات صندوق التوفير ، يجب الا تزيد عن ١٥٠ روبلا لكل مودع خلال الاسبوع المقبل .
 - ٣ - التسديدات التي تزيد على ١٥٠ روبلا في الاسبوع عن الحسابات الجارية وبطاقات صندوق التوفير وتسديدات من حسابات اخرى لكافة الفئات يسمح بها في ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ (٩ و ١٠ و ١١) تشرين الثانى (نوفمبر) في الحالات التالية :
 - أ - عن حسابات الوحدات العسكرية لسد حاجاتها الخاصة فقط ؛ ب - لتسديد اجور المستخدمين والعمال بناء على قوائم للاجور مصدقة من قبل لجان المعامل او سوفييتات المستخدمين وموقع عليها من قبل المفوضين او ممثلى اللجنة العسكرية الثورية ومن لجان الاحياء العسكرية الثورية .
 - ٤ - لا يمكن سحب اكثر من ١٥٠ روبلا من التحويلات التي تزيد عن ذلك ؛ اما المبالغ المتبقية ، فننقل الى الحساب الجارى الذى يتم التسديد عنه عملا بمقتضيات المرسوم الحالى .
 - ٥ - تمنع كافة الاعمال التسليفية المصرفية خلال هذه الايام الثلاثة .

- ٦ - المدفوعات النفدية على كافة الحسابات يسمح بها دون تحديد .
- ٧ - يقوم ممثلو مجلس الشؤون المالية ، بمنح الرخص المشار اليها في الفقرة الثالثة ، ويشغلون في مبنى البورصة بشارع ايليبيكا ، من الساعة العاشرة صباحا حتى الثانية بعد الظهر .
- ٨ - يتوجب على كافة المصارف وصناديق التوفير ، ان تقدم بعد الانتهاء من اعمالها وذلك قبل الساعة الخامسة مساء ، خلاصة جدول اعمالها اليومية ، الى اللجنة العسكرية الثورية لمجلس الشؤون المالية ، في مركز السوفييت ، ساحة سكوبيليف .
- ٩ - جميع المستخدمين ومدراء المؤسسات الاعتمادية الدين يرفضون تنفيذ هذا المرسوم يتعرضون ، بوصفهم اعداء للثورة وللجماهير الشعبية . الى العقوبات الثورية بكل صرامتها وستنشر على الملأ قوائم تتضمن اسماءهم .
- ١٠ - من اجل مراقبة عمليات فروع صناديق التوفير والمصارف المشار اليها في هذا المرسوم ، تنتخب اللجان العسكرية الثورية في الاحياء ثلاثة ممثلين عنها وتعلن عن مقر عملهم .
- المفوض المطلق للصلاحيات للجنة العسكرية الثورية
- س . شيفيردين - مكسيمينكو» .

الفصل الحادى عشر

١

موضوع الفصل الحالى

يحيط هذا الفصل بمرحلة شهرين تقريبا . يسون مرحلة المفاوضات مع الحلفاء ، ومفاوضات الهدنة مع الالمان ، وبدء

مفاوضات السلم في بريست - ليتوفسك ، كما يتناول المرحلة التي ارسيت خلالها اسس الدولة السوفييتية .

ولم يكن هدفي في هذا الكتاب ان اعرض واحلل هذه الاحداث التاريخية الهامة جدا ، فان ذلك يتطلب مجالا اوسع ، ولهذا فقد تركت هذا العمل الى كتاب آخر : « من كورنيلوف الى بريست - ليتوفسك » .

وقصرت عملي في هذا الفصل ، اذن ، على جهود الحكومة السوفييتية لتدعيم سلطتها السياسية في الداخل ورسمت الانتصارات المتتالية التي حصنت عليها ضد العناصر المعادية في روسيا ، المهمة التي توقفت موقتا نتيجة صلح بريست - ليتوفسك المفجع .

٢

بيان حقوق شعوب روسيا

(مقدمة)

« لقد بدأت ثورة اكتوبر للعمال والفلاحين تحت راية التحرر المشتركة .

لقد تحرر الفلاحون من سلطة ملاك الارض ، لأنه لم تعد ثمة ملكية للملاكين العقاريين للارض - لقد الغيت هذه الملكية . وتحرر الجنود والبحارة من سلطة الجنرالات المستبدين ، لأن هؤلاء سينتخبون من الآن فصاعدا ويكونون عرضة للتبديل . وتحرر العمال من نزوات الرأسماليين وتعسفاتهم ، لأنه اصبح للعمال من الآن فصاعدا حق الرقابة على المصانع والمعامل . ان كل حي وقادر على الحياة قد تحرر من السلاسل البغيضة .

لم يبق اذن سوى القوميات في روسيا ، التي عانت وما تزال تعاني من الجور والتصرف الكيفي ، لذا يجب العمل على تحريرها فوراً ، واجراء هذا التحرير بحزم وبلا رجعة .

كانت الشعوب في عهد القيصرية ، يحرض بعضها على البعض بصورة منتظمة ، ونتائج هذه السياسة معروفة : مذابح ومجازر من جهة وعبودية الشعوب من جهة اخرى .

لا يمكن ولا تجوز العودة الى سياسة التحريض المشينة هذه . ان سياسة تقوم على الاتحاد الطوعي والشريف للشعوب ، يجب ان تحل محل ذلك .

في مرحلة الامبريالية ، بعد ثورة شباط ، عندما انتقلت السلطة الى ايدي برجوازيى حزب الكاديت ، اخلت سياسة التحريض مكانها لسياسة عدم الثقة الرعيدة ازاء شعوب روسيا ، سياسة تقوم على المسكنة والمماحكة والاستفزاز مسترة وراء تصريحات كلامية حول الحرية والمساواة بين الشعوب . ان نتائج هذه السياسة معروفة : نمو العداء بين القوميات ونسف الثقة المتبادلة . يجب وضع حد لهذه السياسة الوقحة القائمة على الكذب والريبة والمماحكة والاستفزاز . ويجب استبدالها بسياسة صريحة وشريفة ، تؤدي الى اقامة ثقة متبادلة كاملة بين شعوب روسيا . وعلى مثل هذه الثقة فقط ، يمكن ان يتشكل تحالف شريف ومتين بين شعوب روسيا .

وعلى مثل هذا التحالف فقط ، يمكن رص صفوف العمال والفلاحين لجميع شعوب روسيا ، بحيث يشكلون قوة ثورية واحدة قادرة على الصمود امام كافة تطاولات البرجوازية الامبريالية الطامحة الى الالحاقات .

١٥ (٢) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ » .

مراسيم

مرسوم حول تأميم المصارف

«حرصا على مصلحة تنظيم الاقتصاد الوطنى تنظيما صحيحا وعلى مصلحة الاستئصال الحازم للمضاربة المصرفية وعلى تحرير العمال والفلاحين وسائر السكان الكادحين ، من استغلال رأس المال المصرفى ، ومن أجل انشاء مصرف وطنى واحد للجمهورية الروسية ، يخدم مصالح الشعب الحقيقية ومصالح الطبقات الفقيرة ، فقد قررت اللجنة التنفيذية المركزية ما يلى :

- ١ - يعلن المجال المصرفى احتكارا للدولة .
- ٢ - تدمج فى مصرف الدولة كافة المصارف المساهمة والمكاتب المصرفية الخاصة .
- ٣ - تنتقل اصول وخصوم المؤسسات التى تجرى تصفيتها الى مصرف الدولة ،
- ٤ - يصدر مرسوم خاص يعين طريقة دمج هذه المصارف الخاصة فى مصرف الدولة .
- ٥ - يعهد الى ادارة مصرف الدولة ، الاشراف مؤقتا على ادارة اعمال المصارف الخاصة .
- ٦ - ان مصالح صغار المدخرين مضمونة كليا .

مرسوم حول مساواة جميع العسكريين فى الحقوق

«تنفيذا لاراده الشعب الثورى المتعلقة بالاستئصال السريع والتام لكل بقايا عدم المساواة القديمة فى الجيش ، فان مجلس مفوضى الشعب يرسم :

- ١ - تلغى كافة الرتب والدرجات فى الجيش ، ابتداء من رتبة عريف الى رتبة جنرال . يتألف جيش الجمهورية الروسية

من الآن فصاعدا من مواطنين احرار ومتساوين ، يحملون اللقب
المجيد ، جندي في الجيش الثوري .

٢ - تلغى كافة الامتيازات الناجمة عن الرتب والدرجات
السابقة ، وتلغى كذلك كافة اشارات الامتياز الخاصة .

٣ - يلغى استعمال الالقاب عند المخاطبة .

٤ - تلغى كافة الاوسمة وغيرها من اشارات الامتياز .

٥ - تلغى ، مع الغاء رتبة الضابط ، جميع المنظمات الخاصة
بالضباط .

٦ - يلغى وجود جلاوزة وآذنين في الجيش العامل .

ملاحظة : يبقى الآذنون فقط لدى مكاتب الفوج واللجان
ومنظمات الجيش الاخرى .

رئيس مجلس مفوضي الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

مفوض الشعب للشؤون الحربية والاسطول

ن . كريلنكو .

مفوض الشعب للشؤون الحربية

ن . بودفويسكى .

مفوضو الشعب المساعدون للشؤون الحربية :

كيدرروف ، سكيليانسكى ، ليغران ، ميخائوشين .

امين سر المجلس ن . غوربونوف .

١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ «

مرسوم حول الهبدا الانتخابي

وتنظيم السلطة في الجيش

« ١ - ان الجيش الذى يخدم ارادة الشعب الشغيل ، يخضع

لارادة الهيئة العليا المعبرة عن هذه الارادة : وهى مجلس مفوضي
الشعب .

٢- تتمتع لجان السوفييتات ولجان الجنود بالسلطات الثامنة ، ضمن حدود كل وحدة او فرقة في الجيش .

٣- ان جوانب حياة الجيوش ونشاطها ، الموضوعة تحت اشراف لجان الجيش ، تخضع من الآن فصاعدا ، الى قيادة هذه اللجان المباشرة . اما جوانب النشاطات التي لا تستطيع اللجان ان تأخذها على عاتقها ، فتوضع تحت رقابة اللجان او السوفييتات .

٤- يشمل مبدأ الانتخاب هيئة الامرين وذوى الصلاحية . ينتخب جميع القادة ، بما فيهم قادة الافواج ، بالتصويت العام من قبل الحظائر والفصائل والسرايا والكتائب والافواج . وينتخب جميع القادة ذوى رتب اعلى من رتبة قائد الفوج ، بما فيهم القائد الاعلى للجيش ، بواسطة المؤتمرات المعنية او ندوات اللجان المعنية .

ملاحظة : يقصد بالندوة ، اجتماع اللجنة المناسبة بالاشتراك مع مندوبى اللجان التي هى ادنى بدرجة واحدة من درجة اللجنة المشار اليها اعلاه .

٥- ان انتخاب القادة فوق رتبة قائد الفوج ، يصدق عليه من اقرب لجنة عليا .

ملاحظة : فى حالة رفض اللجنة العليا ، رفضا معللا ، التصديق على انتخاب قائد ما فان هذا القائد يصار الى تصديق انتخابه حتما ، اذا ما جرى انتخابه ثانية من قبل اللجنة الدنيا المناسبة .

٦- ينتخب قواد الجيوش من قبل مؤتمرات الجيوش ، وينتخب قادة الجبهات من قبل مؤتمرات الجبهات .

٧- الوظائف ذات الطابع الفنى ، التي تتطلب تربية خاصة ومعارف معينة او تكويننا عمليا ، كالاطباء والمهندسين والفنيين وخبراء الهاتف والراديو .الهاتفى والطيارين وسائقى السيارات ، الخ . ، مثلا ، توكل من قبل اللجان المناسبة للوحدات الخاصة ، حصرا ، الى الاشخاص الذين يحوزون على معارف ضرورية خاصة .

- ٨ - ينتخب رؤساء الاركان العامين من بين العسكريين ذوى تكوين خاص بواسطة المؤتمرات .
- ٩ - تعين رئاسة الاركان ، جميع الاعضاء الآخرين فى الاركان ويجرى التصديق على تعيينهم من قبل المؤتمرات المناسبة .
- ملاحظة : تسجل اسماء جميع الاشخاص الحائزين على تدريب خاص ، على قائمة مستقلة .
- ١٠ - الامرون الذين تجاوزوا سن الجنود الخاضعين للتجنيد ، وهم فى الخدمة ، والذين لم ينتخبوا لى مركز او لآخر ، والمعتبرون بالتالى برتبة الجنود العاديين ، لهم الحق فى الاستقالة من الجيش .
- ١١ - جميع المناصب الاخرى التى ليس لها صفة مناصب قيادية ، باستثناء المناصب ذات الخدمات التموينية ، يشغلها القائد الذى تم انتخابه وجرت المصادقة عليه .
- ١٢ - ان تعليمات مفصلة تتعلق بانتخاب ملاكات القيادة ، ستبشر بصورة مستقلة .

رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

مفوض الشعب للشؤون الحربية والاسطول

ن . كريلنكو .

مفوض الشعب للشؤون الحربية

بودفويسكى .

مفوضو الشعب المساعدون للشؤون الحربية :

كيدروف ، سكيليانسكى ، ليفران ، ميخائوشين .

امين سر المجلس ن . غوربونوف» .

مرسوم حول الغاء الفئات والرتب المدنية

«مادة اولى - تلغى جميع الفئات وما يتفرع عن هذه الفئات الموجودة الى هذا اليوم فى روسيا ، والامتيازات والتقييدات العائدة للفئات ، ومنظمات الفئات ومؤسساتها وكذلك جميع الرتب المدنية .

مادة ثانية - تلغى كافة تسميات الفئات (نبيل ، تاجر ،
برجوازي ، فلاح ، الخ .) والالقب (امير ، كونت ، الخ .)
ووجاهات الرتب المدنية (مستشار سرى ، مستشار دولة ، الخ .)
ويقوم مقامها لقب عام لجميع سكان روسيا : مواطن الجمهورية
الروسية .

مادة ثالثة - تنتقل ممتلكات مؤسسات النبلاء فوراً الى
سلطات التسيير الذاتى الريفية المعنية .

مادة رابعة - تنتقل ممتلكات جمعيات التجار والبرجوازيين
وتوضع فوراً تحت تصرف الادارات المدنية الذاتية المعنية .

مادة خامسة - توكل فوراً كافة مؤسسات الجمعيات
وممتلكاتها وسجلاتها الى الادارات الذاتية المعنية فى المدن
والارياف .

مادة سادسة - تلغى كافة المواد المعنية العائدة للقوانين
السارية المفعول حتى الآن .

مادة سابعة - يصبح المرسوم الحالى نافذ المفعول يوم نشره
ويوضع قيد التطبيق فوراً من قبل سوفيئات نواب العمال ،
والجنود والفلاحين المحلية .

لقد صدقت اللجنة المركزية التنفيذية لسوفيئات نواب
العمال والجنود ، المرسوم الحالى ، فى جلستها المنعقدة فى ٢٣ (١٠)
تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ .

رئيس التمييك سفردلوف .

رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

رئيس قسم الادارة فى مجلس مفوضى الشعب

ف . بونتش - بروفيتش .

امين سر المجلس ن . غوربونوف .

في الثالث من كانون الاول (ديسمبر) (٢٠) تشرين الثاني -
نوفمبر) قرر مجلس مفوضي الشعب ما يلي : « تخفيض رواتب
موظفي ومستخدمى كافة مؤسسات الدولة ذات الطابع العام
والخاص على حد سواء » .

في البدء عين مجلس مفوضي الشعب راتبا شهريا لمفوض
الشعب قدره خمسمائة روبل مع اضافة مائة روبل عن كل راشد
غير قادر على العمل من افراد عائلته .
كان هذا الحد الاعلى للراتب في المؤسسات الحكومية .

٤

اوقفت الكولتس باينا وحوكمت امام المحكمة العليا
الثورية . ان التقرير عن المحاكمة موجود في فصل « العدالة
الثورية » من كتابى التالى : « من كورنيلوف الى بريست-ليتوفسك » .
حكم على المتهم « بارجاع المال وبالتوبيخ العلنى » وبعبارات
اخرى ، فقد اطلق سراحها .

٥

ملخص من صحيفة «دروغ نارودا» («صديق الشعب») الناطقة بلسان المناشفة

في ١٨ (٥) تشرين الثاني (نوفمبر)

« ان قصة «الصلح الفورى» الذى يتحدث عنه البلاشفة ،
تذكرنا بفلم هزلى . نيراتوف يهرب - تروتسكى يلحق به ، نيراتوف
يتسلق جدارا - تروتسكى يحذو حذوه ، نيراتوف يغطس فى الماء -
فيغطس تروتسكى لاحقا به ، نيراتوف يصعد سقيفة - تروتسكى
يطارده ، نيراتوف يختبئ تحت سرير - وهناك ايضا يسطاده
تروتسكى ! لقد قبض عليه اخيرا ! وبالطبع يجرى توقيع معاهدة
الصلح فى الحال ... »

فراغ وهدوء يخيمان على وزارة الخارجية ، الساعة يُبدون الاحترام ، بيد ان وجوههم تعلوها ملامح لاذعة .

ماذا لو اعتقلنا احد السفراء ووقعنا معه هدنة او معاهدة صلح ؟ لكن هؤلاء السفراء هم اناس غريبو الاطوار . انهم يلتزمون الصمت تماما كما لو انهم لم يسمعوا شيئا . يا ، يا ، انكلترا ، فرنسا ، المانيا ! لقد وقعنا الهدنة معكم ! هل من المعقول الا تعرفوا شيئا عنها ؟ لقد نشر ذلك في كافة الصحف ، والصق على كافة الجدران . كلام شرف بلشفي ، لقد وقع على الصلح . نحن لا نطلب منكم شيئا ، ليس عليكم سوى كتابة كلمتين ...

السفراء يعتصمون بالصمت . الدول تعتصم بالصمت . فراغ وسكون في وزارة الخارجية .

— اسمع ، — قال روبيسبير-تروتسكى الى مساعده مارا-اوريتسكى ، — اسرع الى السفير البريطانى وقل له باننا نقترح الصلح !

— اذهب اليه انت بنفسك ، — اجاب مارا-اوريتسكى

— انه لا يستقبل احدا .

— اتصل به تلفونيا اذن .

— لقد حاولت . وعلّق سماعة التلفون .

— ارسل له برقية .

— فعلت ذلك .

— حسنا ، ما النتيجة ؟

وتنهّد مارا-اوريتسكى دون ان يجيب . يبصق روبيسبير-

تروتسكى بغضب في احدى الزوايا .

— اسمع ، يا مارا ، — قال تروتسكى بعد برهة ، — من

الضرورى جدا ان نظهر امام العالم كله باننا نقوم بسياسة خارجية فعالة . كيف يمكننا ذلك ؟ ..

— اصدر مرسوما آخر باعتقال نيراتوف ، — اجاب اوريتسكى بجدية .
 — يا مارا ، انك ابله ! صرخ تروتسكى . ونهض فجأة وهو مهيب ورهيب ، حقا انه يشبه روبيسبير في هذه الدقيقة .
 — اكتب ، اوريتسكى ! — امر بشدة . — اكتب رسالة الى السفير البريطانى ، كتابا مضمونا مدفوع الجواب . اكتب ! انا ايضا ساكتب . الشعوب تنتظر صلحا فوريا !
 وفى وزارة الخارجية الواسعة والفارغة ، لم يكن يسمع سوى صوت آلتين كاتبتين . بكلتا يديه ، كان تروتسكى يشرف بنفسه على سياسة خارجية فعالة ... » .

٦

«حول قضية الاتفاق»

الى جميع العمال وجميع الجنود .

فى ١١ تشرين الثانى (نوفمبر) عقد فى نادى فوج بريوبراجينسكى اجتماع استثنائى لمندوبى كافة وحدات حامية بتروغراد .

جرى هذا الاجتماع بمبادرة فوجى بريوبراجينسكى وسيميونوفسكى ، بغية مناقشة موقف الاحزاب الاشتراكية الواقعة الى جانب السلطة السوفيتية والواقفة ضدها ، اى حزب يقف الى جانب الشعب واى حزب ضده ، وهل ان الاتفاق ممكن ام لا ؟
 دعى الى الاجتماع ممثلون عن اللجنة المركزية التنفيذية للسوفييتات ، وعن الدوما البلدى ، وسوفييت الفلاحين الذى يرأسه افكسنتييف وكافة الاحزاب السياسية ، ابتداء من البلاشفة حتى الاشتراكيين الشعبيين .

وبعد نقاش طويل ، وبعد الاستماع الى خطب سائر الاحزاب

والمنظمات ، اعترف المجلس باغليبيته الساحقة ، ان البلاشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين هما الحزبان الوحيدان اللذان يقفان الى جانب الشعب ، اما سائر الاحزاب الاخرى فلا تفعل سوى ان تتستر وراء شعار الاتفاق بغية حرمان الشعب من المكتسبات التي احرزها ايام ثورة العمال والفلاحين العظيمة .

وفيما يلي نص القرار الصادر عن اجتماع حامية بتروغراد باغلبية ٦١ صوتا ضد صوت واحد واستنكاف ١٢ صوتا :

« ان مجلس حامية بتروغراد ، المنعقد بمبادرة فوجى بريوبراجينسكى وسيميونوفسكى ، بعد سماع خطب ممثلى سائر الاحزاب الاشتراكية والمنظمات الاجتماعية حول قضية الاتفاق يرى : (١) ان ممثلى اللجنة المركزية التنفيذية للسوفييتات (من الدورة الثانية) ، وممثلى حزب البلاشفة وحزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، يقفون بكل وضوح الى جانب السلطة السوفييتية ، والى جانب مراسيم الارض والصلح والرقابة على الانتاج ، وانهم على هذا الاساس يقبلون باتفاق بين الاحزاب الاشتراكية ؛ (٢) وفى الوقت نفسه فقد امتنع ممثلو الاحزاب الاخرى (الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة) عن اعطاء اى جواب ، ام اعلنوا صراحة انهم ضد السلطة السوفييتية وضد مراسيم الارض والصلح والرقابة .

ونظرا لذلك ، فان الاجتماع يقرر : (١) توجيه توبيخ قاس الى الاحزاب التي تتستر بشعار الاتفاق ، الا انها ترغب فى الواقع فى القضاء على المكتسبات التي احرزها الشعب ايام ثورة اكتوبر ؛ (٢) انه يعلن عن ثقته الكاملة باللجنة المركزية التنفيذية وبمجلس مفوضى الشعب ويعدهما بتقديم الدعم الكامل والتام .

ويرى الاجتماع اخيرا انه من الضرورى ان يشترك رفاق من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين فى حكومة الشعب
اجتماع مندوبى وحدات حامية بتروغراد» .

٧

السطو على الخبازات

لقد اكتشف فيما بعد بان حزب الكاديت قد انشا منظمة خاصة تهدف اثاره الفوضى بين الجنود . لقد ابلغت الشكنات تلفونيا ، بان الخمر سيوزع في هذا العنوان او ذاك ، وعندما يصل الجنود الى المكان المعين ، يجدون احد الاشخاص ، وقد وضع خصيصا ليدلهم على مواقع الاقبية .

لقد عين مجلس مفوضي الشعب مفوضا كلّف بصورة خاصة لمحاربة موجة السكر . وبعد ان وضع حدا بصرامة للسطو على الاقبية ، صار الى ائتلاف مئات الالوف من زجاجات المشروبات . في بادئ الامر ، اغرقت اقبية قصر الشتاء التي كانت تحوى على خمور بأدرة تقدر قيمتها باكثر من خمسة ملايين دولار ، ثم نقلت الخمر الى كرونشتادت حيث جرى ائتلافها .

لقد أعطى بحارة كرونشتادت «زهرة القوى الثورية وفخرها» كما سماهم تروتسكى ، المكلفون بتنفيذ هذا الامر ، الدليل على صلابة وتنظيم يستحقان الاعجاب ...

٨

البضاريون

مرسومان

«من مجلس مفوضي الشعب

الى اللجنة العسكرية الثورية

ان فوضى التموين الناجمة عن الحرب وعن فقدان النظام في الحياة الاقتصادية ، نحتدم الى اقصى حد ، نتيجة لافعال

المضاربين ومستغلى بؤس الشعب واعوانهم من الذين يعملون في السكك الحديدية وفي احواض البواخر وفي مكاتب الشحن ، الخ . . ان هؤلاء المختلسين المجرمين ، يتلاعبون في سبيل مصلحتهم الخاصة ، بصحة وارواح ملايين الجنود والعمال ، مستغلين اقطاع النكبات التي حلت بالشعب .

ان وضعنا كهذا لا يمكن ان نسمح به يوما واحدا آخر . ان مجلس مفوضى الشعب يدعو اللجنة العسكرية الثورية لتتخذ الاجراءات الاكثر حزما لاستئصال المضاربة ، والتخريب ، واخفاء المؤن ، والتأخير المقصود في توريد المشحونات ، الخ . . كل شخص يتهم بمثل هذه الاعمال ، يعتقل بامر خاص من قبل اللجنة العسكرية الثورية ، ويسجن في كروئشتادت بانتظار تقديمه الى المحكمة الثورية .

تدعى جميع المنظمات الشعبية الى الاشتراك في النضال ضد اسارقى المؤن .

رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف (لينين) » .

«الى جميع المواطنين الشرفاء .

ان اللجنة العسكرية الثورية تقرر :
يعتبر جميع المختلسين ومستغلى بؤس الشعب والمضاربين اعداء للشعب . . .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، تقترح على كافة المنظمات الاجتماعية وجميع المواطنين الشرفاء ، ان يبلغوها حالا عن كافة حالات السرقة ، والخداع ، والمضاربة عندما يعلمون بها .
ان النضال ضد هذه الآفة واجب على جميع الناس الشرفاء .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، تتوقع تأييد جميع الذين تعز عليهم مصلحة الشعب .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، ستلاحق بدون شفقة المضاربين والمختلسين .

اللجنة العسكرية الثورية .

بتروغراد في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ .

٩

رسالة بوريشكيفيتش الى كالدين

« ان الحالة في بتروغراد ميثوس منها . فالمدينة مقطوعة عن العالم الخارجى وواقعة كليا تحت سيطرة البلاشفة . اعتقل عدد من الناس في الشوارع ، والقى بهم في النيفا ، واغرقوا ، وسجنوا دون ان توجه اليهم اية تهمة . ان بورتسييف نفسه سجين في حصن بطرس وبولس وموضوع تحت حراسة شديدة . ان المنظمة التي اديرها تعمل دون انقطاع في جمع كافة الضباط وما تبقى من اليونكر وتسليحهم . لا يمكن انقاذ الموقف الا بتشكيل افواج من الضباط واليونكر ، وعندما تسجل هذه الافواج النصر الاول ، نستطيع عند ذلك فقط ، كسب جيوش الحامية ، ولكن بدون هذا النصر ، فمن المستحيل الاعتماد على جندى واحد ، اذ ان افضل الجنود مشتبون ، وخائفون من ارهاب الرعاع المندسين في كافة الافواج قاطبة . لقد اصيب معظم القوزاق بعدوى الدعاية البلشفية ، نتيجة موقف الجنرال دوتوف الغريب ، الذي اضاع فرصة كان يمكن الحصول خلالها على نتيجة اثر القيام بعمل حاسم . ان سياسة الاقناع والرجاء قد اعطت ثمارها : فكل انسان شريف مضطهد ، والذين يحكمون الآن هم المجرمون

السوقة ، الذين يجب ان نقضى عليهم منذ الآن بالجوء الى رمية
بالرصاى وشنقهم امام الملاء .

نحن بانتظار مجيئكم الى هنا ، يا سيدى الجنرال ، وعندما
تأتون سوف نعمل ايضا بكل القوى المتوفرة لدينا . ولكننا
نحتاج فى سبيل ذلك ، الى اقامة اتصال معكم ، وقبل كل شىء
الى ان نعرف ما يلى :

١ - أتعلمون ان جميع الضباط الذين من المحتمل ان
يشاركوا فى النضال ، قد طلب اليهم باسمكم ، ان يغادروا بتروغراد
بغية الانضمام اليكم ؟

٢ - فى اى تاريخ يمكننا ان نتوقع اقترابكم من بتروغراد ؟
انه من المفيد لنا ان نعرف ذلك مسبقا لتكييف اعمالنا حسب
الظروف .

ورغم اللامبالاة المجرمة التى يبديها كل المجتمع الواعى هنا ،
والذى يقبل بان- يكدن بالنير البلشفى ، ورغم الخمول المدهش
الذى يبديه معظم الضباط الذين من الصعب تنظيمهم ، فاننا على
نقطة ، بان الحقيقة هى الى جانبنا ، واننا سنتغلب على قوى الفساد
والظلام ، اذ اننا نعمل بدافع من حب الوطن ومن اجل انقاذه .
ومهما يكن من امر ، فاننا لم نفقد عزيمتنا وسنبقى صامدين حتى
النهاية » .

مثل بوريشكيفيتش امام المحكمة الثورية وحكم عليه
بالسجن لمدة قصيرة .

١٠

«مرسوم حول احتكار الدولة للاعلانات .

١ - ان الطبع المأجور للاعلانات فى المطبوعات الدورية وفى
الملازم وكذلك اعطاء الاعلانات الى المكاتب والاكشاك وغيرها من
المؤسسات ، يصبح احتكارا للدولة .

- ٢ - لا يمكن نشر الاعلانات الا في مطبوعات حكومة العمال والفلاحين الموقته في بتروغراد وفي مطبوعات سوفيات نواب العمال والجنود والفلاحين المحلية . تتعرض للاغلاق المطبوعات التي تنشر الاعلانات بالرغم من كونها لا تتمتع بحق النشر .
- ٣ - ان اصحاب الصحف ، ووكالات نشر الاعلانات ، وكذلك جميع المستخدمين في المكاتب والاقلام وفي غيرها من المؤسسات التي هي من هذا النوع ، ملزمون بالبقاء في مراكزهم الى ان يصار الى نقل مصالحهم الى الدولة بشخص الهيئات المشار اليها آنفا ، كما انهم مسؤولون عن اجراء هذا النقل بنظام تام وعن تأمين سير عمل هذه المؤسسات وعن تسليم كافة الاعلانات الخاصة وكافة المبالغ النقدية المدفوعة اجورا للاعلانات المعدة للنشر وكذلك تسليم كافة الحسابات مع الوثائق الضرورية الى السوفيات .
- ٤ - يتوجب على جميع مدراء ومستخدمى وعمال المطبوعات والمؤسسات التي تنشر الاعلانات المأجورة ، ان يعقدوا فورا الاجتماعات على صعيد المدن للانتساب الى النقابات في المدن اولا ، ومن ثم الى نقابة عموم روسيا ، بغية تنظيم قضية قبول ونشر الاعلانات الخاصة في المطبوعات السوفيتية تنظيما انجح وافضل وكذلك بغية وضع الانظمة لقبول ونشر هذه الاعلانات بصورة اكثر ملاءمة للسكان .
- ٥ - كل شخص مذنب بخبء وثائق او مبالغ نقدية او انتهاك نصي الفقرتين ٣ و٤ سيكون عرضة لحكم يمكن ان يصل الى ثلاث سنوات سجن مع مصادرة كافة ممتلكات .
- ٦ - نشر الاعلانات المأجورة في المطبوعات الخاصة على شكل تقارير ، ومقالات الدعاية او غيرها من الاشكال المقنعة ، يعاقب عليها بالعقوبات المشار اليها اعلاه .
- ٧ - تصدر الدولة وكالات قبول ونشر الاعلانات ، وتدفع

اعانات مؤقتة الى اصحابها عند الاقتضاء . وتعوض الدولة على صغار المالكين ، والمشاركين والمساهمين في المؤسسات المصادرة ، عن كافة المبالغ التي وضعها هؤلاء في المؤسسة .

٨- يتوجب على كافة المؤسسات ، والادارات ، والمكاتب وبصورة عامة الدور التي تهتم بنشر الاعلانات المأجورة ، ان تقدم في الحال عناوينها الى سوفيات نواب العمال والجنود وان تعمل على نقل اضباراتها والاعلانات التي حصلت عليها ، الى الدولة ، تحت طائلة العقوبة المنصوص عنها في الفقرة ٥ من المرسوم الحالي .

رئيس مجلس مفوضي الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

مفوض الشعب لشؤون التعليم العام

ا . ف . لوناتشارسكي .

امين سر المجلس ن . غوربونوف» .

١١

«قرار الزامي

١- تعلن حالة الحضر في مدينة بتروغراد .

٢- تمنع كافة الاجتماعات ، والاجتماعات الطاشدة وغير ذلك في الشوارع او في الساحات .

٣- كل محاولة للسطو على الخمارات ، والمستودعات ، والمعامل ، والمخازن ، والحوانيت ، والشقق ، الخ . ، ستسحق بالرشاشات بدون اذدار .

٤- يكلف لجان الابنية والبوابون ووكلاء البناءات وافراد الميليشيا بالمحافظة على النظام الدقيق في البيوت ، والباحات ، والشوارع ، ويجب ان تغلق ابواب البيوت في الساعة التاسعة مساء

وتفتح في الساعة صباحا . لا يمكن ان يغادر البيوت بعد التاسعة مساء سوى المستاجرين تحت اشراف لجان المساكن المشدد .
 ٥ - كل شخص يوزع ، او يبيع ، او يشتري خمرا او مشروبات روحية ، وكل شخص يتهم بمخالفة الفقرتين ٢ و ٤ من الامر الحالي ، يوقف فورا ويتعرض لاحكام قاسية .

لجنة النضال ضد المجازر ، التابعة للجنة التنفيذية لسوفييتات نوابه العمال والجنود .

بتروغراد في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ، الساعة ٣ صباحا » .

١٢

«نداء الى السكان»

ايها الرفاق العمال والجنود والفلاحون ، يا جميع الشغيلة !
 ان الثورة العمالية والفلاحية قد انتصرت نهائيا في بتروغراد وفي موسكو . . .

ومن الجبهة والارياف تتوالى الانباء كل يوم ، كل ساعة ، عن تأييد الاغلبية الساحقة من الجنود في الخنادق والفلاحين في الاقضية للحكومة الجديدة ومراسيمها بصدد عرض الصلح وتسليم الارض فورا للفلاحين . ان انتصار ثورة العمال والفلاحين مضمون لأن اغلبية الشعب قد دعمتها .

وغنى عن البيان ان الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وكبار الموظفين والمستخدمين الوثيقي الارتباط بالبرجوازية ، وبكلمة . جميع الاغنياء وجميع الذين يقفون الى جانبهم ، يستقبلون الثورة الجديدة بالعداوة ، ويقاومون انتصارها ، ويهددون بوضع حد لنشاط المصارف ، ويفسدون او يشلون عمل مختلف المؤسسات ،

ويعرقلونه بشتى الطرائق ، ويعيقونه بصورة مكشوفة تارة وغير مكشوفة تارة اخرى . ولقد كان كل عامل واع يدرك تمام الادراك اننا سنصطدم حتما بمقاومة من هذا النوع ؛ وقد اشارت الصحافة الحزبية البلشفية كلها الى هذا الامر مرارا عديدة . ان الطبقات الكادحة لن يعترئها الخوف لحظة واحدة بسبب من هذه المقاومة ، ولن ترتجف ابدا امام تهديدات انصار البرجوازية واضراباتهم .

فمعنا اغلبيية الشعب . معنا اغلبيية الشغيلة والمضطهدين في العالم بأسره . معنا قضية العدالة . ان انتصارنا مضمون .

ستسحق مقاومة الرأسماليين وكبار المستخدمين . ولن نحرم احدا من املاكه ، دون قانون خاص تسنه الدولة حول تأميم المصارف والسنديكات . وهذا القانون قيد التحضير . ولن يخسر اى شغيل او عامل كوبيسكا واحدا ؛ بل بالعكس ، فانه سيلقى المساعدة . وباستثناء ادق الحساب والرقابة ، باستثناء تحصيل الضرائب العلنية المقررة من قبل تحصيلها كاملا ، لا تنوى الحكومة اتخاذ اى اجراء آخر .

ايها الرفاق الشغيلة ! تذكروا بانكم انتم الذين تقودون الدولة بانفسكم الآن . ولن يساعدكم احد اذا لم تتحدوا بانفسكم واذا لم تاتخذوا جميع شؤون الدولة فى ايديكم . ان سوفياتكم هى من الآن وصاعدا هيئات سلطة الدولة ، تتمتع بكامل الصلاحيات ، هيئات تتمتع بسلطة الفصل والاقرار .

تجمعوا حول سوفياتكم . عزوها . انصرفوا بانفسكم الى العمل فى القاعدة ، ولا تنتظروا احدا . اقيموا النظام الثورى الاحزم ، اسحقوا بلا رحمة المحاولات الفوضوية من جانب السكارى والزعران ، وطلاب المدارس العسكرية المعادين للثورة ، والكورنيلوفيين وغيرهم .

ابسطوا اقصى الرقابة على انتاج المواد الغذائية وحسابها .
اعتقلوا واحيلوا الى محكمة الشعب الثورية كل من يجرؤ على
الاساءة الى قضية الشعب ، سواء أبتخريب الانتاج (اتلاف ،
عرقلة ، نسف) واخفاء مخزونات الحبوب والاغذية والتاخير في
ايصال الحبوب ، وتشويش العمل في السكك الحديدية والبريد
والبرق والهاتف ام ، بوجه عام ، بابداء المقاومة ، اية مقاومة ،
لقضية السلام الكبرى ، لتسليم الارض للفلاحين ، لتأمين الرقابة
العملية على الانتاج وعلى توزيع الاغذية .

ايها الرفاق العمال والجنود والفلاحون ، يا جميع الشغيلة !
خذوا السلطة كلها واعهدوا بها الى سوفياتكم ... وبالاتفاق
مع اغلبية الفلاحين وبتأييدهم ، وباتباع السبل التي دلت عليها
تجربة العمال والفلاحين العملية ، سنسير تدريجيا ، ولكن بحزم
وتصميم ، نحو انتصار الاشتراكية الذي سيوطده العمال الطليعيون
في ارقى البلدان المتقدمة ، والذي سيعطى الشعوب سلاما وطيدا
ويخلصها من كل اضطهاد وكل استعمار .

رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

يتروغراد ، ٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ » .

١٣

« الى جميع عمال يتروغراد .

ايها الرفاق ! الثورة تنتصر - الثورة قد انتصرت ! انتقلت
كل السلطة الى سوفياتنا . ان اكثر الاسابيع صعوبة اولها .
يجب سحق الرجعية المهزومة سحقا نهائيا ، يجب تأمين الانتصار
الكامل لامنياتنا . يتوجب على الطبقة العاملة ، ان تبدى في هذه
الايام الحد الاقصى من رباطة الجأش والصمود لكى تسهل على

حكومة السوفييتات الشعبية الجديدة ، تحقيق جميع مهامها . في الايام القليلة القادمة سوف تصدر القوانين الجديدة المتعلقة بالعمل ، وسيكون على رأس هذه القوانين ، قانون الرقابة العمالية على الانتاج وضبط الصناعة .

ان اضرابات جماهير العمال في بنزوغراد وتظاهراتهم ، لن تسفر في هذه الآونة الا عن الاضرار .

اننا ندعوكم الى التوقف فورا عن كافة الاضرابات الاقتصادية والسياسية ، والعودة الى عملكم الذي يجب ان تنفذوه بانتظام تام ، ان سير العمل في المعامل وفي جميع المؤسسات ، ضرورى لحكومة السوفييتات الجديدة ، اذ ان كل تشويش في العمل انما يشكل لها متاعب جديدة ولديها منها ما فيه الكفاية . ليبق كل واحد في مركزه !

ان افضل وسيلة لدعم حكومة السوفييتات الجديدة في الوقت الحاضر ، هي ان يقوم كل واحد بعمله .

عاشت صلابة ورباطة جأش البروليتاريا ! عاشت الثورة !

- سوفيت بنزوغراد
- سوفيت نقابات بنزوغراد
- سوفيت لجان العمال والمصانع»

١٤

نداءات ونداءات معاكسة

«نداء مستخدمى مصارف الدولة والمصارف الخاصة

الى اهالى بنزوغراد .

ايها الرفاق العمال والجنود ، ايها المواطنون !
تتهم اللجنة العسكرية الثورية في « بلاغ غير عادى » ، شغيلة مصارف الدولة والمصارف الخاصة وعددا من المؤسسات بانها نخرب نشاط الحكومة التى تجهد فى تأمين تمويل الجبهة .

ايها الرفاق والمواطنون ، لا تصدقوا هذا الافتراء الموجه
ضدنا نحن الذين نشكل جزءا من جيش العمل الكبير .
بالرغم انه من العسير القيام بعمل قاس تحت التهديد
المتواصل باعمال العنف ، ومهما كان صعبا الادراك بان بلادنا
والثورة هما على حافة الهاوية ، فاننا نحن الجميع ، من الصغار
حتى الكبار ، مستخدمين واعضاء تعاونيات ، محاسبين ، وعمالا ،
وسعاة ، الخ . ، اننا نشابر على تأمين الاعمال المناطة بنا ، فيما
يتعلق بتموين الجبهة والبلاد بالارزاق والاعتدة .

انهم يعتمدون على نقص في معلوماتكم ، ايها الرفاق العمال
والجنود ، بالقضايا المالية والمصرفية ، لكي يثيروكم على شغيلة
مثلنا ، اذ انه من المهم ان يحولوا مسؤولية موت اخواننا في
الجبهة عن المجرمين الحقيقيين الى شغيلة ابرياء ، يقومون
بمهامهم في جو من الفقر والفوضى العامين .

**تذكروا ايها العمال والجنود ! ان المستخدمين قد هبوا
ويجهون دائها مصالح جهاير الشغيلة ، الذين هم انفسهم جزء
منها ، ولم يوقفوا ولن يوقفوا ، صرف كوبيك واحد ضروري للجبهة
والعمال .**

منذ السادس الى الثالث والعشرين من الشهر الجارى ،
اي خلال سبعة عشر يوما ، ارسل مبلغ خمسمائة مليون روبل
الى الجبهة ومائة وعشرون مليونا الى موسكو دون حساب المبالغ
المرسلة الى مدن اخرى .

ان المستخدمين حرصا منهم على ثروة الشعب التى لا يمكن
ان تعود ملكيتها الا للشعب الروسى بأسره بشخص الجمعية

التأسيسية ، لا يفعلون سوى ان يرفضوا المساهمة في تسليم النقود لاغراض يجهلونها .

لا تصغوا للمفتريين الذين يدعونكم الى القيام باعمال التنكيل .

المكتب المركزي لاتحاد مستخدمي مصارف

الدولة لعموم روسيا .

المكتب المركزي لنقابة عموم روسيا

لمستخدمي المؤسسات الاعتمادية» .

«نداء الى اهالي بتروغراد

ايها المواطنون ! لا تصدقوا الافتراء الذي يجهد بان يوحى به اليكم اشخاص غير مسؤولين ، ناشرين الكذب الفظيع ضد جميع مستخدمي وزارة التموين وكذلك ضد غيرهم من الشغيلة الذين يعملون بلا كلل في هيئات التموين في هذه الايام القاتمة ، في سبيل سلامة روسيا . ايها المواطنون ! تتضمن الاعلانات المصممة الحضر على سحلنا ، وتتهمنا كذبا بالتخريب والاضراب ، وتجعلنا مسؤولين عن كافة المحن التي يعانيها الشعب ، في حين اننا نعمل دائما وبدون كلل وتوقف ، على الرغم من اننا ناضلنا ولا نزال نناضل في سبيل النقاذه الشعب الروسي من غائلة الجوع . وبالرغم من كل ما نجبر على تحمله بوصفنا مواطني روسيا البائسة ، فاننا لم نترك ساعة واحدة العمل المضني والهام في تموين الجيش والشعب .

لم يغرب عن بالنا لحظة واحدة التفكير بالجيش ، الذي وهو فريسة البرود الجوع ، يحمى وجودنا بدمه وآلامه .

ايها المواطنون ! اذا كنا نحيا اكثر الايام سوادا في حياة شعبنا وتاريخه ، اذا كنا نجحنا في ابعاد المجاعة عن بتروغراد ، اذا كنا استطعنا تزويد الجيش المتالم بالخبز والعلف ، فقد تم

ذلك بفضل جهود عظيمة ، هي تقريبا فوق طاقة البشر ، ذلك
اننا تابعنا بشرف عملنا ولا ننقطع عن الاستمرار فيه .
اننا نجيب على «الانذار الاخير» لمغتصبي السلطة : ليس
لكم انتم ، الذين تسيرون بالبلاد الى الهاوية ، ان تهددونا ، نحن
الذين نسعى جهدنا لكي تبقى البلاد على قيد الحياة . اننا لا نخاف
التهديد ، ان صورة روسيا المقدسة والمعذبة ما تزال ماثلة امام
اعيننا . وسنستمر في تزويد الجيش والشعب بالخبز حتى قوانا
الاخيرة ، طالما انتم لا تمنعوننا عن القيام بواجبنا حيال وطننا .
والا فان الجيش والشعب سيجدان نفسيهما وجها لوجه امام
مختلف احوال الجوع ، ولكن المسؤولية تقع عندئذ على عاتق
صانعي العنف .

اللجنة التنفيذية لمستخدمي وزارة

«التهوين» .

«تنبيه الى جميع الموظفين»

يعلن بهذا التنبيه الى جميع الموظفين والاشخاص الذين
تركوا خدمة الحكومة والمؤسسات العامة او الذين سرحوا من عملهم
لقيامهم باعمال التخريب او رفضهم تسليم الاضبارات في الآجال
المعينة والذين قبضوا رواتبهم مسبقا دون ان يقوموا بعمل
مقابلها ، انهم ملزمون بارجاع المبالغ المأخوذة غير المستحقة الى
المؤسسات التي كانوا يعملون فيها ، وذلك قبل ٢٧ (١٤) من
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ .

ان الاشخاص الذين لا يمثلون لهذا التنبيه ، يعتبرون
مختلسين لاموال تخص الدولة ويحالون امام المحاكم العسكرية
الشورية .

اللجنة العسكرية الثورية .

في ٢٤ (١١) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ «

«نداء لجنة التموين الخاصة

ايها المواطنين ! ان شروط عملنا في تموين بتزوغراد تصبح
اكثر صعوبة يوما بعد يوم .
ان التدخل المهلك في نشاطنا الذي يقوم به مفوضو اللجنة
العسكرية الثورية يستمر ايضا .
**ان اعمالهم التعسفية ، والغاءهم الاوامر المعطاة من قبلنا ،
يمكن ان تقود الى كارثة .**
لقد ختم من جديد احد برادات حفظ اللحوم والزبدة لاعاشة
السكان ، بحيث يستحيل علينا تنظيم الحرارة بشكل لا يفسد معه
هذه الهواد الغذائية .
كما صودرت شاحنة بطاطا واخرى تنقل الملفوف ، ونقلتا
الى جهة لا نعرفها .
كما ان منتجات لا تخضع للمصادرة (حلاوة) صادرها احد
المفوضين ، وهذا ما حدث بالنسبة لخمس علب من الحلوة ،
فقد صادرها مفوض لحاجاته الخاصة .
**اننا لسنا بوضع يسمح لنا بالتصرف بالتموين ، طالما ان
المفوضين الذين لم يستلموا السلطة الا من ذواتهم ، يمنعون نقل
المؤن ، مهددين عمالنا بالاعتقال .**
يعرف سكان الارياض كيف تسير الامور في بتزوغراد ، ولذا
فمن اللون ، ومن سيبيريا ومن فورونيچ ، ومن مناطق اخرى
كذلك ، فانهم يرفضون ارسال الحبوب .
ان هذا الوضع لا يمكنه ان يستمر طويلا .
اننا فاقدو القدرة على العمل في مثل هذه الظروف .
ان واجبنا احاطة السكان علما بذلك .
اننا سنحصى مصالح السكان ، ما دام ذلك ممكنا .

اننا سنهمل كل شيء لتعاشي مجاعة مهددة ، ولكن ، اذا
اضطررنا في هذه الظروف العصيبة الى ان نوقف نشاطنا ، فليعرف
السكان بان مسؤولية ذلك لا تقع علينا ...» .

١٥

الانتخابات الى الجمعية التأسيسية في بتروغراد

تنافست في بتروغراد تسع عشرة قائمة . وكانت النتائج
المعلنة في بتروغراد في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) كما يلي :

الاحزاب	عدد الاصوات
الاشتراكيون الشعبيون	١٩١٠٩
الكاديت	٢٤٥٠٠٦
الديموقراطيون الفلاحيون	٣٧٠٧
البلاشفة	٤٢٤٠٢٧
الاشتراكيون العالميون	١٥٨
العمال الاشتراكيون - الديموقراطيون	
والاشتراكيون - الثوريون	
الاوكرانيون واليهود	٤٢١٩
رابطة مساواة المرأة	٥٣١٠
الاشتراكيون - الثوريون	
(الدفاعيون)	٤٦٩٦
الاشتراكيون - الثوريون	
اليساريون	١٥٢٢٣٠
رابطة التطوير الشعبى	٣٨٥
ديموقراطيون راديكاليون	٤١٣
الابرشيات الارثوذكسية	٢٤١٣٩
الرابطة النسائية لانقاذ الوطن	٣١٨

٤٩٤٢	والفلاحين	الرابطة المستقلة للعمال ، الجنود
١٤٣٨٢	(الكاثوليك)	الديموقراطيون المسيحيون
١١٧٤٠	المتحدون	الاشتراكيون - الديموقراطيون
١٧٤٢٧	المناشدة	
١٨٢٣	جماعة « ايدينستفو »	
٦٧١٢	رابطة الجيوش القذرافية	

١٦

«نداء لجنة التربية العامة الملحقة بالدوما البلدى المركزى

ايها الرفاق العمال والعاملات !
قبل العيد بايام ، اضرب طلاب المدارس البلدية . ووقف
الطلاب الى جانب البرجوازية ضد حكومة العمال والفلاحين .
ايها الرفاق ، نظموا لجان اولياء الطلاب ، واتخذوا قرارات
تشجب اضراب الطلاب . توجهوا الى سوفييتات نواب العمال
والفلاحين فى الاحياء ، والى النقابات ، والى لجان المعامل ولجان
الحزب ، من اجل ان تنظموا معها اجتماعات الاحتجاج . اقيموا
بوسائلكم الخاصة اشجار عيد الميلاد للولاد ، ونظموا حفلات
السمر ، واطلبوا اعادة فتح المدارس بعد العطلة ، فى التاريخ
الذى سيحدده مجلس الدوما المركزى .

ايها الرفاق ، قووا مواقعكم في مجال التثقيف الشعبى ،
الحوا على رقابة المنظمات البروليتارية على المدارس .
لجنة التربية العامة الهلقة بالدوما
البلدى المركزى» .

١٧

نداء مجلس مفوضى الشعب الى الشغيلة القوزاق

«ايها الاخوة القوزاق ! تخدعون ، تحرضون ضد الشعب كله . يقال لكم كان سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين - هي عدوتكم ، وكأنها تريد انتزاع الاراضى القوزاقية منكم ، وسلبكم «حريتكم» القوزاقية . لا تصدقوا هذا ايها القوزاق ! تخدعون ، يكذب عليكم بصورة مجرمة . فان جنرالاتكم واسيادكم الريفين والملاكين العقاريين ، يلجأون الى ذلك بغية ابقائكم فى الجهل والعبودية . نحن ، مجلس مفوضى الشعب ، هو ذا ما نقوله لكم ايها القوزاق . اقرأوا بانتباه واحكموا بانفسكم اين توجد الحقيقة واين الخداع الخبيث .

ان حياة القوزاقى وخدمته العسكرية كانتا دائما العبودية والشقاء المفروض . كان على القوزاقى ، لدى اول نداء للسلطة ، ان يسرح حصانه ويذهب الى القتال . كان على القوزاقى ان يدفع من دخله الخاص الذى كسبه بعرق الجبين ، تكاليف تجهيزاته العسكرية . وبينما يكون القوزاقى فى الخدمة ، تترك مزرعته للدمار . أليس هذا صحيحا ؟ كلا ، يجب ان يتغير هذا الوضع . **يجب ان يتحرر القوزاق من العبودية** . ان السلطة الجديدة لسوفييتات الشعب مستعدة لتساعد الشغيلة القوزاق . ويكفى لذلك ان يأخذ القوزاق انفسهم القرار بتصفية الوضع القديم للامور ، ليرفضوا الطاعة لنخاسيهم ، الضباط ، وكبار الملاكين ،

والاثرياء ، ليخلعوا عن اكتافهم النير الملعون . انهضوا ايها القوزاق ! اتحدوا ! ان مجلس مفوضى الشعب يدعوكم الى حياة جديدة ، اكثر حربة واكثر سعادة .

في شهرى تشرين الاول وتشرين الثانى (اكتوبر ونوفمبر) جرى في بتروغراد مؤتمران لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعموم روسيا . وسلم هذان المؤتمران السلطة في جميع المقاطعات الى ايدى السوفييتات ، الى ايدى اشخاص منتخبين من الشعب . ومن الآن فصاعدا ، يجب الا يكون في روسيا اسيا ولا موظفون مختارون من اعلى يامرون الشعب ويسوقونه كالقطيع . انه الشعب الذى خلق بنفسه اجهزة سلطته . ليس للجنرال حقوق اكثر من حقوق الجندى . الجميع متساوون . احكموا ايها القوزاق ، اهذا حسنا ام لا ؟ نحن ندعوكم الى الانضمام للنظام الجديد والى انتخاب سوفييتات نوابكم القوزاقية الخاصة . انه ، الى هذه السوفييتات ، يجب ان توكل السلطة في كل مكان . وليس الى فئة مختارة من الجنرالات ، ولكن الى الممثلين المنتخبين من قبل الشغيلة القوزاق ، الى الاشخاص الذين تختارونهم انتم انفسكم والذين تمنحونهم ثقتكم .

ان مؤتمرى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعموم روسيا قد قررا نقل ملكية كافة اراضى كبار الملاكين الى الشعب الشغيل . أليس هذا صحيحا ايها القوزاق ؟ ان كورنيلوف وكالدين ، ودوتوف ، وكاراولوف وبارديبى واضرابهم ، يحمون بكل ارواحهم مصالح اغنياء الملاكين ، وانهم مستعدون لان يفرقوا روسيا في الدم لكى تبقى الاراضى في ايدى كبار الملاكين . ولكنكم انتم ايها الشغيلة القوزاق ، ألا تتألمون من الفقر ، ومن الاضطهاد ، ومن فقدان الاراضى ؟ كم قوزاقى يملك الواحد منهم اكثر من ٤ الى ٥ ديسياتين ؟ والى جانب هؤلاء ، يوجد الملاكون العقاريون

القوزاق الذين يملكون آلاف الديسباتينات من الاراضى الخاصة بهم والذين فضلا عن ذلك يستأثرون بالاراضى المشاعية القوزاقية . ان اراضى اسياى القوزاق ، يجب ، حسب قوانين السوفييتات الجديدة ، ان تسلّم دون اى تعويض الى الشغيلة القوزاق ، الى القوزاق الفقراء . يخيفونكم قائلين بان السوفييتات تريد ان تنتزع اراضىكم منكم . وهكذا فمن الذى يخيفكم اذن ؟ انهم القوزاق الاغنياء ، الذين يعرفون تماما بان السلطة السوفييتية تريد نقل اراضى الهالكين العقارين اليكم . اختاروا ، ايها القوزاق ، الى جانب من تريدون ان تقفوا : مع كورنيلوف وكالدين واضرابهما ، مع الجنرالات والاثرياء ، او مع سوفييتات نواب الفلاحين والجنود والعمال .

ان مجلس مفوضى الشعب ، الذى انتخبه مؤتمر عموم روسيا ، قد اقترح على سائر الشعوب ، هدنة فورية وصالحا ديموقراطيا شريفا ، لا يحبل الخسارة ولا الضرر لاي شعب . ان جميع الرأسماليين ، والملاكين والجنرالات الكورنيلوفيين قد تمردوا على سياسة السوفييتات السلمية . لأن الحرب تحمل اليهم الارباح ، والسيطرة ، والامتياز ، واليكم انتم ، ايها القوزاق ماذا تحمل الحرب ؟ انكم مثل اخوانكم ، الجنود والبحارة ، تهلكون دون سبب ، دون مبرر . لقد مضى على هذه الحرب الملعونة ثلاث سنوات ونصف السنة ، هذه المجزرة التى اثارها الرأسماليون والملاكون العقاريون فى جميع البلدان لخدمة مصالحهم ، وفى سبيل اسلاهم العالمية . ان الحرب لم تحمل الى الشغيلة القوزاق سوى الخراب والدوت . لقد صرفت كافة موارد معيشة الفلاح القوزاقى . ان السلامة الوحيدة لبلادنا عامة وللقوزاق خاصة ، هى فى صلح سريع وشريف . لقد اعلن مجلس مفوضى الشعب ، الى جميع الحكومات وجميع الشعوب : نحن لا نريد الاستيلاء على ثروات

الشعوب الاخرى ، ولا نريد ان نعطي ما نملك . نحن نريد صلحا دون الحاق ، دون تعويض . على كل شعب ان يقرر مصيره بنفسه ، يجب الا تضطهد امة من قبل امة اخرى . ذلك هو بالضبط الصلح الديموقراطى الشريف ، اى الصلح الشعبى ، الذى يقترحه مجلس مفوضى الشعب على جميع الحكومات وجميع الشعوب الحليفة منها والعدوة على حد سواء . والنتائج الاولى واضحة : **لقد عقدت الهدنة على الجبهة الروسية** . لقد توقف اهراق دماء الجنود الروس والقوزاق هناك . والآن ايها القوزاق ، قررُوا بانفسكم : أتريدون استمرار هذه المذبحة المخربة ، دون معنى والمجرمة ، فاذا كان الامر كذلك ، فادعموا الكاديت اعداء الشعب ، ادمعوا تشيرنوف ، وتسيريتيلى وسكوبيليف الذين قذفوا بكم فى هجوم ١٨ تموز (يوليو) ، ادمعوا كورنيلوف الذى اقام حكم الموت فى الجبهة على الجنود والقوزاق . **ولكن اذا اردتم صلحا سريعا وشريفا ، انضموا الى صفوف السوفييتات وايدوا مجلس مفوضى الشعب .**

ان مصيركم ، ايها القوزاق ، هو بين ايديكم . ان اعداء المشتركين ، كبار الملاكين ، الرأسماليين ، الضباط الكورنيلوفيين ، الصحافة البرجوازية ، يخدعونكم ويقودونكم الى الخراب . ففى اورينبورغ عطل دوتوف السوفييت ، وجرد الحامية من السلاح . وفى دائرة الدون هدد كالدين السوفييتات ، لقد اعلن بان الدائرة فى حالة حرب وهو يجمع جيوشه . وفى القفقاس يطلق كاراؤولوف الرصاص على القوميات الاصلية . ان البرجوازيين الكاديت يقدمون اليهم الملايين الضرورية . ان هدفهم المشترك ، هو القضاء على سوفييتات الشعب ، سحق العمال والفلاحين ، واعادة نظام السوط من جديد الى الجيش ، وابقاء الشغيلة القوزاق الى الابد فى العبودية .

ان جيوشنا الثورية تتقدم نحو الدون والاورال لتضع حدا لهذا المشروع المجرم الموجه ضد الشعب . ان قادة الجيوش الثورية قد استلمت الامر التالى : بالاّ تشرع باية مقارضة مع الجنرالات العصاة وان تعمل بحزم ودون شفقة .

ايها القوزاق ! ان وقف اراقة دماء اخوانكم يتعلق بكم . نحن نمد اليكم اليد ، اتحدوا مع الشعب ضد اعدائه . اعلنوا بان كالدين ، وكورنيلوف ، ودوتوف ، وكاراولوف وكذا جميع صنائعهم وشركائهم ، اعداء للشعب ، وخونته . اوقفوهم وسلموهم الى ايدى السلطات السوفييتية التى ستحاكمهم جهارا امام محكمة الثورة .

ايها القوزاق ! اتحدوا فى سوفييتات نواب القوزاق . خذوا بايدكم الخشنة ، ايدى الشغيلة ، ادارة كافة مصالح الفزاق . انتزعوا الاراضى من الملاكين العقاريين القوزاق الاغنياء . خذوا قمحهم ، وآلاتهم ومواشيهم لزراعة اراضى الشغيلة القوزاق الذين خربتهم الحرب .

الى امام ، ايها القوزاق ، من اجل النضال فى سبيل قضية الشعب المشتركة !

عاش الشغيلة القوزاق !

عاش اتحاد القوزاق ، والجنود والفلاحين والعمال !
عاشت سلطة سوفييتات نواب الجنود والعمال والفلاحين
والقوزاق !

لتسقط الحرب ! ليسقط كبار الملاكين والجنرالات
الكورنيلوفيون !

عاش السلم والاخوة بين الشعوب !

مجلس مفوضى الشعب» .

١٨

المراسلات الدبلوماسية للحكومة السوفييتية

ان مذكرات تروتسكى الى الحلفاء والى الدول الحيادية ، وكذلك مذكرات ملحقى الحلفاء العسكريين الى الجنرال دوخونين ، طويلة جدا بحيث لا يمكن ايرادها هنا . انها تعود الى مجال خاص فى تاريخ الجمهورية السوفييتية ، اى الى سياستها الخارجية التى لا تدخل فى موضوع هذا الكتاب بل تدرس بالتفصيل فى الكتاب التالى : « من كوريلوف الى بريست - ليتوفسك » .

١٩

نداء الى الجبهة ضد دوخونين

« ان النضال من اجل الصلح قد اصطدم بمقاومة البرجوازيين والجنرالات المعادين للثورة ... واستنادا الى ما نشرته الصحف ، يجتمع فى مقر القيادة العليا للقائد العام السابق دوخونين ، عملاء البرجوازية والمساومون : فيرخوفسكى ، وافكسنيتييف ، وتشيرنوف ، وغوتز وتسيريتيلى وغيرهم . وكأنهم عازمون على تشكيل سلطة جديدة موجهة ضد السوفييتات .

ايها الرفاق الجنود ! ان هذه الشخصيات جميعها ، قد شغلت مناصب وزارية ولقد عمل هؤلاء بالاتفاق مع كيرنسكى والبرجوازية . انهم مسؤولون عن هجوم ١٨ تموز (يوليو) واطالة الحرب . لقد وعدوا الفلاحين بالارض ، ولكنهم اعتقلوا اللجان الزراعية . لقد اقاموا من جديد حكم الاعداء على الجنود . انهم كانوا يخضعون لوامر المالىين الفرنسيين ، والانكليز ، والاميركيين ... لقد عزل الجنرال دوخونين من منصبه كقائد اعلى ، لأنه

رفض تنفيذ اوامر مجلس مفوضى الشعب ... وردا على ذلك ،
فانه يوزع بين القوات مذكرة الملحقين العسكريين للدول
الاستعمارية الحليفة ، ويسعى بان يثير ثورة معاكسة ...
لا تطيعوا دوخونين ! لا تستجيبوا لاستفزازه ! راقبوه
بدقة ، هو ومجموعته من الجنرالات المناهضين للثورة ! ..»

٢٠

مقتطف من الامر رقم ٢ الى الجيش والاسطول

«... لما كان الجنرال دوخونين ، القائد الاعلى السابق ، قد
رفض تنفيذ الاوامر المسلمة اليه ، ولما كان يقوم باعمال اجرامية
قد تؤدى الى انفجار جديد للحرب الاهلية ، لذا فانه يعتبر عدوا
للشعب .

وسيقتل كل شخص يؤيد دوخونين ، بصرف النظر عن
وضعه الاجتماعى او الحزبى او ماضيه . وسيقوم بهذه الاعتقالات
مفوضون يتمتعون بصلاحيات خاصة . انى اكلف الجنرال
مانيكوفسكى ، اصدار الاوامر المناسبة حول الاجراءات التى
تناولت الاشخاص المشار اليهم آنفا مع تسجيل التغييرات المذكورة
فى سجلاتهم الشخصية .

القائد الاعلى كريلنكو»

الفصل الثانى عشر

١

«الى السكان

«... ردا على اسئلة الفلاحين العديدة ، نجيب بان كل
السلطة فى الدولة قد انتقلت الآن بكليتها الى سوفيات نواب
العمال والجنود والفلاحين . وقد انتصرت الثورة العمالية فى بتروغراد

وموسكو ، وهى تنتصر فى سائر انحاء روسيا . وحكومة العمال والفلاحين تؤمن التحالف بين جماهير الفلاحين ، الملاحين الفقراء ، بين اغلبيية الفلاحين والعمال ، ضد الملاكين البروايين ، ضد الراسمالين .

ولهذا فان سوفياتات نواب الفلاحين ، وبالدرجة الاولى سوفياتات الاقضية ثم سوفياتات المحافظات ، هى ، من الآن وحتى العقاد الجمعية التأسيسية ، هيئات السلطة المحلية ذات الصلاحية . ان المؤتمر الثانى لسوفياتات عامة روسيا قد اعطى ملكية الملاكين العقاريين للارض . ومرسوم الارض اما اصدرته حكومة العمال والفلاحين الحالية الموقته . وبمقتضى هذا المرسوم ، تنتقل جميع اراضى الملاكين العقاريين بكاملها الى سوفياتات نواب الفلاحين .

وينبغى على لجان الارض فى النواحي ان تستملك اراضى الملاكين العقاريين دون ابطاء ، وان تنظم بها جردة دقيقة ، مع الحفاظ على النظام المطلق ، وبسط حماية صارمة على املاك الملاكين العقاريين السابقة التى غدت ملكا للشعب بأسره ، والتى غدا الشعب ملزما ، بالتالى ، بتأمين حراستها .

ان لجميع القرارات التى تتخذها لجان الارض فى النواحي ، بموافقة سوفياتات نواب الفلاحين فى الاقضية ، قوة القانون ، وينبغى تطبيقها فورا ودون اى تحفظ .

وحكومة العمال والفلاحين ، التى عينها المؤتمر الثانى لسوفياتات عامة روسيا ، تسمى مجلس مفوضى الشعب .

ان مجلس مفوضى الشعب يدعو الفلاحين الى استلام السلطة بكليتها فى مطارحهم .

ان العمال سيساندون الفلاحين كل المساندة وبجميع

الوسائل ، وينظمون انتاج الآلات والاعتدة ، وهم يطلبون من
الفلاحين مساعدتهم بمدتهم بالحبوب .

رئيس مجلس مفوضي الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

بتروغراد ، ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ .

کلمه ختامية

لقد نشر كتاب « عشرة ايام هزت العالم » للكاتب الاميركي، الشيوعي جون ريد في الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩١٩ . وصدر للمرة الاولى باللغة الروسية في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٣ ثم اعيد طبعه مرارا عديدة . لقد كان موضع تقدير لينين السامي في المقدمة التي كتبها للطبعة الاميركية . اذ يحوى الكتاب وصفا صادقا لثورة اكتوبر الاشتراكية بوصفها ثورة جماهيرية شعبية ، كما انه يبين بوضوح ابداع الشعب التاريخي ودور البلاشفة العظيم بوصفهم المعبرين عن ارادة الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والجنود .

ان ثورة اكتوبر العظمى ، ثورة لا مثيل لها في تاريخ الانسانية . ولقد كان حزب البلاشفة ولجنته المركزية وعلى رأسها لينين ، الملهم والقائد والمنظم لها .

لقد تنبأ حزب البلاشفة وقائده لينين ببصيرة العباقرة ، سير الثورة كله ، وجميع انعطافاتهما ؛ وبيلوك الجماهير الثورية ، والطبقات والاحزاب المعادية لهذه الجماهير ابان الثورة . لقد تغلغلت افكار لينين في كافة نشاطات هيئات قيادة الثورة : المكتب السياسي والمركز الحزبي لحزب البلاشفة وسوفييت بتروغراد واركانه العملية لقيادة الانتفاضة ، وهي اللجنة العسكرية الثورية .

لقد شقت افكار لينين طريقها الى الحياة في غمرة النضال الضارى ضد الانتهازيين الذين لم يؤمنوا بقوة الثورة البروليتارية ، وبامكانية انتصارها في روسيا . ان هؤلاء المستسلمين وقفوا علانية ضد النهج التكتيكي اللينيني لانتفاضة الشعب المسلحة ، او انهم وافقوا بالكلام فقط على فكرة الانتفاضة ، لقد اقترحوا منهجا تكتيكيا يمكن في حال تحقيقه ان يسير بالثورة فعلا الى الهزيمة . ان كافة الرسائل والمقالات التي كتبها لينين عشية الثورة (ايلول - تشرين الاول) مشبعة بشقة عظيمة بانتصار الجماهير الشعبية ، ثقة قائمة على اعتبار سليم للوضع الفعلي السائد في معسكر الثورة ومعسكر اعدائها . لقد كانت هذه الرسائل والمقالات تسوط بحماس وتنزع الاقنعة عن وجوه الجبناء والخونة المستعدين في اللحظة الحرجة من الثورة لان يرموا السلاح امام العدو .

وفي مقال تحت عنوان «الازمة نضجت» صادر في ٢٩ ايلول (سبتمبر) انتقد لينين بشدة ، الموقف الذي وقفه بعض اعضاء اللجنة المركزية للحزب البلشفي : زينوفييف وكامينيف وتروتسكى وفريق من اتباعهم في اساط الحزب القيادية . لقد انتقد لينين انتقادا حادا زينوفييف وكامينيف اللذين دافعا بضراوة عن ضرورة مساهمة البلاشفة في البرلمان التمهيدى وبهذه الصورة ، فانهما يجردان قوى الثورة من سلاحها الايديولوجى ويصرفانها عن اعداد الانتفاضة . لقد شهر لينين باولئك الرجال - وتروتسكى من ضمنهم - الذين نادوا «بضرورة انتظار انعقاد مؤتمر السوفييتات وكانوا ضد الاستيلاء فورا على السلطة وضد الانتفاضة الفورية» المهمة العملية المستعجلة في جدول الاعمال .

«يجب التغلب على هذا التيار او هذا الرأى ، - كتب لينين ساخطا - والاّ جلب البلاشفة لانفسهم العار الى الابد ، وصاروا صقرا

كحزب . لأن تفويت مثل هذا الظرف « وانتظار » مؤتمر السوفييتات
 هما **عباوة تامة** او **خيانة تامة** ... ان « انتظار » مؤتمر
 السوفييتات يعنى تفويت اسابيع ، بينا الاسابيع وحتى الايام تقرر
 الآن كل شيء ... ان الامتناع عن اخذ السلطة الآن و « الانتظار »
 والثرثرة فى اللجنة التنفيذية المركزية والاقتصار على « النضال من
 اجل الهيئة » (هيئة السوفييت) ، « النضال من اجل المؤتمر » ،
 يعنى **اهلاك الثورة** . (لينين . المختارات فى ثلاثة مجلدات .
 الطبعة العربية . دار النقد ، موسكو . المجلد ٢ ، الجزء ١ ،
 ص ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ و ٥٢٥) .

لقد تكلم نضال لينين العنيد ضد المستسلمين داخل اللجنة
 المركزية ، بنجاح تام . ففى ١٠ تشرين الاول (اكتوبر)
 تبنت اللجنة المركزية ، استنادا الى تقرير لينين حول الوضع
 الراهن ، القرار الذى صاغه هو بنفسه . هذا القرار الذى يعترف
 بان الانتفاضة امر محتّم لا بدّ منها وقد اصبحت فاضحة كل
 التضويع ، ويقترح على كافة منظمات الحزب ، ان تسترشد بذلك
 فى نشاطها العملى . اما زينوفيف وكامينيف فقد صوتا ضد هذا
 القرار فى حين ان تروتسكى ظل متمسكا برأيه السابق ، واقترح
 عدم المباشرة بالانتفاضة قبل افتتاح مؤتمر السوفييتات الثانى ،
 الامر الذى يعنى عمليا ، تأخير الانتفاضة التى اختمرت واطلاع
 العدو على تاريخ توقيتها .

لقد عرض تروتسكى هذا الموقف كذلك فى دورة سوفييت
 بتروغراد ، فى ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) . ويصف
 جون ريد فى كتابه ، خطاب تروتسكى هذا على النحو التالى . ردا
 على سؤال ، حول عزم البلاشفة على القيام بالانتفاضة او عدمه ،
 اجاب تروتسكى : « ان تغيير السلطة عمل سيقوم به مؤتمر
 سوفييتات عموم روسيا ... اننا نأمل بان يتولى مؤتمر

سوفييتات عموم روسيا ، السلطة المستندة الى الحرية المنظمة للشعب بأسره» (راجع الصفحة ١٠٩ من هذا الكتاب) .

لقد عارض لينين بحزم هذا التاكثيك القاتل للثورة ، فوجه رسالة مساء ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) الى اعضاء اللجنة المركزية ، عمد فيها الى اقناعهم بحماس ، بضرورة اعتقال الحكومة في المساء ذاته ، في الليلة ذاتها مهما كلف الامر والاستيلاء على السلطة فوراً دونما ابطاء . «لا يجوز الانتظار ! ! فمن الممكن خسارة كل شيء ! ! . ان التاريخ لن يغفر التباطؤ للثوريين الذين كان في استطاعتهم ان ينتصروا اليوم (وسينتصرون اليوم بكل تأكيد) ، اذ انهم بهذا التباطؤ يجازفون بخسارة كل شيء . ونحن ، اذ نأخذ السلطة اليوم ، لا نأخذها ضد السوفييتات ، بل من اجلها . . . من الهلاك والتدمير بالمشكليات انتظار التصويت المتقلقل في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) . ومن حق الشعب وواجبه ان يحل مثل هذه المسائل لا بالكسوت بل بالقوة ؛ من حق الشعب وواجبه في اللحظات الحرجة من الثورة ، ان يوجه ممثليه . . . لا ان ينتظرهم» (لينين . المختارات ، في ثلاثة مجلدات . الطبعة العربية . دار التقدم ، موسكو . المجلد ٢ ، الجزء ١ ، ص ٦١٨ و ٦١٩) .

وبعد وصول لينين الى سمولني ليلة ٢٤ الى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ، اخذ بكلتا يديه كافة خيوط قيادة الانتفاضة . وخلال هذه الليلة ، زار لينين في سمولني عشرات من العمال والجنود وهم قواد مفارز الحرس الاحمر ورجال الارتباط ، وممثلي النواحي ، والمعامل والوحدات العسكرية . واتسع نطاق عمل اللجنة العسكرية الثورية اسعاً فائقاً للعادة ، واصبحت لديها قاعدة متينة بفضل المبادرة الثورية الواسعة التي شجعها لينين لدى العمال والجنود .

لقد انتصر تكتيك لينين العبقري .

ان القوة التي لا تقهر عند لينين تكمن في واقع ان لديه قوة جبارة فكرية ونظرية امتزجت مع عبقرية في التنظيم . ان كل نشاط بذله المركز الحزبي واللجنة العسكرية الثورية لقيادة الانتفاضة انما كان يجرى بالدقة التامة وفقا للخطة التي صاغها لينين ، والتي عرضها في رسائله حول التكتيك والتي كتبها في شهرى ايلول وتشرين الاول (سبتمبر و اكتوبر) .

لقد وصف جون ريد لينين بالزعيم الفذ . اجل ، لقد كان لينين في الواقع زعيما فذا . وكان التكلف في المظهر الملازم للقائد الاشتراكي-الديموقراطى في اوروبا الغربية غريبا عنه ، اذ كان لينين بسيطا للغاية ، وحكيما للغاية في الوقت نفسه في كافة اعماله ومحاماته . لقد كانت لديه كما كتب جون ريد ، « القدرة الجبارة على شرح اعقد الافكار ببسط الكلمات وان يعطى تحليلا عميقا لظرف موضوعى ناشئ جامعاً مرونة العقل الى جرأة التفكير الخارقة » . كل خصال لينين العظيم هذه تقوم على صلاته الوثقى مع الجماهير الشعبية ، التي يرى فيها صانعة التاريخ ، والتي آمن بقواها الخلاقة البناء ايمانا لا حدود له .

اعرب لينين ، في اول خطاب له في جلسة سوفيت بتروغراد المنعقد على اثر انتصار الانتفاضة الشعبية في نهار ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) -٧ تشرين الثانى (نوفمبر) - ، عن ثقته بدون تحفظ برسوخ الانتصار الذى احرزه الشعب وصاغ ، وهو يتأمل بنظرته الثاقبة مستقبل روسيا السوفيتية الجديدة ، صياغة بسيطة وواضحة ، المهمة التاريخية الموضوعة امام البلاشفة ، والطبقة العاملة ، والجماهير الشعبية الواسعة : مهمة بناء الدولة الاشتراكية البروليتارية ، وانتصار الاشتراكية في روسيا .

وكنقيض لتفاؤل البلاشفة السليم ، دوى بيان تروتسكى

الانهزامى والفاقد الأمل في المستقبل ، الذى ادلى به امام المؤتمر الثانى للسوفييتات . واورد جون ريد هذا القسم من بيان تروتسكى في المؤتمر على النحو التالى : «... لأن روسيا الثورية ستهلك لا محالة اذا استمرت البرجوازية الامبريالية تتّراس اوروبا ... واحد من اثنين : اما ان تثير الثورة الروسية حركة ثورية في اوروبا ، واما ان الدول الاوروبية ستسحق الثورة الروسية ! » (راجع الصفحة ٢٠٩ من هذا الكتاب) .

ان وجهة نظر تروتسكى هذه ناجمة عن فقدانه الثقة في تايدد الفلاحين الكادحين للبروليتاريا الروسية الظافرة ، وفي قدرة البروليتاريا على جر الفلاحين وراءها . وكانت تعبر عن نظريته المنشقية حول «الثورة الدائمة» التى صاغها في عام ١٩٠٥ . لقد كانت نظرية تزعم استحالة انتصار الاشتراكية في بلد واحد ، قبل ان تكون بروليتاريا البلدان الرئيسية في اوروبا قد استولت على السلطة . لقد كتب تروتسكى قبل ثورة اكتوبر بوقت قصير في كراسه «برنامج للصلح» : «ان الثورة المنتصرة في روسيا او في اكلترا مستحيلة بدون ثورة في المانيا والعكس بالعكس» . لقد اعرب تروتسكى ايضا ، في الحديث الذى ادلى به الى جون ريد في السابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) عن هذه الفكرة نفسها ، والتي بمقتضاها ، يكون انتصار الثورة الاشتراكية غير ممكن الا بوصفه انتصارا ملازما لانتصارات بروليتاريا البلدان الاوروبية ، اذ قال تروتسكى متناولا السياسة الخارجية للحكومة المقبلة ، ما يلى : «ارى اوروبا في نهاية هذه الحرب ، تنبعث من قبل البروليتاريا وليست من قبل الديبلماسيين . الجمهورية الاتحادية الاوروبية ، الولايات المتحدة الاوروبية ...» (راجع الصفحة ١٨ من هذا الكتاب) . يعارض تروتسكى هنا النظرية اللينينية حول الثورة البروليتارية وانتصار الاشتراكية في بلد واحد ، بشعاره حول

الولايات المتحدة الاوروبية ، الشعار الناجم عن نظريته الانهزامية نظرية « الثورة الدائمة » .

ان منطق الاحداث التاريخية الذى لا يرحم ، يجبر ممثل الخط الاستسلامى احيانا على ان يتكلموا ويعملوا خلافا لاعتقادهم . وهذا ما جرى مع تروتسكى نفسه ، فى مرحلة الانتفاضة ، عندما كان مضطرا ، بوصفه رئيسا لسوفييت بتروغراد ، ونظرا لسير الثورة الموضوعى ، الى ان يطبق التاكتيك اللينينى حول الانتفاضة . ففى جلسة سوفييت بتروغراد المنعقدة فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ، مثلاً ، وامام الامر الواقع بانتصار الشعب الشائر ، وحين صدر عن القاعة تصريح مفاده ان نبا انتصار الانتفاضة يسبق بصورة غير قانونية ارادة مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، اضطر تروتسكى الى الاجابة بروح تاكتيك لينين قائلا : « ان ارادة مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، قد حددها سلفا هذا الواقع العظيم ، واقع انتفاضة عمال وجنود بتروغراد » (ص ١٤٠) . لقد اضطر تروتسكى ان يقول خلاف ما قاله قبل ذلك بيومين فى جلسة سوفييت بتروغراد المنعقدة فى ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) .

لكن منطق الاحداث التاريخية لم يغير ولا يستطيع ان يغير بصورة جوهرية طبيعة تروتسكى الانتهازية ، وطبيعة انصاره والمستسلمين الآخرين ، الذين كانوا ينك ون من حيث المبدأ ، امكانية انتصار الثورة الاشتراكية ، والاشتراكية فى روسيا ، والذين كانوا يؤيدون ، من حيث جوهر الامر ، الحتمية التاريخية لقيام نظام الجمهورية البرلمانية البرجوازية ، والذين لم ينقطعوا بالتالى ، سواء داخل الحزب وى البلاد ، عن القيام وعن الادلاء بالاعمال والاقوال الفادرة ضد الخط اللينينى العام ، لبناء الدولة انسوفييتية والمجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى . لقد وقفوا

موقفاً غادراً ، خلال مفاوضات الصلح في بريست ، وقاموا بهجمات ديماغوجية ضد الخط اللينيني لبناء الاشتراكية القائم على اساس السياسة الاقتصادية الجديدة ، وافترضوا على لجنة الحزب المركزية التي طبقت بدأب وانتظام الخطة اللينينية الهادفة الى تصنيع البلاد ، وإشاعة التعاون في الزراعة . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا النضال المتواصل الذي خاضته التكتلات الانتهازية والاستسلامية ضد الخط اللينيني العام ، تخليهم التام عن الحزب وانتقالهم الى المواقف المعادية للاتحاد السوفييتي .

ونظراً للظروف الموضوعية التي كان جون ريد يعمل فيها على جمع الوثائق المفيدة لكتابه وترجمتها ، فإنه لم يستطع ان يدرس نشاط مراكز الحزب البلشفي ، دراسة دقيقة على درجة ضرورية من الصحة ، في مرحلة اعداد الانتفاضة وإبانها ، اذ كان نشاط الحزب البلشفي ونشاط لينين ، حتى انتصار الانتفاضة يجري بصورة سرية . ولذا فإنه من الطبيعي ألاّ ينعكس النضال الذي خاضه لينين ورفاقه المقربين ضد الاستسلاميين وضد خط تروتسكي التاكتيكي ، بصورة كافية في كتاب جون ريد ، وهكذا لم يتح للمؤلف ان يتعمق في التناقضات التي تحلت في الكلمات التي القاها تروتسكي في اول ايام ثورة اكتوبر .

ويخطئ ريد حين يؤكد قائلاً : «ولعل احداً ، باستثناء لينين وتروتسكي وعمال بتروغراد والجنود البسطاء ، لم يكن يشق بان البلاشفة يستطيعون الاحتفاظ بالسلطة مدة اطول من ثلاثة ايام» . فالى جانب لينين ، كانت اللجنة المركزية والمنظمات البلشفية المحلية ، واثقة برسوخ الانتصار المحرز . ولم «يتنبأ» بهلاك الثورة المظفرة المحتتم سوى حزب المناشفة والاشتراكيين-الثوريين الفاشلين ، وممثلي الطبقات المستثمرة التي فقدت سلطتها ، واذاًبها وكذا حفة من الاستسلاميين داخل الحزب البلشفي . اما

تروتسكى ، فانه فى هذه المرحلة الزمنية بالذات ، القى فى مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، كلامه الزاخر بالتشاؤم اليائس حول مصير الثورة فى روسيا . ولا يتفق كذلك مع الواقع التاريخى ، وصف المؤلف للظروف التى اتخذت فيها اللجنة المركزية قرارها حول الانتفاضة (راجع الصفحة ٨١-٨٢ من هذا الكتاب والملاحظة المتعلقة بذلك) .

لكن هذه النواقص ، والنواحي الأخرى غير الدقيقة الواردة فى الكتاب ، تتسم بطابع عرضى ، ولا تؤثر فى تقدير كتاب جون ريد من حيث المبدأ بوصفه وثيقة أدبية عظيمة الأهمية ، تقص علينا الحقيقة عن ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى .

لقد تأثر جون ريد تأثرا عميقا بأفكار لينين ، والحزب البلشفى ، التى تجلت فى نشاط أجهزة المراكز العلنية القائدة للانتفاضة ، وببطولة الشعب الثائر وبسالته ، وإبداعه الثورى الخلاق . وهذا ما سمح له بالضبط بأن يتغلغل بنظرته الثاقبة كثرورى متحمس ، وكفنان موهوب ، الى صميم الأحداث الثورية التى جرت امامه ، وان يدرك معناها التاريخى العميق . وعلى هذا تقوم جدارة الكتاب الذى هو ، على حد كلمات لينين ، « يقدم عرضا صادقا وحيا الى درجة خارقة لأحداث هى ذات أهمية قصوى لأدراك كنه الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا » .

ان الحقيقة العظيمة عن ثورة أكتوبر الشعبية فى روسيا ، التى كرس جون ريد كتابه لها ، لم تكن مقبولة لدى الامبرياليين الاميركيين وغيرهم الذين كانوا ينشرون بنذالة الافتراءات فى صحافتهم على البلاشفة وعلى النظام السوفييتى فى روسيا ، محاولين بالتالى صرف انتباه الجماهير التى استغلواها ، عن المزال المؤثر الذى ضربه العمال والفلاحون والجنود الروس فى الجرأة والبطولة الثورية . لقد حاول الامبرياليون مصادرة الوثائق التى جمعها جون ريد ، كما

تماموا بست محاولات ، على ايدى قطاع الطرق ، ليستولوا من مكتب
دار النشر على مخطوطة الكتاب لاتلافها .
ولكن ، رغم كافة المصاعب والعراقيل ، فقد صدر كتاب
« عشرة ايام هزّت العالم » فى الولايات المتحدة الاميركية عام
١٩١٩ . واصبح هذا الكتاب المؤلف الاول فى الادب العالمى الذى
قص على الانسانية جمعاء ، حقيقة الثورة الاشتراكية المنتصرة فى
روسيا ، هذه الثورة التى دشنت بداية عصر جديد فى تاريخ
الانسانية - عصر الثورة البروليتارية .

بقلم :
البرت ويس فيليامس
ترجمة حياة جون ريد

كانت مدينة بورتلاند على المحيط الهادى "اول مدينة اميركية رفض العمال فيها تحميل الدخائر الى جيش كولتشاك . ففى هذه المدينة ولد جون ريد فى ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٨٧ .

كان والده واحدا من هؤلاء الرواد الصليين ، ذوى التفكير المستقيم ، الذين وصفهم جاك لندن فى قصصه عن غرب اميركا . انه رجل ذو ذكاء حاد ، يكره الخداع والمكر . وعوضا عن ان يقف الى جانب الناس الاغنياء اصحاب النفوذ ، فانه عارضهم ، وعندما استولت التروستات كالاخطبوطات الهائلة على العباب والثروات الاخرى فى الدولة ، بدأ ضدهم نضالا عنيدا . فاضطهد ، وضرب حتى الموت ، وطرد من مركزه . ولكنه لم يستسلم ابدا امام اعدائه .

وهكذا ، فقد اخذ جون ريد عن والده دم المناضل بالوراثة ، ذكاء من الدرجة الاولى ، فكرا جريئا وجسورا . هذه المواهب اللامعة ظهرت لديه فى سن مبكرة ، ولدى انتهاء دراسته الثانوية ، ارسل الى هارفارد ، اشتهر جامعة اميركية . هناك حيث يرسل ملوك البترول ، وبارونات الفحم واساطين الفولاذ اولادهم ، عالمين تماما ، ان هؤلاء الاولاد سيعودون بعد اربع سنوات يقضونها فى الرياضة ، فى الكماليات وفى «دراسة مجردة لعلم مجرد» ، مع فكسر خيال من اقل شبهة راديكالية . هكذا يعدون ، فى المدارس والجامعات ، عشرات الألوف من الشبان الاميركيين ليكونوا حماة للنظام القائم ، وحرسا ابيض للرجعية .

لقد امضى جون ريد اربع سنوات بين جدران هارفارد حيث جعلته

شخصيته الجذابة ومواهبه محبوبا من الجميع . لقد كان يصطدم يوميا مع الشباب سليلي الطبقات الغنية ذات الامتيازات . كان يسمع الدروس المفخمة لاساندة علم الاجتماع ذوى التفكير الحسن . وكان يسمع مواظف كهان الرأسمالية اصحاب السلطة ، اساندة علم الاقتصاد السياسى . واخيرا فقد نظم ناديا اشتراكيا فى وسط هذه القلعة البلوتوقراطية ذاتها . كان ذلك صفة حقيقية على وجه العلماء الجهلة . لقد كان رؤساؤه يعززون انفسهم بالتفكير بان الامر لا يتعدى هواية غلام . وكانوا يقولون : «هذه الراديكالية سيتخلى عنها لدى اجتيازه باب الجامعة ودخوله فى معترك الحياة» .

بعد ان انتهى جون ريد دروسه ونال درجته الجامعية ودخل العالم الواسع ، وبوقت قصير لا يصدق ، استكان العالم له . لقد استكان له لشغفه بالحياة ، بحماسة وقلمه . وقد كان طالبا عندما ساهم فى الصحيفة الساخرة «لامبون» (الهازى) ، حيث ابدى اسلوبا سهلا ومشرقا . وحاليا اخرج قلمه موجة من القصائد ، والقصص ، والمسرحيات الدرامية . فغمزه الناشرون بعروضهم ، وكانت المجلات المصورة تعرض عليه مبالغ خيالية من المال ، وكبريات الصحف تطلب منه التعليقات على الاحداث العالمية .

وهكذا اصبح جون ريد جواب آفاق لأكبر الطرق فى العالم . وكل من اراد ان يتابع الحياة العصرية ، عليه ان يتبع جون ريد : كالطائر البحرى ، وعصفور الرعود ، فقد كان حاضرا دائما حيث يجرى شئ ما هام .

ففى بترسون ، تحول اضراب عمال النسيج الى عاصفة ثورية - وكان جون ريد فى وسط العاصفة .

وفى كولورادو ، خرج عبيد روكفلر من اخاديدهم ورفضوا ان يعودوا اليها ، رغم مطارق الحرس المسلح وبنادقهم ، وكان جون ريد هناك الى جانب الثائرين .

وفى المكسيك حيث رفع الفلاحون المحرومون راية العصيان بقيادة فيلا وتوجهوا الى الكابيتول ، كان جون ريد على الحصان يتقدم بينهم .

ظهر تحقيق صحفى عن هذه المائرة فى مجلة «متروبوليتان» وبعد ذلك فى كتاب «المكسيك الشائرة» . وبالوان غنايية ، وصف ريد فييه الجبال ذات الالوان الارجوانية والصحارى الواسعة «التي تحميها اشواك الصار الباسقة من كافة الجهات» . كان ريد يحب السهول اللامتناهية ، واكثر من ذلك ايضا ، كان يحب سكانها الذين يستثمرهم الملاكون الكبار والكنيسة الكاثوليكية دون رحمة . لقد وصف ريد هؤلاء وهم منحدرون بقطعاتهم من المراعى الجبلية لينضموا الى جيش التحرير ، مغنين فى المساء حول نيران المعسكر ، مناضلين باعجاب فى سبيل الارض والحرية ، رغم الجوع والبرد ، وهم حفاة الارجل يرتدون الاسمال الممزقة .

اندلعت الحرب الامبريالية . وفى كل مكان دوى فيه المدفع ، كان جون ريد هناك : فى فرنسا ، فى المانيا ، فى ايطاليا ، فى تركيا ، فى البلقان ، فى روسيا . واذا فضح خيانة الموظفين القيصريين وجمع وثائق تظهر اشتراكهم فى تنظيم المحازر ضد السامية ، فقد اعتقله الدرك برفقة الرسام الشهير بوردمان روبنسون . ولكن كما كان يجرى دوما وبفضل حيلة ماهرة ، وبصدفة سعيدة او بلعبة مأكرة ، فقد تخلص من مخالفهم ومضى ضاحكا الى مخاطرة جديدة .

لم يوقفه الخطر ابدا ، فقد كان محيطه الطبيعى . لقد كان يتسلل دائما الى المناطق المحرمة ، الى الخطوط الامامية من الخنادق .

كم يعيش فى ذاكرتى ، سفرى مع جون ريد وبوريس راينشتاين الى جبهة ريغا فى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ! كان سيارتنا تتجه جنوبا ، نحو فاندن ، عندما شرعت المدفعية الالمانية تقصف قرية تقع الى الشرق . وفجأة اصبحت هذه القرية بالنسبة لجون ريد ، المكان الاكثر اهمية فى العالم ! الح هلينا بان نذهب اليها . ويحذر شرعا نوحف عندما انفجرت فجأة قنبلة كبيرة وراعا ، مخلقة صموذا اسود من الدخان والغبار ينبعث من شقة من الطريق وكنا بالكاد قد اجتوناها .

ونظرا للخوف الذى استولى هلينا ، فقد تشبثنا ببعضنا البعض ،

بيد أنه بعد برهة كان جون ريد يزهو فرحا . اذ يبدو ان نوعا من حاجة لا تقهر في طبيعته قد اشبعت .

هكذا كان جون ريد يجوب العالم ، من بلد الى آخر ، من جبهة الى اخرى ، من مغامرة خارقة الى مغامرة اخرى . الا انه لم يكن مغامرا بسيطا ، مخبرا ، مشاهدا غير مبال ، ملاحظا عديم التأثير بالآلام الانسانية ، بل على العكس من ذلك ، لقد كانت هذه الآلام وكأئها آلامه الخاصة . كان هذا التشويش ، هذا الوحل ، هذه الآلام وهذا الدم المراق يسىء الى شعوره بالعدالة واللياقة ، وبصلابة ، فقد كان يفتش من جذور جميع الآلام بغية اجتثاثها .

عندما كان يرجع من اغترابه الى نيويورك ، لم يكن ذلك طلبا للراحة ، ولكن كي يشتغل ايضا ويدافع عن افكاره .

ولدى رجوعه من المكسيك ، اعلن قائلا : « نعم ، ان المكسيك تعيش في جو من الاضطراب والتشويش . ولكن المسؤولية لا يتحملها الفلاحون المحرومون من الارض بل اولئك الذين يزرعون الاضطراب بارسالهم الذهب والسلاح ، اى شركات النفط الاميركية والانكليزية المتصارعة » .

عاد جون ريد من بترسون لينظم في ماديسون سكوير غاردن ، اكبر قاعة في نيويورك ، تمثيلية درامية بعنوان « معركة البروليتاريا في بترسون ضد الرأسمال » .

من كولورادو ، جاء بئبا مذابح لودلو ، التي فاقت شناعتها تقريبا شناعة اطلاق الرصاص في لينا في سيبيريا . لقد قص كيف طرد عمال المناجم من بيوتهم ، وكيف عاشوا تحت الخيام ، وكيف رويت هذه الخيام بالبترول واشعلت فيها النيران ، وكيف اطلق الجنود الرصاص على العمال الذين كانوا يركضون وكيف هلك عشرون من النساء والاولاد في النيران . واعلن ريد موجها كلامه الى روكفلر ، ملك اصحاب الملايين ، قائلا : « انها مناجمك ، انهم عصاباتك المرتقة وجنودك ، انكم قتلة ! » .

ولم يرجع جون ريد من ميادين القتال مزودا بثرثرات جوفاء عن

وحشيه هذا او ذاك من الاطراف المنحاربة ، ولكنه رجع لاعنا الحرب
بدايتها ، كمجورة ، كحمام دم ، نظمها الاميراليون المتنافسون . وفي مجلة
«الليسيانور» السدمية الثورية التي كان يقدم اليها مجانا افضل كتاباته ،
نشر مقالا لاذعا تحت عنوان : «احصل على صدرة من القوة لابنك الجندى» .
اعتقل ، و قدم مع محررين آخرين الى محكمة نيويورك بتهمة الخيانة العظمى .
حاول النائب العام بكل فواه الحصول على حكم قاس من المحلفين الوطنيين ،
لقد ذهبت به الحال الى اقامة جوفة امام مبنى المحكمة تعزف الاناشيد
الوطنية طوال وقت المذاكرات ! لكن ريد ورفاقه دافعوا ببسالة عن
معتقداتهم . وبعد ان اعلى ريد بجرأة انه يعنبر من واجبه ان يناضل في
سبيل الثورة الاجتماعية تحت علم الثورة ، سألته النائب العام :

«ولكن ، في الحرب الراهنة ، انكم سنحاربون تحت العلم الاميركى ؟»

« كلا ! » - احاب ريد بتاكيد مطلق .

«ولماذا ادن ؟»

وجوابا على ذلك ، القى ريد خطابا عاطفيا وصف فيه الفواجع التي
شاهدها في ميادين القتال . ولقد كانت قصته حيه ومؤثرة لدرجة ان بعض
المحلفين من البرجوازيين الصغار ، رشم انهم حذروا قبل ذلك ، تأثروا من
كلامه حتى الدموع . فاطلق سراح المحررين .

وتماما في الوقت الذي دخلت فيه اميركا الحرب ، اجريت عملية لجون
ريد : فاستنصلت احدى كليتيه . واعلن اطباء عدم اهليته للخدمة العسكرية .
«ان فقدان كلية ، - اعلن جون ريد ، - يمكن ان يعفيني من الخدمة
في الحرب بين الشعوب . ولكنه لا يعفيني من ان ابذل نفسي في الحرب
الطبقية» .

في صيف ١٩١٧ ، جاء جون ريد بصورة عاجلة الى روسيا ، حيث
ابصر جليا في المعارك الثورية الاولى اقتراب حرب طبقية كبيرة .

ولما كان قد حلل الوضع بسرمة ، فقد ادرك بان معركة البروليتاريا
من اجل السلطة كانت منطقية وحتمية . بيد ان التأخيرات والمماطلات كانت

تقلقه . ولدى الاستيقاظ صباح كل يوم ، كان يلاحظ بشعور قريب من الغضب بان الثورة لم تبدأ بعد . واخيرا ، اعطت سمولتي الاشارة واندفعت الجماهير في المعركة الثورية . وطبيعى تماما ان يندفع معها جون ريد . لقد كان موجودا في كل مكان : عندما حل البرلمان التمهيدى ، عند بناء الحواجز ، في الاستقبال العاصف الذى اقيم للينين وزيروفيف لى خروجهما من السرية الى العلنية ، عند سقوط قصر الشتاء . . .

ولكن هذا كله ، رواه جون ريد في كتابه .

في كل مكان مر فيه ، كان يجمع وثائقه . وهكذا جمع مجموعات كاملة من «البرافدا» و«الافستيا» («الحقيقة» و«الاخبار») ومن الاعلانات والتداعيات والنشرات كذلك . كان لديه ميل خاص للاعلانات . وفي كل مرة يظهر فيها اعلان جديد ، لم يكن جون ليتردد في قلعه من على الجدار ، اذا لم يستطع الحصول عليه بوسيلة اخرى .

في هذه الايام ، كانت الاعلانات تطبع بكميات وبسرعة لدرجة انه كان من الصعب العثور على مكان لاصاقها على الحواجز الخشبية . كانت اعلانات حزب الكاديت والاشتراكيين-الثوريين والمناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين والبلاشفة يلصق الواحد منها فوق الآخر ، بطبقات جد سميكة حتى ان ريد قلح يوما دفعة واحدة ، ستة عشر اعلانا منضدا بعضها فوق بعض . لقد توقف في غرفتي رافعا الرزمة الكبيرة من الورق صارخا : « انظر ! لقد نشتت بلمحة كل الثورة والثورة المعاكسة ! »

وهكذا فقد الشا ريد بوسائل مختلفة ، مجموعة وثائق تدعو للاعجاب . لقد كانت رائعة جدا حتى ان رجال وزارة العدل الاميركية ، لدى وصوله الى مرفأ نيويورك بعد عام ١٩١٨ ، خلصوه اياها . بيد انه نجح بان يستعيد ملكيتها وان يخفيها في الغرفة الصغيرة في نيويورك حيث نسخ على الآلة الكاتبة «عشرة ايام هزت العالم» وسط ضجيج المترو الجوى الذى كان يطير فوق راسه والارضى الذى كان يسير تحت اقدامه في باطن الارض .

بالطبع ، لم يكن ليرغب الفاشست الاميركان ان يطلع الجمهور على هذا الكتاب . ففى ست محاولات ، دخلوا خلالها الى مكتب دار النشر بغية سرقة المخطوطات . وعلى صورته الشخصية كتب جون ريد هذا الاهداء : « الى هوراس ليفيرايت ، ناشر كتابى الذى كاد ان يفلس بسبب طبعه اياه » .

لم يكن هذا الكتاب الثمرة الوحيدة لنشاط ريد الادبى المتصل بالدعاية عن الحقيقة فى روسيا . ان البرجوازية لم تشأ بالطبع ان تسمع الحديث عن هذه الحقيقة . وبوصفها كارهة الثورة الروسية وخائفة منها ، فقد حرصت على ان تفرقها فى سيل من الافتراءات . كانت المحافل السياسية ، وشاشات السينما ، واعمدة الصحف والمجلات ، تصب بدون نهاية ، سيلاً من الافتراءات البشعة . اما المجلات التى الحت قبلاً للحصول على مقالات ريد ، فانها لم تكن لتطبع سطراً واحداً مما كتبه . ولكن هذه المجلات لم تستطع ان تمنعه عن الكلام . فكان يتكلم فى اجتماعات حيث تزدهم الجماهير .

اسس ريد مجلة له . واصبح محرراً لمجلة «عصر الثورة» ذات النزعة الاشتراكية اليسارية ، ثم «الكومونيست» . كان يكتب مقالا اثر مقال لصحيفة «الليبيراتور» ويعجوب البلاد ، ويشارك فى الاجتماعات ، مفحماً بالوقائع جميع الذين يسمعون ، وناقلاً اليهم حماسه الثورى وحميته . ونظم اخيراً فى معقل الرأسمالية الاميركية حزب العمال الشيوعى ، كما نظم تماماً منذ عشرة سنوات خلت ، نادياً اشتراكياً فى قلب جامعة هارفارد .

وعلى جرى عادتهم ، فقد خدع «العقلاء» انفسهم . كان يمكن لراديكالية جون ريد ان تكون كل شىء هذا كونها عبارة عن هواية عابرة . وخلافاً للنبوءات ، فان الاتصال بالعالم الخارجى لم يشف قط جون ريد ، انه ما عمل الا على تثبيت تقدميته وتقويتها . الى اى مدى كانت هذه التقدمية حالياً متينة وعميقة ، ان البرجوازية تستطيع ان تقنع نفسها لدى قراءة «صوت العمل» ، الصحيفة الشيوعية الجديدة التى كان ريد محرراً . لقد فهمت البرجوازية الاميركية ان ثورياً حقيقياً قد ظهر فى وطنها . واليوم هذه الكلمة وحدها «ثورى» قد ارجفتها ! بالطبع لقد كان فى الماضى

ثوريون في اميركا ، وحاليا ايضا توجد في هذا البلد جمعيات شريفة ومحترمة بصورة رفيعة ، من نوع «بنسات الثورة الاميركية» و«ابناء الثورة الاميركية» . انها الطريقة التي تكرر بها البرجوازية الرجعية ثورة عام ١٧٧٦ . بيد ان هؤلاء الشوار قد انتقلوا منذ زمن بعيد الى عالم آخر . في حين ان جون ريد ، الثوري الحى ، الحى الى درجة لا تصدق ، كان تحديا للبرجوازية .

لم يبق للبرجوازية سوى مخرج واحد تلجأ اليه : وضع ريد في الاغلال . وهكذا اعتقل جون لا مرة واحدة ولا مرتين ، بل عشرين مرة . ففى فيلادلفيا ، اغلق البوليس قاعة الاجتماع لكى يمنع جون ريد من ان يتكلم . لكنه تسلق صندوق صابون ، ومن هذه المنصة ، توجه الى الجمهور الغفير الذى سد الشارع . اصاب هذا الاجتماع لجاحا واحرز كثيرا من العطف ، حتى انه كان من المستحيل ، عندما اعتقل ريد «لانه شوش النظام العام» . الحصول على حكم بادانته من المحلفين . لم تنعم اية مدينة اميركية بالهدوء ما دامت لم تعتقل جون ريد ولو مرة واحدة . لكنه كان ينجح دائما باسترداد حريته ، بالكفالة ، او بتأجيل المحاكمة ، وكان يسرع بالذهاب ليخوض المعركة في ميدان جديد .

لقد اصبحت عادة مألوفة لدى البرجوازية الغربية ، بان تعزو كل آلامها وهزائمها الى الثورة الروسية . واحدى جرائمها (الهاء : للثورة الروسية) كانت انها جعلت من هذا الشاب الاميركى الموهوب جدا انسانا متعصبا للثورة . هكذا تفكر البرجوازية . بينما الحقيقة تختلف قليلا عن ذلك . ليست روسيا هى التى جعلت من جون ريد ثوريا . فان دما ثوريا اميركيا كان يجرى في عروقه منذ يوم ولادته . نعم ، ومهما حاولوا اظهار الاميركيين كالاش حسنى التغذية ، مرتضين ورجعيين ، فان السخط والثورة يجريان ايضا في عروقهم . تذكروا كبار الثائرين فى الماضى : توماس ، بين ، اوجلت اويتمن ، جون براون وبارسونس . وتذكروا اليوم رفاق جون ريد واصدقائه فى النضال : بيل هايوود ، روبرت ماينور ، روتنبرغ وفوستر !

تذكروا اصطدامات العمال الصناعيين الدموية في هومستيد ، بولمان ولورنس ونضال «العمال الصناعيون في العالم» . جميع - هؤلاء القادة وهذه الجماهير - انهم جميعا من اصل اميركى خالص . ورغم ان هذا ليس جليا تماما في الساعة الراحنة ، فان دماء الاميركيين قد تشربت بقوة بالفكرة الثورية .

لا يمكن ان يقال اذن بان روسيا جعلت من جون ريد ثوريا . ولكنها جعلت منه ثوريا منطقيا ذا فكرة عليية . ذلك هو فضلها الكبير . انها حملته على ان يغمر مكتبة عمله بكتب ماركس ، انجلز ولينين . لقد منحتهم فهم التطور التاريخي ومجرى الحوادث . لقد حملته على ان يحل وقائع الاقتصاد القاسية والفظة محل نظراته الانسانية الذي يشوبها الغموض قليلا . ولقد حفزته لكي يصبح مربى الحركة العمالية الاميركية ويجاول ان يقيمها على الاسس العلمية التي بنى عليها معتقداته الخاصة .

واحيانا كان رفاقه يقولون له : « ليست السياسة ميدانك يا جون ! » « انت لست داعية ، انك فنان . عليك ان تتركس موهبتك في عمل ادبي خلاق ! » . كان يحس غالبا بصحة هذه الكلمات ، لأن قصائد جديدة كانت تولد دائما في رأسه ، ومسرحيات درامية جديدة تفتش دوما عن التعبير عنها ، وتتوق الى ان تتردى شكلا محدودا . وعندما الج عليه اصدقاؤه بان يترك جانبا الدعاية الثورية وان يشرع في الكتابة ، كان «جون» يجيب بابتسامته : « هذا حسن ، سأشرع بذلك » .

ولكنه لم ينقطع عن نشاطه الثوري لحظة واحدة . كان ذلك فوق قواه ! لقد استولت عليه الثورة الروسية جسدا وروحا . وجعلت منه مشابعا لها ، لقد حملته على ان يخضع مزاجه الفوضوي ، المترددا ، الى انضباط الشيوعية القاسية ؛ لقد ارسلته ، كئيب يحمل شعلة مضطربة . يجوب المدن الاميركية ؛ دعته الى موسكو عام ١٩١٩ ليعمل في الامنية الشيوعية لتوحيد الحزبين الشيوعيين في الولايات المتحدة .-

ولكونه قد تسلم بوقائع جديدة عن النظرية الثورية ، فقد اندفع ريد من جديد في سفر سري قاصدا لنيويورك ، ونتيجة لخيانة بحار ، طرده من

الباخرة ، واللقى به في زنزانة في سجن فنلندي . ومن هناك عاد ثانية إلى روسيا ، وكتب في مجلة «الاممية الشيوعية» ، وجمع الوثائق لكتاب جديد ، وانتدب إلى مؤتمر الشعوب الشرقية في باكو . ولما كان قد أصيب بمرض التيفوس (وربما كان ذلك في القفقاس) ، وإنهكت قواه نتيجة الإفراط في العمل فإنه لم يستطع مقاومة المرض وقضى نحبه يوم الأحد في ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٠ .

لقد ناضل عدد من المناضلين المماثلين لجون ريد ضد الجبهة المعادية للثورة في أميركا وأوروبا بالبسالة التي هزم بها الجيش الأحمر الثورة المعاكسة في الاتحاد السوفييتي . وسقط البعض ضحية المجازر ، وسكت البعض إلى الأبد في السجون ، وغرق أحدهم أثناء عاصفة في البحر الأبيض بينما كان عائدا إلى فرنسا ، والسحق آخر في سان فرانسيسكو عندما سقط من طائرة كان يرمى منها النداءات محتجا ضد حرب التدخل . ومهما كان غضب الهجوم الاستعماري قويا ضد الثورة ، فقد كان من المحتمل أن يكون أشد لولا هؤلاء المناضلين . انهم أيضا قاموا بعمل ما لكبح جماح الثورة المضادة . وليس فقط الروس ، الأوكرانيون ، التاتار والقفقاسيون الذين ساعدوا الثورة الروسية ، ولكن أيضا ولو كان ذلك على درجة أدنى ، الفرنسيون ، الألمان ، الإنكليز والأميريكيون . وبين هؤلاء «غير الروسيين» ينتصب وجه جون ريد في المقام الأول ، لأنه كان رجلا ذا مواهب غير عادية ، صرع في تمام تفتح قواه ...

وعندما وصل خبر وفاته من هلسنكي ومن ريفيل ، قد اقتنعنا بأن ذلك لم يكن سوى اكدوبة اضافية وسط تلك الاكاذيب التي تصنعها يوميا معاملة الافتراءات المناهضة للثورة . ولكن عندما ايدت لويزا بريانت هذا الخبر المقلق ، حملنا ، رغم أننا ، على التخلي عن الأمل بتكذيبه .

ورغم أن جون ريد قد مات في المنفى وهدد بحكم خمس سنوات بالسجن ، فإن الصحافة البرجوازية نفسها قد أدت واجب التكريم نحو الفنان ونحو الانسان . غبطة كبيرة غمرت البرجوازية : لأن جون ريد الذي

كشفت القناع عن اذليلها وخداعها ، والذي اهانها بقلمه بكل قساوة ، لم يعد موجودا !

ان الاوساط التقدمية الاميركية قد اصبحت بخسارة لا تعوض . انه من الصعب على الرفاق الذين يعيشون خسارح اميركا ، ان يقيسوا شعور الخسارة الذى سببه موته . والروس يعتبرون كامر طبيعى تماما وبديهي تماما ان يموت رجل فى سبيل عقائده . وفى هذا الميدان لا مجال لشعور غير عادى . ففى روسيا السوفييتية ، مات الالوف وعشرات الالوف ، فى سبيل الاشتراكية . ولكن تضحيات كهذه فى اميركا كانت نسبيا قليلة العدد . اذا جاز هذا القول فان جون ريد كان اول شهيد للثورة الشيوعية ، طليعة الالوف الذين سيتبعونه ، وكانت نهايته المفاجئة لحياته الشهائية حقا ، فى روسيا البعيدة المغلقة بالحصار ، كانت ضربة هائلة للشيوعيين الاميركيين . العزاء الوحيد الذى بقى لاصدقائه القدامى ورفاقه ، ان جون ريد يرقد فى المكان الوحيد فى العالم حيث اراد ان يرقد - فى الساحة الحمراء مقابل جدار الكرملين .

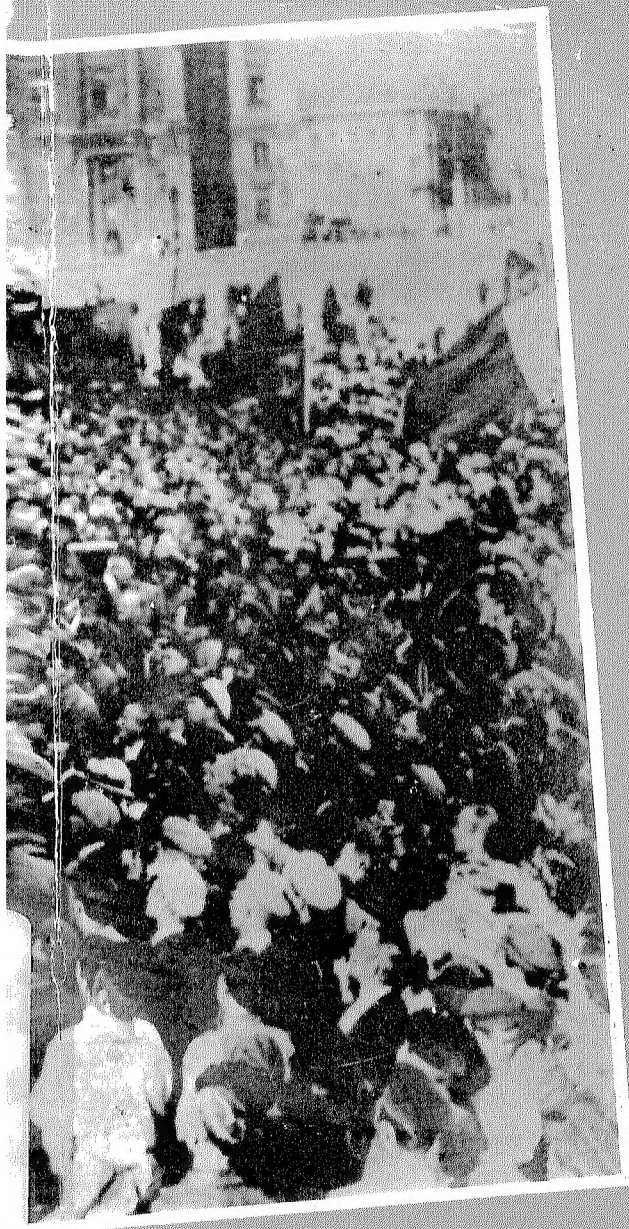
هناك على قبره ، اقيم نصب تذكارى يتلاءم وصفاته ، بشكل كتلة

خامية من الغرانيت قد حفرت عليها الكلمات التالية :

«جون ريد ، منسوب الاممية الثالثة ، ١٩٢٠ م .

محتويات

٥	مقدمة للطبعة الاميركية
٧	مقدمة للطبعة الروسية
١١	المقدمة
١٩	ملاحظات افتتاحية وتوضيحات
٣٥	الفصل الاول . الاوضاع العامة
٥٧	الفصل الثاني . مجيء العاصفة
٨٩	الفصل الثالث . عشية الاحداث
١٢٧	الفصل الرابع . سقوط الحكومة الموقته
١٧٢	الفصل الخامس . الى امام بدون توقف !
٢١٤	الفصل السادس . لجنة الانقاذ
٢٤٣	الفصل السابع . الجبهة الثورية
٢٦٧	الفصل الثامن . الثورة المضادة
٢٩٦	الفصل التاسع . النصر
٣٢٦	الفصل العاشر . موسكو
٣٤٤	الفصل الحادى عشر . الاستيلاء على السلطة
٣٧٨	الفصل الثانى عشر . المؤتمر الفلاحى
٤٠١	ملاحظات من جون ريد
٥٣٣	كلمة دار النشر الختامية
٥٤٥	البيرت ريس فيليامس . ترجمة حياة جون ريد



1005 HEN